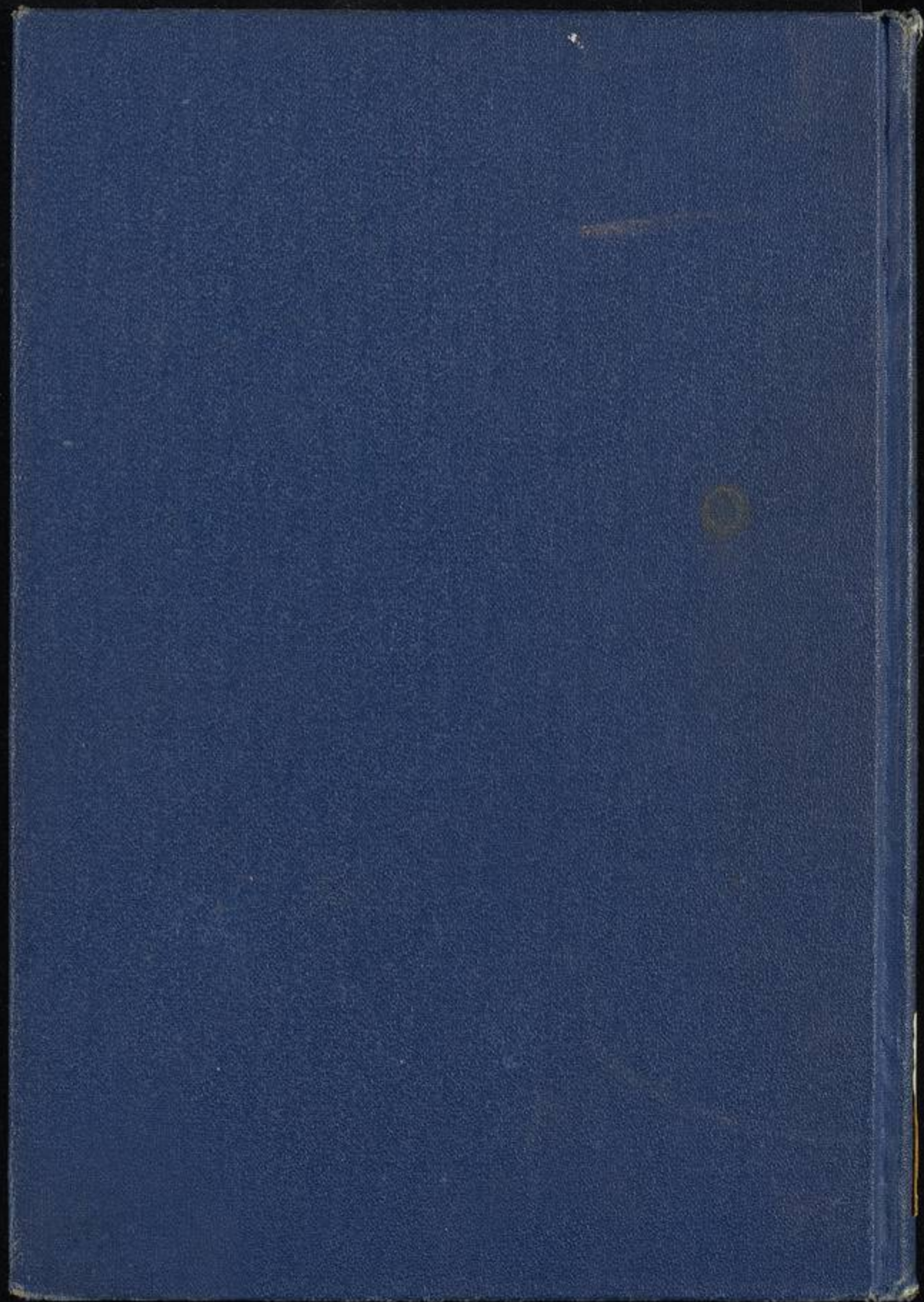




BOBST LIBRARY



3 1142 00728 4659

DATE DUE

NEW YORK UNIVERSITY
BOBST LIBRARY

C I R C

JUN - 5 1991

70 WASHINGTON SQ. S.
NEW YORK, N.Y. 10012

DEC 1991

DATE DUE

NEW YORK UNIVERSITY
BOBST LIBRARY

C I R C

AUG 13 1991

70 WASHINGTON SQ. S.
NEW YORK, N.Y. 10012

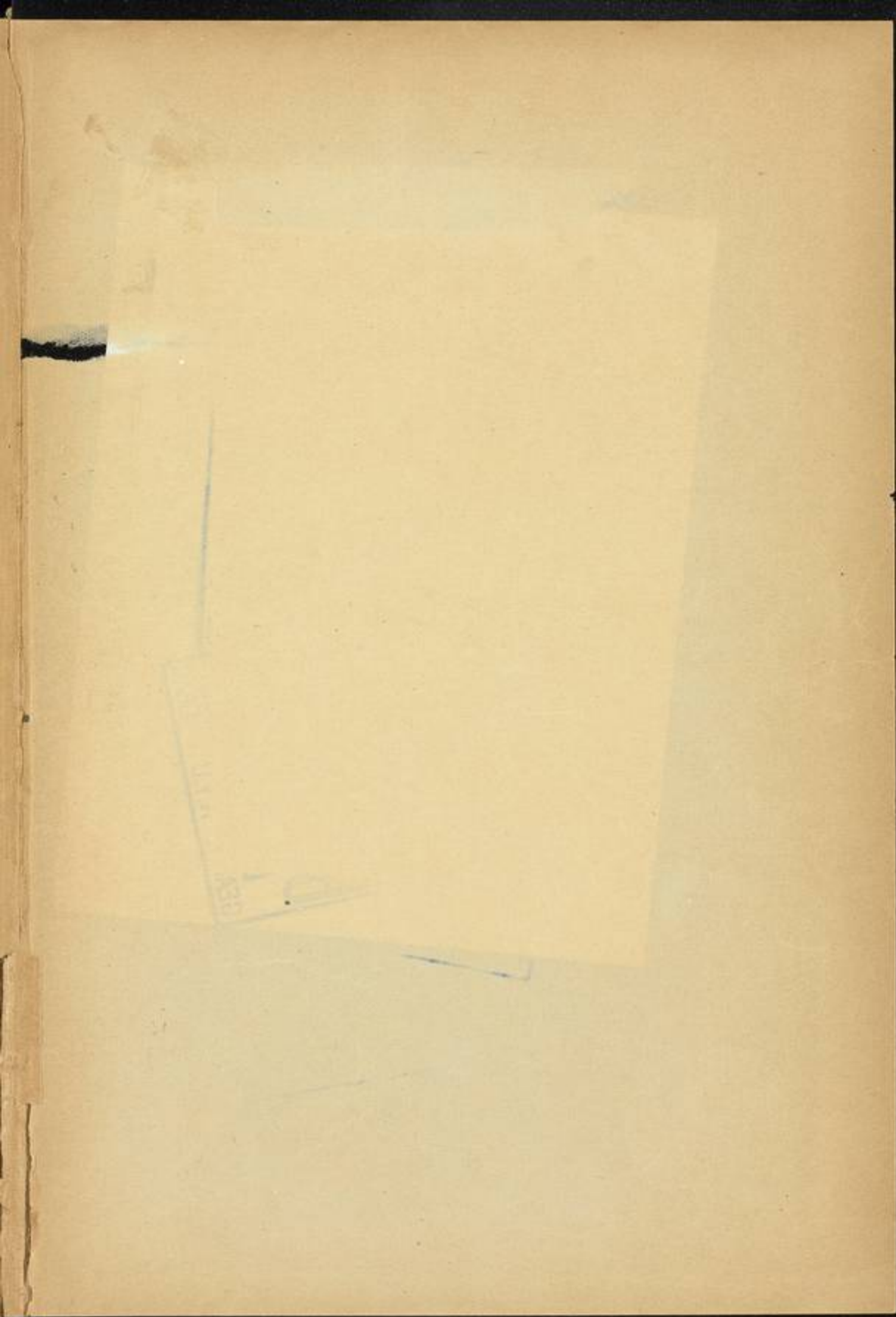
NEW YORK UNIVERSITY
BOBST LIBRARY

C I R C

DEC - 4 1991

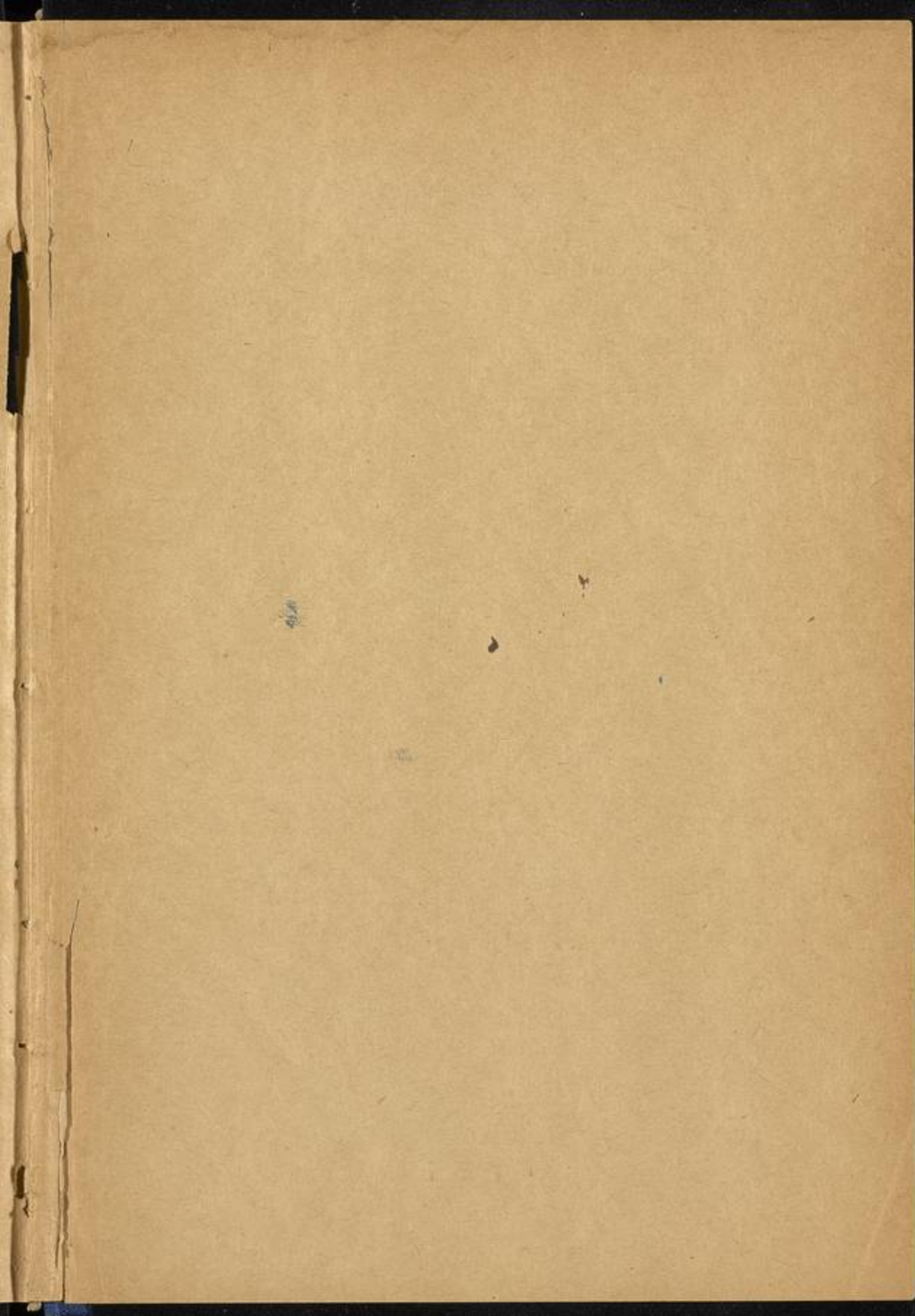
70 WASHINGTON SQ. S.
NEW YORK, N.Y. 10012

DEC 1991



al-Hamdani, Husayn
ibn Fayḍ Allāh

al-Sulayhīyūn wa-al-hara Kah
al-Fāṭimīyah fi al-Yaman



al-Hamadāni, Husayn ---

/al-Sulayhiyūn---/

الصُّلَيْحِيُّونَ

والحركة الفاطمية في اليمن

(من سنة ٢٦٨ هـ إلى سنة ٦٢٦ هـ)

Dr. Bayard Dodge

With compliments of

al-Hamadani
Cairo: 1956.

تأليف

حُسَيْن بن فَيضَ اللهِ الهَمْدَانِي

اليَعْبُورِي الْحَرَازِي

بالاشتراك مع

الدكتور حُسَيْن سُلَيْمَان مُحَمَّد الجُهَنِي

المدرس الأول في المواد الاجتماعية بالحرطوم الثانوية المصرية

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدق بالقاهرة

القاهرة

سلسلة البحوث اليمنية رقم ١

المعهد الهمداني للدراسات الإسلامية

(أنشأها سيدي محمد علي الهمداني اليعبري في سنة ١٣٠٥ هـ)

المدير : الدكتور حسين الهمداني

DS

247

Y/4

H 326n

c.1

مطبعة الرسالة

٣ شارع حمودة المقاول — عابدين
القاهرة

تصدير

بفلم الأستاذ مصطفى السقا

أستاذ الأدب الأندلسي بكلية الأدب بجامعة القاهرة

هذه صفحات رائعة مشرقة من تاريخ الحركة الفاطمية في اليمن ، وتاريخ دولة من أعظم دولها أثراً ، وأبقاها ذكراً ، وهي دولة « الصليحيين » ، الذين لبست اليمن على أيديهم حلة قشبية من المجد لا تبليها الأيام ، إذ انتظمت مخاليفها وخدمة جامعة ، خفق عليها علم العدل والامن والسلام ، حقبة من الزمان ، وخاصة في عهد مؤسسها علي بن محمد الصليحي ، وعهد السيدة الحرة اروي بنت أحمد الصليحية ، اللذين يذكر لهما اليمن حتى وقتنا هذا أطيب الذكريات .

كان حكم الصليحيين في اليمن طرازاً جديداً من الحكم ، وأول ما يتميز به من سمات : القصد إلى وحدة الشعوب اليمنية ، وجمعها تحت راية سياسية واحدة ، تظلمهم بالسلام والعمل لإسعاد البلاد ، لا ينبغي بعض على بعض ، ولا يخفو صاحب اعتقاد أو مذهب ديني أخاه في الوطن ؛ فقد أطلق الصليحيون لأصحاب المذاهب الدينية : من سنية وزيدية وفاطمية ، حرية الاعتقاد والعمل ، فكان ذلك أقوى دعامة قامت عليها تلك الدولة الجديدة .

وإذ كانت دولة الصليحيين فاطمية الشعائر ، أخذوا في إعلان شرائعهم وشعارهم للناس ، ليظهروا حقيقتها ، وأنها لا تختلف في الواقع عن المذاهب الأخرى الموجودة ، كما يتضح من الباب التاسع من أبواب هذا الكتاب ، وليقولوا للناس : إن التشيع الفاطمي ، ليس كما صوره كثير من أعدائه ، من السياسيين المغرضين ، والفقهاء المأجورين ، وإنما هو صفحة نقية من اجتهاد أهل

بيت النبي ، وبلائهم في إقامة دولة سياسية إسلامية ، لاستخلاص حقهم في الخلافة ، الذي اغتصبه العباسيون وغيرهم من أيديهم ، مع احتفاظهم بما ورثوه عن آبائهم من أحكام في الدين ، وفتاوى في القضاء ، لا تخرج المستمسك بها عن جملة المسلمين . فأما الاعتقاد في الله ، والإيمان بالنبوات ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وبالسكتاب المنزل عليه ، فليس بينهم وبين جميع المسلمين في ذلك أدنى خلاف ، وإن اختلفوا في تأويل بعض الآي ، استنادا إلى ما ورثوه عن آبائهم الأولين ، من توجيه مآثور .

وليس الفاطميون وحدهم الذين انفردوا بالتأويل لبعض الآيات التي تحتل التأويل ، فالاختلاف في تفسير آي القرآن وتأويلها ، ظاهر في كتب المفسرين الأولين ، الذين سبقوا الإمام محمد بن جرير الطبري ، وكان تفسيره الجامع محكمة علمية ، للترجيح بين مذاهبهم . وخلاصة هذا كله أن المذهب الشيعي الفاطمي الرسمي ، مذهب صحيح ، خالص من الابتداع ، بعيد عن الزندقة والإلحاد وتعطيل الشريعة ، وغير ذلك من الانهزامات التي وصفه بها المعرضون .

وإذا كان بعض فرق الفاطمية ، كالنزارية والدروز والقرامطة وغيرهم ، قد غلا في مذهبه ، وابتدع أمورا ليست في أصل المذهب ، حتى سَوَّغَ لأعداء الفاطميين أن يرميهم جميعا بالزيف والضلال ، فليس ذلك ذنب المذهب الفاطمي الرسمي ، في أصوله النقية التي احتفظت بها دعوة الصليحيين ، وإنما إثمهم على الذين ابتدعوا ذلك من زعماء تلك الفرق الغالية ، المنسوبة إلى جملة المذهب الفاطمي ؛ وإثمهم كذلك على الكتاب الذين يأخذون المطيع بحريرة العاصي ، ويُعممون الحكم على الأمور ، حين يقتضيهم الواجب التخصيص .

وليس التستر والكتمان الذي تميَّز به المذهب الفاطمي في ماضيه ، إلا أثرا من آثار الاضطهاد والظلم ، الذي استقبلت به الدعوة الشيعية عامة والفاطمية خاصة ، وهو ضرب من التقيَّة أمام حَمَلات السياسيين والفقهاء في كل قطر

وأرض ، مما اضطر أصحاب التشيع الفاطمي إلى كتمان أحوالهم وأخبارهم جملة وتفصيلاً عن عامة الناس ، فلم ييؤحوا بشيء منها إلا لمن أراد الدخول في المذهب ، بعد الاحتياط والحذر الشديد . ولما استقر حكم اليمين في أيدي دعاة الفاطميين من آل الصليحيّ اليميين ، جهروا بمذهبهم اعتقاداً وعملاً ، واستفاد الناس من هذا الجهر فوائد تاريخية عظيمة ، إذ بدت لهم صفحة هذا التشيع بريئة نقية مما ابتدعه المبتدعون ، وغلا فيه الغالون ، فتقرر في الأذهان أنه لا فرق بين المذهب الفاطميّ الأصل ، وغيره من مذاهب التشيع المعتدل ، الخالي من الغلو والابتداع والانحراف ، إلا في شيء من الفروع والأحكام ، لا في أصل الاعتقاد بالله ، والإيمان برسالة محمد ، وبالقرآن الكريم .

وكان من آثار الجهر بالعقيدة الفاطمية الأصلية ، أن خفقت راية الاتحاد على أهل اليمين ، وأظلتهم حكومة واحدة قوية الدعائم ، تنشر الحب والعدل ، والثقافة والحضارة ، بين أهل الوطن الواحد بالقسطاس المستقيم .



هذا بعض ما تركته في نفسي قراءة هذا السفر النفيس في تاريخ دولة الصليحيين ، وتاريخ الدعوة الفاطمية في اليمين . وقد ترك في نفسي آثاراً أخرى كثيرة ، لا يتسع لها هذا التصدير الموجز ، ولكنني أقول في غير مصانعة ولا إسراف : إن هذا الكتاب قد غير رأيي في أشياء كثيرة ، وبدد من نفسي أوهاماً علق بها مما قرأته عن المذهب الفاطميّ خاصة ، ومذاهب التشيع عامة ، في مصادر غير موثوق بمعرفة أصحابها لحقائق المذهب ، وتاريخه الصحيح .

والصورة الحقيقة التي رسمها هذا الكتاب بمنهجه ومادته لدولة الصليحيين وتاريخ الدعوة الفاطمية في اليمين ، صورة علمية جديرة بالتقدير ، لا تزيد فيها ولا مدّاجاة ، ولا غش ولا تدليس ، وإنما هي إثبات حقائق تاريخية تستند إلى منهج تاريخي علمي دقيق ، لا يُثبت ولا ينفي شيئاً ، إلا بالدليل المقنع ، والحجة

الدامغة، التي لا تقوم لها الشبهات، ولا تثبت أمامها الأوهام . والمسلمون في مسيس الحاجة إلى أن يدرسوا تاريخهم السياسي والاجتماعي والعقلي، في ضوء هذا المنهج العلمي المستقيم، وهم إذا استمروا على ذلك، واصلون ولا ريب إلى تغيير كثير من الآراء والأحكام المقررة، التي صدرت عن أصحاب الأهواء والأغراض، مما امتلأت به أسفار التاريخ .



تجلى في صفحات هذا السّفر النفيس شخصية مؤلفه الدكتور حسين الهمداني، وما أتيح له من فرصة يندُر أن تُتاح لغيره من المعنّيين بشئون اليمين، كما يتجلى روحه الإنساني العالي، ورغبته الوثيقة في إنهاض بلاده .

فالدكتور الهمداني قد استفاد من ثقافته الواسعة، وخبرته الواعية، هذا الأسلوب التحقيقي، الذي جعله دعامة لتأليفه تاريخ الصليحيين، فكل صفحة من الكتاب تشهد لمؤلفه الفاضل أن له إلماماً واسعاً بتاريخ بلاده، وبمصادره الأصلية، وأنه ثقة وحجة في استنطاق النصوص، واستخبار الآثار، عما تنطوي عليه من حقائق، تمتاز بالصدق والبعد عن الزيد والغلو، والتشيع الذي تورط فيه كثير ممن كتبوا التاريخ . وجملة الأمر أن الدكتور الهمداني رسم لمشروعه خطة محكمة، أعانتها عليها ثقافته الواسعة، وشيء آخر يكاد ينفرد به دون غيره، ممن يعرضون لتاريخ اليمين أو تاريخ الدعوة الفاطمية فيه، ذلك هو النصوص التاريخية والوثائق التي استحوز عليها، ولا يوجد لها نظير إلا عند قلة قليلة من العلماء في اليمين وفي مصر وغيرها من البلاد، وبعضها مما لا يعرفه أحد غيره، لأنه من تراث آبائه وأجداده، ممن يعابر همدان، فأكثر المستندات والسجلات والوثائق التي يستشهد بها، كانت ملكاً خاصاً لجده سيدي محمد علي اليعبري الهمداني، وقد آلت من بعده إلى أبنائه وأحفاده، وورث الدكتور حسين الهمداني منها كنزاً من كنوز المعرفة الخاصة بتاريخ الصليحيين . وكان من حسن التوفيق أن أعدَّ

الدكتور حسين الهمداني هذا الإعداد العلمي الخاص ، لينتفع بتراث آباؤه ، وبما تحت يده من ذخائر علمية نفيسة ، وليكون كشف الستار عن تاريخ اليمن الحقيقي في القرون الرابع والخامس والسادس على يديه . وبعض هذه الوثائق التاريخية قد نقل إلى الهند ، حيث توجد طائفة كبيرة من أتباع الدعوة في مقاطعة غجرات ، ولكن كثيرا منها لا يزال باقيا عند أولى الدعوة باليمن ، أو في مصر في مكتبة الدكتور محمد كامل حسين أستاذ الأدب المصري في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وهو ينشر كثيرا من هذه الوثائق ، ويفيد منها فوائد عظيمة في أعماله وتآليفه الكثيرة . وللأستاذ الدكتور حسن سليمان محمود في ميدان هذا البحث آراء حسنة ونشاط مشكور في بحثه الذي قدمه للحصول على الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وهو بهذه المشاركة يعد من كتاب التاريخ الذين يعملون في الحقل اليمني ، لإبراز حقائقه ، وإزالة الرمال عن كنوزه ونقائسه .

* * *

والدكتور الهمداني حين يشيع هذا الكتاب بين الصفوة من العلماء في الشرق والغرب ، يهدف إلى أمور :

الأول : إثبات حقيقة تاريخية عن الحركة الفاطمية في اليمن إثباتا علميا خالصا ، وهذه الحقيقة كانت غامضة لما يكتنفها من شكوك ، بسبب قلة المصادر الأصلية في أيدي العلماء .

والثاني : أنه أراد أن يحفزهم الكتاب إلى كتابة تاريخ اليمن في عصوره المتتابعة على أساس علمي سليم ، ونهج مستقيم ، تتجنب فيه العصبية الدينية والقبلية ؛ لأنه لا يوجد بين أيدي اليمنيين حتى اليوم ، تاريخ محرر لدولهم السياسية القديمة والمتوسطة والحديثة ، على هذا النحو الدقيق ، وهم في أمس الحاجة إلى مثله ، كما فعل المؤلف في إبراز الصورة الحقيقية لتاريخ الصليحيين والحركة

الفاطمية ، حُبًّا في تقرير الحقيقة لذاتها ، دون أن يكون له غرض شخصي أو طائفي من هذا البحث .

والثالث : رغبته الشديدة في إيقاظ اليمن ، وطنه الذي استأثر حبه بقلبه وملك عليه نواحي نفسه ، لتنبعث الحياة الجديدة في أوصاله ، وليسائر ركب الحضارة العالية ، فلا يوصف بالخلف ، وليكون قوة يعول عليها في بناء المجتمع الإسلامي الحديث .

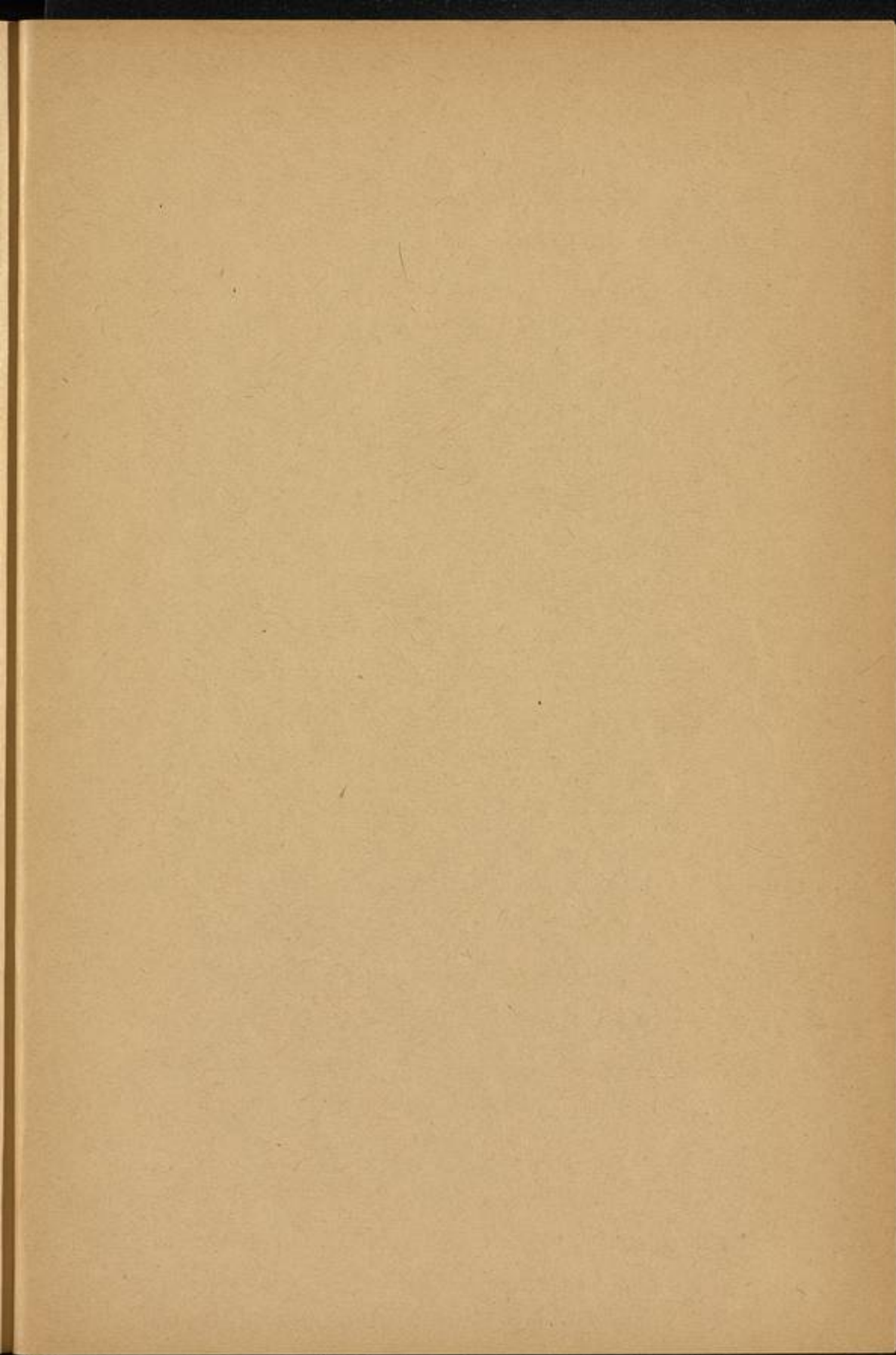
والرابع : أن يعمل أهل اليمن أجمعون ، على جمع الشمل والتعاون ، واتجاه الجميع لغاية واحدة ، على إسعاد الوطن ، وتخليصه من الخلافات المذهبية ، التي تعوق المجتمع اليمني من الأخذ بأسباب التقدم والعزة والكرامة .

واليمينيون اليوم جديرون أن يقتدوا بأسلافهم العظام ، الذين شيدوا مجد اليمن القديم . فلو تتبعنا تاريخ اليمن منذ أقدم العصور ، لوجدنا أن الشعب اليمني قبل الإسلام كان من أعظم الشعوب بأسا ، وأعرقها في الحضارة وتأسيس الممالك الضخمة ، والمدائن العظيمة ، مثل سبأ ومعين ومأرب وصنعاء ، وإليهم ينسب سد مأرب ، وإرم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد .

وقد كانت شجاعة اليمينيين هي الدعامة التي ارتكز عليها الإسلام عند ظهوره ، فهم الذين آووا النبي ونصروه في حروبه وغزواته ، حتى ثبت دين الله في الأرض . وكان اليمينيون أكثر مادة الجيوش التي افتتح بها العرب ملك كسرى وقيصصر ، في فارس والعراق والشام ومصر وإفريقية والأندلس . وظهر كثير من رجالات اليمن في تاريخ الثقافة والحضارة الإسلامية ، وفي الإدارة والحكم والقضاء في العصور المختلفة ، وبعضهم ممن له شهرة عالمية عند أهل الشرق والغرب اليوم ، كالخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي (ت ٢٤٦) أعظم علماء العربية على الإطلاق ، والكندي (ت ١٧٥) فيلسوف العرب ، والحسن بن أحمد الهمداني (ت ٣٣٤) صاحب الإكليل وصفة جزيرة العرب ، ونشوان

ابن سعيد الحميري (ت ٤٧٣) صاحب الموسوعات الضخمة في اللغة والأدب ، وابن خلدون (ت ٨٠٨) صاحب التاريخ والمقدمة ومبتدع علمي الاجتماع وفلسفة التاريخ . ومن المتأخرين من نوابغهم السيد محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٦) صاحب تاج العروس ، أكبر معاجم اللغة ، وأعظمها شأنًا . وقد أنجبت اليمن أكبر شعراء العربية على الإطلاق ، أمراً القيس الكندي ، والمتنبّي الجعفي ، وأبا العلاء المعري التنوخي . وفي عصرنا هذا ينتسب إلى اليمن أساتذة أجلاء نالوا حظاً كبيراً من الثقافة العربية في شتى نواحيها ، وهم الحجة الناطقة بأن هذا الشعب اليمني لا يزال محتفظاً بكثير من الصفات الممتازة القوية ، التي ميزت نابغيه في الماضي ، من الذكاء ، وسعة العقل ، والليل إلى الابتكار والاستقصاء ، في كل ما يتناولونه من عمل مادي أو فكري . وفي الشرق القريب والبعيد جاليات من اليمنيين والحضارمة ، ركبوا البحار ، ومارسوا الأسفار والأخطار ، ونجحوا في ميادين المال والاقتصاد ، نجحاً يُؤْذَنُ بحظوظهم القوية من الذكاء ، والشجاعة ، والثقة بالنفس في كثير من بقاع الأرض .

لكن بلاد اليمن اليوم — وإن لم تحرم حظّها الكبير من ذكاء أبنائها ، وحسن استعدادهم للنمو في شتى الميادين ، كما نبغ أسلافهم العبقريون — لا تزال تعيش في الماضي ، أكثر مما تعيش في الحاضر ، مع أنها لا ينقصها عن بلوغ شأوا الأمم الكبيرة والدول العظيمة ، إلا أن تخلع عن منكبها كل قديم بال من أساليب الحياة ، وتستبدل به الجديد القشيب ، الذي يلائم العصر وأمه الحية ، وهي لو فعلت هذا ، لبلغت في الزمن القريب ، الشأوا البعيد ، وليس مطلب من مطالب الحياة الحديثة ببعيد على من بنوا العرم ، وشيدوا مأرب وإرم . والله الموفق ، وهو المستعان .



« رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ » .

إِلَى وَالِدَيَّ

اللذين أدين لهما بوجودي وتنشئتي
أطال الله في عمرهما وغفر لي ولهما
كما ربّاني صغيرا

حَسْبُ الْعَمْدَانِي

شكر

نرى لزاما علينا أن نقدم جزيل شكرنا لصديقنا الأديب الدكتور حسين نصار على قراءة التجارب المطبعية بعد سفر الأستاذ مصطفى السقا إلى الخارج قراءة دقيقة وتزويدنا بملحوظاته الثمينة .

وجدير أن ننوه بمجهود تلميذنا الرشيد الدكتور حسن سليمان محمود في تقديمه لنا عوناً وعيناً في إخراج الكتاب إلى حيز الوجود — حينما رفضت الجهات الشريفة والوطنية ، التي كنا نعتمد عليها مساعدتنا في طبعه — وإشرافه على طبع الكتاب وترتيبه فهارسه .

ونشكر للأستاذ فؤاد السيد بدار الكتب المصرية كل الشكر مراجعة قائمة المصادر وإضافة المعلومات القيمة إليها .

ونختتم بشكر السيد عبد الحميد على حسن المشرف على مطبعة الرسالة لحسن رعايته الكتاب في مراحل طبعه ما

المؤلف

رموز واصطلاحات

اتعاظ الحنفا للمقريزي .	اتعاظ
افتتاح الدعوة للقاضي النعمان .	افتتاح
الإكليل لأبي محمد الحسن الهمداني .	إكليل
أنباء الزمن . مخطوط بدار الكتب المصرية .	أنباء/دار
أنباء الزمن . تحقيق عبد الله ماضي .	أنباء/ماضي
Guide to Ismaili Literature	إيفانو
بغية المستفيد لابن الديبع .	بغية
معجم البلدان لياقوت الحموي .	البلدان
توفي .	ت
جلد أو جزء .	ج
الخور العين لنشوان الحميري .	خور
ديوان .	د
رسالة .	ر
مجموع الرسائل لحسين بن علي بن القم .	رسائل القمى
مجموع السجلات المستنصرية .	السجلات
السلوك للجندی . مختصر كاي (Kay) .	سلوك/كاي
صفحة .	ص
الصحيح للجوهري .	صح
صفة جزيرة العرب لأبي محمد الهمداني .	صفة
تأريخ الأمم والرسل والملوك للطبري .	طبري
العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون .	عبر
العبر لابن خلدون . مختصر كاي .	عبر/كاي

(ن)

عقود	العقود اللؤلؤية للخزرجي .
عمارة/ كاي	تاريخ اليمن لمارة . مختصر كاي .
عيون	عيون الأخبار لإدريس عماد الدين القرشي .
فهرست إسماعيل	فهرست كتب الدعوة لإسماعيل بن عبد الرسول .
ق	القاموس المحيط للفيروز آبادي .
قرة	قرة العيون لابن الديبع .
كشف	كشف أسرار الباطنية للجهادي .
كفاية	الكفاية والإعلام للخزرجي .
ل	لسان العرب لابن منظور .
مقتطف	المقتطف في تاريخ اليمن للجراقي .
م . م . هـ .	مخطوط بالكتابة المحمدية الهمدانية .
نزهة	نزهة الأفكار لإدريس عماد الدين القرشي .
نفسه	المرجع نفسه .

BSOS	Bulletin of the School of Oriental Studies, London.
EI	Encyclopoedia of Islam.
JA	Journal Asiatique.
JAOS	Journal of the American Oriental Society.
JRAS	Journal of the Royal Asiatic Society of Gt. Britain,
JRCAS	Journal of the Royal Central Asian Society, London.
IC	Islamic Culture, Hyderabad (Dn.).

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

ومنه العون ، وبه الحول والقوة ، وله الحمد في الأولى والآخرة ، في صلاة وتسليم على محمد وصحبه وعترته الطاهرين .

وبعد ، فإن التاريخ مدرسة الدهر ، يعلمنا ما لم نكن نعلم ، وهو كما قال ابن خلدون في مقدمته : « في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق ... يؤدي إلينا شأن الخليفة كيف تقلبت بها الأحوال ، واتسع للدول فيها النطاق والمجال ، وعمروا الأرض ، حتى نادى بهم الارتحال ، وحان منهم الزوال . وفي باطنه نظرة وتحقيق ، وتعليل للسكائن ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ، وجدير بأن يعدّ في علومها وخلق » . ففي التاريخ عبرة لمن اعتبر ، وفكرة لمن افكر . لذلك رأينا أن نهتدي بمبر التاريخ ، لتتبرر الطريق للحاضر وللأجيال القادمة . وهذه عبر مطوية يقدمها هذا البحث في صحائف موجزة من سفر يتناول دورا هاما من حياة اليمنيين ، الذين كانوا وما يزالون يدينون بالولاء للأئمة الفاطميين . ونظراً إلى أن الحركة الفاطمية حركة عالمية ، كان الغرض منها قلب النظام السياسي المسيطر على العالم الإسلامي ، فقد اتجهت أنظار الفاطميين إلى الأقطار الإسلامية النائية ، وكانوا يعملون على تحقيق هذا الهدف السياسي ، لبلوغ أوج الزعامة في العالم الإسلامي .

وكانت بلاد اليمن محط أنظارهم وقبلة آمالهم . وسترى في هذا الكتاب ما نذكره خاصا باهتمام الفاطميين ببلاد اليمن في القرن الثالث ، وأنهم كانوا يريدون إقامة دولتهم في تلك البلاد ، ولكن لأسباب نبينا ، اتجهوا إلى بلاد المغرب . ومع ذلك ظلت بلاد اليمن موالية للفاطميين ، ولم تنقطع دعوتهم فيها حتى وصلت إلى القمة في عهد الدولة الصليحية . وبقيت هذه الحركة إلى يومنا هذا في اليمن وغيرها . وهذا الجانب من تاريخ الحركة الفاطمية في اليمن ، لم يُدرس درساً وافياً ،

بل كل ما وجدنا عنها من معلومات ، إنما جاءت في كتب التاريخ العامة على شكل فقرات مبعثرة هزيلة ، تحتاج إلى البسط والتوسّع (١) .

ولحسن الحظ وجدنا في مكتبة جدنا المقدس العلامة الشيخ محمد علي الهمدانيّ اليَعْبَرِيّ مجموعة من المخطوطات والوثائق ساعدتنا على كشف غموض هذا الموضوع . وبفضل المادّة التاريخية التي استقيناها من هذه المصادر ، تمكنا من تأليف تاريخ هذه الحركة ، وبخاصة من عهد الدولة الصليحية وعلاقتها بمركزها الرئيسيّ بالقاهرة .

وعلى هدى ما قرأنا ، قررنا أن يكون نظرنّا لهذا الموضوع ، كما سترون ، نظرة خالصة مجردة ، لا تصدر عن عاطفة ولا هوى . بل كان رائدنا دائماً الإنصاف والتحقيق ، في حدود المصادر التي بين أيدينا . وكنا نريد أن نكون أكثر دقة في هذا الموضوع ، لو أن إخواننا في اليمن والهند قد تفضلوا بتزويدنا ببعض المراجع الهامة ، التي تأكد لدينا وجودها هنالك ، وحاولنا الاتصال بهم للحصول عليها خدمة للعلم ، ولكن ذهبت محاولتنا أدراج الرياح ؛ لذلك اكتفينا بما كان لدينا من مراجع مخطوطة بالمكتبة الحمديّة الهمدانيّة ، وأخرى مطبوعة ومخطوطة بدار الكتب المصريّة وغيرها من خزائن الكتب .

ويلاحظ المشتغلون بدراسة اليمن أن كثيراً من المسائل التي تتعلق بتاريخ هذه البلاد يكتنفها الغموض ، ومردّد ذلك إلى قلة المعلومات عنها ، واضطراب مصادر

(١) يسمى الفاطميون أنفسهم باسم « أهل الدعوة » أو « المسلمين المؤمنين » ودعوتهم بـ « دعوة الحق » و « الدعوة الهاديّة » . وهم لا يعرفون بالأسماء والألقاب التي نسبت إليهم ، مثل الفاطمية والإسماعيلية والباطنية والسبعية وغيرها ، ولا توجد هذه الألقاب في كتبهم . وقد نسب إلى نفسه الشيخ أبو حاتم الرازي — وهو من كبار علماء الدعوة — في كتاب الزينة ، كلمة أهل السنة والجماعة . وقال المؤيد في الدين ، باب أبواب الإمام المستنصر (د المؤيد ٨٨) :

يا سائلاً تسألني عني اعلم بأنّي رجل سني

أحب أصحاب نبي الهدى ديني على جبههم مبني

وقد أطلقت كلمة الفاطمية على أهل الدعوة عامة في هذا البحث ، لولائهم الأئمة الخلفاء الفاطميين ، كما تطلق كلمة الزيدية على أتباع الإمام زيد بن علي رحمة الله عليه .

التاريخ وبلبلتها ، وأحيانا إلى تناقض المؤرخين أو الكتاب في سرد الحوادث . ولا يقتصر هذا على أحوال اليمن في العصور الحديثة ، بل تبدو الحالة أكثر غموضا إذا كان موضوع البحث يتعلق بالقرون الوسطى والغابرة . وذلك كما نعتقد يرجع لعدة أسباب ، منها : تمزيق البلاد إلى دويلات صغيرة متنافسة ، وانشغالها بالحروب المتتالية ، ثم انهيارها بهلاك منشئها وأصحابها ؛ ولأن اليمن لم تتحد تحت راية حكومة قوية مستقلة ، إلا مدة وجيزة من الزمن ، أو في جزء أو منطقة منها . وقد دأب المؤرخون لهذه الدويلات ، على أن يصوروا منافسهم في الحكم والعقيدة بأبشع صورة ، وكانت المنافسات تأخذ في تلك العصور صبغة دينية ، وينشأ عن ذلك حزازات ومنافرات ، تؤدي إلى تأليب جماعات المسلمين بعضهم على بعض ، وإلى تمجيد أصحاب المقالات ، ثم إلى كتمان أمورهم وكتبهم ، والتزام التقية والتستر من أن تقع أسرارهم وكتبهم في أيدي المنافسين الأقوياء . ثم لم تدوّن تواريخ بعض هذه الدويلات ، التي عاشت لمدة قصيرة وفي منطقة ضيقة ، وأهمل ذكر أحوالها وأصحابها ، ماعدا أسماءهم وما جاء ضمن الكلام عن بعض الحوادث والحروب ، مثل اليعافروسلطين همدان في صنعاء ، كأنهم لم يكونوا ، أوليس لهم أهمية تستدعي ذكرا . واقفا ؛ فلذلك نعتقد أن من المناسب أن تدرس حقبة من تاريخ اليمن ، أو دولة من دول هذه البلاد على حدة ، قبل تدوين التاريخ الشامل .

وقد اقتصرنا في هذا الكتاب على بحث تاريخ الصليبيين في اليمن ، لأننا نعتبر هذا العهد من تاريخ اليمن حلقة مهمة . فإن بلاد اليمن جميعها جبالها وسهولها ، سادت عليها دولة قوية ، امتد نفوذها إلى حضرموت وعدن في الجنوب ، والحجاز في الشمال ، وهذا ما لم يحدث في الجاهلية ولا الإسلام ، كما حكاه القاضي عماره اليمني . ثم إن هذه الدولة نشأت نتيجة لتيارات قوية كانت تسود في العالم الإسلامي خلال تلك القرون ، واستطاعت أن تسكتسح من أمامها كل الدويلات القائمة في اليمن . وبطبيعة الحال يجب أن نذكر ببعض التفصيل تاريخ الحوادث التي أدت إلى ظهور الملك علي بن محمد الصليحي في أفق اليمن ، وتاريخ الدولة الفاطمية الأولى التي أنشأها منصور اليمن ، والحركة الفاطمية التي مهدت سبيله إلى الحكم ، وأن نذكر أيضا

تاريخ المنظمة التي أوجدها الصليحي ومن بعده السيدة الملكة الحرة الصليحية أروى بنت أحمد ، والتي احتفظت بثروة عظيمة في الأدب الفاطمي ، والتي بقيت إلى يومنا هذا في اليمن وفي غير اليمن ، بعد انقراض الدولة الصليحية . وقد وقفنا عن تسجيل تاريخ الدعوة عند ظهور دولة آل رسول ، لأن منظمة الدعوة دخلت في مرحلة جديدة في علاقاتها بهذه الدولة الثمينة العظيمة ، وتأيدها وتمعيدها . ونرجو أن تظهر عاجلاً أو آجلاً دراسة تاريخ المنظمة وفروعها إلى أيامنا هذه .

وقد اعتمدنا في هذا البحث على مؤلفات الداعي إدريس عماد الدين القرشي المتوفى سنة ٨٧٢ . وقد ورد ذكر كثير من الأحداث التي صاحبت هذه الحركة في الأجزاء الخامس والسادس والسابع من كتاب عيون الأخبار^(١) ، وفي الجزء الأول والثاني من كتاب زهر الأفكار^(٢) . وهذا الكتاب هو الوحيد الذي يبين بصورة واضحة تاريخ الدعوة الفاطمية في اليمن متصلًا من أيام منصور اليمن

(١) والجزء الخامس يصف الحوادث التي أدت إلى قيام الخلافة الفاطمية في شمال إفريقيا وينتهي حتى آخر حكم المنصور بالله . والسادس يعطينا فيه المؤلف صورة واضحة عن حكم الخلفاء : المعز لدين الله ، والعز بالله ، والحاكم بأمر الله ، والظاهر لإعزاز دين الله ، والمستنصر بالله . والسابع يصف لنا حكم المستنصر بالله وقيام الدولة الصليحية باليمن على يد علي بن محمد الصليحي ، كما يصف لنا حكم الملكة العظيمة أروى بنت أحمد في بلاد اليمن ، ويصف كذلك حكم الخليفة المستعلي بالله وقيام النزارية وحكم الخليفة الأمر بالله ووصيته بأن يتولى الأمانة من بعده ابنه الطيب وقيام الدعوة له في اليمن تحت رئاسة الداعي المطلق الدؤيب بن موسى الوادعي . وهذا الكتاب مهم جدا بالنسبة لبحثنا ، فهو الأساس الذي اعتمدنا عليه وبه اهتدينا . ونظن أن إدريس بدأ في تأليفه بعد أن انتهى من تأليف كتاب زهر المعاني (انتهى منه سنة ٨٣٨) وكذلك انتهى من كتاب العيون قبل أن يبدأ في تأليف كتاب الزهرة . ورد ذكر الكتاب في الفهرست لإسماعيل س ٩٦ — ١٠٤ : موجود في م . م . هـ .

(٢) فهرست إسماعيل س ١٠٤ — ١٠٥ : موجود في م . م . هـ . يبدأ الكتاب بمقال عن الدور الذي لعبه الهمدانيون في الحركة العلوية ببلاد اليمن من أيام علي بن أبي طالب . ويقرر إدريس فيه أن الدعوة العلوية لم تتلاش نهائياً من بلاد اليمن . وفي الجزء الأول ذكر لإدريس الحوادث من أيام قيام الدعوة على يد الداعي الدؤيب بن موسى ، حتى أيام جده عبد الله . وفي الجزء الثاني استمر في ذكر الحوادث التي جاءت في الشطر الأخير من حياة الداعي عبد الله . وقد ساق الحوادث فيه حتى سنة ٨٥٣ .

حتى أيام إدريس عماد الدين ، وهما من مؤلفات إدريس^(١) . ولذلك جعلنا مؤلفاته أساسا لبحثنا ، واعتمدنا عليها كثيرا على الرغم من تأخره ، إلا أن معلوماته كانت مستقاة من روايات منقولة ومن اتصالاته الشخصية بالرواة ، ومن أصول معاصرة لعهد الصليحيين وما سبقه من العمود في تاريخ الدعوة في اليمن . ولا غرو ، فإن المؤلف كان وارثا لتقاليد الدعوة من عدة قرون ، محتفظا بكتبها ، وإن كانت كتاباته لا تخلو في بعض الأحيان من المحاباة والتجيز ، ومن الحب المفرط والكرامية الشديدة ، مما يترتب عليه أحيانا طمس الحقيقة ، وتحريف الوقائع ، وحذف بعض الحوادث . وقد تبينا هذا من مقارنتنا لبعض الأحداث التي ورد ذكرها في المصادر الأخرى . وعلى الرغم من ميوله السياسية أو الدينية ، يرى الباحث أن المؤلف ألمّ بالمأما كبيرا بتاريخ الدعوة اليمنية ، وكانت له معرفة واسعة بحوادثها وتواريخها . ولعل ذلك يرجع إلى ظروفه التي مكنته من الاطلاع على كثير من الروايات المنقولة إليه ، والوثائق المحفوظة بجمال حراز النعمة المحروسة . ولا يقتصر حكمنا على مؤلفات إدريس عماد الدين على مجرد قيمتها التاريخية ، بل يزيدنا تقدير لها أنه كان الوحيد الذي أرّخ لهذه الهيئة تاريخا مبنيا على مشاهداته الخاصة ، واشتراكه الفعلي في حوادث أيامه ، كما كان له ولأسرته وأسلافه قسط كبير في حفظ كيان الدعوة وصياغة تاريخها .

ويمكننا أن نعتبر الجزء الأول من كتاب افتتاح الدعوة الزاهرة^(٢) تأليف القاضي النعمان المتوفى سنة ٣٦٣ قاضي قضاة مصر أيام المعز لدين الله مرجعا مفيدا

(١) وله أيضا كتاب روضة الأخبار ، وهو يختلف في الاسم عن نزهة الأفكار . إلا أنه تكلم له في حوادثه . فهو يبدأ من سنة ٨٥٤ ويستمر في ذكر الحوادث حتى سنة ٨٧٠ . ويعتبر هذا الكتاب من أهم المراجع لتاريخ اليمن تحت حكم الطاهريين ، لأن إدريس كان حليفا لهم . والكتاب أيضا مصدر هام لتاريخ حياة إدريس ، والدور الذي لعبه كرئيس للدعوة الطيبية في بلاد اليمن . ومنه مخطوط مؤرخ بتاريخ سنة ٩٩١ محفوظ بمكتبة جامعة لندن ، ومنه صورة شمسية بمكتبة حسين الهمداني .

(٢) فهرست إسماعيل ٨٦ : م . م . هـ .

لأنه أعطانا صورة للاحداث والظروف التي أدت إلى وصول أبي القاسم منصور
اليمن سنة ٢٦٨ وإنشاء دولة موالية لبنى فاطمة في بلاد اليمن .

وتعتبر مجموعة السجلات المستنصرية^(١) من أهم المصادر وأهم الوثائق لثبت
تاريخ الدولة الصليحية ، وعلاقتها بالخلافة الفاطمية بمصر . وقد وجدنا هذه المجموعة
من الرسائل التي وجهها الخليفة المستنصر بالله إلى السلاطين الصليحيين باليمن ، وقد
حفظها أهل الدعوة في حراز مركز الدعوة باليمن طوال هذه القرون ، كما حفظوا
كثيرا من التراث العلمى الفاطمى ، الذى ضاع بمرور الزمن ، أو أباده أعداؤها
في مصر وغيرها من البلاد .

وكذلك وجدنا نسخة خطية من مجموعة أخرى من الوثائق المعاصرة ، وهى
مجموعة الرسائل^(٢) للشاعر المنشئ الحسين بن على القمى اليماني ، رئيس ديوان
الإنشاء في عهد الصليحيين . وبعض هذه الرسائل كتبها القمى بلسان السلاطين
الصليحيين موجّهة إلى الفاطميين بمصر . وقد استطعنا بفضل هذه الوثائق أن
نقرر مصير الأمور وتواريخ بعض الحوادث التي اختلفت فيها المصادر تقريراتها .
وكذلك رجعنا إلى عدة مصادر تاريخية منها المخطوط ومنها المطبوع في هذا
البحث ، ونحن نذكر أهم هذه المصادر التي أخذنا عنها في دراسة موضوعنا .
ولا ريب أن كتاب السلوك الذى ألفه أبو عبد الله بهاء الدين بن يوسف بن
يعقوب المعروف بالبهاء الجندى المتوفى سنة ٧٣٢ يتضمن معلومات مفيدة عن
الفترة التي أعقبت وفاة منصور اليمن مباشرة .

(١) مخطوط هذه الرسائل محفوظ الآن بمكتبة مدرسة الدراسات الشرقية بلندن . انظر
مقال حسين الهمداني في B . S . O S . 1934 . وقد نشر أخيرا صديقنا الفاضل الدكتور
عبد المنعم ماجد « السجلات المستنصرية » من النسخة المحفوظة بلندن المشار إليها ، وبذلك قدم
خدمة جليلة للعلم والتاريخ . وقد قلنا في الملاحق السجلات التي أوردتها لإدريس محمد الدين
في الجزء السادس والسابع من كتاب عيون الأخبار ، والتي لم ترد في مجموعة السجلات لأنها تكملة
لما ورد في المجموعة . ومن المؤسف أن المخطوط المحفوظ بلندن حديث العهد ومليء بالأخطاء
كما أشار إليه المحقق . فرجو أن نهتدى إلى نسخ أخرى في اليمن ، وبالمخصوص في مكتبات
حراز ، حتى نستطيع أن نقارن بين هذه المخطوطات ، وأن نكملها بالسجلات التي وردت في العيون .
(٢) وقد اعتمدنا على نسخة خطية منها بالمكتبة الحمديّة الهمدانية .

ويعتبر كتاب تاريخ اليمن للفقير الشاعر نجم الدين عمارة بن أبي الحسن على الحكمي اليمني المشهور بعمارة اليمني، المتوفى سنة ٥٦٩ هـ ، من أقدم المراجع لتاريخ الصليحيين وأهمها وأكثرها فائدة . وعمارة كما هو واضح من الجزء السابع من كتاب عيون الأخبار مرجع هام اعتمد عليه إدريس عماد الدين^(١) في سرد الحوادث عن الصليحيين . وقد نشر كاي (Henry C. Kay) كتابي عمارة والجندی يليهما كتاب العبر لابن خلدون . واستفدنا من مجموعة الكتب هذه ومن تعليقات كاي وتحقيقاته الثمينة .

ويلاحظ أن كتاب كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة للفقير محمد بن مالك الحمادي الياني المتوفى في أواسط القرن الخامس الهجري — بالرغم من أنه أعلن الحرب على الصليحيين ، وتمصّب تعصبا دينيا شديدا — من المراجع المعاصرة التي اعتمدنا عليها في تحقيق بعض الحوادث ، وبخاصة عند كلامنا عن حالة بلاد اليمن قبيل الصليحيين من الناحية الدينية ، كما أشرنا إليه في بيان قيام علي بن محمد الصليحي بثورته في جبل مسار سنة ٤٣٩ هـ .

وكذلك استفدنا من كتاب أنباء الزمن في أخبار اليمن ليحيى بن الحسين ابن القاسم، المتوفى في الشطر الأول من القرن الحادي عشر ، في ثبت بعض الحوادث إلا أنه يظهر كان، كابن الديبع الزبيدي المتوفى سنة ٩٤٤ في كتابيه قرة العيون و بغية المستفيد ، يعتمد على ما سجله عمارة اليمني .

ولا يفوتنا أن نذكر أن لكتاب الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن وسكنها في الإسلام لأبي الحسن علي بن الحسن الخزرجي المتوفى سنة ٨١٢ أهمية خاصة في بحثنا ، فقد جاء في الباب الثامن منه بعض المعلومات التي تؤيد تفاصيل أوردناها في معالجة موضوعنا .

وكانت هذه الكتب بمثابة أضواء تنير لنا طريق البحث عن تاريخ الدولة

(١) ومن المصادر التي أخذ عنها إدريس وذكرها في السبع السابع من العيون : كتاب المقيد لجياش ، وسيرة المبكر ، وملوك اليمن لعمارة اليمني ، وكثر الأخبار للشرير إدريس عماد الدين ، والدول المنقطعة . راجع أيضاً كاي المقدمة ١٢ .

الصليحية والدعوة الفاطمية باليمن ، واستفدنا أيضا من كتب أخرى نوردتها في آخر الكتاب ، ونشير إليها عند الضرورة في مواضعها .

ونضع أمامك أيها القارئ هذا الكتاب ، لتعرف شيئا عن تاريخ الدولة الصليحية ، وكانت من ألمع الدول في تاريخ اليمن ، وعن منظمة الدعوة التي أنشأها الصليحيون ، وعن الثروة العلمية التي تركتها هذه الدعوة ، لأننا نرى أن الصليحيين وأهل الدعوة اليمنيين مظلومون في سفر التاريخ . وإذا كان هذا الظلم أوجدهته الخلافات المذهبية في عصور كان المؤرخون يعملون غالبا لما يرضى نزواتهم وميوههم حينئذ ، فإننا نرى ونحن في القرن العشرين أنه من الواجب أن نغيث اللثام عن حقيقة هذه الحركة ، وأن ندرس تاريخها كما يُدرس تاريخ الحركات التقدمية الأخرى ، التي قامت بها المعزلة والمتصوفة إن صح لنا هذا التعبير .

وإذا كنا قد اعتبرنا أن التاريخ فيه دروس تعلمنا محاسن الشعوب ومساوئها ، وأن نحفظ بالثمين منها ، ونترك الغث ، وإذا كنا قد رأينا أن هذه الخلافات المذهبية قد أدت إلى تأخر شعب من الشعوب وعاقته عن التقدم ، بل رجعت به القهقري ، فجعلته متخلفا عن غيره ، أليس من العقل أن ينسى هذا الشعب تلك الأحقاد ، وأن يترك الدين للديان ، ويعمل الجميع على تدعيم الوحدة القومية في البلاد ، ويعيشوا متكافئين لرفع شأن الأوطان والمجتمع ؟ وإنك أيها القارئ ستري في هذا الكتاب أن اليمنيين عاشوا طوال هذه القرون في حروب أهلية مضيئة ، سببها الخلافات المذهبية أو القبلية ، التي لم تكسب البلاد منها إلا الغرم والخراب والتقهقر والانحطاط . فتخلفت اليمن تبعا لذلك عن ركب الحضارة ، واضطر أولو الدعوة الفاطمية التي نحن بصدد الكلام عنها في هذا الكتاب أن يعتصموا بالمعاقل والحصون والجبال للدفاع عن كياناتهم وبقائهم . وكان أهل الدعوة يلاقون أشد المعارضة وأنكد الاضطهاد ، وكانت أملاكهم وأموالهم تنهب ، ودماؤهم تسفك ، ومنازلهم ومساجدهم ومقابرهم تهدم ، وخزائن كتبهم تسلب ، وأولادهم وأفلاذ أكبادهم ترهن ، وحرمانهم تهتك ؛ فضعف أمرهم ، وافتقرت كلمتهم ، واغتربت جماعات منهم عن الأوطان اليمنية . وكان هذا الكفاح مريرا شاقا ، أدَّى إلى

ضياح الكثير من المواهب الظاهرة والمكتومة من الشعب .

وخدمة للوطن ، وحرصا على مصالح المواطنين ، وتمشياً مع الصالح العام ، يجب أن يسدل الستار قوياً على الماضي بآلامه ، وتنسى الحزازات الفردية والطائفية والإقليمية ، لأننا في عصور تتقدم بسرعة ، ولا يكون هذا التقدم محققاً لشعب من الشعوب إلا إذا تعاضد كل المواطنين في بناء صرح هذا الوطن ، وفي رفع شأن الأمة اليمنية .

وهذا الكتاب هو نتيجة دراسات لسنين طويلة قدمناه للقراء لما فيه من الفائدة . فإذا وجدوا فيه شيئاً من الخير ، فهذا يرجع إلى ما بأيدينا من المراجع . وإذا كان فيه شيء من الخطأ ، فرجعه إلى قصورنا وقلة بضاعتنا وقصر باعنا .

لا يتناول هذا البحث عقائد الدعوة الفاطمية ، بل هو مجرد محاولة لتسجيل الحوادث التاريخية من الناحية السياسية ، غير أن الدعوة قبل أن تصبح دولة في اليمن كانت منظمة دينية أساسها وهدفها العقيدة . فلذلك اضطررنا أن نتحدث عن نشاط الدعاة في مضمار العقيدة والدين . وقد عالج بعض العلماء المعاصرين موضوع العقائد بنشر نصوص كتب المؤلفين الفاطميين ، ونخصّ بالذكر ما قام به الأستاذان محمد كامل حسين والمستشرق شتروطن بمجهود مشكور في هذا الصدد .

وإننا راغبين أن تتبع الطريقة التاريخية بدون تحيز إلى أي فئة كانت على عهد الصليحيين باليمن ، وإن كان قد يضطرنا الحال إلى نقل عبارات بعض المؤلفين بنصها ، وقد لا تخلو من بعض التحامل بطبيعة الميول والنزعات الدينية والسياسية في تلك الأزمان . فترجو من القارئ ألا يفهم أن ذلك كان بدافع من الميل إلى مذهب ديني أو سياسي ، وقد لاحظنا نجذب ما فيه ذلك حسب الطاقة ، حرصاً على جمع كلمة اليمنيين .

وإننا نعتبر أن هذا البحث لا يخلو من الجفاف ، ومن سرد الحوادث ، وذكر الأسماء مجرداً عن التحليل والتعليق . وذلك يرجع أحياناً إلى عدم توافر المصادر ، وأحياناً إلى عدم وجود الأبحاث السابقة ، أو القضايا المسألة ، وأحياناً إلى حرصنا

على ألا يتكلم إلا الصدر وحده بدون تعليق . ونكون لكم أيها القراء من الشاكرين لو تفضلتم بإفادتنا عما عنكم من نقد بنائى لهذا الكتاب .

وبعد ، فإننا نرجو أن ننوّه هنا عن بحث أخينا الفاضل الدكتور حسن سليمان محمود الجهنى ، الذى تقدم به لنيل درجة الدكتوراه فى جامعة القاهرة ، فى موضوع تاريخ الصليحيين وعلاقاتهم بمصر . وقد ضمن هذا الكتاب معظم ماورد فى البحث من تحقيقاته ونظرياته الثمينة . وقد خدم زميلنا وصديقنا الدكتور حسن سليمان محمود بذلك ناحية مجهولة من تاريخ العلاقات فى القرن الخامس فى عهدى الصليحيين والفاطميين خدمة بارعة . وإننا نرى لزماً علينا أن نشير إلى قسطه الوافر فى هذا البحث ، بفضل اهتمامه ونشاطه وتفانيه فى خدمة تاريخ مصر واليمن .

وقد استقيننا معلومات كثيرة من رسالة ولدنا العليم عباس الهمدانى ، التى قدمها لنيل درجة الدكتوراه فى جامعة لندن ، كما هو واضح فى هذا الكتاب ، تستحق منا أن نذكر تقديرنا وشكرنا على تحقيقاته وإن اختلفنا معه فى بعض آرائه .

هذا . ونرجو أن نقدم هاهنا وافر شكرنا إلى جميع الذين يرجع إليهم الفضل فى مساعدتنا على إخراج هذا الكتاب ، ونخص بالذكر منهم السيد على المؤيد وزير اليمن السابق بمصر ، الذى تفضل بقراءة أصول الكتاب ، وزودنا بمعلومات مفيدة عن الحوادث التاريخية ، وتحديد بعض الأماكن والبلدان باليمن ، كما تقدم خالص شكرنا للاستاذ العلامة مصطفى السقا ، الذى تفضل مشكوراً بإبداء ملاحظاته اللغوية والنحوية عند قراءة ملازم الطبع وتصحيحها .

وقد طلبنا من الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين مقالا وافياً ضافياً عن « عقائد الدعوة الفاطمية » ، وقد تفضل بموافقتنا بآرائه الثمينة عن عقائد الدعوة ، وبعض المسائل التاريخية ، وقد ذكرناها فى مواضعها المناسبة من الكتاب . فله منا جزيل شكرنا .

ونحن لا نستطيع أن نوفي الأستاذ المنعم المفضل عمر الدسوقي واجب شكرنا ،
لاحتضانه هذا الكتاب في مطبعة الرسالة العامرة ، حتى ظهر بهذا المظهر .

وفي أثناء استعدادنا لتقديم أصول الكتاب إلى المطبعة ، زار القاهرة المعزّية ،
شيخنا العلامة القاضي محمد الحجري ، وقد عرضنا عليه أصول هذا الكتاب ، فأبدى
لنا بعض الملاحظات الثمينة ، وساعدنا في تحقيق كثير من المواضع والأماكن
التي وردت في هذا البحث ، فنشكره لتفضله بإعارتنا بعض وقته خدمة للعلم .

ونشكر أيضا جميع الإخوان الذين ساعدونا بإعارة كتبهم وملاحظاتهم العلمية
في حلّ المشكلات التي اعترتنا من حين إلى حين في هذا البحث .

وفقنا الله لخدمة العلم والتاريخ ، والله ولي التوفيق .

حسين الحمداوي

المعهد الهمداني للدراسات الإسلامية
القاهرة في ١ أغسطس ١٩٥٥

الباب الأول

حركة الشيعة في اليمن قبل ظهور منصور اليميني

نشاط اليمينيين الأحرار في العصر الأول

أثبت التاريخ أن اليمينيين ، سواء أكانوا في داخل وطنهم أم في خارجه ، هم مثال للنشاط والإخلاص . ولهذا لما ظهر الإسلام قبلوا دعوته ، وآمنوا به عن صدق وإيمان ، وأصبح في قلوبهم عقيدة راسخة ثابتة متصلبة ، فتكيفون بكيفيته ، وتلونوا بلونه . فذهبوا ينشرونه في مشارق الأرض ومغاربها ، حتى قامت بمساهماتهم أعظم إمبراطورية عرفها التاريخ .

ويعتبر ما حدث في أيام الخليفة عثمان من أهم الأحداث التي فرقت بين المسلمين ، وقسمتهم إلى معسكرات . وكان من الطبيعيّ - بعد أن آثر اليمينيون الإسلام على أنفسهم ووطنهم ، وتناسوا معه العصية الجاهلية - أن يشتركوا في تلك الأحداث ، وأن تحترقهم التيارات المتضادة ، وتنحرف بهم أعاصير السياسة ، فذهب من ذهب منهم مع الإمام علي ، وهم الكثير ، وانضم منهم فريق آخر إلى معاوية ، وتعضّب كل فريق لصاحبه .

ظل الأمر كذلك في داخل اليمن . ثم لم نعرف بعد على وجه الصحة أنهم ، أي اليمينيين ، كانوا يؤمنون بمذهب معين ، أو ينتمون إلى نحلة قائمة . وربما كان السبب في ذلك ، النزعة اليمنية ، التي تدعو دائماً إلى حرية الرأي واستقلال الفكر . ونرى أن هذا الأمر دام إلى القرن الثالث والرابع ، رغم دخول الحركات الشيعية والسنية وانتشارها واستقرارها في اليمن . فقد ثبت أن سلاطين آل حاتم الهمدانيين وملوك آل يعفر ، بقوا أحراراً ، غير مقيدين بمذهب من المذاهب . ويعتبر أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني صاحب الإكليل ، ونسوان الحميري من الأمثلة البارزة للدلالة على ذلك .

لقب الشيعة

فقد تغلغلت المذاهب في اليمن ، ورسخت أقدامها ، وبخاصة الحركات الشيعية . فما الأسباب التي أدت إلى رواج هذه الفكرة ؟ وما العوامل التي ساعدت على نموها وانتشارها ؟

سنحاول أن نعالج هذا الموضوع ونجيب عن هذا السؤال فيما يلي :
بدأ أنصار علي بن أبي طالب يتكاثرون في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم من شيعته ومحبيه . والشيعة ، كما قال أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي^(١) : « هو لقب لقوم كانوا قد ألفوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وعرفوا به ، وهم : سلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفاري ، والمقداد بن الأسود ، وعمار بن ياسر وغيرهم ، وكان يقال لهم شيعة علي . وقال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم : الجنة تشتاق إلى أربعة : سلمان ، وأبي ذر ، والمقداد ، وعمار » . وقال نشوان الحيري^(٢) : وإنما سميت الشيعة شيعة لمشايعتهم علي بن أبي طالب .

سفارة الإمام علي إلى اليمن

ومن ذلك نرى أن علياً كان له مريدون ومحبتون من الصحابة في عهد الرسول صلعم . ولم يقتصر وجود هؤلاء على المدينة وحدها ، بل أخذ عددهم يزداد كلما اتسعت رقعة الإسلام ، وزاد عدد المسلمين وبخاصة في بلاد اليمن ، لأنها حظيت بإرسال علي إليها في عهد الرسول . وزار أمير المؤمنين عليه السلام اليمن ثلاث مرات ، وفي المرة الأخيرة وصل إلى عدن أبين . وذكر ابن هشام^(٣) أنه صلعم قد بعث سنة تسع (عام الوفود) بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى أهل نجران ، ليجمع صدقتهم ، ويقدم عليهم بجزية . وقال ابن كثير مامعناه إن

(١) كتاب الزينة ٢١٩ .

(٢) حور ١٧٨ .

(٣) ابن هشام : سيرة ٩٦٥ .

النبي صلعم أرسل علياً إلى اليمن قبل حجة الوداع - أي في نهاية سنة ١٠ .
فقدم علياً إلى صنعاء ، وصلى برجالها ، وجمع قبائل همدان ، وقرأ عليهم كتاب النبي
صلعم ، فأسلمت همدان جميعها في يوم واحد . ولما وصل الخبر إلى النبي صلعم
خرَّ ساجداً ، ثم رفع رأسه فقال : « السلام على همدان ، السلام على همدان » .
وقال عليٌّ في ذلك : بعثني رسول الله صلعم وأنا حديث السن ، فقلت : تبعثني
إلى قوم يكون بينهم أحداث ولا علم لي بالقضاء . قال صلعم : إن الله سيهدي
لسانك ، ويثبت قدمك . قال عليٌّ : فما شككت في قضاء بين اثنين ^(١) . وقبل أن
يعود على من اليمن عمّر مسجداً بصنعاء عرف باسمه ^(٢) . وذكر ابن الدّيب ^(٣)
أن علياً دخل عدن أبين ، وخطب على منبرها خطبة بليغة ، وذلك قبل رجوعه
إلى المدينة .

ومما لا شك فيه أن هذه الاتصالات الشخصية باليمن قد تركت أثراً في
نفوس الناس هناك . ذلك الأثر هو حبّ عليٍّ وآل بيت النبي ؛ بقي هذا الحب
يزداد مابقيت الأيام ، حتى إن الإمام الفاطمي المستور الحسين بن أحمد ^(٤) ، حين
أرسل أبا القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفي ^(٥) داعياً إلى اليمن ،
أمره أن ينزل عدن لاعة ، لأن بها بعض من يدين بدعوته ، ولأن الله عزّ وجلّ

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ٥ / ١٠٤ - ١٠٥ .

(٢) أنباء / دار ٨ .

(٣) قرة ٥ . لم نثر على هذه الرواية في المصادر التي تحت أيدينا .

(٤) أبو المهدي عبد الله بن الحسين ، ويدعى الحسين المقتدى أحياناً (إدريس : زهر
العاني ٦٣) وهو الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق . وقد
اختلفت المصادر اختلافاً شديداً في أسماء أجداد المهدي عبد الله . وذلك يرجع إلى البتار التي
فرضه الأئمة المستورون على أنفسهم وإلى اختيارهم أسماء غير أسمائهم الحقيقية كما رواه الشيخ جعفر
ابن منصور اليميني في كتابه المسمى بالفرائض وحدود الدين (انظر الباب التاسع في فصل عن
مؤلفات جعفر بن منصور اليميني) .

(٥) كذا ورد اسمه في افتتاح (٣ - ٤) . وفي الحور ١٩٧ جاء : أبو القاسم أبو الحسن
ابن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفي . واشتهر باسم منصور اليمن ، بعد أن فتح هو وعلي بن
الفضل الجيشاني اليمن .

قسم لليمانية ألا يتم أمر في هذه الشريعة إلا بنصرهم^(١)، فوصل إليها حيث وجد كثيرين ممن يدينون بالولاء لعلي وآل بيته^(٢).

كثّر عدد المحبين لعلي في اليمن بعد هذه الزيارة . وأخذ هؤلاء يعملون على اكتساب الأنصار المحبين لعلي ويرون أن عليا وحده أهل للخلافة، وأولى الناس بمقام رسول الله بعده ، وأحقهم بالإمامة والقيام بالأمر في أمته^(٣) ، وأن الخلفاء الذين سبقوه قد انتزعوا حق الإمامة منه . ويدل امتناع بعض الصحابة عن مبايعة أبي بكر بالخلافة^(٤) على أن الأمة قد آذنت بالانقسام إلى معسكرين من المسلمين ، ولكن السياسة الرشيدة التي نهجها أبو بكر وعمر قد ساعدت على كبح جماح هذا الانقسام إلى حد كبير ، إلا أن التشيع ظل منتشرًا في بلاد اليمن وغيرها ، وتجلت مظاهره فيها في مواقف كثيرة .

رحلة ابن سبأ إلى مصر والفتنة السبئية

فلمّا رحل عبد الله بن سبأ الصنعاني^(٥) إلى مصر بعد أن طاف بالكوفة والبصرة والشام ، التف حوله المسلمون هناك ، لأنه حمل على سياسة الخليفة عثمان التي كانت مثارًا للسخط في العالم الإسلامي في ذلك الوقت ، ونادى بحب علي لأنه أولى من غيره بالخلافة ؛ فانضم إليه في مصر عدد كبير ، كان في مقدمتهم محمد بن أبي بكر ، وقد ساعد انضمامه على نجاح ابن سبأ في دعوته لعلي بن أبي طالب .

ولا نكون مخطئين إذا قلنا إن سبب رواج دعوة ابن سبأ في مصر يرجع إلى وجود عدد كبير من اليمنيين ، الذين جاءوا مصر من أيام الفتح الإسلامي واستقرّوا فيها^(٦) . وأن هؤلاء اليمنيين كانوا ممن يحبون عليًا وآل بيته .

(١) حور ١٩٨ . (٢) انظر الباب الثاني من هذا الكتاب (٣) حور ١٥٤ .

(٤) كالعباس عم النبي وطلحة والزبير الذين اتحدوا مع علي بن أبي طالب .

(٥) كان هذا يهوديًا من أهل صنعاء ، دخل في الإسلام في سنة ٢٩ في خلافة عثمان ، وكان من أقوى العوامل لإثارة الناس على عثمان (طبري ١ / ٢٨٥٩) .

(٦) كان معظم جيش الفتح الذي اعتمد عليه عمرو بن العاص في فتح مصر من اليمنيين . فكان فيه جند من عك وغافق (ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٥٦) ثم لحق بهم جماعة من =

ومما يدل على مبلغ تحمسهم لدعوته أن الخليفة عثمان عند ما أرسل عمار بن ياسر^(١) إلى مصر، ليصلح بينه وبين محمد بن أبي حذيفة، استطاع الثأرون على عثمان استمالة عمار إلى رأيهم. وإن انضمام هذا الصحابي الجليل إلى صفوف الناقمين على عثمان ليدل على مبلغ السخط الذي أثارته سياسة الضعف التي سار عليها هذا الخليفة.

من هذا نرى أن ابن سبأ قد نجح في خطته، وهي تأليب العالم الإسلامي ضد عثمان. وتنفيذا لهذه الخطة كاتب ابن أبي حذيفة أهل البصرة والكوفة، ودعاهم إلى الذهاب إلى المدينة. وخرج كل وفد في سبأته رجل، حتى وصلوا إلى خارجها. وجاء في الوفد المصري من اليمنيين: عبد الرحمن بن عديس العلوي، وكنانة بن بشر التجيبي، وسودان بن أبي رومان الأصبحي، ودرع بن يشكر بن أبرهة. ويقول السكندی: إن هؤلاء هم الذين قتلوا عثمان، وبايعوا عليا، وعادوا إلى مصر^(٢).

وعلى الرغم من أن اليمنيين، كما يبدو، لم يلعبوا دورا إيجابيا في هذه الفتنة، إلا أن الحقيقة الملموسة توحى بأن اليمنيين كان لهم القسط الأكبر فيها. فإن العلاقة بين ابن سبأ الصنعاني وبين الميمنية لدعوته في الأمصار المختلفة، وبخاصة مصر، تدل دلالة واضحة على أن اليمنية كانت لهم اليد الفعالة في قتل الخليفة عثمان؛ وذلك بسبب حبهم وولائهم لعلي وآل بيته.

لحم وراشد (المصدر نفسه ٥٨). وأن الذي يرجع إليه الفضل في اقتحام حصن الفرما هو سميف بن وعلة السبي (السيوطي: حسن المحاضرة ١/٧٦). وأن اليمنيين أبلوا بلاء حسنا عند حصار حصن بابلون (فتوح مصر ٦٢). ولم ينقطع وصول اليمنية إلى مصر، بل ظلوا يفتدون إليها في مدة طويلة. ففي خلافة معاوية بن أبي سفيان كان بالإسكندرية سبعة وعشرون ألفا من العرب الذين كانوا بالشام، وهم يمنية وبعض الأزدي، ثم جاءهم جماعة من لحم (القريزي: البيان والإعراب ٣٥) وسكن بصعيد مصر جماعة من أولاد ربيعة (نفسه ٤٨) وسكنت جهينة أسبوط وما بعدها (نفسه ٣٦). (ملخص من محاضرة الدكتور محمد كامل حسين التي ألقاها في جمعية الاتحاد اليمني بالقاهرة).

(١) كان عمار من محبي علي أيام الرسول، وكان من الأربعة الذين بشرهم الرسول بالجنة وكان تقيا ورعا. قال النبي: اقتدوا بالذين من بعدي: أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار (الإصابة ٤/١٢٢٠) (٢) السكندی: الولاية والقضاء ١٧

جهد همدان مع الإمام علي

ومما ساعد على انتشار التشيع في اليمن جهاد همدان مع سيدنا علي بن أبي طالب في حروبه . ويعتبر ما قاله أمير المؤمنين نفسه دليلاً واضحاً على ذلك . فقد قال أيام صفين : « يامعشر همدان ! أتم درعى ورُمحى ، والله لو كنت بوّاباً على باب جنة لأدخلتكم قبل جميع الناس ، وما نصرتم إلا الله تعالى ، وما أحببتم غيره » . فقال سميد بن قيس وزيد بن كعب : « أحببنا الله وإياك ، ونصرنا الله وإياك ، وقاتلنا معك من ليس مثلك ، فارم بنا حيث شئت »^(١) .

فهذا القول هو من غير شك شهادة طيبة من الإمام لهمدان ؛ ولا عجب ، فقد كانوا جلّ أنصاره وخيرة رجاله الذين ضحّوا بأنفسهم في سبيل نصرته مدفوعين بعامل حبهم لله وحبهم لعليّ ، وكرههم للظلم والظالمين . وليس أدل على حب الإمام لهم وحسن تقديره لجهودهم من هذه القصيدة التي مدحهم بها وقد جاء فيها^(٢) :

ولما رأيت الخيل تُنقرع بلقنا	فوارسها حمر النحور دواى
ونادى ابن همدان الكلاع ويخضب	وكندة مع لحم وحى جذام
تيممت همدان الذين هم هم	إذا ناب أمر جنتى ورسهاى
وناديت فيهم دعوة ، فأجابنى	فوارس من همدان غير الثام
فوارس ليسوا في الحروب بعزل	غداة الوغى من شاكر وشام
ومن أرحب الشمّ المطاعين بالقنا	وبهم وأحياء السبييع ^(٣) وبام
ووادعة الأبطال يخشى مصالها	بكل رقيق الشفرتين حسام
ومن كل حى قد أتانى فوارس	كرام لدى الهيجا وأى كرام
جزى الله همدان الجنان فإنهم	سما العدا في يوم كل سما

(١) نزّهة ٩/١ ؛ راجع أيضاً لأكيل ٤٦/١٠ — ٥٠ .

(٢) نزّهة ٩/١ — ١٠ وهى قصيدة طويلة كلها مدح وتعداد لما أثر همدان وبلائها في حروب الإمام علي .

(٣) قبيلة موجودة إلى الآن في حاشد .

رجال يحبون النبي ورهطه لهم سالف في الدين غير أئام
هم نصرونا والسيوف كأنها حريق تلظى في هشيم ثمام
فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

مالك الأشتر النخعي

ويعتبر مالك الأشتر النخعي الباني^(١) من الأمثلة البارزة التي لعبت دوراً هاماً في حروب علي وأبلى بلاء حسناً معه في موقعي الجبل وصفين . وبدل موقفه من التحكيم على مقدار إخلاصه وتفانيه في الحصول على النصر . فقد قال الأشتر عندما رفع جند معاوية المصاحف ووافق جند العراق على التحكيم :

« يا أهل العراق ! يا أهل الذل والوهن ! أحين ظن القوم أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ، وهم والله قد تركوا ما أمر الله به فيها ، وسنة من أنزلت عليه ، فامهلوني فقد طمعت في النصر ... وأنتم الآن إذا أمسكتم عن القتال مبطلون أم أنتم الآن محقون ؟ » .

قالوا : « دعنا منهم يا أشتر » . قال : « خذعتم فأنخذعتم » . واستمر يحثهم ، ولكن بدون جدوى^(٢) .

(١) قال ابن حزم (أنسب العرب ٣٨٩) : إبراهيم بن الأشتر واسمه مالك وهو من بني مالك بن النخع بن عامر بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، ومنهم عمرو بن زرارة النخعي أول من خلع ولاءه لعثمان بالكوفة . وليس لإبراهيم اسمه مالك كما قال ابن حزم ، بل لإبراهيم ابن مالك الأشتر . واشترك إبراهيم بن مالك مع المختار في حروبه وقتل عبيد الله بن زياد . وقد اعتبر المبرد (الكامل ٢٦٦ — ٢٦٧) النخع من قبائل مضر حينما قال : النخع وتقيف إخوان من إباد ، وإباد بن تزار بن معد بن عدنان . ونسب المبرد إلى أخت الأشتر أيبانا تبكي فيها أخاها ، وهي :

وبعد الأشتر النخعي ترجو مكاثرة وتقطع بطن واد
وتصحب مذحجا بأخاء صدق وإن نلسب فنحن ذرى إباد
تقيف عمنا وأبو أيبنا وإخوتنا تزار أولو السداد

قال النويري (نهاية الأرب ٣٠٢) مامعناه: النخع بن عمرو القبيلة المشهورة من عمرو ابن علة بن جلد بن مذحج اه . وهذه القبيلة موجودة إلى الآن في أبين شرقي عدن .
(٢) ابن الأثير : الكامل ١٧٣/٢ .

البراء السهماني

وقد كان البراء بن وفيد العذريّ الحمداني^(١) من الأمثلة الواضحة التي تدل على حب اليمنيين لإظهار كلمة الحق ، وإغاثة المظلومين والضعفاء . فقد حارب هذا مع معاوية في موقعة صفين ، مما يدل على أن بعض اليمنيين قد انضم لمعاوية كما انضم البعض الآخر لعل^(٢) ، ولكن البراء نعم على معاوية منعه للفرات من أصحاب علي لما سبق عليه بصفين ، فقام إلى معاوية ، فقال : « سبحان الله العظيم ، حين سبقتهم إلى الفرات تمنعهم الماء ، وإن فيهم العبد والأجير والأمة ومن لا ذنب له ؛ هذا والله أول الجور ، لقد بصرت المرتاب ، وشجعت الجبان ، وحملت من لا يريد قتالك على كفتيك » . فقال معاوية لعمر بن العاص : « اكفني صديقك الحمداني ، لا يفسد على عسكري » . فقام إليه عمرو ، فأغلظ له . فأنشأ البراء يقول :

لعمري أجي معاوية بن حرب وعمر ما لأيهما وفاء
سوى طعن يحار القيل فيه وضرب حين تبتاع الدماء
فلست بتابع دين ابن هند طوال الدهر ما أرسى حراء

(١) يقول محب الدين الخطيب : إن البراء هذا ليس له ذكر في كتب التراجم المتداولة في أيدي أهل السنة والشيعة ، مع أن ما وصفه به المؤلف (صاحب الإكليل) من الدهاء والزهّد ، وما ذكره له من خبر وشعر ، وكونه من قتلى صفين ، كان يقتضي ألا يغفل ذكره في الكتب المشهورة ولا سيما كتب الشيعة (إكليل ١٠ / ٦٣ هامش (٢)) .
(٢) جاء في الطبري (٣ / ٣٣٠) : إن الأشتر زحف يوماً (في أثناء موقعة صفين) فاستقبله معاوية بعك والأشعرين . فقال الأشتر لمذحج : اكفونا عكاً ؛ ووقف في همدان وقال لكندة : اكفوني الأشعرين . فاقتلوا قتالا كثيراً ، وأخذ يخرج إلى قومه فيقول : إنما هم عك فاحلوا عليهم . فيحشون عن الركب ويرتجزون :

ياويل أم مذحج من عك هاتيك أم مذحج تبكي
فترى اليمنية في جيش معاوية وعلى ، مما يدل على أن خلاف علي ومعاوية لم يكن مبنيًا على العصبية الإقليمية . وكان المسلمون يختارون أحد الفريقين على حسب ميولهم الشخصية أو مبادئهم الدينية . فوجد المضريين والقحطانيين في كلا المعسكرين بصرف النظر عن عينتهم أو مضرتهم ، ولكن الأغلبية من البائية ، وبالحصوص المتحمسون منهم ، كانوا ينتمون إلى حزب علي ، لأسباب سبق أن بيناها . فلا ريب أن اليمن صارت بعد هذا معقلاً منيعاً للتشيع ، وأرضاً خصبة لزرع بذور الحركات الشيعية كما سترى فيما بعد .

فقد ذهب العتاب ، فلا عتاب وقد ذهب الولاء ، فلا ولاء
وقول في حوادث كل أمر على عمرو وصاحبه العفاء
ألا لله درك يا بن هند لقد ذهب الحياء ، فلا حياء
أحمون الفرات على رجال وفي أيديهم الأسل الظاء
وفي الأعناق أسياف حداد كأن القوم عندكم نساء
أترجو أن يجاوركم على بلا ماء وللا حزاب ماء
ثم وطئ لما جئته الليل في متن فرسه ، فلتحق بعلي ، فقاتل معه حتى قتل (١)
وزرى أن البراء قد عز عليه أن يرى بني جلدته ، بل وبني عمومته يشتركون في تأييد
الباطل والظلم والتعذر ، فدفعته الحمية أن يلتحق بعلي .

سعيد بن قيس الهمداني

وكان سعيد بن قيس (٢) خاصا (٣) بعلي بن أبي طالب وصاحب همدان بالعراق ،
وهو أحد فرسان العرب المحدثين ، وأحد الدهاة الخمسة وهم : معاوية وعمرو بن
الماص ، والمنيرة بن شعبة ، وقيس بن سعد بن عباد ، وسعيد بن قيس ، ومن
الأجواد والذبايين (٤) . وقد كان جالسا يوما عند علي بن أبي طالب ؛ فلما أن قام
قال علي : هذا والله كما قال القائل :

من قوله قول ، ومن فعله فعل ، ومن نائله نائل (٥)

(١) إكليل ٦٤/١٠ — ٦٥

(٢) سعيد بن قيس بن زيد الهمداني ، ولهم بقية هم السعيديون ببית زود (صفحة ١٩٠)
من ظاهر همدان ، وقد قال فيه حارثة بن بدر أشعارا كثيرة (إكليل ٤٦/١٠ — ٤٩)
(٣) قال محب الدين الخطيب : هذه الصفقة لم يطلقها المسلمون إلا على النبي (ص) وإخوانه
من الأنبياء ، وأعلمها من عمل المؤلف ليغضى بذلك ما يؤاخذ به العدنانيون من الإفراط
في العصبية القحطانية (نفسه ٤٦/١٠ هامش (١))

(٤) نفسه ٤٦/١٠

(٥) نفسه ٤٦/١٠

وسميد هذا الذي قتل عمر بن الحصين السَّكُونِي^(١) في بعض أيام صفين ، كما
قتل الشمرح فارس ذي رُعَيْن^(٢) مبارزة ، وفي ذلك يقول شعرا :

لقد فجعت بفارسها السَّكُونُ كما فجعت بفارسها رُعَيْن
غداة أتى أبا حسن عليا ووسط النقع مرداة طحون
فأطعنه وقلت له : خذها مسومة يخف لها القطين^(٣)
وماثر همدان كثيرة ومواقفها الحميدة من على وآل بيته عديدة ، أجلها صاحب
الزَّهَّة في قوله :

وهم جاهدوا أعداء آل محمد وهم نصرُوا آل النبي الأطائب
وهم نصرُوا المنصور^(٤) في كل وقعة وحاطوا عداه من جميع الجوانب

محنة شُبَيْعَةَ عَلِيٍّ فِي وِلَايَةِ بَسْرٍ بِأَرْطَاة

وقبل أن ينتهي النزاع بين علي ومعاوية أرسل معاوية من قبله بَسْرُ بْنُ أَرْطَاة
العمرى والياً على اليمن سنة أربعين^(٥) ، وسيّر معه ثلاثة آلاف جندي ، وأمره
معاوية بأن يقتل شيعة علي هناك . فلما كان قريباً من صنعاء ، وعلم به عبيد الله
ابن العباس والي الإمام علي على بلاد اليمن^(٦) ، جمع عبيد الله هذا أهل صنعاء
وخطب فيهم وحرّضهم على القتال . فلما يؤس من نصرتهم استخلف عمرو

(١) قد تكفل هذا لمعاوية أن يفتك على غرة بعل . فحين كان على في شغل بقتال
القوم والصولة عليهم حمل السكوني على أمير المؤمنين من خلفه ، ولكن سعيد بن قيس قصم
ظهره بالرمح قبل أن يقوم بعمله (زَّهَّة ١٠/١) .

(٢) وكانت ذوارعين البنية تحارب مع معاوية في صفين .

(٣) زَّهَّة ١٠/١ — ١١ .

(٤) يريد بذلك منصور اليمن أبا القاسم (نفس المرجع ١١/١ — ١٢) .

(٥) يقال له بشر أيضاً ؛ ذكر صاحب الإكمال ٦٦ أن اسمه بسر .

(٦) كان بعل بن منبه والياً على صنعاء ، وعبد الله بن ربيعة على الجند ، وذلك في أيام
عثمان . فلما جاء على خلعهما وولى عبيد الله بن العباس على صنعاء وأعمالها ، وسعيد بن سعد بن
عبادة الأنصاري على الجند (الطبري حوادث سنة ٣٤ ص ٢٠٥٧) .

ابن أبي أراكه الثقفي على عمله وسار حتى بلغ الكوفة يريد علياً، وترك ولدين صغيرين له عند أم سعيد. فلما قدم بسر صنعاء استدعى الولدين فقتلتهما، وقيل ذبحهما بيده، ثم قتل عمرو بن أبي أراكه، ثم قتل اثنين وسبعين رجلاً كانوا قد تشفّعوا في الطفلين. وكان قتل هؤلاء جميعاً على باب المصر^(١)، فدفن الولدان حيث قتلوا، وبني عليهما مسجد، وهو مشهور هناك باسم مسجد الشهيدين^(٢).

وكان بسر هذا أول جبار دخل صنعاء اليمن في الإسلام، فعمس بأهلها وعاث في الأرض فساداً. ولما بلغ أمير المؤمنين علياً هذا الخبر، جهز أبي فارس من الكوفة، ومثلها من البصرة، وسيّرها بقيادة حارثة بن قدامة السعدي، وأمره بدخول اليمن ومتابعة بسر حيث كان ومؤاخذه على ما ارتكب من الفساد. ولما وصل حارثة اليمن هرب بسر وتفرّق أصحابه، ولكنّه بعد أن ترك جماعة من أتباعه لزمهم حارثة ونكل بهم، ثم عاد إلى مكة، وهناك سمع بوفاة أمير المؤمنين، فأخذ البيعة من أهل اليمن والحجاز لمن بايع له أصحاب على^(٣).

نستخلص من هذه الحوادث أن الصراع بدأ بالفعل بين المعسكرين من المسلمين: شيعة علي وأنصار الأمويين، وأخذت ضحايا هذا الصراع تتوالى على حساب المسلمين. وأخذ كل فريق يرى أن الحق بجانبه، ويستमित في الدفاع عن عقيدته، كما نستنتج أن وجود مسجد الشهيدين تحت أنظار أبناء اليمن الموالين لمليّ يعتبر من العوامل الفعّالة التي ساعدت على تكثفهم وربصهم بعمّال بني أميّة كلّما أتاحت لهم الفرصة. ولما تولى معاوية الخلافة دأب على اتباع سياسة سبّ على وأهل بيته على المنابر، ممّا أثار حنق الشيعة عليه، وسبّب ذلك اضطرابات كثيرة في البلاد الإسلامية، وبخاصة الكوفة التي أرسل أهلها إلى الحسين بن علي يدعونه إليهم، فأجابهم إلى ذلك^(٤).

(١) باب المصر ذكره الهمداني في إكمال ٦٦؛ صفة ٢٤٣.

(٢) أنباء/دار ١٣.

(٣) أنباء/دار ١٣.

(٤) ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ٣/٣ — ٤.

ثورة التّوابين

وكانت فاجعة كربلاء الأليمة لقتل الحسين بن علي في عهد يزيد بن معاوية . وكان لمقلته أثر بعيد في إذكاء نار التحمّس في نفوس الشيعة وتوحيد صفوفهم ، فصاحوا صيحة واحدة : الأخذ بثأر الحسين ! وغدا العداء بين الأمويين والموليين شديد الخطر . ولم يسكت الشيعة عن دم الحسين ، بل تحرّكوا بالكوفة سنة ٦٥ في عهد الخليفة الأموي مروان بن الحكم ، وتابوا عن تقصيرهم في حق الحسين ، فسُمّوا التّوابين ، وحزموا أمرهم ، وقادهم سليمان بن صرد لمحاربة عبيد الله ابن زياد ، ولكنهم هزموا في موقعة عين الوردة وقتل قائدهم ^(١) .

ثورة المختار وقائده إبراهيم بن مالك الأشتر

وما لبثوا أن انضوا بعد ذلك تحت لواء المختار بن أبي عبيد ^(٢) الذي طرد عامل الكوفة من قبل ابن الزبير ، وأرسل بعد ذلك جيشاً بقيادة إبراهيم ابن مالك الأشتر النخعي لقتال ابن زياد والأخذ بثأر الحسين بعد أن عجز التّوابون عن ذلك . فسار إبراهيم هذا حتى لقي ابن زياد ومن معه من أهل الشام على نهر الخازن ^(٣) ، فدارت الدائرة على ابن زياد ، وقتل هو وكثير من أهل الشام .

«فكان بلاؤهم بالمختار وقائده إبراهيم بن الأشتر عدلاً لا رحمة فيه ولا تحسب قسوة بالآئمين سلمت من اللوم أو بلغت من العذر ما بلغت قسوة المختار» ^(٤) . وكان من أثر انتصار ابن الأشتر على ابن زياد أن ازداد تعلق الشيعة بالمختار ، والتفّ حوله كثير منهم .

(١) ابن الأثير : الكامل ٧٣/٤ — ٧٩ .

(٢) ظهر في ميدان السياسة سنة ٦٦ ، وتقلب في كثير من الأحزاب ، فانضم إلى الشيعة ، واستغل ثورة التّوابين على بني أمية ، واستولى على الكوفة ، ونال من بني أمية ولكنه قتل سنة ٦٧ بالقرب من الكوفة (طبرى ٦٧١/٢ : حور ١٨٢) .

(٣) هو نهر يصب في الدجلة ما بين الزاب الأعلى والموصل .

(٤) عباس العقاد : أبو الشهداء ١٦٣ .

عمر بن عبد العزيز بأمر بمنع سب علي

ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز سنة تسع وتسعين أقر ولاية وهب بن منبه على بلاد اليمن ، وأمره بالامتناع عن لعن أمير المؤمنين علي في جميع الآفاق ^(١) ، ووصل الأمر بذلك إلى صنعاء ، فخطب الخطيب بجامعها ، وتلا قوله تعالى : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى الآية ، بدلا عن اللعن ، فقام إليه ابن محفوظ ، وقال : « قطعت السنة ، والله لأنهنضن إلى الشام ، فإن وجدت عمر عازما على قطع السنة ، لأضرم عليه الشام نارا » . فخرج ابن محفوظ من صنعاء ، فلحقه أهلها في الموضع المسمى بالمنجل ، فرجموه بالحجارة حتى غمروه وغمروا بغلته ، وهو يرجم بالحجارة إلى الآن ^(٢) .

وإننا نرى من جهة أن عمل الخليفة عمر بن عبد العزيز يدل على أنه صادف هوى في نفوس أهل اليمن ، فعبروا عن ذلك بقتلهم لابن محفوظ ، ورجعوا مكان قتله بالحجارة ، ومن جهة أخرى نرى أن هذا العمل ليس بغريب على هذا الخليفة الذي اشتهر بالصلاح والتقوى . ولا عجب فقد سار عمر سيرة أبيه عبد العزيز في مصر ، فقد أثر عنه أنه كان إذا وصل إلى ذكر أمير المؤمنين علي عليه السلام تتمع . فلما قال له ابنه عمر : لم فعلت ذلك ؟ قال : يا بني اعلم أن العوام لو عرفوا من علي بن أبي طالب ما عرفوه نحن لتفرقوا عنا إلى ولده . فلما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة قطع السب وجعل مكانه الآية المذكورة .

استنار الشبعة في العهد بمه الأموي والعباسي

ظل التشيع مستترا في بلاد اليمن ، واستمر المتشيعون في ولائهم لعلي وبيته مهما وقع من ضغط الولاة من بني أمية وبني العباس . وبقيت هذه الطائفة تعمل في الخفاء والظهور كلما ساعدتها الظروف طوال هذه المدة .

(١) المسعودي : مروج الذهب ١٢٦٧/٢ — ١٦٨ .

(٢) الفخرى : الآداب السلطانية ١١٧ .

ومما يدل على بقاء هذه الطائفة في بعض جهات اليمن وعلى وجه خاص في منطقة عدن لاعة قول السيّد الحميريّ حيث قال^(١) للإباضية تعريفاً لنفسه :

إن تسألني بقومي تسألني رجلاً في ذروة العزّ من أحياء ذي يمن
حولى بها ذوكلاع في منازلها وذو رعين وهمدان وذو يزن
والأزد أزد عمان الأكرمون إذا عدت ماثرهم في سالف الزمن
بانت كرميتهم عني فدارهم داري ، وفي الرحب من أوطانهم وطيني
لي منزلان بلحجج منزل وسط منها ، ولي منزل للعزّ في عدن^(٢)
ثم الولاء الذي أرجو النجاة به من كبّة النار للهادي أبي الحسن

ولعل انتشار التشيع والمتشيعين سرّاً وعلانية في بلاد اليمن كان من أهم الأسباب التي دعت الإمام المستور الحسين بن أحمد إلى إرسال أبي القاسم منصور اليمن إلى تلك النواحي من اليمن سنة ثمان وستين ومئتين كما سبق أن ذكرنا ، كما كانت من أهم الأسباب التي حملت بعض قبائل اليمن إلى دعوة الإمام الهادي^(٣) سنة ثمانين ومئتين للوصول إليهم . في ذلك يقول صاحب الأنباء^(٤) : « وأقرّ له للناس بالطاعة إذ كان خروجه باستدعائهم ، فلبث مدة يسيرة حتى ظهر له منهم الخلف لأوامره . . . فانتقل راجعاً إلى الحجاز . ولما ارتبكت بلاد اليمن بسبب الفتن والقحط عاد اليمنيون وتضرّعوا له ، فرجع في صفر سنة ٢٨٤ ؛ وإن سبب رجوعه أن بني فطيمة من خولان صعدة خرجوا إلى الهادي إلى الرّس من أرض الحجاز لاستدعائه للخروج » .

(١) الأصبهاني : الأغاني ٨/٧ .

(٢) المقصود هنا عدن لاعة .

(٣) ورد نسبة في جهرة أنساب العرب لابن حزم ٢٨ على الوجه الآتي :

يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . ويقول نشوان (حور ١٩٦) : ولقبه الهادي إلى الحق ، ولد هذا الإمام سنة ٢٤٥ وتوفي سنة ٢٩٧ ، وكان عالماً جليلاً وخطب له بمكة سبع سنين ؛ راجع اعطاء ١٢ .
(٤) أنباء / ماضي ٨ .

وإنا نرى أن سبب رجوعه إلى اليمن بالإضافة إلى ما قاله صاحب الأنباء هو رغبة اليمنيين في أن يتولى أمر دينهم وديارهم أحد الأئمة من أهل البيت ، ونظن أن الذي شجّعه على قبول دعوة اليمنيين نجاح سفارة منصور اليمن وتأسيسه في اليمن دولة موالية للأئمة الفاطميين . ولما كان الإمام الهادي ينتمى إلى بيت النبي وجد أهل اليمن فيه كلّ ما يرجونه من أمن ، فدعوه إلى بلادهم ، وولّوه عليهم ، فاستقرّ في صعدة وبقيت سلالة في اليمن إلى يومنا هذا ؛ كما استطاع منصور اليمن أن يحرز نجاحاً باهراً بفضل دعوته إلى الأئمة من نسل فاطمة الزهراء .

وكذلك بدأت في أواخر القرن الثالث المنافسة بين الدعوتين الشيعيتين الفاطمية والزيدية اللتين ارتبكتا في صراع دمويّ بل في حرب إبادة للقبض على ناصية الحكم طوال القرون التالية ، بالرغم من أنهما كانتا تهدفان إلى تأسيس دولة موالية لأهل بيت النبي .

نجد اليمن مستودع التبعية

من هذا العرض التاريخي الموجز يمكننا أن نقرّر أن نجد اليمن صار حصناً من حصون الشيعة بل مستودعاً من مستودعاتها ، لأن أهلها برهنوا في مواقف عديدة على حبهم لعليّ^{عليه السلام} وبنيه . ويمتدّ انتشار التشيع في تلك البلاد بالإضافة إلى ضعف الحكم ووهن الرّباط الذي كان يربطها بالعبّاسيين من أهمّ العوامل التي هيأت الظروف إلى نجاح سفارة الفاطميين في بلاد اليمن . وهذا ما سنعالجه في الباب التالي .

الباب الثاني

الدولة الفاطمية الأولى في عهد منصور اليميني

(٣٦٨ - ٣٠٣)

الحالة السياسية والربنية عند ظهور منصور اليميني

كانت اليمن تابعة للدولة العباسية ، وكان الولاة يتعاقبون عليها من قبلهم ، واتخذوا صنعا حاضرة لهم ، ولكن الأمور فيها لم تكن مستقرة استقرارا تاما ، لأن السلاطين والأمراء اليمينيين كانوا يتنافسون لتولي الحكم من قبل خلفاء بني العباس . كذلك كانت الأمور في جزيرة العرب بصفة عامة غير مستقرة بسبب الثورات التي قام بها العلويون في بلاد الحجاز واليمن ، وبسبب ظهور القرامطة في بلاد البحرين وبسط سلطانهم على اليمامة وعمان ، وبسبب نشاط دعاة الفاطميين في نشر دعوتهم لقلب النظام الموجود في العالم الإسلامي .

وكان لهذه الأحداث أثر غير مرضي في الجزيرة بأسرها ، فصارت في شبه عزلة كما تأخرت ماديا وعلميا . ولم تكن ببلاد اليمن بصفة خاصة وحدة سياسية ، تجمع شمل الولايات التي نهكتها المنافسات الداخلية والاختلافات المذهبية ، تحت لواء واحد ، وتقود الجميع نحو هدف واحد . وكانت الولايات في هذه البلاد شبه مستقلة عن الدولة العباسية إداريا وسياسيا لضعف الخليفة عن حربها ، ولكنها لم تستطع الاستقلال عنه دينيا ، لأن الولاة كانوا لا يستغنون عن بيعة الخليفة

لتثبيت سلطانهم^(١). فكان بنو زياد^(٢) في زَبِيد ، وبنو يعفر^(٣) في صنعاء يعترفون بالسيادة لبني العباس ؛ ثم دخل بنو يعفر تحت سيادة بني زياد حيث استمر الحكم في دولتهم ، حتى خلع أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم (٢٨٩ — ٢٩١) طاعة العباسيين ، وحلت في عهده عوامل الاضطراب التي أدت إلى عدم الاستقرار وفقدان الوحدة السياسية ، ومن أهمها ظهور الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسّي سنة ثمانين ومئتين حيث نزل صعدة لنشر دعوة الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، واتبعه عدد غير قليل من القبائل التي كانت تميل إلى التشيع . فصارت الزيدية من يوم ظهوره من أهم العناصر في حياة اليمنيين . وهكذا أصبح في بلاد اليمن بعد ظهور منصور اليمن في سنة ٢٦٨ أربع ولايات ، وهي الدولة الزيدية في زَبِيد ، ودولة بني يعفر في صنعاء ، ودولة بني الرس في صعدة ، والدولة الفاطمية تحت قيادتي أبي القاسم منصور اليمن وعلي بن الفضل الجيشاني .

وقد أدّى هذا الاضطراب السياسي إلى كثرة النزاع بين الولايات ، بل بين زعماء كل ولاية ، مما زاد الطين بلة ، ومهد لقيام الدعوة الفاطمية^(٤) التي ظهرت في اليمن سنة ٢٦٨ على يد أبي القاسم (منصور اليمن) وزميله علي بن الفضل .

وتنتيجة لظهور هذه الدعوة واستيلاء الداعمين فيما بعد على معظم بلاد اليمن ، بالإضافة إلى ما قام به أتباع الأئمة الزيدية من الحروب ، اضطربت الأطراف على أي الجيش ، وخرج زعماء البلاد كل في جهته ، ولم يسع أبا الجيش أمام هذه الاضطرابات إلا مهادنتهم واعترافه بما تحت أيديهم خضوعاً لسياسة الأمر الواقع .

(١) ابن الأثير : الكامل ٩/٢١٣ .

(٢) من ولد عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان ، وقد ولي محمد بن زياد اليمن من قبل الخليفة المأمون العباسي سنة ٢٠٣ (تاريخ ابن الجاور ١/ ورقة ٥٢) .

(٣) قامت دولتهم في اليمن في آخر عهد المتوكل ، وكان جدّهم عبد الرحيم بن إبراهيم الحوالي نائباً عن جعفر بن سليمان بن علي الهاشمي الذي كان والياً للخليفة المعتصم على نجد اليمن ، ولما توفي عبد الرحيم خلفه ابنه يعفر وهو رأس الدولة وباعت استقلالها سنة ٢٤٧ ، واستمر أعقابها في صنعاء حتى سنة ٢٨٧ وهو من أولاد التابعة من حمير ، كما حكاها عمارة / كافي ٤ .

(٤) أبناء/ دار ٢٠ .

ولم يكن مُبعد بلاد اليمن عن بغداد حاضرة الدولة العباسية بأقل أهمية من العوامل السابقة ، لأن جماعات الشيعة كانت تلجأ في نشر دعوتها ومبادئها إلى الاستتار والبعد بقدر الإمكان عن أعداء الدعوة ، بأخذ الأقطار البعيدة مزرعة لإنضاج هذه المبادئ . وقد وجد دعاة الفاطميين في مُبعد اليمن عن مركز الخلافة في بغداد وسيلة لتنفيذ مشروعاتهم ، حتى يمكن القول بأن هذا البعد بالإضافة إلى وعورة الطريق وطبيعة بلاد اليمن الجغرافية المعقدة ، كانت من أهم الأسباب التي حالت بين خلفاء العباسيين وبين توجيه الجيوش إلى اليمن لأتقازها من دعاة الفاطميين . واكتفى الخلفاء بأن يعهدوا إلى ولائهم من جهة ، وتكليف زعماء البلاد من جهة أخرى القضاء على هذا التيار الجارف — تيار الدعوة الفاطمية . ولكن ضعف الولاة وتنازعهم الدائم مع زعماء البلاد المتنافرين كان من أهم العوامل التي ساعدت على انتشار الدعوة الفاطمية فيها . لهذا حق لابن الفضل اليماني أن يقول عند ما عرض عليه الإمام الفاطمي الحسين بن أحمد أبو المهدى عبد الله أن يقوم ببث الدعوة باليمن : « والله إن الفرصة ممكنة في اليمن ، وإن الذي تدعون إليه جائز هنا لك ، وناموسنا يمشى عليهم . وذلك لما أعرف فيهم من ضعف الأحلام وقلة المعرفة بأحكام الشريعة المحمدية » (١) .

في هذا الجوِّ السياسي المضطرب وفي هذه البلبلة الدينية ظهر أبو القاسم منصور اليمن في بلاد اليمن فتمكّن في فترة وجيزة من أن ينشئ دولة موالية للخليفة الإمام المهدي عبد الله بن الحسين .

سفارة الفاطميين في بلاد اليمن

كان لدعاة الفاطميين الأقدمين خبرة ودراية باختيار الرجال ، وأخذوا مواعيد الزيارة بالكوفة حيث قبر الإمام الشهيد الحسين بن علي وسيلة لبث مبادئهم

(١) ولعل ما أشار إليه الحمادي في الكشف ٢٢ بخصوص ضعف الأحلام في اليمنية على لسان علي بن الفضل الجيشتاني القحطاني البحث يكون بعيدا عن الصواب مع علمنا بافتخار ابن الفضل بقحطانيته وتعصبه لبني جلدته .

وعقائدهم ، ودليلا على مقدار إخلاص أهل الدعوة إلى صاحب المقام .

وكان الأئمة والدعاة الأقدمون يبذلون كل جهدهم في تحويل أكبر عدد من الرجال النافعين للدعوة إلى مبادئهم ، خصوصا من كانوا يلمسون فيهم نبوغاً ، فقد ظفروا بأبي القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفي هناك وهو من ولد عقيل بن أبي طالب ، وكان من أهل بيت علم وتشيع ، قرأ القرآن وطلب الحديث والفقه^(١) ، وكان يدين بمذهب الإمامية الاثنا عشرية ، وتمكّن الإمام الحسين بن أحمد من تحويله إلى مذهبه ؛ ويقول أبو القاسم : « وكان الإمام يخصني ويقرّبني ويرمز بقرب الأمر ودنو العصر »^(٢) ، فقال له : « يا أبا القاسم ! البيت يمانى والركن يمانى والدين يمانى والكعبة يمانية ، ولن يقوم هذا الدين ويقاوم إلا من قبل اليمن . . . يا أبا القاسم ! هل لك في غربة في الله ؟ » . قلتُ : « يا مولاي ! الأمر إليك ، فما أمرتني به أمثلته » . قال : « اصبر ، كأتى رجل قد أقبل إلينا من اليمن ، وما لليمن إلا أنت » . فقلتُ : « أستمعين بالله على ما يرضيك » .^(٣)

من هذا نرى أن أبا القاسم قد أصبح مهيباً للأمر الذي أرادته الإمام ، وأصبح موضع ثقته ، وأمله الذي يرجوه ، ونرى أيضاً أن الإمام كان على علم بوصول علي بن الفضل الجدني الخنفرى الجبشاني^(٤) ، بطريق رئيس الدعوة في اليمن من قبل هذا الإمام ، في الوقت الذي كان فيه ابن الفضل لا يعرف شيئاً عن الإمام المستور حسين ابن أحمد ولا عن دعوته .

وصل على بن الفضل إلى الكوفة سنة سبع وستين ومئتين بعد أن أدّى

(١) افتتاح ٣ . وينسب إليه رسالة الرشد والهداية نشرها محمد كامل حسين بمجلة Collectanea ج ١ (١٩٤٨) ص ١٨٥ وما بعدها .

(٢) نفسه ٩ : عيون ٤٠/٥ . (٣) افتتاح ٩ .

(٤) جدني من ذى جدن . وجبشان مدينة باليمن . وفي قرعة ١٣ قال : إنه ولد خنفر بن سبأ الأصغر . كان في أول أمره لاشهرة له . وقد تعلم أصول الدعوة في الكوفة ، ثم رجع إلى اليمن . وقال القاضي النعمان (افتتاح ٩) : وكان ابن الفضل شاباً جليلاً من أهل بيت تشيع ونعمة ويسار . ويقال له أبو الحسن على بن الفضل . خرج حاجاً من جبشان في جماعة من أهلها .

فريضة الحج في مكة ، وأخذ يبكي عند قبر الإمام الحسين بن علي وينتحب ويعتد مناقبه ويذكر فضله^(١) ، مما جعل الفاطميين ودعاتهم يحرسون على استمالته إلى دعوتهم .

وبالرغم من اختلاف المؤرخين في الشخص الذي عهد لأبي القاسم وابن الفضل بالسفر إلى بلاد اليمن ويمكننا أن نقرر هنا اعتمادا على ما قاله القاضي النعمان^(٢) ، أن الإمام الحسين بن أحمد هو الذي قام بهذا الأمر لأن الإمام بعد أن أخذ الموائيق على أبي القاسم ووصل ابن الفضل عنده قال : « ... يا أبا القاسم ! هذا الذي كنا ننتظره . فكيف رأيك في الذي عرضته عليك من أهل اليمن ؟ » فامتثل أبو القاسم لأوامر الإمام التي قال له فيها : « ... إلى عدن لاعة فاقصد ، وعليها فاعتمد ، فمنها يظهر أمرنا ، وفيها تمر دولتنا ، ومنها تفرق دعائنا »^(٣) . ثم أمره بالاستتار والاعتماد على التأويل ، واتخاذ التشيع وسيلة لتحقيق أغراضه ، وأن يقول بقرب ظهور المهدي^(٤) . ثم قال له : « واجمع المال والرجال ، والزم الصوم والصلاة والتقشف ، واعمل بالظاهر ، ولا تظهر الباطن ، وقل لكل شيء باطن ، وإن ورد عليك ما لا تعلمه فقل لهذا من يعلمه وليس هذا وقت ذكره »^(٥) ؛ كما أوصاه بعلي بن الفضل خيرا فقال له : « هو شاب قريب عهد بالأمر ، فانظر كيف تسوس أمره »^(٦) . ثم توجه إلى علي بن الفضل فقال له : « إن هذا الرجل الذي نبعث به معك بحر علم ،

(١) افتتاح ١٠ .

(٢) نفسه / ١٢ ؛ ولكن لإدريس (عيون / ١١٩/٥) يروي عن صاحب سيرة الإمام المهدي أن الإمام الحسين قبل أن يتوفى استكمل أخاه أبا علي الحكيم وهو محمد بن أحمد المسكن بسعيد الخير إلى ابنه المهدي وكان عم الإمام المهدي . وهو الذي أفقذ أبا القاسم إلى اليمن بعد وفاة الإمام الحسين بن أحمد . ويحتمل أن يكون الإمام حسين هو الذي أخذ الموائيق على أبي القاسم وزميله ؛ ولكنه توفي قبل أن يسافر السفيران إلى بلاد اليمن ، ومهما يكن من أمر فإن السفارة قد أرسلت إل اليمن في شخص أبي القاسم وابن الفضل .

(٣) افتتاح ١٢ .

(٤) Quatremere : Memoires J. A. 1836 ص ١٨٤ .

(٥) نفسه ١٤ .

(٦) افتتاح ١٣ .

فانظر كيف تصحبه ^(١). ثم قال : « الله بصاحبك ، وقرّه واعرف له حقه ، ولا تخالفه فيما يراهك ، إنه أعرف منك وإنك إن خالفته لم ترشد » ^(٢). ثم قال لها : « أبعثكما إلى اليمن ، تدعوان إلى ولدي هذا ، فسيكون له ولديته عز وسلطان ، وإن الله عز وجل قسم لليمنيين ألا يتم أمر في هذه الشريعة إلا بنصرهم » ^(٣).

سير السفيرين إلى اليمن

خرج السفيران من الكوفة إلى القادسية في نهاية سنة سبع وستين ومئتين ويقول أبو القاسم « ولا ودعت الأهل والأحبة متشوقاً إلى إقطاع الغربة توجهت ، فلما خرجت من القادسية أوجست خيفة . فسمعت حاديا يقول :

يا حادى العيس مليح الزجر بشر مطاياك بضوء الفجر ^(٤)

فسررت واستحسنيت ذلك القول لما سمعته ، ووافيت مكة في حين قدوم الحجاج من اليمن ^(٥). وبعد أن أدّى مناسك الحج تابع مع زميله السير جفوبا حتى وصلا إلى غلافقة في أول سنة ٢٦٨ وكانت في هذا الوقت بندرا لمدينة زبيد على ساحل البحر الأحمر . ثم افترقا الداعيان بعد أن اتفقا على أن يتصل كل واحد منهما بصاحبه ليتعرف أحواله ، فاتجه أبو القاسم إلى مدينة الجند ، وكانت غايته عدن لاعة ^(٦) ، لأنها كما يقول الإمام الحسين لأبي القاسم « أقوى لأمرك وأمضى لنا موسك » ^(٧). وقد وصل إليها عن طريق بعض تجار هذه المدينة من بني موسى ، تقابل معهم في عدن آيين . ولما وصل لاعة أخبره من بها من أهل الدعوة أن الداعي أحمد بن عبد الله بن خنيع كان قائما بالدعوة ، ولكن الأمير ابن

(٢) كشف ٢٣ .

(١) افتتاح ١٤ .

(٤) افتتاح ١٤ ؛ عيون ٣٥/٥ .

(٣) لإدريس : زهر المعاني ٦٥ .

(٥) افتتاح ١٤ ؛ عيون ٣٥/٥ .

(٦) وجاء في العيون ٣١/٥ — ٣٣ : أخذ أبو القاسم ينقل من مخلاف بني طريف من ناحية صعدة إلى الظاهر ، ثم وصل إلى ثقل عجب ثم دخل صنعاء ، وخرج منها حتى وصل إلى الجند ، وكانت غايته عدن لاعة .

(٧) افتتاح ١٢ ؛ كشف ٢٤ .

يعفر قبض عليه ، وتوفى الداعي في السجن منذ عهد قريب ، فنزل أبو القاسم في دار من دور ابن خلع ، وزوج ابنته^(١) ، وتقلد مقاليد الدعوة هناك .
أما علي بن الفضل فقد اتجه إلى بلاد يافع الجبلية ، بالقرب من الجند .

نشاط منصور اليمن الحربي

نهج السفيران منهما واحدا في نشر نفوذهما في بلاد اليمن ، وقد اتخذوا الدين وسيلة لنشر هذا النفوذ . فأظهر كل منهما الزهد والتقشف والصالح ابتغاء الوصول إلى غايته^(٢) ، وعملا بوصية الإمام الحسين بن أحمد إليهما^(٣) ، كما تظاهر كل منهما بالتفقه في الدين والتضلع في المذاهب السنية ، وكانا يأمران بالمعروف ، وينهيان عن المنكر . فال إليهما كثير من أهل اليمن ، وأقبلوا عليهما من كل فجٍّ ؛ وبخاصة بعد أن أظهرتا دعوتهما علنا في سنة سبعين ومئتين ، بعد أن قام كل منهما بدعوته سرا لمدة سنتين . فأصبح لكل منهما جماعة كبيرة ، تخلص له الإخلاص كله . وبعد أن قوى حزب كل منهما في جهته عمل على الحصول على الأموال ، لتنفيذ أغراضه ، وللدفاع عن أتباعه . وكانت الزكاة هي السبيل المستقيم الذي يتفق وأمور الدين . فأمر أبو القاسم من جهة أتباعه بجمعها ، واستعمل عليها منهم ثقات وعدولا ، يقيضون أعشارهم (أعشار أموالهم) على ما يوجبه الفقة^(٤) .

ولما هوجم أبو القاسم ، وقتل بعض أصحابه ، أشار عليه بعض مشايخ الدعوة بالاتحاد ، وتدير الدفاع عن كيانهم ، كما سيأتي ذكره . وقال صاحب العيون^(٥) : « إن أبا القاسم طلب من أتباعه ألف دينار ، فأعانه بها خمسة منهم . فاستعد بها ، وصعد عبر محرم ، وسكن به ، وأسكن معه خمسين رجلا من وجوه أهل دعوته » . وبينما ترى أبا القاسم يقوم بتنفيذ هذه الخطة إذا بابن الفضل يسلك نفس

(١) افتتاح ١٧ ، ١٢ ؛ عيون ٣٨/٥ . (٢) أنباء / دار ٢٠ .

(٣) افتتاح ١٣ ؛ انظر س ٣١ . (٤) كشف ٢٥ .

(٥) عيون ٤١/٥ ؛ قرعة ورقة ١٢ .

الطريق ، فيأمر أتباعه المخلصين ببناء حصن فوق جبلهم ، ويتم له ذلك في جهة سرو يافع^(١) . ونحن نرى أنه كان لبناء هذه الحصون غرضان : فالغرض الأول الظاهر هو حفظ أموال الزكاة ؛ ولكن الغرض الحقيقي هو اتخاذها قواعد ارتكاز يبسط منها الدعاة نفوذهم السياسى والمذهبي .

وقد ساعدهم على هذا النجاح المستمر الظروف المحيطة . وقد قتل محمد بن يعفر في سنة سبعين ومئتين ، واختلف أهل بيته فيما بينهم . تلا ذلك خطوة عملية جديدة ، وهو دور الحرب ، وتكوين الدولة المنشودة — دولة المهدي . فأبو القاسم لم يصعد عبر محرم إلا عند ما هجم عليه إسحاق بن طريف بجيش جرار ، فقتل من أتباعه اثني عشر رجلا . يقول إدريس^(٢) : « فضاقت الأمور على أصحابه . فاجتمع إليه المشايخ من أهل الدعوة ، وسألوه حسن النظر والتدبير لهم . ففرغهم أن ذلك لا يكون إلا بحصن يلجئون إليه ويتمتعون فيه ، فعرضوا عليه حصون البلد ، فاختار منها عبر محرم » ، واحتله كما سبق أن ذكرناه .

ولا بد أن يكون أبو القاسم قد اتفق مع بنى العرجى سلاطين همدان ، أصحاب هذه البلاد ، على استعمال بعض الأماكن والحصون في بلادهم ، لأن هذا الاحتلال يبعد أن يكون قد حصل قهرا ، لأنه يتنافى مع ما كان يدعو إليه من عدم التعدى على حقوق الغير ، كما أن قوته لم تكن قد نظمت تنظيما كافيا ، وأن أصحاب هذه الجهات لم يخرجوا عليه في يوم من الأيام .

ومهما يكن من شيء ، فقد احتل أبو القاسم عبر محرم ، ثم جمع جمعا من أتباعه ، واستولى على جبل الجيمة ، ثم هاجم بيت ريب (وهو رأس مسور) ثلاث مرات ، حتى استولى عليه . فأثار ذلك حنق رؤساء الدويلات ، وأشعلوا نار الحرب في وجهه ، ولكنها كانت حربا همجية ، كان مآلها الفشل في الوقت الذى كان أبو القاسم وأتباعه يحاربون تنفيذا لمبدئهم ونصرة لإقامة دولة أهل بيت النبي .

(١) كشف ٢٨ .

(٢) عيون ٤٠/٥ .

وكانت هناك رأس مفكرة تقودهم من نصر إلى نصر . ففي سنة سبعين ومئتين امتد نفوذه كثيرا ، فتسمى « المنصور باليمن »^(١) . واستولى على جبل مسور من أعمال صنعاء اليمن ، باتفاق عمله مع مأمور الحوالى بجبل مسور . فدخل الحصن الواقع بمسور ، ومعه ثلاثة آلاف رجل ، وحصنه ودربه ، وبنى فيه دارا للهجرة ليلجأ إليها أتباعه . وأصبح هذا الجبل القاعدة الحربية التي كانت تسير منها الحملات إلى الجهات المجاورة .

فاستولى على جميع مخاليف المغرب : مغرب اليمن ؛ فأخذ بلاد عيَّان وبنى شاور^(٢) وحلان ، ثم استولى على ذخار^(٣) وملك شبام حمير^(٤) وجبلها كوكبان . وما زال يحوز المعقل ويملك مدن اليمن الجلائل ، وأقبل الناس إليه طوعا وكرها ؛ فدخل كثير من بني يعفر وملوك حمير في الدعوة طائعين وكارهين ، وقويت في أرض اليمن دعوته وعلت كلمته^(٥) . وكان هذا النصر سببا في أن استعمل الداعى الطبول والرايات ، وكان يقول : « والله ما أخذت هذا الأمر بمالى ولا بكثرة رجالى ؛ وإنما أنا داعى المهدي الذى بشر به النبي محمد صلى الله عليه وسلم » . فانتقل إليه الناس بأموالهم وأولادهم ، ودخلوا في بيعته ومذهبه^(٦) . ولم يقف نشاط أبى القاسم الحربى عند هذا الحد ، بل أرسل جيشا قويا لمساعدة على بن الفضل سنة تسع وتسعين ومئتين حين أحيط به فى مخاليف البيض^(٧) فى تهامة . وكان من أثر هذه المساعدة أن عاد ابن الفضل سالما إلى بلاده .

فتوح على بن الفضل

أما عن اتساع نفوذ على بن الفضل ، فقد هجم بجيشه على بلاد ابن أبى العلاء سلطان لحج وأبين ، بحجة أن فى ذلك جهادا لأهل المعاصى ؛ ووجد أتباعه أن فى هذا العمل فرصة لجمع الثروة ، فاندفعوا فى صفوفه لتحقيق أغراضهم .

- | | |
|------------------------------|---------------------------------|
| (١) افتتاح ٣ ؛ قره ورقة ١٢ . | (٢) تسمى الآن كحلان تاج الدين . |
| (٣) تسمى الآن ضلع كوكبان . | (٤) وهو شبام كوكبان . |
| (٥) عيون ٤١/٥ — ٤٢ . | (٦) قره ورقة ١٢ . |
| (٧) وفى رواية : البيض . | |

ثم أن ابن الفضل استغل وجود نزاع بين ابن أبي العلاء وبين كاتبه جعفر ابن إبراهيم المناخي^(١) حاكم أبيين لسيده . واتفق ابن الفضل وجعفر على قتال ابن أبي العلاء واقتسام الغنائم مناصفة . ودارت الحرب في خنفر^(٢) وكان النصر في النهاية للحليفين ، وغنم ابن الفضل من خزان ابن أبي العلاء سبعين بكرة^(٣) . وكان من أثر هذا النصر أن دخل في طاعته قبائل مذحج وغيرها ، كما كان هذا النصر خطوة لاشتباكه مع حليفه بالأمس . ذلك لأن علي بن الفضل بعد أن اقسم الغنائم في حضور العساكر والقبائل ، وسلم أحد الشطرين منها إلى سفير المناخي ، قال يخاطب الجمع : « إن جعفرا أرسل إليّ لما بيني وبينه من العهد بقسمة ما غنمت ، وقد أحضرتمكم شهوداً على تسليمه إليه ، لأنني لأرغبة لى في المال ، إنما أنا قمت لنصرة الإسلام » . ثم قال للسفير : « انصرف إلى صاحبك ليلتك ، وقل له يستعد لحربي » . وأرسل معه كتاباً إلى المناخي قال فيه : « بلغني ما أنت عليه من ظلم المسلمين ، وأخذ أموال الناس بغير حق ؛ وأنا قمت لأرد الحق لأهله ، وإن أردت إتمام ما بيني وبينك ، فردّ الظلامات إلى أهلها ، وادفع لأهل دلال دية ما قطعت من أيديهم^(٤) . وذلك أن المناخي كان قد قطع أيدي ثلاث مئة رجل من أهل دلال^(٥) على حجر بالمذيخرة . وقد يكون ابن الفضل اتخذ هذه الحادثة وسيلة لمحاربة المناخي ، أو يكون على حق فيما ادّعاه من انتصار للحق . ومهما يكن من شيء فإن الحرب دارت بين الفريقين . فأظهر ابن الفضل دراية حربية ومعرفة فائقة بأساليب الحرب ، لأنه على الرغم من هزيمته أول الأمر عاد ليلاً وهزم عدوه شر هزيمة ، ودخل المذيخرة سنة أربع وتسعين ومئتين ، ثم دخل حصن التعكر ، وتبع جعفر المناخي حتى قتله في وادي نخلة سنة ٢٩٤ . ففوى بذلك مركز ابن الفضل

(١) يقول يحيى بن الحسين (أنباء/دار ٢٠) : وهو الذي ينسب إليه خلاف جعفر ، وقد ملك جعفر هذا خمسين سنة كما ملك أبوه إبراهيم ثلاثين سنة ؛ راجع صفة ١٠٠ ؛ ولكن ابن الديبع (بقية ورقه ٩) يقول : إن خلاف جعفر ينسب إلى جعفر مولى ابن زياد ؛ كذا ورد في تاريخ ابن الجوار ١/ورقة ٥٤ . وهو الآن معروف بالعبدين والحبيش .
(٢) صفة ٥٣ ، مدينة في أبيين . (٣) البكرة بها عشرة آلاف درهم (قرة ورقه ١٢) .

(٤) كشف ٢٩ (٥) دلال بلدة في بعدان من أعمال إب .

كثيرا . فاتجه باتباعه إلى بلاد يَحْصِب^(١) ، فدخل مَنْكَتْ^(٢) وأحرقها ، ثم هجم على صنعاء ، ودخلها لأول مرة من ناحية الشهابيين^(٣) ، وذلك في سنة ثلاث وتسعين ومئتين^(٤) . وقد حاول أسعد بن أبي يعفر مرارا استرجاع صنعاء ، وبقيت المدنية مكان تجاذب ، حتى استقر له الأمر فيها سنة تسع وتسعين ومئتين^(٥) . ولم يقف طموح ابن الفضل عند هذا الحد ، بل استمر في فتوحاته ، حتى دان له معظم تهامة بعد أن استولى على زبيد ، وقتل واليها المظفر بن حاج ، الذي فقدت بغداد بقتله أكبر ممثل لها في اليمن .

نفقة المهدي بمنصور اليمن

استمر السفيران يعملان في أول الأمر لهدف واحد ، وهو بناء دولة المهدي ، حتى أصبح الجزء الأكبر من اليمن خاضعا لنفوذهما . وتمكن منصور اليمن ، كما يقول برنارد لويس^(٦) ، « عن طريق الدعوة ، ولأول مرة ، من تكوين دولة إسماعيلية في اليمن . وسر الإمام كثيرا عندما وردت إليه الهدايا من اليمن ، وقال لابنه : « هذه أول ثمرة أيامك ، وبركة دولتك » ، وتمثل بقول الشاعر :

الله أعطاك التي لا فوقها وكم أرادوا منعهما وعوقها

(١) نتوان : شمس العلوم ٤٩ ، ٩٣ ؛ والآن تعرف باسم يحصب العليا ويحصب السفلى . وهي قرية من ظفار حمير ، وفيها آثار الحميريين . والقرية معروفة بكرم أهلها ، ولا يزال يسكنها جماعة من آل الصليحي .

(٢) وهي مدينة السخطين (صفة ٥٥) .

(٣) ينسبون إلى شهاب بن عافل بن قضاة (شمس العلوم ٥٨) .

(٤) أنباء/ماضي ٤٤ — ٤٥ . (٥) سلوك/كلى ١٤٥ ؛ ولقد اختلف المؤرخون في أمر استيلاء ابن الفضل على صنعاء . فقال صاحب الأنباء/ماضي ٤٤ إن هذا الاستيلاء تم سنة ٢٩٣ . وقال الجندی (سلوك/كلى ١٤٥) : إن ابن الفضل استولى على صنعاء سنة ٢٩٩ . ونرى أن ليس هناك تناقض في هذا لأن ابن الفضل دخل صنعاء سنة ٢٩٣ ، ولكن لم يستقر أمره نهائيا فيها إلا بعد سنة ٢٩٩ .

(٦) B. Lewis : Orgins of Ismailism ص ٩٥ .

عنك ، ويأبى الله إلا سَوْفَهَا إليك حتى طَوْقُوكَ ، طَوْقَهَا^(١)
ولثقة رؤساء الدعوة بأبى القاسم لقبوه بالمنصور ، وشبهوه بفجر الدعوة الذى
مهد لشمسها بالظهور ، فقالوا فيه : « كان أبو القاسم بمثابة الفجر المتنفس ، وبه
كشف الله عز وجل عن الأولياء الغمة ، وأثار حنادس الظلمة »^(٢) .

وبدلنا على مبلغ ثقتهم به أنهم كلفوه إرسال الدعاة إلى الجهات المختلفة ،
لأنه ليس من المعقول أن يقوم أبو القاسم من تلقاء نفسه بهذا الأمر . فبعث
ابن أخيه الهيثم داعيا إلى السند حيث استجاب إليه الكثير من أهلها^(٣) ،
وأرسل أبا محمد عبد الله بن العباس داعيا إلى مصر^(٤) ، ووزع الدعاة
في سائر البلدان باليمن ، وإلى النجاة والبحرين^(٥) ، والسند والهند ، ومصر
والمغرب^(٦) . ولما أرسل الإمام داعيه أبا عبد الله الشيعي الصنعاني^(٧) إلى منصور
اليمن ، قال له : « امثل سيرته ، وانظر إلى مخارج أعماله ، ومجاري أفعاله ، فاتخذها ،
وامثلها ، فاعمل عليها »^(٨) . فأقام عنده يشهد مجالسه ، ويخرج معه في غزواته ،
لا يفارقه ، حتى بعثه إلى أرض المغرب^(٩) ، وأرسل معه ابن أبي الملاحف الذى
مالبث أن عاد لمرض والدته ، فسير مكانه إبراهيم بن إسحق الزبيدي^(١٠) . وكان
أبو القاسم قد أرسل الداعيين الحلوانى وأبا سفيان إلى بلاد المغرب من قبل . وكان
هؤلاء الدعاة ، كما يقول العيني^(١١) ، يدعون إلى محمد الحبيب والد عبيد الله ، وكان
يسمى الهادي^(١٢) ، وكان بسلمية . ولما علم أبو القاسم بوفائهما (أى الحلوانى وأبى سفيان)

(١) افتتاح ١٨ . (٢) الخطاب : غاية المواليد ٤٨ ، ٤٩ .

(٣) افتتاح ١٨ ؛ عيون ٣٨/٥ . (٤) عيون ٣٨/٥ .

(٥) وجه أبو القاسم نظره إلى النجاة ، وذلك بسبب قيام دولة بني الأخضر العلوية (ابن
حزم : أنساب العرب ٤١) ، واعتقد أن أهلها سيجوبون بالدعوة الفاطمية ، لذلك بعث إليها
الدعاة لنشر الدعوة الفاطمية (القلقشندي : صبح الأعشى ١١٩/١ — ١٢٠) .

(٦) افتتاح ١٩ .

(٧) واسمه الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا ، وكان ذا علم وعقل ودين وورع وأمانة .

ونزاهة (افتتاح ٣٢) .

(٨) افتتاح ٣٢ ؛ المنصوري : زبدة الفكرة ١٥٤/٥ .

(٩) افتتاح ٣٢ ؛ الخطاب : غاية المواليد ٤٩ ؛ عيون ٤٢/٥ .

(١٠) عيون ٥١/٥ . (١١) عقد الجمان ١٥٣/١٣ .

(١٢) انظر الباب الأول ، ص ١٤ ، هامش رقم ٤ .

قال لأبي عبد الله الشيعي : « إن أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبوسفیان ، وقد ماتا ، وليس لها غيرك ، فبادر ، فإنهما موطاة ممهدة لك » (١) .
وكان المنصور دعامة من دعائم الفاطميين ، بل كان « ملكا مسددا » ، كما وصفه الجندي (٢) ، أو قل : إن تأسيس الدولة الفاطمية قام على أكتافه ، ثم خلق من اليمن مستودعا من مستودعات الدعوة الفاطمية .

سبب امتناع المهدي عن قصد اليمن

لهذا كله استقر رأي الإمام على أن تكون هجرته إلى اليمن ، ويقول جعفر الحاجب (٣) ، وكان في صحبة المهدي حين فراره من سلمية : « وأمرنا المهدي بأخذ أهمة السفر والخروج معه ، وأظهر لنا أنه يريد اليمن » . ويؤكد القاضي النعمان المغربي (٤) أن المهدي لما وصل إلى مصر كان يأمل أن يقصد اليمن ، وأن الذين صحبوه كانوا جميعا على هذا الاعتقاد ، وأن الداعي منصور اليمن أكد لليمنيين أن المهدي سيظهر في بلادهم . ولم يثنه عن عزمه إلا انحراف علي بن الفضل الجندى عن الدعوة الفاطمية (٥) . من ذلك نرى أن الإمام كان يرغب في الذهاب إلى اليمن رغبة أكيدة ، ولكن ما قاله ابن الأثير (٦) من أنه لما شاع خبره عند الناس أيام السكتى العباسي (٢٨٩ — ٢٩٥) فهرب هو وولده أبو القاسم زار ، وخرج معه خاصته ومواليه يريد المغرب » ، وما قاله الجندي (٧) من أن الإمام لما بلغه نجاح أبي القاسم في نشر دعوة المهدي في اليمن قال : « هذه دولتك قد قامت لكن لا أحب ظهورها إلا من المغرب » ، يبعد عن الحقيقة ، لأنه من المحتمل أن يكون السبب الذي دفع الإمام لتغيير رأيه يرجع إلى ما بلغه من أبي القاسم من أخبار انحراف علي بن الفضل — لا الاستقلال علنا — عن الدعوة الفاطمية .

(١) المنصوري : زبدة الفكرة ١٥٤/٥ .

(٢) سلوك / كاي ١٤٣ . (٣) سيرة جعفر الحاجب ١١٠ : عيون ١٢٨/٥ .

(٤) افتتاح ١٣٧ ، ١٣٨ . (٥) نفسه ١٣٨ : كشف ٢٣ : اتعاظ ٦٩ .

(٦) السكامل ١٢/٨ . (٧) سلوك / كاي ١٤٢ .

وإننا نعتقد أن أبا القاسم بصفته رئيس الدعوة في اليمن كان دائماً الاتصال بالإمام ، وأنه كان يبعثه بتقارير عن أحوال الدعوة والمستجيبين من حين إلى حين . ولا بد من أنه أخبر الإمام بما وجد في ابن الفضل من إهمال في أداء واجباته ، وميله إلى الاستقلال ، وعدم امتثاله لأوامره (أبي القاسم) . وحدث هذا الانحراف عن جادة الدعوة قبل وصول الإمام إلى مصر ، مما جعله لا يرحب كثيراً بفكرة إقامة الدولة الفاطمية المنشودة في اليمن . ومن المحتمل أن يكون المهدي قد غير وجهة نظره بعد وصوله إلى مصر ، لأنه يعلم أن العباسيين كانوا جادين في طلبه ، وأنهم أرسلوا عيونهم إلى كل الجهات التي يحتمل أن يكون المهدي قد هرب إليها ، وبخاصة إلى اليمن التي فشا خبر احتمال ذهاب المهدي إليها ، كالأبعد أن يكون ما جاء في رواية سيرة جعفر الحاجب^(١) عن الداعي ابن العباس ، له الأثر في امتناع المهدي عن قصد اليمن ، فقد قال ابن العباس للنوشرى^(٢) عامل العباسيين على مصر حين سأله عن حقيقة المهدي المحتفى عنده : « أما الرجل النازل على فؤادك لا وصل إليه شيء إلا ما يصل إليّ ، لأنه رجل هاشمي شريف ، تاجر من وجوه التجار ، معروف بالفضل والعلم واليسار ، والذي أتى الرسول في طلبه قد أعطيت خبره أنه توجه إلى اليمن قبل ورود هذا الرسول بمدة طويلة » . أما ما قاله الحمادي^(٣) والقاضي النعمان^(٤) والمقرئ^(٥) من أنه لم يثنه عن عزمه في الذهاب إلى اليمن إلا خروج ابن الفضل ، فإننا نقول : إن ابن الفضل مال إلى الاستقلال قبل قيام الإمام برحلته ، ولكن خروجه كان بعد فرار فيروز^(٦) إلى اليمن . فقوى في ابن الفضل هذه

(١) سيرة جعفر الحاجب ١١٣ ؛ عيون ١٢٧/٥ .

(٢) عيسى النوشرى ، أول والى على مصر من قبل العباسيين بعد زوال الدولة الطولونية ، وكانت مدة ولايته عليها خمس سنين وشهرين ونصف (٢٩٢ — ٢٩٧) (المكندى : الولاة ٢٥٨ — ٢٦٧ ؛ المقرئ : خطط ١٢٤/٢ — ١٢٥ ؛ اتعاظ ٣١ هامش رقم ٢) .

(٣) كشف ٢٣ . (٤) افتتاح ١٣٨ . (٥) اتعاظ ٦٩ .

(٦) وهو داعى دعوة المهدي وباب أبوابه ، وقد أحزنه مسير المهدي إلى المغرب ، فقال الإمام : عجبت لرجلين من شيعتنا : أحدهما تغمه مفارقتنا ، والآخر تغمه صحبتنا ! وذلك أن الداعي أبا على المقيم بمصر رغب في الذهاب مع الإمام ، ولكن الإمام طلب منه البقاء في مصر إلى أن يتهيأ قدومه (عيون ١٢٨/٥ — ١٢٩) .

الزعة الاستقلالية ، وفي ذلك يقول إدريس : ^(١) « إن فيروز أحزنه مسير الإمام إلى الغرب ، واستبعد المسافة فتخلف بمصر ؛ ثم سار إلى اليمن ، فوصل إلى داعي اليمن أبي القاسم ، الذي أحسن لقاءه وأكرم مثواه لما كان يعرفه من القرب من الأئمة ... ، ثم أن فيروزا أراد أن يضله ويغويه فوجد نيته في ولاء الأئمة قوية ... فلما لم يجد منه حيلة توجه إلى علي بن الفضل ، فوجد منه مراده ، واستفزها الشيطان ، وصارا من أهل الطغيان والضلال ، وخرجا من جملة أهل الإيمان ؛ فظفر منصور اليمن بفيروز فقتله ، وحارب علي بن الفضل . » ولسنا نشك في أن هذا حدث بعد وصول المهدي إلى بلاد المغرب ، ويدل على ذلك ما قاله جعفر الحاجب : ^(٢) « خرج المهدي من مصر ، وخالفه فيروز قبل خروجه منها ، ومضى إلى اليمن » .

انتفاص علي ابن الفضل

أما عن علاقة علي بن الفضل بالفاطميين فإنه لما استقر باليمن ، ظل على ولائه للإمام مدة ، أظهر فيها التقشف والورع ؛ ويدلنا على ذلك ما قاله الحمادي : ^(٣) « أخذ بالنسك والعبادة ، فكان نهاره صائماً وليله قائماً ؛ فأنسوا إليه وأحبوه ، ثم إنهم قلده أمرهم ، وجعلوا حكمهم إليه ؛ فسألوه أن ينزل من ذلك الجبل ^(٤) ويسكن بينهم ، فقال : لا أفعل هذا ، ولست أسكن بين قوم جهال ضلال ، إلا أن يعطوني العهود والمواثيق ألا يشربوا الخمر ؛ ففعلوا له ذلك ، وأنهم ينكرون المنكر وينكرون على أهل المعاصي بأجمعهم » . خلفوا له على الطاعة ، وأن لا يخالفوه بما أمر ، فوعدهم خيراً . ^(٥) من هذا نرى أن ابن الفضل ظل مدة في بلاد اليمن على ولائه للفاطميين . وهذه المدة لا تقل عن عشرين سنة إذا علمنا أنه وصل إليهم سنة ٢٦٨ ، وأن خروجه علناً لم يكن إلا بعد أن استولى على المذيخرة سنة ٢٩٤ ، فأعجبه وأظهر بها مذهبه ، وجعلها مقر ملكه . واتهم المؤرخون أن ابن الفضل أحل لأصحابه شرب الخمر ونكاح البنات والأخوات ^(٦) ، كما أظهر المجوسية وكفر

(١) عيون . ١٢٩/٥ . (٢) سيرة جعفر الحاجب ١١٥ . (٣) كشف ٢٩ .

(٤) سرو يافع وهو ناحية باليمن أرضها جبلية منيعه (كشف ٢٨) .

(٥) سلوك / كافي ١٤٣ . (٦) سلوك / كافي ١٤٣ — ١٤٤ .

مما جاء به من عند الله عز وجل^(١) ، وكان إذا خاطب نوابه استهل كتيبه بعبارة :
« من بأسط الأرض وداحيها ، ومزئزل الجبال ومرسيها ، علي بن الفضل »^(٢) .
ويروى أنه لما دخل الجند خطب شاعره على منبرها ، فقال :

خَذِي الدُّفَّ ، يَا هَذِهِ ! وَالْعَبِي وغنى هزاريك^(٣) ، ثم اطرئي
تولى نَبِيَّ بَنِي هَاشِمٍ وهذا نبيّ بني يعرب
لكل نبي مَضَى شِرْعَةً وهذي شرائع هذا النبي
فقد حطَّ عَنَّا فِرَوضَ الصَّلَاةِ وحط الصيام ، ولم يتعب
ولا تطلبي السعي عند الصفا ولا زورة القبر في يثرب

وهي قصيدة طويلة^(٤) تدور حول محرمات الشريعة والاستهانة بها .
وإننا نرى أن هذه القصيدة نسبت إلى شاعر من شعراء ابن الفضل ، وقد
يجوز أن قالها شاعر من الخطائية ، كما حكاه نشوان . ولا نفيدنا المصادر التي بحث
أيدينا عن حياة ابن الفضل وأمور مملكته إلا أنه استقل من الدعوة الفاطمية ،
وخرج عن الدين الحنيف . وبالرغم من أنه كان شخصية بارزة ، وقائدا بارعا ، وحاكما
ناجحا ، ووطنيا متحمسا ، فخورا بقخطائته ، بالغ المؤرخون في اتساعهم إليه إحلال
المحارم وارتكاب الفواحش ، ولم يأتوا بأدلة تثبت اتهاماتهم ، إلا أن الحمادي^(٥) —
الذي أعداء الدعوة — لم يستطع أن يطمس الحقائق عن سياسته البارعة في السلم والحرب ،
وعن شهامته وإقدامه ، وإيفائه العهود والمواثيق ، وحمايته المظلومين ، ونصرته لمبادئ

(١) أرندونك Het Opkomst م ٣٠٢ نقلا عن سيرة الهادي لعلي بن محمد بن عبد الله
العباسي العلوي (مخطوط بالمتحف البريطاني رقم Or. 3901) . ويعتبر هذا الكتاب من الوثائق
التاريخية نظرا لأن مؤلفه كان معاصرا للهادي يحيى بن الحسين . وقد أخذنا بعض هذه المعلومات
من أرندونك مقدمة (م ١١ ، ١٢) .

(٢) الهزار : الغندليب .

(٣) سلوك / كاي ١٤٨ .

(٤) جاء بعضها في كشف ٣١ : سلوك / كاي ١٤٤ ؛ وقال نشوان الحميري
(حور ١٩٩) : وغالب الظن أن قائل هذه الأبيات من الخطائية . وهذا يدل على اختلاف
الرأي فيمن قال هذه الأبيات . ويرجح نشوان أن الشاعر كان من الخطائية ، ثم نسبت الأبيات
إلى شاعر من شعراء علي بن الفضل .
(٥) كشف ٢٩ .

الإسلام . ولم يستطع أبو القاسم منصور اليميني أن يعزله ويطرده عن الدعوة ، وهو يعلم علم اليقين ميول ابن الفضل الاستقلالية ، بل ساعده في حروبه ، وهناه على انتصاراته ، إلى أن أعلن ابن الفضل نفسه ثورته وخروجه عن الدعوة . ولا تتصور أن المجتمع اليميني يقبل رياسة ابن الفضل لمدة عشرين سنة بل أكثر ، لو كان ارتكب في أواخر عهده ، مانسب إليه من الفواحش طوال هذه المدة . وقد يجوز أنه بالغ في يمينته ، وتطرف في قحطانيته حتى تعدى حدود الإسلام ، كما فعل أبو محمد الحسن ابن أحمد الحميداني بعده بقليل . فلذلك قيل أنه لما عاد إلى المديحرة عاصمة ملكه ، ورأى أنه أضحى سيد اليميني ، عمل على التخلص من جميع المذاهب وقبورها ، فنأدى بقطع الحج ، وقال : « حجُّوا إلى الحرِّف ، واعتَمروا إلى الثلاث » . (والثلاث حصن قريب من الحرِّف) .

براءة الدعوة مما فام به ابن الفضل

فإن ابن الفضل بعد هذا ، في رأى الدعوة^(١) ، « قد نكث عهده ، واستهواه الشيطان وأضله ، ففارق الدعوة وخرج من الملة . . وافترى على الله وعلى أوليائه ، مقتديا بالمضلين من قبله ، فكانوا له شر أسوة ، واستمال الجشَّهال ، فكانوا له من الأنصار والأتباع ، فارتكب المحارم ، ومال إلى الإباحات ، أو كفر بعد إيمانه ، وباء بلعنة الله » .

ولا يمكننا أن ننسب ما قام به ابن الفضل إلى زميله منصور اليميني ، الذي ظل على ولائه للفاطميين حتى وفاته ، وكان دائم الاتصال بهم في جميع المناسبات ، فظل متمسكا بالدعوة ، ولكن نسب ما قام ابن الفضل في أواخر عهده إلى الدعوة ، وهي بريئة منه كما قال الداعي إدريس^(٢) : « وعجبا لمن ينسب إلى أهل الدعوة من أتباع الأئمة أفعاله ، وهم إلى الله وإلى أوليائه منه براء ، ولا يفعلون ما يفعل ، ولا يرون ما يرى ، قاعمون بالأعمال الشرعية من الطهارات والصوم ، مؤتون الزكاة ، حاجون بيت الله الحرام ، متولون محمدا صلى الله عليه وسلم وعليه وصيه والأئمة من

(١) عيون ٤٣/٥ .

(٢) نفسه ٤٤/٥ — ٤٥

ذريته عليهم السلام ، مجاهدون في سبيل الله ، مجتهدون ، موفون في أعمالهم وأقوالهم ، مجانبون لما حرمت الشريعة الغراء ، ملازمون لما فرض نبي الله محمد خير البرية . . . ، وهم إلى الله بريئون من ابن الفضل في دائم الأحقاب والسنين ، يلعنونه مع اللاعنين ؛ والدين الذي ندين به هو العمل بما آتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرضه على المسلمين من الفرائض ، ولا نستحل شيئاً مما حرمه الله . . . ونحن أكثر الناس بحمد الله قياماً بفرائض الإسلام حلالنا من كتاب الله وحرماننا ، لا تأتي بيدعة» هذا ما قاله الداعي إدريس رئيس الدعوة في أيامه ، فهو من غير شك دليل واضح على أن دعوة اليمن تعتبر ابن الفضل خارجاً على الإسلام . وليس من العدل أن يتهم المؤرخون^(١) طائفة كبيرة من المسلمين بالخروج على الإسلام ، لأن فرداً شاذاً قد مال إلى التطرف في ظروف سياسية خاصة أو قد يكون حاد عن سواء السبيل .

ظل ابن الفضل السياسي ينافق منصور اليمن ويخادعه ، ويقول له : «إنما أنا سيف من أسيافك» ، والمنصور يهابه ويخافه على نفسه ، لما يرى من شهامته وإقدامه^(٢) . وتحميا مع هذه السياسة أظهر المنصور فرجه ، لما فتح ابن الفضل صنعاء سنة تسع وتسعين ومئتين ، واجتمعا وتشاورا في فتوحهما . وكان المنصور حذراً ، وكان يرى أن وقف الحرب فيه مصلحة كبيرة لهما ، لأن نفوذها في البلاد التي فتحت لم يكن قد ثبت . وكان يخاف أن يدخل في حرب جديدة فتكون النتيجة خروج البلاد التي فتحت من تحت أيديهم . فقال لصاحبه : «قد ملكنا اليمن بأسره ، ولم يبق لنا إلا القليل ، فعليك بالتأني والوقوف بصنعاء سنة وأنا بشبام ، فيصلح كل واحد ما استفتح ، وبعد ذلك يكون لنا نظر ، فإنك إن خرجت من صنعاء خالف أهلها وفسد علينا ممالكنا»^(٣) . ولكن ابن الفضل حارب مخالف البياض بتهامة ، وكاد

(١) لا تتوقع العدل والإنصاف من أمثال ابن مالك الحمادي لأن كلامه عن هذه الطائفة ممتور من أوله إلى آخره ؛ والدليل على ذلك أنه يتهم أبا القاسم منصور اليمن ومن بعده الصليحي بارتكاب الفواحش وإحلال ما حرم الله . ومع هذا ، فقد وجدنا بعض المعلومات المفيدة التي استقيناهما من حديثه الممتور . وأما الجندي فرجعه ابن مالك ويفوق أستاذه أحياناً في عدائه الشديد .
(٢) كشف ٣٢ .

يقع لقمة سائغة في أيدي أعدائه ، لولا ما قدمه منصور اليمين له من مساعدة كما سبق أن ذكرنا ذلك .

الصراع بين أبي القاسم وابن الفضل

ولما تمكن نفوذ ابن الفضل وأضحى سيد اليمين أعرب عما يجيش في نفسه من رغبة ملحّة في تكوين دولة عينية مستقلة عن العباسيين والفاطميين ، كما فعل أبو سعيد الجنابي^(١) الذي كونه دولة مستقلة بالبحرين ، وكتب إلى أبي القاسم منصور اليمين قائلاً : « إن لي بأبي سعيد الجنابي أسوة ، وأنت إن لم تنزل إليّ وتدخل في طاعتي ، نابذتك الحرب »^(٢) . فكتب إليه منصور اليمين يعاتبه ، ويذكره بالعهود والمواثيق التي أخذها عليه رؤساؤه ، كما ذكره أيضاً بمخطر التفكك ، كيلا يتلاشى أمر الدعوة باليمن ؛ وقال في كتابه : « كيف تخلع طاعة من لم رخصاً إلا ببركة الدعاء إليه ، وقد أعطينا من العهود ما قد علمته »^(٣) . لكن ابن الفضل أجابه بقوله : « إنا هذه الدنيا شاة ، ومن ظفر بها افترسها »^(٤) . وتابع منصور اليمين الرسل إلى ابن الفضل يعظه ويذكره وينهاه ، ولكن هذا ما لبث أن تمادى في إنكاره ، وتناهى في إصراره^(٥) . وكان معنى ذلك بدء الصراع بين الداعيين في اليمن ، أو بعبارة أخرى بدء الصراع بين أهل الدعوة أنفسهم ، المواليين للفاطميين والخارجيين عليهم ، كما كان معنى ذلك أن يستعد أبو القاسم ، فخصّص بلاده ولا سيما جبل مسور ، وعوّل على أن يلاقى الصدمة وحده ، لأن الخليفة المهدي لم يكن قادراً في هذه الأثناء على إرسال أي مساعدة ، وقامت الحرب بين الداعيين سنة تسع وتسعين ومئتين .

فاستولى منصور اليمين على شبام حمير ، وحاصر مدينة الظلمة حيث كان ابن الفضل وأتباعه ، وقطع الميرة عنهم حتى أصابهم الجوع الشديد ، فأكلوا اللحم

(١) كان ظهوره سنة ٢٨٦ ، وقتل سنة ٣٠١ (ابن الأثير : الكامل ٦٣/٨) .
والجنابي نسبة إلى جنابة ، وهي بلدة على الخليج الفارسي (ياقوت : البلدان) .

(٢) سلوك/ كافي ١٤٦ . (٣) أنباء/ ماضي ٥٤ .

(٤) كشف : ٣٣ . (٥) عيون ٥/٧٠ .

الحير والجلود ، وأخذ يتبعهم من مكان إلى مكان ، كما رواه الداعي إدريس^(١) .
وكان بينهما بعد ذلك وقائع كثيرة وقتال شديد في أيام كثيرة ، وحمل المنصور المغرب
من ابن الفضل بفضل هذه الحروب .

ثم قوى أمر ابن الفضل وملك صنعاء^(٢) ، فتمكن هذا في النهاية من محاصرة
المنصور ثمانية أشهر حتى ملّ المقام . فلما علم بذلك المنصور طلب الصلح ، فقال
ابن الفضل : « لست أبرح ، وقد علم أهل اليمن قصدي لمحاصرته ، إلا أن يرسل إلى
بعض ولده ، فيكون ذلك لي مخرجاً عند الناس ، ويعلمون أنه قد دخل في طاعتي » .
فأرسل إليه ولده ، ودفعه بالتي هي أحسن . فرجع ابن الفضل إلى المذبحرة ، وأقام
عنده ولد المنصور سنة ، ثم رده إلى أبيه . هذا ما رواه الحمادي^(٣) ، وأيده في ذلك
الجندي^(٤) ببعض الاختلاف .

ومها يكن من أمر ، فإن هذا الصلح لم يقض على النزاع بين الطرفين ، بل
زادت هوة الخلاف اتساعاً بين أتباع الدعوة في اليمن ، ومن ثم أصبح الجميع هدفاً
لهجمات المنافسين في الحكم .

موت علي بن الفضل

من ذلك نستطيع أن نقول أن ابن الفضل إنما خرج عن طاعة منصور اليمن
مدفوعاً بتأثير داعي الدعاة فيروز ، ثم بميله هو إلى الرياسة والزعامة ليستقل باليمن ،
ولكنه لم يتمكن من التغلب على أعدائه والافراد بالزعامة . وبذلك لم تتحقق
مطامعه ، بل أخفق في تكوين دولة ثابتة الأركان . وظل كذلك حتى « أمر المهدي
رجلين من أهل دعوته وممن في حضرته ، حتى وصلا مدينة صنعاء ، ودخل أحدهما
على ابن الفضل مدّعياً بأنه طبيب ، فقصدته وسمّه ، وخرج من عنده ، وبادر بالهرب
هو وصاحبه ، ومات ابن الفضل^(٥) » . هذه رواية الداعي إدريس ، ولكن الحمادي
قال^(٦) : « إن سبب موت ابن الفضل أن رجلاً من أهل بغداد يقال إنه شريف

(٢) نفسه ٤٨/٥ .

(٤) سلوك/ كاي ١٤٦ .

(٦) كشف ٣٦ — ٣٧ .

(١) عيون ٤٧/٥ .

(٣) كشف ٣٥ — ٣٦ .

(٥) عيون ٤٩/٥ .

وصل إلى الأمير أسعد أبي بن يعفر... وقال للأمر: «تعاهدني وأعاهدك أني إذا قتلت هذا القرمطي كنت معك شريكاً فيما يصل إليك» فعاهده على ذلك ، وكان طبيباً حاذقاً؛ فخرج إلى المذبحرة ، فكان مع كبار أهل دولة القرمطي يفتح لهم العروق ويسقيهم الدواء ويعطيهم المعجونات ، حتى وصفوه للقرمطي ، بالحدق بالطب وفتح العروق ، وقالوا : إن مثلك لا يستغنى أن يكون في حضرته مثله . ثم إنه احتاج إلى إخراج الدم ، فأمره أن يفصده . فعمد إلى السم فجعله على شعر رأسه . فدخل على القرمطي فسلم عليه . فأمره أن يزرع ثيابه ويلبس غيرها . ثم أخرج الموضع ثم مصّه وعلى ابن الفضل ينظر إليه . ثم مسح برأسه فتعلق به من السم حاجته . ثم قصده وخرج من ساعته ، فركب دابته ومضى هارباً . فلما أحسّ عدوّ الله بالموت أمر بقتل الطبيب ، فلم يوجد ، فلحقوا به دون ثقل صيد^(١) بإزاء قينان^(٢) فقتلوه . وقد كرر هذه الرواية الجندی ، وزاد فيها فقال : « إن وفاته كانت ليلة الخميس منتصف ربيع الآخر سنة ٣٠٣ »^(٣) . فنستدل من الروایتين أن كلا من الفاطميين والعباسيين ينسبون إلى أنفسهم فضل إيادة ابن الفضل ودولته .

وعلى الرغم من أن المصادر التي في أيدينا قد أجمعت على أن ابن الفضل اغتيل سنة ٣٠٣^(٤) ، وأن وفاة منصور اليمن كانت سنة ٣٠٢^(٥) ، إلا أننا نستبعد صحة هذه التواريخ ؛ وقد يكون العكس أصح ، لأن ابن الفضل ، كما سبق أن ذكرنا ، كانت قوته ظاهرة وسلطته كبيرة ، وأن وفاة منصور قبله ، واختلاف أهل بيته وأتباعه فيما بينهم ، كان فيه فرصة كبيرة لابن الفضل أن يستولى على كل ما كان تحت يد منصور ؛ ولكن شيئاً من هذا لم يحدث ، مما يجعلنا نشك في أن تكون وفاة منصور اليمن حدثت قبل وفاة علي بن الفضل ، ويبرهن على إمكان

(١) معروف الآن باسم ثقل سماره .

(٢) تقع بوادي السحول .

(٣) سلوك/ كاي ١٤٩ .

(٤) كشف ٣٦ ؛ سلوك/ كاي ١٤٩ ؛ أنباء / ماضي ٦٢ .

(٥) كشف ٢٨ ؛ سلوك/ كاي ١٥٠ .

ما ذهبنا إليه ما قاله صاحب العيون^(١) من أن « الداعي أبي القاسم استقر أمره بعد قتل هذا اللعين » .

انتهاء الدولة الفاطمية الأولى باليمن

ومهما يكن من شيء ، فإن ابن الفضل قد حفر قبره بيده ، بسبب ثورته على رئيسه أبي القاسم . وقال الحمادي^(٢) : « فبعد موته تولى بعده ابنه الفأفا . فزحف الحوالى بالعسكر لحرب القرامطة ، فدخل التعكر ، ثم تقدم إلى جبل التومار ... ثم نصب المنجنيقات على المذبحرة فهدمها سنة ٣٠٤ ، ودخل على القرامطة فقتلهم ، وأخذ من الغنائم ما لا يحصى ، وسبى بنات القرمطى وكن ثلاثا ، واصطفى أسعد منهن واحدة ، (اسمها معاذة)^(٣) ، وهبها لابن أخيه قحطان ، فوئدت له عبدالله . وعبدالله بن قحطان هذا قام بالدعوة الفاطمية كما سنذكر في الباب التالى . وظل أبو حسان أسعد بن أبي يعفر يتتبع أنصار ابن الفضل فى كل البلاد ، ويقتلهم حيثما وجدوا ، ثم رجع إلى صنعاء ، وفى ذلك قال نشوان الحميرى^(٤) : « فلما مات على بن الفضل خرج الأمير أسعد بن أبي يعفر الحوالى من صنعاء فى رجب سنة ثلاث وثلاث مئة ، وحارب القرامطة ودخل المذبحرة سنة ٣٠٤ ، وقتل منهم خلقا كثيرا ، وأخذ أموالا يقصر عنها الوصف ، وسبى نساء ابن الفضل ، فوهب ابنته لابن أخيه قحطان ابن عبد الله بن يعفر ، فولدت له عبد الله بن قحطان أمير اليمن ، وأخذ ولد بن اعلى بن الفضل وجماعة من رؤساء القرامطة معه إلى صنعاء ، وأمر بهم فذبحوا جميعا ، وطرحوا أبدانهم فى بئر فى الجبابة ، وأخذت رؤسهم فبقرت ، ووجهه بها فى أربعة صناديق إلى مكة ، فنصبت هنالك أيام الموسم » .

وأما منصور اليمن فبقى إلى آخر حياته آمينا فى مهمته ، وأنه ظل على ولائه للفاطميين . ومما لا شك فيه أن حركة ابن الفضل قد أثرت كثيرا على أتباع الدعوة ، فأضعفت مركزها ونفوذها ، واضطر المنصور إزاء ذلك إلى الالتجاء إلى مسور وغيرها من الأماكن الحصينة البعيدة عن العدو إلى التستر وكتان أمره حتى وافته المنية ، بعد أن قدم دليلا آخر على صدق إخلاصه وولائه للإمام الفاطمى ، فترك إليه أمر الدعوة باليمن كما سيأتى ذكره فى الباب التالى .

(٢) كشف ٣٨ .

(١) عيون ٥٠/٥ .

(٤) حور ٢٠٠ .

(٣) الزيادة من سلوك/ كالى ١٤٩ — ١٥٠ .

الباب الثالث

الدعاة بعد منصور اليمين حتى ظهور الصليحي

(٣٠٣ - ٤٣٩)

وصية منصور اليمين لابنه الحسن وخصيصه الشاوري

كانت ثورة ابن الفضل على الدعوة من أهم العوامل التي أدت إلى ضعف الحركة الفاطمية في بلاد اليمين ، لأن أعداء الدعوة انتهزوا هذه الفرصة وحملوا على كل أنصار الدعوة حملة شعواء ؛ وزاد الحالة تعقدا خروج الحسن بن أبي القاسم منصور اليمين على الدعوة ، لأن سياسة الخليفة المهدي الفاطمي في اليمين كانت ترمي إلى توجيه الدعوة باليمين لمركز الدولة الفاطمية القوي ، ولم تعترف بوراثه الملك لبيت أبي القاسم ، الذي أخلص مؤسسه للمهدي وللأئمة من قبله إخلاصا جعله موضع إعجاب الجميع . وقد دلل أبو القاسم على ولائه في كثير من المناسبات سبق أن ذكرناها . وقبيل وفاته ضرب مثلا آخر على هذا الولاء ؛ ذلك أنه لم يعين أحدا من أبنائه لرياسة الدعوة ، بل ترك ذلك الباب مفتوحا للمهدي ، واكتفى بأن أشار إلى علو منزلة عبد الله بن عباس الشاوري لديه وتفضيله إياه ، ثم أوصى من بعده لابنه الحسن وخصيصه الشاوري ، بأن يستمر في إقامة الدعوة للخليفة الإمام المهدي وأهل بيته ، وقال في وصيته : « قد أوصيتكما بمبدأ الأمر فاحفظاه ، ولا تقطعا دعوة بني عبيد بن ميمون ، فنحن غرس من غرسهم ، ولولا ناموسهم وما دعونا به إليهم ما صار إلينا من الملك ما قد نلناه ، ولاتم لنا في الرياسة حال ، فعليكما بمكاتبة القائم منهم واستيراد الأمر منهم ، فأوصيكما بطاعة المهدي (يعني عبيد الله بن ميمون) حتى يرد أمره بولاية أحدكما ، ويكون كل واحد منكما عوننا لصاحبه » . هذا ما رواه الحمادي ^(١) ، وزاد الجندی ^(٢) فقال : « ... فإن هذا الأمر لم آخذه بكثرة مال ولا رجال ، ولم آت هذه البلاد إلا بنفسنا ، وبلغت ما لم يخف بركة المهدي الذي بشر به النبي محمد صلعم » .

(١) كشف ٣٩ .

(٢) سلوك / كاي ١٥٠ .

قيام عبد الله بن عباس بأمر الدعوة

ولما توفي المنصور، وكان الشاوري قائماً بشئون الدعوة في اليمن، أسرع فأرسل إلى المهدي في بلاد المغرب يخبره بوفاة منصور اليمن، كما أخبره بأنه يقوم بأمر الدعوة له خير قيام، ويسأله ممن يقلده هذا الأمر^(١). وفي الوقت نفسه كان الحسن بن منصور اليمن يرى أن من حقه أن يخلف أباه في تولي هذا الأمر. فلذلك وصل إلى بلاد المغرب، وقابل المهدي وطلب إليه توليته بعد أبيه، غير أن المهدي كان قبيل قدومه عليه قد أقرَّ عبد الله بن عباس الشاوري في القيام بأمر الدعوة، وبعث له بسبع رايات. فعاد الحسن إلى اليمن دون أن تتحقق رغبته^(٢). وإننا نستبعد ما قاله الجندی^(٣) من أن الشاوري أرسل كتابه إلى المهدي مع أحد أبناء المنصور^(٤)، لأن هذا يدل على سذاجة الشاوري وعدم حيطة؛ ولعل ما قاله الحمادي أقرب إلى الصواب.

سياسة المهدي في تعيين الشاوري

وفي الحق أن السياسة التي سار عليها المهدي في بلاد اليمن تختلف عن السياسة التي سار عليها مع قرامطة البحرين. فقد عزل سعيداً ووليَّ أباً طاهر بدلاً منه، وكلاهما من بيت أبي سعيد مؤسس دولة القرامطة في البحرين. وبذلك التف القرامطة جميعاً حول أبي طاهر حليف المهدي، وعزَّ على أخيه سعيد العزول أن يثور حتى لا يهدم بيته بيده. أما هنا في اليمن فإن عزل أفراد بيت المنصور الذي اجتهد في خدمة الدعوة الفاطمية منذ أن استقرت فيها، قد وضع الأمر في يد غيرهم، وحرَّ ذلك في نفوس كثير منهم، فلم يهدوا أو يستكينوا لهذه السياسة^(٥)، ونسوا أن الشاوري كان من أحق الدعاة عند منصور اليمن وأخلصهم، ونسوا أيضاً أن الدعوة ليست ميراثاً، بل كانت إقامة الشاوري بأمر الدعوة بناء على رغبة منصور اليمن.

(١) كشف ٤٠.

(٢) سلوك / كاي ١٥٠.

(٣) كشف ٤٠.

(٤) والمقصود به الحسن بن منصور الطامع في الملك.

(٥) حسن إبراهيم: عبيد الله المهدي ٢٣٧.

الشاورى من أجل دعاة منصور اليمى

ومهما يكن من أمر فإن عبد الله بن عباس الشاورى^(١) قد تولى أمر الدعوة فى اليمى ، وكان من أجل الدعاة مع منصور اليمى ؛ فقد أرسله ، كما قال إدريس^(٢) إلى مصر ، فاستقر فيها مدة هناك معلما للصبيان وداعيا ، فاستجاب لدعوته خلق كثير ، ثم عاد إلى اليمى . وزاد الجندى فقال : « .. وكان من أصحاب المنصور وخصيصا به ، وكان قد أرسله إلى المهدي برسالة وهدية ، وصار عند المهدي منه صورة ومعرفة » ، مما جعل المهدي لا يتردد فى توليته عندما علم بخبر وفاة منصور اليمى .

اغتيال الشاورى

ولكن الحسن بن منصور اليمى لم يرض بتعيين الشاورى رئيسا للدعوة ، وصار هو وإخوته يواصلونه مداراة ، وهو يكرمهم ويجلهم ولا يحجب أحدا منهم ، بل يدخلون عليه متى شاءوا ، ومع ذلك « فإن الحسن كان يضرر الشر والعداوة والحسد لابن عباس »^(٣) بسبب اغتصابه أمر الدعوة والدولة منه ، ولم يستمع لنصيحة أخيه الخبر التقي جعفر بن منصور اليمى حين قال له : « إن أمرنا إذن يتلاشى ، ويؤول ملكنا ، وتفترق هذه الدعوة ، ويذهب الناموس الذى تمسناه على الناس ، فلا تحدث نفسك بهلاكه ، فهلك »^(٤) . فلم يلتفت الحسن إلى قول أخيه وكنم السر فى نفسه ، حتى دخل على ابن عباس فى بعض الغفلات فقتله غدرًا واستولى على مابقى من دولة أبيه .

اعتناق الحسن المذهب السنى وهلاكه

ولم يكتف الحسن بما فعل ، بل نهج سياسة جرّت عليه وعلى بيته ومذهبه النكبات ، حين أعلن خروجه على الدعوة واعتناقه المذاهب السنية ، وقد ظن أن

(١) من شاور ، وهم من قدم بن قادم بن زبد بن عريب بن جشم بن حاشد بن جشم بن حبران بن نوف بن همدان .

(٢) سلوك / كاي ١٥٠ .

(٣) عيون ٣٨/٥ — ٣٩ .

(٤) كشف ٤٠ .

الأمور قد استقرت له بعد قتل الشاوري ، فجمع الرعايا من أنحاء بلاده وأشهدهم أنه رجع عما كان عليه أبوه^(١) . وكان بلاء أهل الدعوة اليمنية بالحسن عظيماً ؛ لأنه تتبع أنصاره بالأمس تبعاً لاهوادة فيه ، فأباد معظمهم وشردهم حتى لم يبق حوله إلا من لا يعرف^(٢) .

وفي الحق أن الحسن قد أخطأ بعمله هذا لأنه قضى بذلك على ما بناء أبوه ، وخسر قوة كبيرة كانت تدين بالولاء والطاعة لكل الدعاة الذين كانوا يعملون على رفع لواء دعوة المهدي . ولم ينصفه بعد ذلك من طمع في نصرته ، لأنه أصبح هو وأنصاره الذين خرجوا على الدعوة الفاطمية لقمة سائغة لأمراء المسلمين فقتلوه ، وتبعوا أبناءه وإخوته وغيرهم من الأنصار الذين ظلوا على ولائهم للدعوة ، حتى إنه لم يبق من أتباع منصور الثمين إلا من استطاع الاستتار .

هجرة جعفر بن منصور اليمن إلى المغرب

وكان من أثر سياسة الحسن الاندفاعية وعدم تقدير لعواقب الأمور ، وعدم امتثاله لنصحية العقلاء من آل بيته أن « فرَّ أخوه جعفر إلى القيروان ، فوجد الخليفة المهدي قد توفي ، وقام بعده ابنه القائم سنة ٣٢٢ »^(٣) ، وأضاف إدريس فقال : « وانتهى إلى أن بلغ مبلغاً عظيماً عند الأئمة ... وبلغ مراتب الأبواب الفاترين بعلو الدرجات »^(٤) .

مطنة جعفر عند الأئمة الفاطميين

وقد ورد في سيرة الأستاذ جوذر^(٥) ما نصه : « وكان محل جعفر بن منصور صاحب اليمن من الدولة وقربه من مولانا عليه السلام محل القرب ، ومكانه من الأستاذ المسكن الأدنى الوكيل في الدين . وكان يسكن داراً بالمنصورية بجوار على

(١) سلوك / كاي ١٥١ ؛ أبناء / دار ٣٥ ويقول إن هذا حدث سنة ٣٢١ .

(٢) سلوك / كاي ١٥١ .

(٣) نفسه ١٥١ ؛ والصواب أن هجرة جعفر كانت إلى المهديّة .

(٤) عيون / ٥٠٠ . (٥) سيرة الأستاذ جوذر / كامل حسين ١٢٦ .

ابن الجنان ، فسأله على بيع الدار فلم يفعل . ثم احتاج إلى أن اقترض دنانير ، واسترهنه الدار إلى أجل معلوم . فلما حان الأجل ولم يجد المال طالبه بالخروج من الدار ، واتصل ذلك بالأستاذ ، فرفع الخبر إلى مولانا عليه السلام ، فصرف إليه الجواب ، وهو :

« والله ، يا جوذر ! لقد كثر تعجبنا منه . وذلك أن علينا أوقفنا على الصك المكتوب عليه منذ يومين ، فقد جاءنا من ذلك خلاف ما كنا نظن به الرجاحة والكمال ، وإنه لحقوق بماناله وأضعافه إذ أقام نفسه مقام من يجعل زمامه بيد من لا رحمة له ، فإن كان إنما ذهب في طي هذا عنا مذهب التخفيف عنا في المسألة ، فمن الواجب كان عليه أن يتصور ما هو فيه ، وأن الذي كلفنا الآن أعظم من سؤال الفضل (إذ كنا لا نبخل عليه) بأضعاف هذا المال الملعون ، ولا يقيم نفسه مقام السماتة ، لئلا يتصل بالقريب والبعيد أن ولينا وابن أجل أوليائنا المسعود برضا الله ورضا مواليه السابق في الخير كل من جراه ، يكون على بابنا ، وهو عندنا في أجل الرضا ، محوفا إلى ارمهان مسكنه الذي يجاورنا فيه ، ولو كان أحسن مسكن ، هذه ورطة نحن نخرجه وننقذه منها . فلا يعد إلى مثلها . فتسلمه إلى حوله وقوته . فقرر عنده ذلك إن شاء الله . »

والواقع أن جعفرًا بعد ذهابه إلى المهديّة ظل على اتصال وثيق بالإمام الخليفة القائم بن المهدي . وقد بلغ الذروة في عهد المعز لدين الله (٣٤١ — ٣٦٥) ، وصار من أهم رجال الدعوة الذين يشار إليهم بالبنان في الفضل والزهد ، حتى برز القاضي أبي حنيفة النعمان التيمي المغربي نفسه ، الذي كان دعامته من أهم دعائم الفاطميين في القضاء والفقه الفاطمي ، وقد ذكر عنه المعز أنه : « من آتى بعشر عشر ما آتى به النعمان ضمنت له على الله الجنة ^(١) » . وهذا يدلنا على مركز النعمان وثقة المعز به .

القاضي النعمان أبو حنيفة وجعفر بن منصور البصرة

ويدلنا على ما بلغه جعفر من درجة عالية ومكانة سامية عند الخليفة الإمام

المعز ما قاله بإدريس^(١) : « من أن القاضي النعمان اعتلّ بمعلّة ، فزاره جميع الدعاة وأولياء الدولة وقوادها . . . ولما زالت علته أتى إلى الإمام المعز فسأله عنّ زاره ، فقال : كلهم زارني إلا جعفر ابن منصور ، فأخذ أمير المؤمنين في حديثه ، ثم أمر بكتب فأحضرت إليه . ففتح كتاباً منها ، وقال للنعمان : انظر في هذا الكتاب . فلما تصفحه قال الإمام . ما تقول في هذا ؟ قال : ما عسى أن أقول في قولكم . فقال الإمام : هذا تأليف مولاي جعفر ، إعلما له بعالي فضله وبيانا لسامى محله . فلما خرج النعمان . . . قصد دار جعفر . . . ولما رأى النعمان جعفرا لم يتالك أن وقع على رجليه يقبلهما اعترافاً له بالفضل » .

وقد يتبادر لذهن القارئ لأول وهله أن مثل هذا قد يبعد عن الحقيقة لما للقاضي النعمان من مركز جليل في الدولة والدعوة ، فلا يعقل أن يقبل رجل على جعفر . ويخيل إلينا أن القاضي النعمان كانت شهرته تتعلق بعالم الظاهر ، فهو وإن كان قاضي القضاة ومؤلف كتب الفقه الفاطمي وكتب الأخبار الكثيرة^(٢) ، إلا أنه لم يكن بعد قد بلغ مرتبة جعفر ودرجته ، لأن جعفرا كان يعتبر حجة في علوم التأويل ؛ وقد سلك بذلك مسلكا خاصا في تطور الآداب الفاطمية التأويلية ، مما جعله في نظر المعز سيد العلماء والفقهاء^(٣) .

إبراهيم السباعي برعى الأمر

وقد استمر ظلم الحسن والمرتبدين لأهل الدعوة إلى أن خرج إلى عبر محرم حيث لقي حتفه . وقد ذكر الحمادي^(٤) أن الحسن^(٥) خرج من مسنور إلى عبر محرم^(٦) ، وفيه يومئذ رجل من بني العرجي^(٧) . واستخلف الحسن على

(١) نفسه ٣٩/٦ . (٢) انظر الباب التاسع من هذا الكتاب .

(٣) وقد ذكرنا مؤلفاته في الباب التاسع .

(٤) كشف ٤١ ؛ وقد وردت هذه الحوادث في الجندی ببعض الاختلاف .

(٥) اسمه سلوك / كاي ١٥٠ « الحسن » كما جاء في عيون ١/٧ أبناء / دار ٣٤ ، ولكن

الحمادي يذكر بكنية « أبي الحسن » وفي ذلك تحريف .

(٦) رواية سلوك / كاي ١٥١ : « عين محرم » .

(٧) سلوك / كاي ١٥١ : بني العرجاء سلاطين تلك الناحية . وفي عيون ١/٧ : هم من

قدم بن قادم بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد بن جشم بن حبران بن نوف بن همدان .

مسور رجلا يقال له إبراهيم بن عبد الحميد السباعي الشيعي^(١) وهو جد المتاب .
فوثب ابن العرجي على الحسن فقتله^(٢) ، فلما انتهى الخبر إلى إبراهيم
ابن عبد الحميد لزم مسورا وادعى الأمر لنفسه ، وأخرج أولاد المنصور وحريمه من
مسور إلى جبل بنى عشب^(٣) ؛ فوثب عليه المسلمون من أهل المغرب ، فقتلوه
الصغير منهم والكبير وسبوا حريمهم ... واتفق إبراهيم مع ابن العرجي واقتسما
المغرب بينهما نصفين لكل واحد منهما ما يليه .

وقد أعلن إبراهيم بعد ذلك للملأ خروجه على الدعوة ، وبنى مسجدا في بيت
ريب ، ونصب منبرا وخطب لبني العباس ، وأعاد بهله هذا ما فقد العباسيون
من نفوذ في تلك البلاد منذ أمد طويل . ثم إن إبراهيم لم تأخذه في أهل الدعوة رافة
ولا راحة ، بل ظل ، كما قال الحمادي : « يتبع القرامطة ، يقتلهم ويسبي ذراريهم » .

الداعي ابن أبي الطفيل

فبق من أهل الدعوة ، قليل في ناحية جبل مسور فقام يوسف بن موسى بن
أبي الطفيل بأمر الدعوة بعد وفاة الداعي عبد الله بن عباس الشاوري في عهد
المعز لدين الله ، فسمع به إبراهيم ، ففرج إليه فقتله ؛ ونفرك من بقي من أصحابه
إلى نواحي عمان وقطابة ، وانكم أمرهم عن إبراهيم^(٤) .

وبقيت زعامة الدعوة في اليمن في غير بيت منصور ، وذلك لأننا لا نعرف
من بقي منهم غير جعفر بن منصور الذي سبق أن تكلمنا عنه^(٥) . وأمعن من

(١) كشف ٤١ ؛ كان أبوه من قدم من حمير ورئيس أهل قدم ومن كبار قواد المنصور
وقد قتل في خلاف البياض وجاء اسم أبيه في أبناء/ماضي ٦١ ، ٦٤ « عبد الحميد بن محمد بن
الحجاج المسوري » . وفي سلوك/كأي ١٥١ قال : هو جد بني المتاب الذي إليه ينسب مسور ،
فيقال « المتاب » .

(٢) ورد في أبناء/دار ٣٤ أن هذا قد حدث سنة ٣٣٦ .

(٣) في سلوك/كأي ١٥١ ؛ « جبل الحسب » ، وصحها « كأي » فقال : « جبل بنى
أعشب » . وفي أبناء/دار ٣٥ : « جبل بنى عشب » ؛ والصواب « جبل بنى عشب » ، وذلك لأن
المكان مشهور ومعروف باليمن الآن بهذا الاسم وهو بالقرب من كحلان عفار .

(٤) عيون ١/٧ ؛ كشف ١٤١ ؛ نزهة ٣٣/١ ؛ وذكر الهمداني قطابة في
صفة ٦٩ ، ١١٢ .

(٥) قال الحمادي (كشف ٤١) : « ولم يبق للمنصور عقب يعرف » .

بقي من أتباع الدعوة في التخفي والتستر، ويظهر أنهم كانوا على اتصال مستمر بمركز الخلافة الفاطمية وقد قاسوا في هذه الحنة أصناف الاضطهاد من الأعداء .

الرعاة بعد ابن أبي الطفيل

وفام بعد ابن أبي الطفيل جعفر بن أحمد بن عباس^(١) . واستخلف بعده الداعي عبد الله بن محمد بن بشر من وادي قطابة من قُدم^(٢) ، وقد أقام هذا الدعوة إلى العزيز بالله^(٣) . ولما توفي هذا الداعي خلفه في الدعوة محمد بن أحمد بن العباس الشاوري من قُدم^(٤) .

هارون بن محمد بن رميم

ثم قام هارون بن محمد بن رميم من قدم بعد ذلك بالدعوة للخليفة الإمام العزيز بالله ، ثم لابنه الحاكم بأمر الله ، وكان يكاتب الأئمة الفاطميين أولاد المهدي في القيروان وفي مصر قبل أن يتولى رئاسة الدعوة^(٥) . وقد عثرنا على نص سجل من الخليفة الحاكم إلى الداعي هارون مؤرخ في ذي القعدة سنة ٣٩١ ، جاء به صاحب العيون^(٦) ، ومنه تبين أن الخليفة قد عهد إلى داعيه هارون في اليمن بوجوب اتباع سنة رسول الله واتباع ما جاء في كتاب الدعائم للقاضي النعمان المغربي ، كما عهد إليه ببعض الأعمال الأخرى . وكان الداعي لا يستقر في مكان واحد خوفاً من المنتاب بن إبراهيم بن عبد الحميد السباعي ومن عامة الناس .

تأييد الأمير عبد الله بن قحطان للدعوة

وفي أيام الداعي هارون ظهر الأمير عبد الله بن قحطان بن يعفر بصنعاء ،

(١) حاشية العيون ١/٧ ؛ وفي رواية : يعفر ؛ وأغلب الظن أنه ابن أخي الداعي عبد الله بن العباس الشاوري .

(٢) نفسه ٢/٧ . (٣) نفسه ١/٧ . (٤) نفسه ١/٧ .

(٥) سلوك / كافي ١٥٢ .

(٦) ٢٧١/٦ — ٢٧٢ ؛ نقلنا نص هذا السجل في الملحق رقم ١ .

فلاقت الدعوة في اليمن في أيامه بعض الرواج لأن الأمير عبد الله بن قحطان قد قام بالدعوة للخليفة العزيز في سنة ٢٧٩ ؛ وبعد أن تم له فتح تهامة دخل زبيد حاضرة بني زياد وأمر بقطع الخطبة للخليفة العباسي في البلاد التي دخلت تحت يده ، ودعا للخليفة العزيز الفاطمي ، واستمر الحال على هذا حتى توفي سنة ٣٨٧ هـ في عهد الخليفة الحاكم . ولعل هذا العمل من قبل عبد الله بن قحطان يعتبر من ناحية من العوامل التي ساعدت الدعوة على أن تستعيد بعض قوتها في اليمن ، وبعد ما حاق بها من محن ، كما يعتبر من ناحية أخرى من الأسباب التي أدت إلى ضعف النفوذ العباسي إلى حد ما ، ونشاط دعاة الفاطميين ، لانصراف أمراء اليمن عن مقاومة هذا النشاط بسبب التنافس والتنازع فيما بينهم . وكان الأمير عبد الله بن قحطان هذا هو ابن معاذة بنت علي بن الفضل الجدني^(١) ، فلا يبعد أن يكون هذا الأمير رغب في أن لا يعيد سياسة جده ، ويحسن علاقته مع الفاطميين بعد ما رأى ما أدت إليه سياسة الخروج عليهم من تفكك واضمحلال كاد يودي بالدعوة وأهلها .

يوسف بن أحمد بن الأشج

ومهما يكن من أمر ، فإن الداعي هارون بن رحيمة خلفه في الدعوة بعد وفاته ، يوسف بن أحمد بن الأشج^(٢) من أهل شبام حمير ، وكان يدعو سرا إلى الخليفة الحاكم . ولم تذكر المراجع التي في أيدينا شيئا عن نشاطه .

سليمان بن عبد الله الزوامي

ولما توفي الداعي يوسف هذا استخلف سليمان بن عبد الله بن عامر الزوامي

(١) سلوك / كاي ؛ انظر الباب الثاني ص ٤٨ .

(٢) هكذا ورد اسمه في العيون ، ورواية التزهمة ٣٣/١ « يوسف بن أحمد بن الأشج » .

وقال صاحب الكشف ٤٢ : إن اسمه « يوسف بن الأشج » ؛ ولكن صاحب السلوك ١٥٢

قال : إن اسمه « ابن الأشج » ؛ وبهجها (كاي) نقلا عن القرة « بالأسد » . وهذا كله

تحريف وتصحيف ، والذي ذكره إدريس في العيون قد اتبعناه .

من حمير من ضلع شبام، وكان مقامه في حصن كوكبان^(١). وقد دعا هذا إلى الحاكم والمظاهر. وكان كثير المال عظيم الجاه وكما هم أحد من الناس بقتله رذّة بقوله: «أنا رجل مسلم (أقول لا إله إلا الله) كيف يحل لكم دمي، وأخذ مالي فيمسكون عنه»^(٢).

وقبل أن يتوفى سليمان الزواحي أوصى بكتبه وأمواله الكثيرة إلى علي بن محمد الصليحي، الذي قام بأمر الدعوة باليمن من بعده.

قائمة أسماء الدعاة

من ذلك نرى أن الحقبة التي تقع بين موت منصور اليمن وظهور علي بن محمد الصليحي (٣٠٣ — ٤٣٩) تعتبر حقبة مظلمة في تاريخ الدعوة الفاطمية في اليمن. وقد استقيننا معلوماتنا عن هذه الحقبة من كتاب الكشف لابن مالك الحمادي، والسلوك للبهاء الجندی، وعيون الأخبار ونزهة الأفكار للداعي إدريس، وإن كان ماورد في هذه المراجع عن هذا الموضوع لم يشف الغلة، لأنهم اقتصروا في كتاباتهم على سرد أسماء الدعاة، ولم يذكروا شيئاً عن نشاطهم الديني والسياسي. وهاك أسماء هؤلاء الدعاة كما أوردها الحمادي والجندی وإدريس عماد الدين:

(١) قال إدريس (عيون ٢/٧): «حصن كوكبان من الحصون القديمة البناء، وكانت مدينة شبام حمير لصاحب كوكبان، وهي من مدائن اليمن القديم عهداً، الحسن مرآها، الكثير جندها، وهي اليوم قد خربت ولم يبق منها إلا قليل، وفيها مسجد حسن جامع، وجدد الزواحي دار الخراطم في كوكبان؛ وجعلها مقره في ذلك الأوان. وفي ذلك يقول بعض الشعراء في مدح السلطان علي بن حاتم بن أحمد بن عمران الياي لما ملك كوكبان في قصيدته:

أشرفت حجرة الصباح وقالت هكدا كنت حجرة للصباح
ورأى مجلس الخراطم ملكا ما رآه إلا بعصر الزواحي»

(٢) كشف ٤٢؛ والزيادة التي بين القوسين من سلوك / كاي ١٥٢.

الحماي : كشف ٢٢ و ٣٩ — ٤٢	الجندي : سلوك / كاي ١٥٤ — ١٣٩	إدريس عماد الدين : عيون ١/٧ — ٢ ونزهة ١/٣٢ — ٣٣	ملاحظات
١ أبو القاسم المنصور الحسن بن زاذان من أهل الكوفة من ولد عقيل بن أبي طالب .	منصور بن زاذان بن حوشب بن الفرج بن المبارك من ولد عقيل بن أبي طالب .	أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب منصور اليمن .	قدم إلى اليمن سنة ٢٦٨ وبقي قائما بها حتى توفي سنة ٣٠٣ في خلافة المهدي بالله . وفي الحور ١٩٧ : أبو القاسم أبو الحسن بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفي . وجاء اسمه كاملا في افتتاح ٢ : أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفي . وسمى المنصور باليمن صاحب دعوة اليمن .
٢ عبد الله بن عباس الشاوري ، قتله أبو الحسن بن منصور غيلة .	عبد الله بن العباس الشاوري ، كان خصما منصور اليمن ، وكان قد قدم على المهدي برسالة المنصور . قتله الحسن بن المنصور في بعض الغفلات .	عبد الله بن العباس أرسله منصور اليمن أيام حياته إلى مصر لمهام الدعوة .	ذكر صاحب الأنباء / دار ٢٤ أنه قتل سنة ٣٣٦ . وعلى ذلك يكون قد توفي في عهد الخليفة المنصور الفاطمي .
٣ ابن الطفيل قتله إبراهيم بن عبد الحديد السباعي وهو جد بني المتتاب .	في رواية : ابن الطفيل قتله إبراهيم [بن عبد الحديد (الحمد)] .	يوسف بن موسى بن ابن الطفيل ؛ ورواية الزهوة : يوسف بن أبي الطفيل .	تولى رئاسة الدعوة باليمن في عهد الخليفة المعز الفاطمي .
٤		جعفر بن أحمد بن عباس .	لم يرد اسمه في الزهوة ، ولكن اسمه ذكر في حاشية العيون ١/٧ وأغلب الظن أنه ابن أخي عبد الله ابن عباس الشاوري .
٥		عبد الله بن محمد ابن بشر من وادي قطاية من قدم قام داعيا إلى الإمام العزير بالله بن المعز لدين الله	

المجاهدى :	الجندي :	إدريس عماد الدين :	ملاحظات
كشف ٢٢ و ٣٩ — ٤٢	ساوك / كاي ١٣٩ — ١٥٤	عبون ١/٧ — ٢ وزهرة ١/٣٢ — ٣٣	
٦		محمد بن أحمد بن العباس من شاور، وهم من قدم بن قادم بن زيد ابن عريب بن جشم ابن حيوان بن نوف ابن همدان، قاله ابن ماكولا في إكماله.	الظاهر أنه أخو جعفر بن أحمد بن العباس الشاوري (٤) ولعله كان قائما بالدعوة اليمينية في عهد العزيز
٧	ابن رحيم في أيام المنتاب، يكتب بى عبيد بعد خروج المغز من القيروان إلى مصر؛ يكتب المغز ومن بعده.	ابن رحيم، وكان يسكن أولاد المهدي إلى القيروان وإلى مصر، وفي أيامه قدم المغز إلى مصر وأبني القاهرة.	وكان الخليفة الحاكم الفاطمي أرسل إليه سجلا سنة ٣٩١ والسجل ورد في العيون ١٨٦/٦. انظر الملحق رقم ١. لعله أدرك عهد المغز والعزيز والحاكم ولكنه تولى رئاسة الدعوة في عهد العزيز وتوفي في عهد الحاكم.
٨	يوسف بن الأشج من أهل شبام حمير، كان يدعو إلى الحاكم ويبيع له على وجه السر.	يوسف بن أحمد بن الأشج من حمير من مدينة شبام حمير، وحاشية العيون : يوسف ابن محمد بن الأشج. ورواية الزهرة : يوسف بن أحمد ابن الأشج.	تولى رئاسة الدعوة في عهد الحاكم.
٩	سليمان بن عبد الله الزواحي من حمير من ضلع شبام من الحفن، فأقام يدعو إلى الحاكم وإلى المستنصر	سليمان بن عبد الله ابن عامر الزواحي من حمير، وكان له حصن كوكبان.	تولى رئاسة الدعوة في عهد الحاكم والظاهر.
١٠	علي بن محمد الصليحي من الأخروج وهو سبع من أسباع حراز.	علي بن محمد الصليحي قام بالدعوة إلى الإمام الظاهر ثم إلى المستنصر.	انظر الباب الرابع

وقد اعتمدنا على رواية إدريس في أسماء الدعاة ، لأنه ذكر هذه الأسماء كاملة ، مما يدل على أنه كان أكثر إلما من غيره في هذه الناحية ؛ ولا غرو ، فإنه من الدعاة الذين حصلوا على تراث الدعوة ، ومنه وقف على حقيقة هذه الأسماء . ومع ذلك لم يترك لنا إلا مجرد هذه الأسماء ولا نعرف عن تاريخ هؤلاء الدعاة إلا قليلاً ، ولم يذكر ما حدث من الخلاف بين الحسن بن منصور اليميني والداعي عبد الله بن العباس الشاوري .

كيف احتفظت الدعوة بكيانها في فترة المحنة ؟

وزر في الختام أن بعض الأفراد والجماعات استمرت على تمسكها بالدعوة برغم الصعوبات التي حاقّت بهم ، وساعد على بقائهم طبيعة بلاد اليمن الجبلية الوعرة ، حيث كانوا يتخذون من الحصون العالية النائية وسيلة للتستر والبعد ما أمكن عن أعدائهم ، كما أن الاضطهاد الذي لاقوه بسبب عقيدتهم كانت من أهم الأسباب التي حملت هؤلاء على التعاضد والمبالغة في التستر ، كما ساعدت رئاسة الدعوة في القاهرة على تغذية هذه المنظمة السرية باليمن بكتب الدعوة ، كما يتضح ذلك من سجل الإمام الحاكم إلى داعيه هارون^(١) ، ومن الكتب التي تركها الزواحي لعل الصليحي .

والنتيجة التي يمكن أن نستخلصها هي أن الأحوال في اليمن كانت مواتية جداً لظهور شخصية قوية تجمع شمل هذا التفكك والانحلال تحت لواء واحد ، وتربط هذه الجماعات والقبائل والدويلات المتنافرة المتباغضة برباط متين يدين الجميع بعيش في ظل دولة موحدة قوية . وكانت هذه الشخصية المنشودة هي شخصية علي بن محمد الصليحي ، الذي أخذ يدعو في اليمن بعد أن تشبعت نفسه بتعاليم شيخه الزواحي .

(١) عيون ٢٧١/٦ — ٢٧٢ ؛ الملحق رقم ١ .

الباب الرابع

عهد الملك علي بن محمد الصليحي

(٤٣٩ - ٤٥٩ هـ)

حالة اليمن فيبل ظهور الصليحي

كانت اليمن في الربع الأول من القرن الخامس الهجري تنحدر بخطا واسعة نحو التدهور والتفكك؛ وذلك بسبب استيلاء الموالي واستبدادهم بالحكم في الأقاليم؛ فعلى الرغم من أن الحسين بن سلامة^(١) تمكن من المحافظة على دولة بني زياد مدة ولايته، فإن استبداد الموالي من الحبشة بالحكم مكّنهم من تأسيس الدولة النجاشية^(٢) في زيد سنة اثنتي عشرة وأربع مئة على انقراض دولة بني زياد. وكانت لها التهايم وزيد وأعمالها. وكان الاستيلاء من قبل الأحباش سببا قويا في أن العرب تحفزوا، ودفعتهم الحمية إلى عدم الخضوع للعبيد، فتقطعت أوصال البلاد بعد موت الحسين بن سلامة، وتغلب الأمراء على جميع الجهات.

فكان لخلاف جعفر بحصونه ومخلاف المعافر بحصونه ومخلاف الجند وحصن السمدان^(٣) لآل الكرندى^(٤)، وكانت لهم مكارم ومفاخر وساطنة ظاهرة.

(١) هو وصيف لرشيد مولى أبي الجيش ووصى على ابنه، وكان حسين من أولاد النوبة نسب إلى أمه سلامة. وقد اهتم رشيد بتربيته وله مآثر كبيرة في بلاد اليمن (أنباء/دار ٣٦).
(٢) تنسب إلى نجاح الذي كان وصيفا للحسين بن سلامة، أسسها سنة ٤١٢ هـ، ولم يزل ملكا لها حتى مات سنة ٤٥٢ هـ بالكدراء.

(٣) مخلاف جعفر من مدنه جبلة وإب والعدين والمذخر وذى سقال؛ ومن مخلاف المعافر نغز وجبا؛ ومخلاف الجند يشمل مخلاف جعفر ومخلاف المعافر؛ والسمدان في بلاد المعافر، والمعافر تعرف الآن باسم الحجريّة؛ والحصن موجود معروف الآن، وكان لبني الكرندى إلى أن ملكه الصليحي.

(٤) وهم من أولاد الأبيض بن حمال الدين السبئي الذي كان الرسول (س) قد ولاء جبل الملح.

فأزالهم عنها بنو الصليحي (١).

وأما عدن وأبين ولحج وحضر موت والشحر فقد استولى عليها بنو معن سنة ٤١٢ بعد موت الحسين بن سلامة ، وظلت خاضعة لهم حتى استولى عليها علي بن محمد الصليحي (٢) ، فأبقاهم عليها وأخذ منهم جزية سنوية .

وتغلب أسعد بن وائل على مخلاف وحاظلة وأهم مدنه شاطح (٣) . وامتلك بنو عبد الواحد مخلاف يربوع وأهم مدنه الغممد وبرع (٤) وحصن مسار . واستولى بنو أصبح وهم قوم الفقيه مالك الأصبحي على حصون حب (٥) والشعر (٦) والسحول (٧) . وتغلب على حصن وصاب (٨) ومخاليقها قوم من بكيل ثم من همدان .

من هذا نرى أن بلاد اليمن لم تسكن بها وحدة سياسية تجمع شمل البلاد تحت لواء واحد ، بل كانت السلطة موزعة بين الأمراء والرعاة المتباغضين المتنافرين ، الذين لم يرتبطوا ببنفاد إلا برباط واحد هو إقامة الخطبة وضرب السكة باسم الخليفة . ويعتبر ما ذكره صاحب الأنباء (٩) أصدق تمثيل للحالة في اليمن قبيل ظهور الصليحيين حيث قال : « ... من سنة ٤٠٥ إلى سنة ٤٤٨ عم الخراب صنعاء وغيرها من بلاد اليمن لسكرة الخلاف والنزاع وعدم اجتماع المملكة الواحدة وأظلم اليمن وكثر خرابه وفسدت أحواله وكانت صنعاء وأعمالها كالخرقة ، لها في كل سنة أو شهر سلطان غالب عليها ، حتى ضعف أهلها وانتقلوا إلى كل ناحية . وتوالى عليها الخراب وقلّت العمارة في هذه المدة حتى أصبح عدد دورها ألف دار

(١) عمارة / كاي ١٢ . (٢) رسائل القمي ٢١ .

(٣) من حصونه دھوان وبفرز والشعر والحضراء (عمارة / كاي ١٣) .

(٤) اسم يطلق على قرية أو واد (صفة ٩٦ ، ٩٧) ، أو يطلق على جبل برع (نفسه ٧٢ ،

١٠٣ ، ١٢٥) .

(٥) وجب حصن منبع يقع في جبل بعدان .

(٦) مخلاف الشعر من ناحية النادرة متصل ببعدان شرقا .

(٧) السحول مخلاف من ناحية المخادر متصل ببعدان غربا .

(٨) وصاب مخلاف واسع في شرقي زبيد . (٩) أنباء / دار ٢٧ - ٢٨

بعد أن كانت مئة ألف دار في عهد الرشيد ... إلا أن صنعاء تراجعت بعض التراجع في زمن الصليحيين لما اجتمع لهم ملوك اليمن .

فهذه العبارة فضلا عن أنها تصوّر لنا سوء الحالة في هذه الفترة في اليمن ، تعتبر شهادة لا بأس بها لأعمال الصليحي فيها ، وخصوصا أنها من مؤرخ لم يكن صديقا له .

نساء الصليحي :

في هذا الجوّ السياسي المضطرب ، وفي تلك الأحوال السياسية غير المستقرة ظهر أبو الحسن علي بن محمد بن علي الصليحي ، وهو ينسب إلى قبيلة الأصالوح من بلاد حراز^(١) . وذكر أبو محمد الهمداني^(٢) قبل ظهور الصليحي بقرن تقريبا أن آل الصليحي من بني عبيد بن أوام بيت الأخرج^(٣) ، ووصفهم بأنهم أنجاد كرماء . وكان علي الصليحي ، كما قال ابن الجوزي^(٤) : « شابا أشقر اللحية أزرق العينين ، وليس في اليمن من يماثله في ذلك » . وكان أبوه القاضي محمد سنيا ، شافعي المذهب ، حسن السيرة ، مطاعا في أهله وجماعته ، ولا يخرجون عن أمره^(٥) . ويدل على ذلك ما قاله عمارة^(٦) : « من أن أهل حراز كانوا أربعين ألفا يدينون له بالطاعة » . وكانت

(١) قيل : وآل الصليحي من بني عبيد بن أوام بن حجور بن أسلم بن عليان بن زيد بن عريب بن جشم الأوسط بن حاشد بن جشم الأكبر بن حبران بن نوف بن همدان بن مالك بن زيد ابن أوسله بن ربيعة بن الحيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ابن هود . ويتلقى الهمدانيون والصليحيون عند جشم الأوسط .

(٢) لإكليل ٩٩/١٠ .

(٣) وقال أبو محمد في صفة ١٠٦ عند كلامه على خلاف حضور : « ويتصل بها - أي بإسافة حضور - بلد الأخرج بن العوث بن سعد . ويقال نسب البلد إلى خروجة من همدان . والأخرج بين حضور وهو زن ... ويولد الأخرج اليوم الصليحيون من همدان » ؛ راجع أيضا لإكليل ٩٩ / ١٠ ، وتعليق محب الدين الخطيب . وقال لنا القاضي محمد الحجري : إنه في البلاد التي تسمى الآن بلاد الحيمة ما بين حضور وحراز ، وفيها حصن يناع الذي كان يسكنها القاضي محمد الصليحي .

(٤) مرآة الزمان ١/٢ ورقة ٨٨ ب ، ولا يؤيده أحد من المؤرخين اليمنيين في هذا الوصف .

(٥) كفاية ٤٧ . (٦) عمارة / كاي ١٤ .

القرية التي يقيم بها القاضي محمد ، تسمى قَتر من أعمال حراز^(١) ، فنشأ ابنه على طريقته في بدايته .

نشأ نشأة طيبة في بيئة عربية حرّة ، لها تقاليدها في الأخلاق الفاضلة وعلوم الإسلام وفنون العربية . ونعرف مما روى عن نشأته وأحواله في شبابه أنه لوحظ عليه مخايل النجابة^(٢) ودلائل الفضائل^(٣) وطموح النفس ، وأن « الأحوال تنمّت به في مبادئ عمره من خفض إلى رفع ، ومن ضرّ إلى نفع »^(٤) .

ويروى أنه أقام بحجّ دليلاً بالناس على طريق السّراة^(٥) والطائف خمس عشرة سنة ، وأن الناس في أول ظهوره كانوا يقولون له : قد بلغنا أنك ستملك اليمن بأسره ، ويكون لك شأن ودولة ، فيكره ذلك وينكره على قائله ، مع كونه أمراً قد شاع في أقواله بأفواه الناس الخاصّة والعامة^(٦) .

مغامرة الأمير الشاب وشهادة الملك في مجلس القاضي

وكان الصليحي في أيام شبابه قد نزل إلى مدينة حَيْس لاستطلاع خبر عبدَى مرجان — نفيس وبجاح ، فرّ عليه بعض من يعرفه ، فتجرّد عن ثيابه ، ولبس ثياب السلاط يبيع السليط في معصرة من معاصر حَيْس . وتحمل شهادة في منزل رجل يقال له السبخة . فلما ملك الصليحي مدينة زبيد وقف له عجوز بخطه ، فعرفه . فركب إلى مجلس القاضي ، وأدّى عنه شهادة كان يحملها في صباه ، ثمّ تحدّث مع القاضي سرّاً ، وافترقا . هذه القصة — كما رواها عمارة^(٧) —

(١) عيون ٢/٧ . (٢) أنباء / دار ٣٨ ؛ كفاية ٤٧ . (٣) عيون ٣٨/٧ .

(٤) عمارة / كاي ١٥ ؛ كفاية ٤٧ .

(٥) جبل السراة هو أعظم جبال العرب أقبل من قرة اليمن حتى بلغ أطراف بوادي الشام (صفة ٤٨) .

(٦) عمارة / كاي ١٧ ؛ كفاية ١٧ .

(٧) عمارة / كاي ١٦ — ١٧ . وكذا رواها إدريس في عيون ٧/١٥ — ١٦ نقلًا

عن صاحب المفيد في أخبار زيد . وقد علق إدريس على هذه الرواية وقال : ولم ينكر الداعي على بن محمد على أحد مذهبا من مذاهب فرق الإسلام على تشعبها ، بل أقر كل أمرى على ما كان عليه . وكان يرفع أهل العلم وذوى الديانة والفضل من أهل مذهبه وغيرهم . وكانت له سيرة عادلة وأخلاق فاضلة رواها الحناس والعالم ... تدل على حسن مذهبه وفضل أدبه ... ولم يحجد ذلك إلا مكابر مشبه ليضل الأوباش من أمثاله ... الخ .

تتضمن معاني سامية من اقتحام الأمير الشاب المغامر في المخاوف وشجاعته ، ثم تواضع الملك الفاتح في أوج عزّه وسؤدده ، وخضوع السلطان واستسلامه للقانون ، واحترامه لقداسة القضاء . ولا يخفى أن الصليحي أبقى القضية بعد فتح تهامة في مناصبهم العالية مراعاة لأحوال رعاياه السنيين .

زواج الصليحي من السيدة أسماء

وأحب الأمير الشاب ابنة عمّه السيدة الحرة الصليحية أسماء بنت شهاب^(١) . حدثنا عمارة عن القاضي عمر بن الرجل الحنفي^(٢) قصة زواجه من أسماء ، وقال : « كان على باب زبيد من داخل السور دار رجل من الحبشة ، يقال له فرج السحري ، وكان من أهل المعروف والصدقات الواسعة . وكان من نزل بمسجده أكرمه وأواه ، ويتفكّر ويدخل المسجد يتجسّس أخبار الضيوف سرّاً من وكلائه وخدمه . فخرج ذات ليلة ، فظفر برجل يقرأ القرآن ، فسأله عن العشاء ، فأنشد قول المتنبي :

من علم الأسود المخصى مكرمة أعمامه البيض أو أخواله الصيد

فأخذه الحبشي ، وطلع به إلى أعلى مكان في داره ، وأكرم مثواه ، واستخبره عن سبب قدومه إلى تهامة . قال الصليحي : إن لي عمّاً يقال له شهاب ، وله ابنة يقال لها أسماء ، قليلة النظير في الجمال ، معدومة المثل في الأدب والعقل ، وخطبتها إليه ، فأشطّ عليّ في مهرها ، وأتمها تقول : لا تزوجها إلاّ لبعض ملوك همدان بصنعاء أو ملوك بني السكندى بمخلاف جعفر . وقد استأموا عليّ من المال مبلغاً لا قدرة لي عليه . وأنا متوجّه إمّا إلى بني معن بعدن ، وإمّا إلى بني السكندى بالمعافر . قالوا : فدفع له القائد فرج السحري مالا جزيلاً أضعاف ما أذى الصليحي ، وجهاز العروسين جميعاً أحسن جهاز يحتفل الملوك به لعقائهم ، وأعادته إلى عمّه ، فتزوج بأسماء . »

(١) توفيت في سنة سبع وستين وأربع مئة في عهد ابنها الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي .

(٢) الحنفي نسباً ومذهباً ، وكان من العلماء كما حكاه عمارة / كأي ١٥ .

فضائل السيرة أسماء في أقوال المؤرخين

« وكانت أسماء من أعيان النساء » كما ذكرها الأزدي^(١). قال : « وكان يثق بها ثقة تامة لكمالها ؛ فوكل إليها أمر تدبير الدولة ، ولم يخالف في أغلب أمورها ، ويحلبها إجلالا عظيما . وكانت إذا حضرت مجلسا لا تستر وجهها عن الحاضرين . وكانت من حرائر النساء » .

وقال عماره^(٢) : « وكانت أسماء من الكرم والسودد ، والجواز السنية الجزيلة للشعراء ، والصلات الواسعة في سبيل الله تعالى وفي سبيل الروء والخير ، بحيث يمدح أولادها وإخوتها وبنو عمها بمفاخرها » . وفيها يقول شاعر زوجها واسمه عمرو بن يحيى الهيثمي^(٣) من قصيدة أولها :

حشمت بيضاء الأنامل حما^(٤)

ومنها :

رسمت في السماح سنة جود لم تدع من معالم البخل رسما^(٥)
قلت إذ عظموا لبلقيس عرشا دسنت أسماء من ذرا النجم اسمي^(٦)
وقال ابن الجوزي^(٧) : « وكان يخطب لها على المنابر ، فيخطب أولا للمستنصر ثم لعل الصليحي ، ثم لزوجته ، فيقال : اللهم وأدم أيام الحرة الكاملة السديدة كافلة المؤمنين » .

وقال الخزرجي^(٨) : « وكان فيها من الكرم والحزم والتدبير ما لم يكن في أحد من نساء زمانها » .

(١) الأزدي : الدول المنقطعة ورقة ٦٩ .
(٢) عماره / كاي ١٦ : واسمه أسعد بن يحيى الهيثمي . ولعل الصواب عمرو بن يحيى الهيثمي . ونسب الأزدي في الدول المنقطعة البيتين إلى الشاعر حسين القمي .
(٣) هامش عماره / كاي ١٦ : حشمت بيض الأنامل حما .
(٤) رواية الأزدي : سمة جود .
(٥) وفي رواية : من زري المجيد .
(٦) ابن الجوزي : مرآة الزمان ١/١٢ ورقة ٨٨ ب .
(٧) كفاية ٤٩ .
(٨)

الصلبي بنلفي العلوم من شيخ الزوامي

ولما انتقلت رئاسة الدعوة في بلاد اليمن إلى الشيخ سليمان بن عبد الله الزواحي^(١)، شرع في ملاطفة القاضي، فكان «يركب إليه كثيراً لرياسته وسؤدده وصلاحه وعلمه»^(٢). وكان الشيخ سليمان كلما وصل إلى القاضي ورأى ولده عليّاً، لاحظ عليه غائل النجابة^(٣)، ورأى فيه دلائل الفضائل وهو في أوان الاستجابة^(٤). وكان عليّ يومئذ دون البلوغ، فأخذ الشيخ يتصل به، ويطلعه على ما عنده من أخبار وآمال ومشروعات كبار، حتى استماله وغرس في قلبه ولبّه ما غرس من علومه وأدبه ومحبة مبادئه^(٥). ويقال إنه كان عند الزواحي حلية الصليحي في كتاب الصور (الجفر)^(٦)، «وهو من الذخائر القديمة، فأوقفه منه على تنقل حاله وشرّف مآله، وأطلعه على ما أطلعه عليه سرّاً من أبيه القاضي محمد وأهله جميعاً»^(٧).

الزوامي يجعل علياً خليفته

ولما اطمأن الزواحي لنضج تعاليمه في نفس تلميذه جعله خليفته في الدعوة بعد أن وافق الإمام المستنصر الفاطمي بمصر على ذلك^(٨)، «وطالع الزواحي حضرة إمامه في أمره، فأتيح له أن يفضى بمكنون سرّه»^(٩).

وإننا نعتقد أن الداعي الزواحي قد تمسك بما أتى من قدرة وسعة علم ولباقة فائقة وطلاوة في الحديث، من إدخال الشاب عليّ في علوم الدعوة وإقناعه بضرورة الحرص عليها، كما نعتقد أنه لم يلاق صعوبة في جذب إليه لما أبداه عليّ من رغبة

(١) انظر جدول أسماء الدعاة بعد منصور اليمن.

(٢) كفاية ٤٧. (٣) نفسه؛ أبناء / دار ٣٨.

(٤) عيون ٣٨/٧ ويقصد بأوان الاستجابة أوان استجابته للدعوة.

(٥) نزهة ٣٤/١؛ أبناء / دار ٣٨؛ كفاية ٤٧.

(٦) انظر تعليق (كاي) ماحوطة ٢٦ صحيفة ٢٤٩.

(٧) نفس المرجع.

(٨) عيون ٢/٧.

صادقة في الاستمرار والتقرب من شيخه المفيد ، وهذا بفضل ذكائه الذي ظهر في سن مبكرة . ثم إن عزمه على وجدّه وحرصه على ألا يفلت منه هذا الأمر جعله ينكب على دراسة كتب الدعوة التي آلت إليه بعد موت الزواحي ، لأن هذا ، كما قال الخزرجي^(١) : « كان قد أوصى قبل وفاته بجميع كتبه له ، وأعطاه مالا جزيلا كان قد جمعه من أهل مذهبه » . وهذا يدل دلالة واضحة على نضج فكرة الدعوة وأصولها في عقل هذا الشاب الذي كتب له أن يلعب دوراً هاماً في تكوين تاريخ بلاده .

وكان ذكاء الصليحي من أهم عوامل نجاحه ، فلم يكف ببلوغ الحلم حتى تضلع في معارفه التي بلغ بها وبالجد السعيد غاية الأمل البعيد^(٢) ؛ فأصبح ، كما قال عمارة^(٣) : « عالماً فقيهاً في المذهب الفاطمي مستبصراً في علم التأويل » .

الصليحي يتخذ الحج وسبب لبث دعوته

وقد أدى ذكاءه على الصليحي به إلى أن ينهج نهجاً جديداً ، وأن يسلك طريقة تختلف طرائق من سبقه من الدعاة في اليمن في بث دعوته ونشر مذهبه . فاتخذ ميدان الحج حقلاً لغرس مبادئه وتنميتها ، وصار يحج بالناس عن طريق السراة والطائف نحواً من خمس عشرة سنة ، فانتشر ذكره في البلاد على لسان الخاصة والعامة .

ونرى أن هذه المدة الطويلة التي مرت من موت الزواحي إلى قيام الصليحي بثورته في مسار ، وتقرب من خمسة عشر عاماً ، كانت كافية لصقل على «لأن الأحوال تنقلت به من خفض إلى رفع ومن ضر إلى نفع»^(٤) ، كما كانت كافية لتكوين جماعة قليلة تدين بالإخلاص له ولأمره .

(٣) عمارة / كاي ١٤ — ١٥ .

(٢) نفسه .

(١) كفاية ٤٧ .

(٤) عمارة / كاي ١٥ .

دعوة الصليحي لعامة القوم

ولا يخفى أن طلاب السلطة يراعون دائماً جانب العامة ، وهم السواد الأعظم في كل مجتمع ، فيعملون لهم كل حساب ، ويتقربون إليهم بما يرضيهم . ولما كان الدين هو جامعهم الكبرى ، ومن أكبر أسباب سعادتهم ، تمسك الصليحي بالديانة الإسلامية والمثل العليا . فكان متفهماً في عقائد المذهب السنّي ، وكان لا يظهر حقيقة مذهبه إلا لمن يثق به ، فاتخذ الدعوة التي هي أحسن لتكوين مجتمعه الذي ينشده وليصل إلى ما نصبو إليه نفسه .

ولم تكن دعوة الصليحي في أول الأمر للأمراء وعلية القوم وأصحاب المصالح ، لأنه كان يفهم تماماً أن هؤلاء سيحاربونه بأي حال من الأحوال ؛ ولكنه اتصل بالعامة بل وبالتحسين منهم للدين ، وهم الحجاج ، فكأنه دخل بدعوته في هذا الميدان متشجعا ومتجملًا بالدين ومحاسنه ، وهو متحقق أنه لا بد من أن يستميل إليه أعوانا ، ولو طال به الزمن ، ما دام متمسكا بالدين .

ولما كان الصليحي من طلاب السلطة المطلقة وجد أنه لا يمكنه أن يستغنى عن العامة ، لأنهم السواد الأعظم في الرعية ، وبهم تحبى الأموال ، ومنهم تتألف الجنود ، ومن استطاع كسب ثقتهم وجذب قلوبهم ملكوه . ولا يجتذب قلوب العامة في تلك العصور مثل الدين . فإذا اجتمعت السياسة والعدالة تمت وسائل السلطة ، وتولى أمور الناس أقدرهم على استرضاء العامة .

فهيم على الصليحي هذا كله ؛ ولا غرو ، فإن آماله ودأبه على تحقيق هذه الآمال كفيلة بنجاحه ووصوله إلى تحقيق أغراضه .

رؤساء همدان يبايعون الصليحي على نصرة الدعوة

وكان موسم الحج من سنة ثمان وثلاثين وأربع مئة فاتحة عهد جديد في

في نجاح الصليحي ، حيث بايعه ستون رجلا من قبيلة همدان^(١) على الموت أو الظفر بقيام الدعوة^(٢) ، وعلم كل واحد منهم أنه جندى من جنود الله ، فباعوا أنفسهم بيع السماح ، وتضافرت القوى على نصرة الدعوة بالأنفس والمال .

وكان هذا نصرا من غير شك ، وبخاصة إذا عرفنا أن هؤلاء الذين بايعوه على نصرة الدعوة لم يكونوا ضعافا لا حول لهم ولا قوة ؛ بل كانوا في عزة ومنعة من أهلهم . وهذا لا يتعارض مع ما ذكرناه من أن اعتماد الصليحي كان على العامة . فهؤلاء العامة كانوا من قبيلة همدان القوية العزيزة الجانب ، والتي كانت القبائل العربية الأخرى هناك تعمل لها حسابا .

وقد قال عمارة في أتباع الصليحي : « وما منهم إلا من هو من قومه في منعة وعدد كثير » .^(٣) فبانضمامهم للدعوة عز جانبها ، وقوى ساعد الصليحي ، كما كان ذلك مشجعا لمن كان مترددا من المستجيبين على أن يخذو حذوهم .

الصليحي يستعد للثورة

تمكن على بن محمد الصليحي بذلك من تكوين جماعة صغيرة مخلصه له ، وقد أصبحت هذه الجماعة نواة لقوة كبيرة إذ تعهدتها يد العناية . ونظرا لأن أعداء الدعوة كانوا قد تسبوا في قتل ونهب الكثيرين من أتباع الدعوة ، صمم الصليحي على أن يقوم بعمل حاسم نحو المعارضين باستيلائه على مسار ، وتعميره وجعله مركزا لدعوته وقاعدة لثوراته ، ولكن هذا المشروع يقتضى الاستعداد والحيلة . فبدأ يستعد للثورة ، وساعده الظروف إلى حد كبير ، حتى كون جيشا من بطون همدان . « وقد اقتنع الصليحي وأنصاره بصدق الوعد الذى قدمه الله للمسلمين فى القرآن

(١) تضم قبيلة همدان بطونا كثيرة لم تخضع جميعها للصليحي ولم تقبل دعوته ، بل دخل بعضهم فى الدعوة واستمر يدين بأصولها من أيام منصور التين إلى أيامنا هذه . ويعتصم جماعة منهم بجبال حراز وبخاصة اليعابر وجماعات أخرى فى نجران وعراس . وهم معروفون بشهامة أخلاقهم وحسن هيتهم .

(٣) عمارة / كسى ١٧ .

(٢) قرعة ورقة ٢١ ؛ كفاية ٤٧ .

الكريم بالإيمان الذي استقر في قلوبهم إلى مواجهة الصعاب عن ثقة بالله وبالإمام الذي وعدهم بالنصر أينما ذهبوا» (١).

وبهذا الإيمان القوى وبمبادئه تقدم الصليحي وأصحابه في فتوحاتهم ، كما سترى ، بقوة تقهر المضاعف ، وتذلل العقبات ، وتحل المشكلات . ولكن لكل شيء أسبابه ووسائله . وهذه الأسباب والوسائل قد تطلبت من غير شك كثيراً من الجهد والتدبير والتقدير وإعمال الرأي ، لتجتمع هذه القلوب المتفرقة أولاً ، ولتندفع في تيار الحرب لرفع راية الإمام ثانياً . ولقد بذل الصليحي وأصحابه جهداً كبيراً في هذا السبيل لجمع الكلمة وتوحيد الهدف . فتمكن بفضل ما أوتي من شخصية قوية نادرة أن يتغلب على هذه المشكلة ، بأن جعل أتباعه يعتقدون أنهم يحاربون لنصرة الإمام وإعلاء كلمة الله ، وليس لأمر من أمور الدنيا . فكتب له ما تمنى من التوفيق وأخذ في الأسباب . فكتب من جهة إمامه بمصر الخليفة المستنصر بالله وطالعه في هذا الأمر ، وأخذ من جهة يعاهد أصحابه ومن صحته في نفوسهم دعوته ، كما حدث أن اتفق مع الهمدانيين على الوصول إليه في يوم معلوم .

ولما شاع الخبر بأنه يستعد للثورة والقتال ، وأنه ينتظر أمر مولاه ، ازداد تحرش الأعداء بأهل دعوته وأتباعه . فوثب ابن جهور صاحب الحساب (٢) على من كان بناحيته من الصليحيين وأصحابه ، وأمر القاضي لمك بن مالك الحمادي وعدداً كبيراً منهم . فضاقت الأمور على الصليحي ، ورأى ، كما حكاه الداعي إدريس (٣) ، في منامه أن الإمام يقول له : « ستملك جزيرة اليمن برّها وبحرها ونجدها وغورها » . ولعل فراسة الصليحي وحسن تقديره لمواقب الأمور جعلته يتوقع ما سيحييه به الإمام ، الذي لا يمكن أن يعارض بحال من الأحوال في أمر فيه نشر لدعوته وإعلاء لكلمته ولن يكلفه ذلك إلا الموافقة وتشجيع الطالب على الاستمرار في

(١) حسن سليمان في رسالته .

(٢) لهاب في حراز ذكرها الهمداني في صفة ٦٨ ، ١٠٥ .

(٣) عيون ٧/٢ — ٤ .

طلبه ، ولكي يبرهن الصليحي على صحة حلمه أمام مستجبي دعوته استبشر بذلك وأظهر الفرح ، وقويت عزيمته ، وبث هذه الروح في قلوب أتباعه ، وجد في الاستعداد لتنفيذ خطته . فأرسل إلى أهل دعوته رسلا يحثهم على الوصول إليه ، واشترى العدة والباييد^(١) ، فخفف لمقابلته كبار أهل دعوته من أهل نواحي حراز^(٢) .

قيام الصليحي بالثورة

وقد استقر رأى هؤلاء جميعا على أن يقوموا بهذا الأمر عند صلاة العصر من يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من شهر جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وأربع مئة^(٣) ، وهي الليلة التي اتفق مع أهل دعوته على أن يوافوه فيها . واجتمع له في هذه الليلة من أرض يام (خلف صعدة) ، من بلاد همدان ، من نواحي صنعاء ومن أرض حمير وغيرها ثلاث مئة رجل ، عدا من جاءه من نواحي حراز .

فلما صاروا بحضرته أطلعهم على ماعقد عليه عزمه ، وأخبرهم بأنه أمر أهل دعوته في جميع النواحي بأن يوافوه في يوم معلوم ، وأنه قد عزم على عمارة مسار

(١) الظاهر أنه جمع لبادة وفي ق / لبد قال : واللبادة كرمانة مايلبس من اللبود للمطر .
(٢) جاءه من أهل هوزن سليمان بن أبي القاسم وعبدالرحمن بن سبا بن أبي سهيل وجاءه من هاب قاسم والحسين ابنا عبدالله بن أحمد وخولة بن أبي القبايل وسبا بن عباس وعبدالله بن أبي المعدل وعبد العزيز بن علي ومن بني قليد أهل شاذب عراف بن محمد ومحمد بن الحسين ، ومن المقامقة سويد بن أحمد ومن الوجب أبو الجماهر وأبو العشرة ابنا قليد البحري وأبو الحسن بن أبي العشرة وحمر بن عبدالله ومن صوغان التبع بن محمد بن أبي يعلى وبسام ابن قحطان بن أبي يعلى وأبي الحفاظ بن عبد الله بن يعلى وسليمان وعبد الله ابنا كنعان والمدرج وكففي ابنا أبي العشرة ومن بني الصليحي يعلى بن المظفر الصليحي وجماعة من أهل بيته . وهؤلاء أعيان أهل الدعوة في ذلك الأوان بحراز وكبرؤهم (عيون ٧/٤ — ٥) .

(٣) يقول عباس الهمداني : في رسالته ص ١٤٦ هامش ٥ : « ولقد اختلفت المصادر القديمة والحديثة في السنة التي ثار فيها الصليحي ، وذلك أن المراحل الثلاثة في تاريخ الصليحي لم تفهم فيها تاما . وهذه المراحل هي : الأولى إطلاعه بالدعوة بعد وفاة الزواحي ؛ والثانية قيامه بالثورة في مسار والثالثة إعلان حكمه باليمن . كل هذه المراحل اجتازها في مدة طويلة ، وهذا هو السبب في اضطراب المؤرخين . وتحت عبارة « إظهار الدعوة » اختلف المؤرخون في فهم هذه المعاني الثلاثة . أما عن قيامه بالثورة في مسار فبعض المؤرخين يقول إنه ثار في سنة ٢٩ ومهم عمارة / كاي ١٧ ، لإدريس : عيون ٦/٦ ، نزهة ٣٤/١ والخرجي في كفاية ص ٤٧ =

وإظهار دعوة المستنصر بالله الفاطمي ، والجهاد في سبيل الله ؛ وقد استقر رأي مجلس الشورى هذا على الاستمرار في خطة الداعي ، وسرهم هذا الرأي ، وأيقنوا بالغلبة والظفر ، كما استقر رأيهم على وجوب الأخذ بأسباب الاستعداد . « فجمعوا ما استطاعوا من العدة ، وتواصوا ببذل النفوس والأموال في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله وطاعة الإمام »^(١) .

وجاء بنو الصليحي بخمس مئة دينار ، وسويد بن أحمد صاحب المقامقة بمئة دينار ، وأهل لهاب بألف دينار ، وبنو قليد^(٢) بثلاث مئة دينار ، وأهل هوزن^(٣) بخمس مئة دينار ، وبعثوا بها إلى الصليحي ، فأثنى عليهم وشكر لهم سعيهم ، وقال لهم : « سوف يضاعف الله لكم أضعاف ما أسلتم ، وليكننكم الله ديار الظالمين ، ولتتالن ماترومونه ببركة أمير المؤمنين »^(٤) .

== ابن خلكان : وفيات ٧٣/٢ ؛ واتبعهم عدد من المؤرخين المتأخرين ، مثل ابن الديبع : بغية ورقة ١٠ ؛ حسن بن نوح : الأزهار ١٣٩/١ ؛ باخرمة : قلادة النحر ٢/٢ ورقة ٦٠٠ ؛ العمري : مسالك الأبيصار ١/١٦ ورقة ١٩٨ ؛ العرشي : بلوغ المرام ٢٤ . وبعضهم يقول إن ثورته كانت سنة ٤٣٩ ، ومنهم الحمادي : كشف ٤٢ — ٤٣ . وإني بالرغم مما ذكره المؤرخون المؤيدون لسنة ٤٢٩ أميل إلى رأي الحمادي ، وذلك لأنه معاصر للصليحي .

وقد أيدّه حسن سليمان في رسالته ص ٥٣ بالدليل الآتي : « ولعل عمارة كان يقصد أن عليها الصليحي كانت سنة عندما أعلن ثورته تسع وعشرين سنة . ويؤيد ذلك الرأي ما أجمع عليه المؤرخون من أن الشيخ الزواحي توفي ولم يكن على الصليحي قد بلغ العلم ، أي أنه لم يبلغ الرابعة عشرة ، ولما كان قد حج بالناس خمس عشرة سنة أخرى فتكون سنة حين أعلن أمره هو تسع وعشرين سنة . وبذلك يمكننا أن نقرر أن مولد الصليحي كان على وجه التقريب سنة ٤١٠ ، وأن توليته أمر الدعوة كان سنة ٤٢٤ وأن ثورته كانت سنة ٤٣٩ » .

ومع كل هذا فإننا لا يمكننا أن نقطع بالجزم في تاريخ قيامه بالثورة في مسار ، لأننا نميل إلى الأخذ برأي كل من عمارة وإدريس والحمادي ، ونتمنى أن توجد مصادر أخرى تثير ماريقتنا في هذه المسألة

(١) عيون ٥/٧ — ٦ .

(٢) كذا في الأصول ، ولعلمهم من قرية تسمى الآن ببيت المقلد من ناحية جبل شبام الغربية .

(٣) صفة ٦٨ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ٢١٨ — وهوزن بمخلاف حراز ، وهوزن سبع

أسباع حراز التي تشمل : هوزن وكرار وصعقان ومسار ولهاب وميج وشيام .

(٤) عيون ٥/٧ — ٦ .

استيلاء الصليحي على جبل مسار

ولما أتم على بن محمد الصليحي استعدادة للثورة أرسل من أهل هوزن أربعين رجلا ، وأمرهم أن يسيروا إلى مسار ، وأن يلزموا ذروة الجبل ، كما أمرهم بأن ييمموا وجوههم شطر صغفان لأن أهل مسار قد تأهبوا لقتاله ، وحصنوه من كل جهة إلا من جهة بني عجيل^(١) ؛ وعلم بذلك الصليحي عن طريق بعض أعوانه الذين تسللوا إلى قمة مسار وعرفوا ما يجري هناك ، كما علم أن بعض أهل مسار قد دخل في مذهبه وبذلك عرف كيف يرسم خطته للاستيلاء على هذه القمة العالية .

وفي نفس الوقت قام الصليحي ومن معه بعد صلاة العشاء لخمس عشرة ليلة خلت من شهر جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وأربع مئة ومعه حلفاؤه ، وجدّ في السير خشية أن يسبقه أهل كرار في احتلال الجبل ، وانتهى الصليحي إلى عبري سهام^(٢) ، وطمع أهل مسار في محاربتة من ناحية عبري سهام ، ولكنهم لم يتمكنوا ، فأتجهوا إلى قمة الجبل ليعتصموا بها ، فوجدوا أهل هوزن قد ملكوها وضربوا طبولهم . فاضطر أهل مسار إلى الهرب ، وصعد الصليحي وملك الجبل بغير قتال ، ونشر على رأسه بنودا ترجع إلى عهد الدعاة السابقين^(٣) .

فلما ملك قمة الجبل ، لم ينتصف ذلك النهار الذي ملكها في ليلته ، إلا وقد أحاط به عشرون ألف سيّاف ، فحسروه وشتموه وسفهاوا رأيه ، وقالوا له : « إن نزلت وإلا قتلناك أنت ومن معك » . فقال لهم : « أنا ما فعلت هذا إلا خوفاً عليكم أن يملك هذا الجبل غيرنا ؛ فإن تركتمونا نحرسه لكم وإلا نزلنا » . فانصرفوا عنه وتفرقوا^(٤) . وكان رسل الصليحي الراجعون من مصر ليلة طلوعه جبل مسار

(١) وهم من بيت الفقيه ابن عجيل .

(٢) صفة ٦٨ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، وهي تنطق اليوم عبري سهام بضم العين .

(٣) عيون ٦/٧ ، ويلاحظ أن استيلاء الصليحي على مسار يدل على أهمية الذروة من الناحية الحربية لأنها تعد من المواقع الممتازة في اليمن ، ومسار وشبام هما جبلا حراز الرقيعان وطلوداه المنيعان .

(٤) كفاية ٤٧ .

ممسين في المهجم ؛ فوصلوا إليه وهو بحصن مسار بعد يومين من طلوعه الجبل ، وأوردوا جواب إمامه المستنصر بالله الفاطمي يأذن بإقامة الدعوة باليمن . فسر ذلك الصليحي وأتباعه^(١) ، ومالبت أن أخذ نفوذه يزداد وشأنه يرتفع بفضل اعتماده على تأييد الإمام^(٢) ، ثم وصلته الشيعة من أنحاء اليمن ، وجمعوا له أموالاً جلية^(٣) . ولما لم يكن بالجبل يومئذ بناء ، لم يلبث الصليحي أن بدأ بعمارة ساعة وصوله ، وذلك في يوم الخميس للنصف من شهر جمادى الأولى سنة ٤٣٩ هـ ؛ ولم يمض شهر على احتلاله حتى بناه ودربه وحصنه وأتقنه^(٤) .

خطاب الصليحي إلى أهل مرار

وبعد استيلائه على جبل مسار كتب علي بن محمد الصليحي كتاباً أمر بيته في جواب حراز ، وهذا نصه^(٥) :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله الذي أوري زناد الحق ، ورفع عماد الصدق ، بالذين أكمل بهم الحجة على الخلق ، وأنارهم ما بين الغرب والشرق ، الهداة إلى الخير والأدلة ، الدعاة إلى أشرف المنهاج والملة ، خلفاء أنبيائه ، وأمنائه وأصفيائه ، وسلالة رسله من لدن آدم عليه السلام ، ووصل نظامهم ، وأعلى مقامهم ، وفق بالنور أيامهم ، ونشر بالعدل أعلامهم ؛ فهم أعلام الدين ، والدعاة إلى الحق البين ، الشيعة الميامين ، والسلالة الطيبين ، آل طه ويس .

« وصولته على من ختم به الرسالة ، وفتح بالآئمة من عقبه أبواب الدلالة ،

(١) عيون ٨/٧ .

(٢) المرجع السابق ٨/٧ ؛ كشف ٤٢ . (٣) كفاية ٤٧ .

(٤) المرجع نفسه .

(٥) عيون ٧/٧ — ٨ .

سيدنا محمد النبيؐ ، وعلى أخيه ووصيه عليؑ ، وعلى الأئمة من نسل مولانا الحسين الزكيؑ ، ورمّة التنزيل ، وخزنة التأويل .

« وأفضل صلوته وأتمى تحياته وبركاته على وارث علمهم ، والقائم من بعدهم ، بقية السلف ، وخيرة الخلف ، مولانا معبد أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى خلفه وسلفه .

« أما بعد ، يا أهل حرازا! ألهمكم الله رشدكم ، وجعل الجنة قصدكم ، فلم أطلع إلى حصن مسار متجبرا باغيا ، ولا متكبرا على العباداتيا ؛ ولا أطلب الدنيا وطامها ، ولا طالبا أملك غوغاءها وطغامها ، لأن لي بحمد الله ورعا يحجزني عما تطمع النفوس إليه ، وديننا أعتمد عليه .

« وإنما قياي بالحق الذي أمر الله عز وجل به ، والعدل الذي أنزله في محكم كتابه ، أحكم فيه بحكم أوليائه ، وسنن أنبيائه ؛ وأدعو إلى حجته الذي في أرضه ، والقائم بفرضه . لست من أهل البدع ، ولا من ذوى الزور والشنع ، الذين يعملون في الدين بآرائهم ، ويحكمون بأهوائهم ؛ بل أنا متمسك بحبل الله المتين ، عامل بما شرع الله في الدين ، وداع إلى أمير المؤمنين ، عليه صلوات رب العالمين . لا أقول إلا سدا ، ولا أكره في الدين أحدا . فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضلّ فإنما يضلّ هليها . وما الله يريد ظلما للعباد .

« واعلموا ، يا أهل حرازا! أني بكم رهوف ، وعلى جماعتكم عطوف ، للذي يجب على من رعايتكم وحياطتكم ، ويلزمي من عشرينكم وقرابتكم ، أعرف لذي الحق حقه ، ولا أظلم سابقا سبقه ، وأنصف المظلوم ، وأقم الظالم الغشوم ، وأبث فيكم العدل ، وأتمسكم بالفضل . فاستديموا ذلك بالشكر ، ولا تصفوا إلى قول أهل الكفر ، الذين من بقايا أهل الكفر ، فيحملونكم من ذلك على البنى والعدوان ، والخلاف والعصيان ، وكفر الإنعام والإحسان ، تستوجبوا بذلك تغيير الإنعام وتمجيل الانتقام . وكتابي هذا حجة عليكم ومعذرة إليكم . والسلام على من اتبع الهدى ، وتجنب أمور الردى .

« والحمد لله على ما أعاد وأبدا ، وصلواته على من أرشد به من الضلالة وهدى ، سيدنا محمد النبي وآله الأئمة الشهداء وسلم تسليما ، حسبنا الله ونعم الوكيل » .

قيام جعفر العباسي وجعفر الشاوري لمحاربة الصليحي

استفزز ازدياد نفوذ الصليحي وانتشار أمره جماعة من زعماء اليمن ، وخافوا عاقبة ذلك . فقصده الشريف جعفر بن الإمام القاسم بن علي العباسي صاحب صعدة في جمع كبير من أصحابه حصن الأخروج ، فقاتل أهله ، وكان به الحسين بن مهلهل من أصحاب الصليحي ، ومعه جماعة من همدان وبنو شهاب ^(١) . وانهز هذه الفرصة جعفر بن العباس الشاوري ^(٢) صاحب مغارب اليمن الأعلى ، وقام على رأس جند كشف ^(٣) من حراز وكرار وغيرها من أهل البأس والشدة ، وقصد عبري أسفل جبل مسار ، وأراد طلوع الجبل ، فنزل أنصار الصليحي يدافعون عن بقائهم وعن نصرة مبادئهم ، لأن النصر معناه البقاء لهذه الدولة الناشئة ، والهزيمة معناها الفناء والقضاء عليها . ولما كثر القوم على أنصار الصليحي وخشى الهزيمة وما يترتب عليها من سواء العاقبة نزل بنفسه ومن بقي معه ، واستمد من الحرج قوة ، فشد بذلك عزم أتباعه ، وحمل وطيس القتال ، حتى كسر الصليحي جيش بن عباس الذي لاذ بالفرار مغلوبا على أمره ؛ ولكنه ما لبث أن رجع وثبت طمعا في النصر ، فكان جزاؤه القتل هو ومن معه من أتباعه ، وغنم الصليحي وأصحابه الكثير من السلاح والأمتعة والعدة . فتقوى بذلك مركزهم ، وزاد نفوذهم ، وقويت روحهم المعنوية ، وخافهم من كان يتربص من القبائل نتيجة هذه الموقعة . فاضطر الشريف حين سمع بخبر قتل حليفه ابن العباس وهزيمة جيشه أن يترك حصن الأخروج وينجو بنفسه ^(٤)

(١) عيون ٨/٧ وبنو شهاب تسبهم الهمداني إلى كهلان ، ثم إلى كندة ، وجعلهم نشوان من قضاة ، كما حكاها لنا القاضي محمد الحجري .

(٢) قال الخزرجي في الكفاية ٤٧ : « شافعي المذهب ، وكان رجلا مجابا في مغارب اليمن الأعلى » .

(٣) نفسه ٤٧ : « ثلاثين ألفا » .

(٤) عيون ٩/٧ .

مُحَارَبَةُ الصَّلِيحِيِّ لِابْنِ جَهْوَر

وكانت هذه المحنة التي حاقت بالصليحيين بمثابة اختبار لقوتهم وتعاونهم
وعسكهم بمبادئهم ، كما أن شخصيّة الصليحي وجلال قدره وحسن بلائه
في تأييد أمره أسكن النفوس الغاضبة ، فسار بالأمر قُدماً ، واستولى على
حضور^(١) ، وأخذ حصن بَشَاح^(٢) ، وخاف أهل حراز النزال ، فقرروا الدخول
في طاعة الصليحي إلا أبو النور ابن جَهْوَر . فقد صمّم على الاستمرار في المكابرة ،
واعتمَصَ بحصن لهاب . واضطرّ الصليحي إلى تكليف السلطان عامر بن سليمان
الزواحي أن يصعد جبل شبام^(٣) وبيت عناد ، ومعه جماعة من بني قليد وهُوَزَن
وبني الهَجَرِي^(٤) ، ثم وصل أحمد بن المظفر الصليحي وجماعة من الحجازيين
فيهم عباس بن الكرم ، فعمّروا داراً في قمة جبل شبام ، كما عمّروا جبل بيت عناد
استعداداً لمقاومة ابن جهور^(٥) .

وبعد أن تحصنوا في هذه الناحية اتجه جيش الصليحي لمحاربة ابن جهور في لهاب ،
وضيقوا الحصار عليه . ففك أسر جماعة من أصحاب الصليحي منهم القاضي ملك
بن مالك الحمّادي الذي وصل إلى الصليحي وهو في حصن مسار ، فسُرَّ بوصولهما
كان يتمتع به من مركز ممتاز في الدعوة . ولكن ابن جهور تمكن من أن يؤثر
على أتباعه ويدفعهم إلى الاستمرار في المقاومة . ولما ضعف جيشه ، ورأى أن مصيره
إلى الهلاك استعان بنجاح^(٦) ، وكانت علاقة هذا مع الصليحي حسنة ، إذ كان يلاطف
نجاحاً ويداريه ، ولكن هذه الوساطة لم تنجح ، فمادى ابن جهور في بغيه ، فحاصر

(١) حضور . (صفحة ١٠٦) .

(٢) بَاح ، مقر عدن ١٥٩/٢ . (٣) جبل شبام هو شبام العياير (صفحة ١٩٣) .

(٤) بني الهجري (نفسه ٤٨٩) ، وتسمى اليوم الهجرة وهي قرية قريبة من مناخة .

(٥) عيون ٩/٧ .

(٦) أسس هذا الدولة النجاشية في زبيد سنة ٤١٢ هـ .

على حصن زَبَّار^(١) حتى سقط ، فاضطر أبو النور إلى تسليم نفسه إليه في مسار ،
فأزله الصليحي في ضيافته وأكرمه وأحسن إليه .

ويدل تسامح الصليحي مع ابن جَهْهور على نبيله ، لأنه بالرغم من أن ابن جَهْهور
قد تسبب في إقلاق الصليحيين مدة من الزمن حتى استمات في سبيل الوصول إلى
النصر وتحريض الخائفين والناقين على الصليحي ، بالرغم من هذا كله وجد الصليحي
أن المعاملة الحسنة أجدى وأنفع مع كرام النفوس ، وآثر أن يكسب ودّ من بقى
من أتباع ابن جَهْهور حتى لا تحدّثهم أنفسهم بالانتقام إذا ما قتل رئيسهم . وقد
تحققت سياسة الصليحي ذلك ، لأن لهاب كانت منقسمة فيما بينها؛ فمنهم من انضم
لصليحي وقدم إليه المساعدة المادية وقدرها ألف دينار عند قيامه بمحاربة مسار ،
ومنهم من انضم لابن جَهْهور واستمرّوا في عدوانهم حتى ثابوا إلى رشدهم بعد أن
رأوا حسن المعاملة وكرم الأخلاق الذي غرهم به الصليحي بعدما أن قبض على
ابن جَهْهور وأبدى له تسامحه . ولا شك أن الصليحي أراد بهذه السياسة أن يجنب
الأمّة الخلاف فسكبت بذلك الفتنة وردّ كيّد الأعداء إلى نحورهم .

خطابه لأهل حرّاز في مؤتمر بعري دعاس

فمعظم أمر الصليحي واستقامت له الأمور ودانت له الجماهير بحرّاز ، فأمر بعقد
مؤتمر حضره أهل حرّاز كافة بعري دعاس . وبعد أن ترك في حصن مسار من
يحرسه نزل إلى بعري دعاس ، وألقى في الاجتماع كلمة ذكرها صاحب العيون^(٢) .
وقد جاء فيها أنه أمرهم بالصلوة وإقامة فرائض الدين ، وعمارة المسجد ، وإيقاد
المصابيح فيها ؛ ... وذكر لهم بعد ذلك أن الأمر الذي قام به ليس هو من أمور
الدنيا ، ولا مراده كمراد سلاطين الدنيا ، بل قام مؤثرا لأمر وليّ رب العالمين ، وبجاهدا
في سبيله ، غير مكره لأحد في الدين ، ولا طالب إلاّ رضا الله رب العالمين ؛ . .

(١) زبار (صفحة ١٠٨) .

(٢) عيون ١٠/٧ — ١١ .

وحذرهم الخلف عليه والشقاق ، . . وعرفهم أنه لا يسير فيهم إلا بسيرة الحق والعدل ، وأنه مجبول على ذلك . . . وتقدم إلى العُمَّال في ذلك المحضر ، وأوعدهم بالتنكيل إن رفع إليه شيء مما نهاهم عنه ، ووعدهم بحسن السياسة وأنه لا يخالف الكتاب والسنة ، وأمر جميع الرعية أن يرفعوا إليه ما يكون من العمال من القبيح والحسن حتى ينزل بهم من إنعامه وعقوبته بحسب أفعالهم .

واقعة صوف

فبدأ الصليحي حكمه على الأسس التي أعلنها في مؤتمر عبري دعاس ، وتقدم في تنفيذ سياسته المرسومة بخطا جازمة سريعة . ثم أراد أن يتبع سياسة المهادنة إزاء سلاطين اليمن وأصحاب الدويلات المجاورة ، إن نفعت هذه السياسة ، وإلا فمحاربتهم وإخضاعهم تحت راية حكومته . ولما ملك الصليحي جبال حراز والمناطق المجاورة ، وخشى ملوك تهامة والجبل بأسه الشديد وسياسته الرشيدة ، وملك حصون حضور وما جاورها ، حاول بعد ذلك أن يهادن السلطان أبا حاشد صاحب صنعاء ، كما هادن أباه السلطان يحيى بن إبراهيم الصحاري^(١) من قبل . فلما توفي يحيى أرسل الصليحي بعض أصحابه وبني عمه إلى صنعاء لتعزية أبي حاشد في أبيه والإحسان إليه ، كما أحسن إلى من كان قبله ؛ ولكن أبا حاشد قد اعتبر تأدية مراسيم التعزية ومحاولاته في المهادنة تدخلا من الصليحي في أموره . فساءت العلاقة بينهما أخيرا مما أدى إلى قيام الحرب بين الطرفين ، انتهت بقتل صاحب صنعاء عند صوف هو وألف من أتباعه^(٢) . واستولى الصليحي على صنعاء ، « ورأى الناس من عدله وفضله وحسن سيرته ما ألف له القلوب وأرغم له أهل النخوة والمكابرة »^(٣) .

(١) في كفاية ٤٧ : قال : توفي السلطان يحيى بن أبي حاشد أول سنة أربعين وأربع مئة .
(٢) صوف بني سوار = وهي قرية بين حضور وبني شهاب ، وبهذه الواقعة يضرب المثل فيقال « قتلة صوف » (أنباء / دار ٣٩) . وأما إدريس فلايد كرتل صاحب صنعاء ، بل قال : « توجه الصليحي إلى صنعاء فقتلها وملكها ودان له أبو حاشد بن يحيى ملكها » .
(٣) عيون ١٥/٧ .

واقعة نجد الجاح

فلما استولى الصليحي على صنعاء اضطرب الإمام أبو الفتح ^(١) واتصل بنجاح القائد صاحب تهامة وطلب منه إخراج الصليحي عن صنعاء وتملكها . فأدّت المكاتبات بين الإمام والقائد إلى إفساد العلاقة بين الصليحي وصاحب تهامة ، كما أدّت إلى وقوع الحرب بين الصليحي والإمام المذكور في سنة أربعين وأربع مئة . وانتهت الحرب بقتل الإمام ونحو سبعين رجلا من أتباعه بنجند الجاح ^(٢) ببلاد رداع ، ومثله فحمل رأسه إلى صنعاء ، ودفنت جثته في أفيق ببلاد عئس .

واقعة الهرابة

ولما كان المغلوب على أمره تحمّله نفسه دائما بشق عصا الطاعة كلما أتيت له الفرصة ، فلهمدانيون باعتبارهم أكبر القبائل التي دانت للصليحيين من فكروا في خلع طاعتهم ، بالرغم من أن الصليحي كان لا يسير فيهم إلا بسيرة الحق والعدل والسنة . فاتصل رؤساء بعض بطون همدان بالشريف القاسم بن جعفر بن الإمام منصور القاسم العياني ، واستنهضوه هو وأتباعه ، وخرجوا جميعا لغزو الصليحي . وكان ذلك سنة ٤٤٨ هـ . وتقابل الجمعان بالقرب من قرية الهرابة ^(٣) ، فردّهم الصليحي ،

(١) هو الإمام أبو الفتح الناصر الديلمي بن الحسين بن محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (اتفاظ ١٣ ؛ زيارة: أتحاف المهتدين ٥١ ؛ وكاى ٣٠٣) . وصل إلى اليمن من الديلم سنة سبع وثلاثين وأربع مئة وانضم إليه بعض قبائل اليمن الذين دخل بهم صعدة ، ثم سار منها إلى صنعاء وتملكها ، ثم طرده السلطان يحيى بن أبي حاشد والشريف جعفر بن الإمام منصور القاسم العياني من صنعاء ، فعاد إلى ذي بين واخطط لظفار ذي بين . وقال لإدريس (عيون ١٣/٧) : « وكان له (أى الناصر) قذع في القول وسب للصليحي » . وكان الإمام من أجلّة العلماء ، ومن مؤلفاته تفسير القرآن في أربع مجلدات كبار . قال الجرافى (المقتطف ١١١) : للإمام أبى الفتح ذرية في اليمن يعرفون ببني الديلمي في مدينة ذمار وغيرها ، ومنهم بيت هاشم .

(٢) في أتحاف المهتدين ٥١ قال : قتله الناجم علي بن محمد الصليحي في سنة ٤٤٦ هـ ومشهده بنجند الجاح من بلاد عئس اه ؛ والصواب أنه قتل بنجند الجاح ودفن بأفوق .

(٣) السكبي: اللطائف السنية ورقة ١٦ ب قال : « الهرابة أكمة في بلاد وادعة الظاهر » . وهى أكمة بين وادعة وبني غثيمة ببلاد حاشد ، وإليها يشير السيد صارم الدين في بسامته بقوله : « وفي الهرابة أيام لفاضلنا » ... البيت .

وحاصر الشريف الذي اعتصم هو ومن معه بالقريّة سبعين ليلة ، ونصب عليهم المنجنيق ، فدافعوا عنها دفاع الأبطال حتى قتل كثير منهم ومات كثيرون لنفاذ المؤنة . فاضطر الشريف إلى أن يسلم نفسه للصليحي ، فأكرمه وخلع عليه . وكان في استطاعته أن يأمر بقتله ليكون عبرة لمن يعتبر ، ولكنه آثر الحلم لأن الرجل الشهم يقدر بسالة في عدوه ، ذلك أن الصليحي وجد في أهل هراة صلابة وقوة ، ولم يتمكن من إخضاعهم إلا بصعوبة ، فرغب في أن يكسب ودّهم ، فعاملهم بالحسنى في شخص هذا الشريف ، حتى لا يخرجوا عليه مرة ثانية . وقد قال في أهل هراة : «لوملكت رجلا كرجال هراة لأخذت بهم العراق والروم»^(١) . ولم تكن سياسة الصفح التي اتبعها الصليحي في هذه المرة ، سياسة هوادة أو تردّد ، بل قصد منها تسكين الثارات لأن في تسكينها لليمن ولليمنيين وفي مناسبات أخرى خيرا .

واقعة الزرائب

وعشيا بسياسة المهادة والملاطفة كان الصليحي يلاطف القائد نجاح صاحب الدولة الحبشية في زبده تهامة التي حملت لواء السنة في اليمن بعد دولة بني زياد ، ولكنه أدرك أن دولته الفتية لا يمكن أن تكون لها شخصية معنوية وكيان قوى ، إلا إذا قضى على أكبر منافسيه وهو نجاح . وكان الصليحي يلاطفه حتى قوى مركزه ودان له معظم الجزيرة اليمنية ، ثم بدأت العلاقة تتوتر بين الطرفين بفضل مساعي الإمام أبي الفتح صاحب صعدة التي أفسدت بين الصليحي وصاحب زبيد .

فحلت الوحشة بعد الأتس والجفاء بعد حسن الصلة . وأصدر نجاح عسكريا كثيفا ، فوافاهم الصليحي بجيشه خلف صعفان في الخبث المتصل بهامة ، ودارت بين الطرفين وقعات وعدة مصادمات ، وكانت الكثرة للصليحي وجيشه من العرب على جموع الحبشة ، حتى اجتمع العبيد في سنة خمسين وأربع مئة^(٢) إلى ابن طرف ومن معهم من ملوك الحبشة ، عشرين ألفا ، فسار إليهم الصليحي في ألفي

(١) الكبيسي : اللطائف السنية ورقة ١٦ ب .

(٢) عيون ١٤/٧ نقلا عن المفيد في أخبار زبيد .

فارس وسبع مئة . فالتقى الجمعان بالزرائب من أعمال ابن طرف ، واستسحر القتل
أول يوم في العرب ؛ ثم كانت الدائرة على السودان ، ولم يبق منهم إلا ألف التجئوا
إلى جبل يعرف بالعكوتين^(١) .

موت نجاح

ووافق ذلك موت نجاح بالكدراء في عام اثنين وخمسين وأربع مئة . وروى
أن الصليحي كان يعمل حيلة لقتل نجاح ، حتى تم له ما أراد على يد جارية حسناء
كان قد أهداها إليه لتحقيق هذا الغرض^(٢) . ولكن هذا القتل لم يكن حدا فاصلا
بين الطرفين ، بل كان بداية للعهد نزاع طويل بين الصليحيين والنجاحيين^(٣) .

(١) في عيون ١٤/٧ قال : « العكوتان جبلان منيعان لا يطمع في حصارهما . وقال الراوى :
وجبلا عكاد فوق مدينة الزرائب » . وهما في وادي بيش شمال صيدا . وفيهما قال عماره اليمنى .

إذا رأيت جبلي عكاد وعكوتين من مكان باد

فابشري يا عين بالرقاد

وذكر عكوتان في النقش رقم ٢ في المختصر / غويدي ١٩ - ٣٠ ، وقد جاء فيه أن شمر
بهرعش ملك سبا وذو ريدان طرد شعوب سهرت وذواوت وصحر وحرت « نحو عكوتين
في الجهة الشمالية حتى إن البحر اختطفهم » (ب ع ل ي ا ع ك و ت ن ه ن ا ب ك ن ف ا ش
ا م ت ا ع د ي ا ح م ل ه م و ا ب ح ر ن ا) .

(٢) عماره / كافي ١٦ ؛ عبر ٤ / ٢١ ؛ وأما إندريس فلم يذكر شيئا عن هذه الحيلة ،
بل اكتفى بقوله : « مات نجاح » ، كأنه مات موتا طبيعيا .

(٣) قال حسن سليمان في رسالته : « وإن قول ابن الذبيع (قرة ورقة ٢) : « وكان
الصليحي يدعو سرا للمستنصر ، ويخاف نجاحا فيريد ، فكان يتلفله ظاهرا ، ويعمل الحيلة
في قتله » ، وقول صاحب الأنباء / دار ٤٠ : « إن الصليحي كتب للمستنصر سنة ٤٥٣ يستأذنه
بإظهار الدعوة ووجه إليه بهدية جميلة فلما وصلت إليه أمر له بزيارات » ، ليندل على أن الصليحي
كان يدعو سرا للمستنصر قبل سنة ٤٥٢ ، خوفا من نجاح صاحب تهامة ، فلما تخلى عنه في تلك السنة
أعلن دعوته للأئمة الفاطميين . ولكننا نرى أن الصليحي كان يدعو للفاطميين سرا وجهرا قبل
سنة ٤٥٢ ، ذلك أن الدولة الصليحية كانت تستند في هذا الوقت إلى دولة الفاطميين القوية
العزيزة الجانب ، وأن النجاحيين كانت تشد أزرهم أمراطورية العباسيين المفككة المنهضة الجناح ،
التي بلغت من تفككها وضعفها أن أبا الحارث البساسيري أرسلان بن عبد الله التركماني مقدم
الأتراك ببغداد خرج على طاعة القائم العباسي (عيون ٧ / ٤٠) واستطاع أن يخطف للخليفة الفاطمي
المستنصر على منابر بغداد سنة ٤٥٠ . فعلى بن محمد الصليحي كان يستمد قوته المعنوية والروحية من
الخليفة الفاطمية التي بلغت في الشطر الأول من عهد المستنصر أوج عظمتها (عيون ٧ / ٥٥) . =

وقد اضطربت بلاد اليمن لهيبة الصليحي وعلو كلمته ، وسمت همته إلى تهامة ،
فهلك المهجم . وكان سعيد بن نجاح قد استقام في ملك والده يزيد . وتواصلت
المصادمات والناورات بين الجيوش العربية تحت راية الصليحي وجيوش الحبشة ،
وأظهر الصليحي براعته العسكرية بتأجيل أمر تهامة ، وقرّر أن يقضى على فوضى
الدويلات في اليمن الأسفل ، ثم يتجه إلى عدو رئيسي بدون أن تشغله جهة أخرى
في داخل البلاد .

انتصاراته في اليمن الأسفل

فزار مسار وصنعاء زيارة قصيرة ، ثم قصد بجيوشه اليمن الأسفل ، واستولى
على جبل صير قهرا ، وبلاد بني الكير ندى ملوك المعافر ، وحصن الدملكو ،
كما استولى على بلاد الحسين التبعي صاحب حصن حبّ وبعدان والسحول
والشوافي (١) .

ودخل الجند ، « وهي يومئذ مدينة اليمن الأولى ، ولم يكن في اليمن أشهر منها
ومن مدينة صنعاء في الجاهلية وابتداء الإسلام إلى أوان الصليحي » (٢) . ثم سار
إلى عدن (٣) ، واستولى على بلاد بني معن الذين كانوا يملكون عدن . ثم هادن

== وكان لا يخاف نجاحا ، لأن سلطته كانت لا تعدو جزءا من التهام ، في الوقت الذي كان الصليحي
قد تغلب على معظم البلاد اليمنية ، ولكن كان يحذره . وإذا لا يسعنا إلا القول بأن الصليحي كان
يدعو للفاطميين سرا وجهرا قبل سنة ٤٥٢ ، وأن الدولة الصليحية كانت أكثر نفوذا واستقرارا
بعد قتل نجاح أكبر منافسيها في اليمن . وصارت الخطبة تقام على منابر البلاد التي خضعت للدولة
الصليحية للخليفة المنتصر والملك على الصليحي وزوجته السيدة أسماء بنت شهاب ، وزالت
بذلك دعوة بن العباس من بلاد اليمن (بانغمرة : ثغر عدن ١٣٩/١ — ١٤٠) .

(١) المقتطف ٦٦ . (٢) عيون ١٥/٧ .

(٣) ويروى أنه لما استولى على الجند خطب في جامع الجند ، وقال في خطبته : « في مثل
هذا اليوم نخطب على منبر عدن إن شاء الله » . قال أحد الحاضرين مستهزئا : « سبوح قدوس » ،
فأمر الصليحي بحجزه . فلما كانت الجمعة الثانية وخطب الصليحي على منبر عدن ، قال ذلك الرجل :
« سبوحان قدوسان » ، وتعالى في القول ، ودخل الدعوة (عمارة / كاي ١٨ ؛ عيون ١٥/٧ ؛
وكفاية ٤٩) .

بنى معن ، وسَلَّم إليهم بلادهم لما بذلوا له من السلم ، وفي ذلك يقول حسين القمي على لسان الصليحي^(١) : « . . . من نبأ توجَّهه إلى عدن وتعلَّكه قَسْراً ، واستيلائه على عدن وأبين وأحور برّاً وبحراً بعد فرار المتغلبين عليها أجمعين ، وتسليمهم لها ، راغبين بما جرت عليه الحال بعد ذلك من تديره لأمره . . . فرأى بتوفيق الله أن يقبل ما بذل له من السلم ، ويقنع بما صار إليه من الغنم ، وتقاطع على تسليم عدن وفرضتها إليه . . . فعَلَّ ذلك وانسكفاً عائداً إلى الخلاف . وأصدر المملوك^(٢) هذه الخدمة ، وهو متوجه لمدينة صنعاء ، داراً لدعوة المنصورة ، ومقر العساكر الموفورة ، ليضم كلتهم ، ويجمع ألفتهم . وبذلك ينهض على اسم الله تعالى وبركات وليه إلى من بقي من العبيد بتهامة وقد أمن على ما يخلفه الخ . فلا ريب أنه أراد بتسليم عدن وما والاها من البلاد بعد فتحها إلى سلاطين بني معن ، كَسْب حلفاء أقوياء يعتمد عليهم عند معالجة مشكلة تهامة ، كما قدم دليلاً آخر على تمسكه بسياسة المهادنة والملاطفة وعدم التعدي على حقوق الجوار ، بالرغم مما رأى من بني معن من التهاون .

فتح تهامة

فشمَّر الصليحي عن ساعد الحدِّ في فتح تهامة ، وسار إلى زبيد وافتتحها ، ثم احتلَّ التَّهائم كلها ، وطرد منها أولاد نجاح الذين استقروا في جزيرة دهلك بعد هزيمتهم ، « وسار في الناس بالعفو والصفح ورفع السيف وبسط العدل ، ولأذت به العرب الذين كان العبيد استطالوا عليهم أيام نجاح »^(٣) .

تحقيق الوعدة البينية

وكذا طوى الصليحي بلاد اليمن طيًّا ، وافتتح جميعها ؛ فلم يخرج سنة خمس

(١) رسائل القمي ١٩ — ٢٢ : هذه الرسالة من إنشاء القمي على لسان الملك علي بن محمد الصليحي موجهة إلى الخليفة المستنصر بالله الفاطمي .

(٢) المراد من المملوك هنا ، الصليحي ، وهو مصطلح عند أولى الدعوة يستعمله التكلم للدلالة على ولائه لصاحب الزمان وهو الإمام ، كما يقول أيضاً « مملوك آل محمد » .

(٣) عيون ١٤/٧ .

وخمسين وأربع مئة إلا وقد ملك كافة قطر اليمن : قلاعها وحصونها ومدنها وسهلها وجبلها ، وامتد نفوذه من مكة إلى حضرموت . وتمنعت عليه صعدة بعض التمتع بأولاد الناصر ، ولكنه ما لبث أن قتل القائم منهم وملكها^(١) . وأرسل الصليحي إلى السلطان معن خطابا بعد فتح تهامة قد جاء فيه^(٢) : « الدولة حصينة ، والصولة مكيئة ، والرايات منشورة ، والأجناد منصوره ، وسيوف الحق على الأعداء مشهورة ، والحضرة بالسعود محروسة » الخ . وهذا يدل على اطمئنانه باستقرار أمور الدولة وتوحيد كلمة اليمن .

وجعل الصليحي صنعاء عاصمة مملكته واتخذها حاضرة لدولته ، وبنى فيها عدة قصور ، وأسكن معه جميع ملوك اليمن تحت علم واحد ؛ ورأت اليمن بعد قرون طويلة وحدة البلاد في ظل حكم عادل قوى .

إدارة البلاد وتولية الخطم

وما لبث أن أخذ الملك علي بن محمد الصليحي ينظم سياسة البلاد وإدارتها ، وولى في الحصون والبلاد من ارتضاه من الولاة والحكام ، ومن يثق فيهم^(٣) . فولى الصليحي على تهامة^(٤) الأمير أسعد بن شهاب ، صنو السيدة الحرة أسماء بنت شهاب زوجته ، وكان الصليحي قد أقسم ألا يولى التهامم إلا من يزن له مئة ألف دينار ، ثم ندم على ذلك حين أراد أن يوليها أسعد بن شهاب . فوزنت له زوجته الملكة أسماء عن أخيها . فقال لها زوجها : « يامولاتنا ! من أين لك هذا ؟ » قالت : « هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب » . فتبسّم ، وعرف أنه من خزائنه ، فقبضه ، وقال : « هذه بضاعتنا ردت إلينا » . فقالت له : « وغير أهلنا ، ومحفظ أخاننا » .

(١) أبناء / دار ٤٠ ، ولم يذكر اسم القائم هذا .

(٢) رسائل القمي ٢٧ . (٣) بغية ورقة ١١ .

(٤) هو أبو حسان أسعد بن شهاب الصليحي الأمير الكبير . كان جوادا كريما عاقلا وقورا ولاء الملك علي الصليحي على زيد وسائر تهامة فصار إليها سنة ٤٥٦ . ويقول عن نفسه : « تم أقت واليا على زيد والتهامم لم يتعلق بدمي إلا ما لم أعلم به » . وتوفي في شهر شعبان من نفس السنة .

دخل أسعد زبيد سنة ست وخمسين وأربع مئة وسكن دارشجار^(١)، وأحسن السيرة في الرعية، وأذن لأهل السنة في إظهار مذهبهم^(٢)، وعامل أرباب الدولة النجاحية بالحسنى^(٣).

وقد استعمل الصليحي ابنه الأمير المكرم أحمد بن عليّ على الجند وعلى ما يليها، واستعمل أخاه السلطان عبد الله بن محمد بن عليّ على حصن التعكر وما والاها. فلما كان في سنة سبع وخمسين وأربع مئة اختط السلطان عبد الله بن محمد الصليحي مدينة ذي جبلة بأمر أخيه الملك علي بن محمد الصليحي^(٤). وقيل إن عبد الله ابن محمد الصليحي هو الذي بنى قلعة تعز وابتدأ في تمدنها أيام أخيه علي الصليحي هو وابن أخيه المكرم أحمد بن علي الصليحي. وكان المكرم بالجند وعمه السلطان عبد الله بن محمد الصليحي في التعكر.

دخول الصليحي مكة وموقفه من الأشراف

ولم يكن اهتمام الصليحي مقصوراً على اليمن فحسب، بل كان ينظر إلى ما وراء حدود بلاده، وبالأخص إلى بلاد الحجاز والأراضي المقدسة — أقرب البلاد من اليمن، وأهمها في نظر المسلمين، وأحوجها إلى استقرار الحكم وحسن الإدارة فيها، فتوجه اهتمام الصليحي إليها. وكان إخلاصه للدعوة الفاطمية، وتفانيه في رضا الإمام بمصر، يحتم عليه أن يجيب أوامره صاغراً، ويؤديها متبركاً برضاه، معتزلاً بثقته له. فلما خرجت مكة عن طاعة المستنصر^(٥)، وقطعت الخطبة له من سنة ثلاث

(١) بناء شجار بن جعفر مولى زياد (عمارة/ كاي ١٩).

(٢) قرة ورقة ٢٢. (٣) الكبيسي: اللطائف ورقة ١٧.

(٤) عيون ١٢٢/٧.

(٥) راجع محمد جمال الدين سرور: النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ٩ — ٣٩ لما تقدم من الحوادث والأسباب التي أدت إلى تطلع الخلفاء الفاطميين إلى بسط سلطانهم على الأراضي المقدسة بالحجاز.

وخمسين وأربع مئة أرسل على الصليحي إلى واليها الشريف شكر الحسيني^(١) ،
وحذره مغبة خروجه ، وتبودلت بين الطرفين مراسلات تنطوى على كثير من التهديد
والوعيد ، من ذلك قصيدة للشريف شكر بعث بها إلى الصليحي ، جاء في أولها :

لتفليق الجحاجم والرؤوس وإقحامى خميسا في خميس^(٢)
فأجابه الشاعر عمرو بن يحيى الهيثمي على لسان الملك على بن محمد الصليحي
رداً على الشريف شكر السليمانى بقصيدة طويلة جاء فيها^(٣) :

دم الأبطال في اليوم العبوس -	مدامى لا شراب الخنيس -
ولهوى بالنشيج إذا تلاقى الـ	وشيج بمعرك حامى الوطيس
أحب إلى من نغمت عود	وصادحة تغرد عيطموس
ولولا فضل من كنى وجدوى	معدّ ذى الندى الغمر السوس
لكنت حليف إقتار حبيسا	بدار صريع أفيون شريس
أفق عن عيب أجدادى ومجدى	فما بأسى بمفلول الضروس
ولا يبتى بهمدان بن زيد	بمجهول الفروع ولا القنوس
أنا ابن حماهم وذرا قناها	أنا ابن عنابس الحرب الضروس
أنا ابن سراتها الحكماء فيها	ذوى الأفضال مرضى المسيس

(١) نضر المعالي أو تاج المعالي أبو عبد الله شكر بن أبي الفتوح ، أصله من ملوك مكة
السليمانيين من بني حسن ، نسبة إلى سليمان بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط (القلقشندي: صبح
الأعشى ٤/ ٢٦٨ — ٢٦٩) ؛ تولى شكر ولاية مكة بعد موت أبيه سنة ٤٣٠ ، وتمسك من
بسط نفوذه على المدينة ، وأقام الدعوة المستنصرية في الحرمين ، واستمرت الحال على ذلك حتى
سنة ٥٣٣ (ابن زبني دحلان : خلاصة الكلام ١٨) ؛ وكان شكر هذا شاعرا محبا للأدباء
يذكر له ابن الأثير (الكامل ١٠/ ١٢) قوله :

قوس خيامك عن أرض تضام بها وجانب الذل إن الذل محتجب
وارحل إذا كان في الأوطان منقصة فالندل الرطب في أوطانه حطب

(٢) عيون ١٧/٧ .

(٣) وهي قصيدة طويلة جاء نصها الكامل في عيون ١٧/٧ — ١٩ .

تماني كلّ أغلب حاشديّ عدوّ للخفنا عنه شمس
بنوا ، واتمّ مفخرهم بنائي وقوّى جبل مجدهم فريسي
وكم ملك أسرت ، وكم خميس أباد سراته قتلًا خميسي
وكم نفع أثارتہ رعالی تخفيل الجوؤ منه في سدوسي
وكم قوم نعشتهم وقوم طحنهم وحصن من مريس
بني حسن ! ألا تنهون شكرا عن استمطاره سحب النحوس
أتاني السبّ عنه ، وقال : إني إذا أقسمت أحلف بالمجسوس
ألى قسم بغير أبي تميم وأسرته البدور من الشموس
متى أذن الإمام بحرب شكر أتته بالردى خيلي وعيسى
بني حسن ! حذار ! إذا أتكم جنود الله بالخطب الشكوس

ولما عيل صبر الصليحي ، وضاق صدره ، طلب من الإمام أن يأذن له بإزالة الشريف عن مكة ليكون أمرها إليه . فأجابه الإمام بنهاه عن سفك الدماء بالحرم ، فقال : « إياك أن تلقى الله بدماء بني فاطمة »^(١) . فاعتمد الصليحي أمر إمامه ، وصبر مدة على ما كان يجري بالبلاد المقدسة .

ثم توجه الصليحي إلى مكة في السادس من شهر ذي الحجة سنة ٤٥٤^(٢) وقضى فرض الحج ومعه ملوك اليمن وزعمائها ، وانزعها من بني أبي الطيب ؛

(١) عيون ١٩/٧ .

(٢) وقد أجمع معظم المراجع على أن وصول الصليحي إلى مكة كان في موسم حج سنة ٤٥٥ ؛ وانفراد لإدريس برأى فقال : إن حجه كان في موسم الحج سنة ٤٥٤ . وإنا نؤيد قول إدريس لأن سجل الخليفة المستنصر الموجه إلى الصليحي كما ورد في عيون ١٩/٧ والسجلات رقم ٧ كتب في العشر الأول من شهر ربيع الآخر سنة ٤٥٥ . بعد أن عاد من مكة . ويؤيده ماورد في السجلات رقم ٤ أن الخطاين اللذين أرسلهما الصليحي إلى المستنصر بعد عودته من مكة قد وصلا — أحدهما صدر من صنعاء في شهر شعبان سنة ٤٥٥ ، والآخر صدر من المهجر في شوال من نفس السنة .

ذلك أن شكرا لما توفي ، وخلفه ابن جعفر^(١) رئيس الهواشم وزوج ابنة شكر^(٢) ،
أوقع بالسليمانيين الهزيمة ، وأخرجهم من بلاد الحجاز ، واستقل بإمارة مكة ،
وأقام الخطبة للخليفة المستنصر بالله الفاطمي^(٣) . ولكنه لم يعمل على الاحتفاظ
بسيادة الفاطميين على مكة ؛ لأنه مالبت أن انحرف عنهم ، وأمر بذكر اسم
الخليفة القائم العباسي^(٤) .

سنات الصليحي في البلاد المقدسة

ولما انتهى الصليحي من فريضة الحج أخرج من الأموال والصدقات للبيت وإقامة
حرمة ومناسكه ما يفوق حد التصور^(٥) وعامل الناس بالحسنى وأظهر العدل والإحسان ،
وعمل على استمالة الناس إلى جانبه بما امتلك من الأموال^(٦) ، فطابت قلوبهم ، ورخصت
الأسعار ، وأمنت الحاج أمانا لم يعرف مثله من قبل ، حتى إنهم كانوا يعمرون ليلا ونهارا ،
وأموالهم محفوظة ، ورحلهم محروسة^(٧) . ولم تقف أعماله هناك عندهذا الحد ، بل إنه
أدب القبائل التي كانت تعتدى على الحاج ، فرد بنى شعبة عن قبيح أعمالهم وأفعالهم مع
الحاج ، ورد إلى البيت من الحل ما كان بنو الطيب الحسينيون قد أخذوه لاملئكوأبعشكر
وكانوا قد عروا البيت والميزاب^(٨) ؛ ثم أخذ يصلح ما أفسده الأشراف في هذه البلاد ،
وتحمل ديات القتلى من ماله الخاص ، فكسب بحسن سياسته رضا إمامه وثقة كثير
من أهالي البلاد الإسلامية ، لما قدمه من خدمات الحاج المسلمين عامة ، ومقام به من
كسوة الكعبة بالديباج الأبيض^(٩) ، وما جلبه من الأقوات إلى أهالي هذه البلاد
فلهجت الألسن بالدعاء له في كل مكان^(١٠) .

(١) الفلقشندى : صبح الأعشى ٢٧٠ / ٤ .

(٢) أبو الطيب : شفاء الغرام (الباب السابع والثلاثون) .

(٣) ابن خلدون : المعبر ١٢٢ / ٤ .

(٤) الفلقشندى : صبح الأعشى ٢٧٠ / ٤ . (٥) عيون ١٩ / ٧ .

(٦) السجلات رقم ٧ . (٧) الفاسي : تحفة الكرام ١٨٨ .

(٨) ابن الجوزي : مرآة الزمان ١ / ١٢ ورقة ٨٨ .

(٩) الفاكهي : المتقى ٥٤ .

(١٠) العيني : عقد الجمان ٤٢١ - ٤٥٤ ورقة ٢٢٦ .

أقام الصليحي حتى يوم عاشوراء من سنة ٤٥٥ مخطب للخليفة المستنصر في الحجاز، ويعيب على العباسيين إهالهم شئون الدين . وفي أثناء إقامته بمكة راسله الأشراف الحسينيون المغلوبون على أمرهم، وطلبوا منه أن يختار من بينهم واليا عليهم، وبذلوا له الطاعة ؛ فأقام على البلد واليها السابق محمد بن جعفر ، وأعطاه مالا وسلاحا ، وأصلح بين العساكر . ودل بهذا على حسن سياسته ، لأنه لم يتعنت مع الحسينيين ولم يظلم الحسينيين، وآثر أن يحسن معاملتهم ليكسب ودهم، وخاف أن يترك البلد قبل أن تستقر الأمور فيها ، فتقع في أيديهم ويستمررون في عنادهم وخلافاتهم . فاستعمل معهم اللين ؛ وبذلك نجح في تحقيق سياسته مؤقتا ، وقفل راجعا إلى صنعاء .

تلوه الأشراف

ولم يعمل الشريف محمد بن جعفر أمير مكة طوال عهده (٤٥٣ - ٤٨٧) على تنظيم الأمور في الأراضي المقدسة وإقرار الأمن بها، بالرغم من المساعدات المالية التي كانت ترد إليه من الخليفة العباسي أحيانا ، ومن الخليفة الفاطمي أحيانا أخرى ، بل أساء السيرة فيها، وأصبح الحاج في أواخر أيامه لا يأمنون على أنفسهم^(١) ، كذلك لم يبد من هذا الشريف ما يشعر برغبته في الاستقلال عن الخلافة العباسية أو الفاطمية ، بل دان لكل منهما بالطاعة في فترات متقاربة، حتى وصفه أبو المحاسن^(٢) بأنه كان متلونا تارة مع الخلفاء العباسيين، وتارة مع المصريين الفاطميين^(٣) .

(١) ابن الأثير : الكامل ٨٣/١٠ .

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٤٠/٥ .

(٣) ويظهر من هذا أن الهواشم كانوا يلعبون بمصالح البلاد المقدسة ومصالح المسلمين جريا وراء المال . وهناك رأى آخر أفادنا به الشريف خالد صادق ، قال : « إن هذا التلون يرجع إلى دوافع سياسية وأخرى اقتصادية ، وذلك لأن مكة المكرمة كان يصل إليها في موسم الحج كل عام ، قوافل حجاج عظيمة برفقة جيوش مسلحة تحت إمرة أمراء الحاج ، وكان كل واحد من هؤلاء الأمراء يمثل ملكا ودولة تختلف في سياستها وقوميتها وأهدافها السياسية ، بل ومذاهبها الدينية عن الأخرى اختلافا كبيرا ، فتسبب عن هذا الدباين تصادم ، إما في التقدم =

الخليفة الفاطمي بشكر الصليحي

وبعد عودة الصليحي إلى صنعاء شكر له الخليفة المستنصر حسن صنيعه وامتناله لأوامره بعدم إراقة الدماء فيها؛ وليس أدل على ذلك مما قاله الإمام نفسه : «إن أمير المؤمنين هو الذي ثنا عنانك، ولا وصمة عليك أن قبضت دونهم بنانك... وعزير على أمير المؤمنين أن تنهك بحرم الله سطوره، أو تنعكس أموره»^(١).

أما الشريف محمد بن جعفر فقد هجم على مدينة الحلي^(٢)، واستولى على ما بها من متاع للصليحي، وقصد بذلك إثارة الفتن وتهيج العامة^(٣). وقد شكوا الصليحي هذا الأمر إلى إمامه بمصر فأجابته: أما الشريف صاحب مكة «فإنك تستخير الله تعالى، وتتوخي له متقدما للإعذار والإنذار واللين في المقال إن نجح أو أضر، وإلا حاكمته إلى الله جل وعلا، وهو خير الحاكمين»^(٤).

== في المراسيم المتبعة لدى أشرف مكة، أو في إحراز مركز ممتاز. وترتب على هذا كله تغيير موقف الأشراف هناك حسب التوازن بين القوى المتضادة. كذلك كان ضعف موارد بلاد الحجاز مما جعل الأشراف هناك يقبلون المساعدات التي كانت تقدم إليهم تأميناً لأمن البلاد وإنفاذاً لاقتصادها ».

(١) السجلات رقم ٧.

(٢) معجم البلدان/الحلي.

(٣) عيون ٢٣/٧.

(٤) السجلات رقم ٤. ولم يستمر ولاء الهواشم للفاطميين طويلاً، لأن الشريف محمد بن جعفر قطع خطبة المستنصر وخطب لبني العباس في سنة ٤٥٨ هـ؛ فقامت ثورة على هذا الشريف وخلعوه بعد أن قطعت ميرة مصر عن مكة، فأعاد خطبة المستنصر مرة ثانية. ونحن نرى أن حسن سيرة الصليحي وسياسته في هذه البلاد بالإضافة إلى ما رآه الناس هناك من استتباب الأمن في البلاد نتيجة لهذه السياسة، كان لها أثر فعال في قيام الثورة على هذا الشريف. وكان من أثر ذلك أن أرسل الخليفة العباسي أموالاً جزيلة إلى مكة في موسم حج سنة ٤٦٢ هـ، فخطب له الشريف في موسم هذا الحج فقط، وكتب إلى المستنصر بمصر يعتذر إليه، ولكن السلطان ألب أرسلان السلجوقي أجزل العطاء إلى هذا الشريف؛ فأرسل إليه ثلاثين ألف دينار، وجعل له مرتباً سنوياً قدره عشرة آلاف دينار (ابن الأثير: الكامل ٢١/١٠). وفي سنة ٤٦٧ هـ أرسل المستنصر هدية جلية إلى الشريف محمد بن جعفر، وطلب منه إعادة الخطبة بمكة للفاطميين، وقال: «إن عهودك كانت للخليفة القائم العباسي والسلطان ألب أرسلان وقد توفيا»، فقطع خطبة المفتدي بعد أن خب طالع عباسيين أربع سنوات وخمسة أشهر (ابن أبياس: بدائع الزهور ٢٤/٢).

حالة اليمن بعد عودة الصليحي من الحجاز

وفي أثناء غيابه عن اليمن قامت الفتن والثورات في بعض أنحاء مملكته ، فثار عليه قوم من عَنَس و زُبَيْد ، وأظهروا الخلاف والعصيان والتفوا حول رجل منهم ، والتجئوا إلى جبل مَشْوَة ^(١) وما جاوره من الجبال ، وعظم شغبهم وفسادهم ؛ فقصدهم الصليحي إلى معاقلمهم فاقتحمها عنوة حتى دنوا له بالطاعة ، بعد أن قتل منهم كثيرا في أثناء الحرب وعفا عن بقى منهم ^(٢) .

ولاية العهد

فكر الملك علي الصليحي بعد ذلك في ولاية العهد ؛ فلما بلغ الأمير محمد بن علي الصليحي أكبر أنجاله مبلغ الرجال ، رغب في أن يوليّه دولته لينوب عنه في حياته وبعد مماته . فكتب إلى المستنصر بالله سنة ٤٥٦ يخبره بما استقرّ عليه رأيه . فورد إليه سجل الإمام بالموافقة على هذا داعياً للأمير بالتوفيق ، ولقبه بالأمير الأعزّ شمس المعالي ^(٣) ، وأذن له الإمام بأن يذكر هذا اللقب على منابر البلاد اليمنية ، وكان وصول السجل المستنصرى إلى الصليحي في مدينة صنعاء في شهر رجب سنة ٤٥٦ . وتصادف أن توفّي في شهر شعبان من نفس السنة الأمير أسعد بن شهاب وإلى الملك علي الصليحي على زبيد وأعمالها ^(٤) ، فرأى الصليحي

(١) وحصن مشوة في مصانع رعين في مخلاف ذي رعين (صفة ١٠١ ، ١٢٥)

(٢) عيون ٢٣/٧ .

(٣) وأضيف هذا اللقب إلى ألقابه القديمة وهي : منتخب الدولة وصفوتها ، ذو المجدين (عيون ٧٦/٧ ؛ انظر الملحق رقم ٢) .

(٤) وان قول صاحب فلادة النحر ٢/٢ ورقة ٦٢٨ من أن أسعد بن شهاب تولى زبيد سنة ٤٥٦ ، وظل حاكماً بها خمسة عشرة عاماً حتى أخرجه منها جيش بن نجاح سنة ٤٨٢ ، قول لأساس له من الصحة ، وقد ثبت بطلانه برواية صاحب العيون ٧٦/٧ .

أن يولي ابنه الأعزّ على ما كان لخاله أسعد، وأراد أن يتركه حرّ التصرف في إدارة شئونها لكي يختبره ويدربه على الحكم .

موت الأمير الأعزّ محمد الصليحي

ولقد وصل الأمير الأعزّ محمد بن علي الصليحي إلى زبيد في شهر شعبان من سنة ٤٥٧ . وبعد خمسة أشهر من حكم تهامة سار أبوه الملك الصليحي بصحبة الملكة السيدة الحرة أسماء بنت شهاب وولدها الموفق في شهر محرم سنة ٤٥٨ إلى زبيد ، وأقاموا في ضيافة الأعزّ مدّة قصيرة ، ثم عولوا على السير إلى صنعاء . فصحبهم الأعزّ مودعا ، وكان يريد أن يبلغ معهم الغمد . فلما صار بالمصقع أصابته الحمّى ، فأمره والده بالرجوع إلى زبيد ، فرجع إليها . ودخها ليلة الثلاثاء لعشرين ليلة خلت من المحرم ، وقد ازداد عليه المرض ، فلم يمهله . فتوفى في الثاني والعشرين من المحرم سنة ٤٥٨ ، وعمره سبع وعشرون سنة^(١) . ولما وصل خبر وفاته إلى والده وهو على وشك طلوع مسار مع الملكة السيدة أسماء اشتدّ عليهما الحزن^(٢) ، وقفل الملك علي الصليحي عائدا إلى زبيد بجميع من معه . فوصل إليها ليلة الاثنين ولم يكن ابنه الأعزّ قد دفن . فشيّع جنازته يوم وصوله ، ودفنه غربى قبر خاله أسعد بن شهاب .

وفي ذلك يقول القاضي عمران بن الفضل الياي^(٣):

(١) عيون ٧٨/٧ .

(٢) وقد روى عن علي بن محمد الصليحي قصة الرؤيين اللتين رآهما بعد موت ابنه الأعزّ محمد . وردت القصة في الرسالة المسماة بقصة رؤيا علي بن محمد الصليحي ، ويقال لها من تأليف الصليحي . وإنما يغفل لي أنها منسوبة إليه وأنها تأليف غيره ولكنه حكّاها على لسان الصليحي . وجاء في القصة أن الصليحي ناله من الأسف على ابنه محمد والحزن من بعده ، وأنه رأى في منامه كأنه جالس بين أيدي إمامه المستنصر في دار واسعة وهو يشكو إلى الله وإلى الإمام مما لحقه من الحزن والهجم ب وفاة ابنه الأعزّ ويقول له : « يا مولانا انظر إلى هذا الركن قد انهدم حتى أنا أنظر الصحراء من خلفه » . وكان الإمام يعزيه ويسليه بقوله : « هذا الركن كان ركننا لوليك محمد . أنا أشيده لوليك أحمد حتى يعود كما كان . فلا يحزن ولا تغم ولا والدته ولا كافة المؤمنين » . ولا تغلو هذه القصة من طرافة الخيال الشعري وحقائق تاريخية .

(٣) عيون ٧٨/٧ .

عَالَ صَبْرِي فِرَاقُ ذِي الْمَجْدَيْنِ وَجَفَانِي الْكَرَى وَأَسْهَدَ عَيْنِي
صَارِحَ إِنْ النَّدَى وَنَجَلَ عَلَى سَكَنًا فِي ضَرْيَحِهِ لِحَدَّيْنِ
مَا رَأَيْنَا وَلَا سَمِعْنَا بِقَبْرِ قَبْلَ هَذَا مُضْمَنًا شَخْصَيْنِ
كَارِثَاهُ الشَّاعِرُ عَمْرُو بْنُ يَحْيَى الْهَيْثُمِيُّ بِقَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ جَاءَ فِيهَا (١) :

فَتَزَلَّزَلَتْ شَمُّ الْجِبَالِ لِفَقْدِهِ وَأَضَلَّ سَالِكَهُ الطَّرِيقُ اللَّهُجَمُ (٢)
وَالشَّمْسُ كَاسْفَةً عَلَيْهِ حَسْرَةً وَالْجَوُّ فِي وَقْتِ الظُّهْرِ مُظْلَمٌ
إِنْ تَهْدَمَ الْأَيَّامُ قَبْرَ مُحَمَّدٍ (٣) فَسَنَاوُهُ فَوْقَ السَّهَى لَا يَهْدَمُ

وبعد أن أقام الملك علي بن محمد الصليحي العزاء على ابنه الأعز سبعة أيام يقرأ فيها القرآن أرسل رسله إلى الإمام بمصر في شهر صفر سنة ٤٥٨ (٤) . وفي هذه الأثناء توفيت ابنته ميمونة غماً على أخيها الأعز . وقبل أن تصل رسل الصليحي إلى الإمام كان هذا قد علم بوفاة الأعز ، فأرسل سجلاً إلى الصليحي (٥) وصله وهو في أبين في شهر ربيع الآخر سنة ٤٥٨ ، وفيه عزاء الإمام وتعيين الأمير المكرم ولياً للعهد بعد أخيه ، كما كتب الإمام سجلاً (٦) إلى الأمير المكرم في شهر ربيع الأول سنة ٤٥٨ يوصيه بوالده خيراً .

رد المستنصر على طلب الصليحي لزيارة مصر

أنفذ الصليحي إلى الإمام قبل وصول الرد على رسالته السابقة وفداً يتسكون من القاضي عمران بن الفضل ونجيب بن عفير ويوسف بن محمد وعنتر بن غشم ، وكان ينبغي السماح له بالحج « ليظهر نفسه من دنس الدنيا » ويقضى على

(١) عيون ٧٨/٧ .

(٢) اللهم أي الطريق الواسع المذل قد أثر فيه السابلة حتى استتب وكان الميم فيه زائد والأصل فيه لهج (ل / لهج) .

(٣) في رواية : عمر محمد .

(٤) نفسه ؛ انظر الملحق رقم ٣ .

(٥) عيون ٧٩/٧ — ٨٠ .

(٦) انظر الملحق رقم ٤ .

على الفساد الذى حلّ بالحرم المعظم ، ويقوم مناره ، ويقم للعدل عماده ، ويعمر طريقه للسفر ، ويطهرها من المفسدين » ^(١) . فوافق الإمام على طلبه وأرسل إليه سجلاً ^(٢) بذلك مؤرخاً في شهر ربيع الأول سنة ٤٥٩ ، وفيه نصح لداعيه بأن يعالج الأمور في هذه الجهات بتأليف القلوب وتجنب الحروب ، وأن يؤثر الخير والعافية ما استطاع ، وأن يجنب نفسه والناس الفتنة ما وجد إلى ذلك سبيلاً ، وقال : « وأنت خير من لحظته عين الإمامة بالاصطناع ... وإن أمكنك ذلك المكان ، بتأليف القلوب ، وتجنب سورة الحروب ، فوارد ذلك على الأكباد ، إنه لآية المراد ، وغاية قصد القصّاد » . كذلك طلب الصليحي من الإمام أن يسمح له بالثول بين يديه ، فردّ عليه بأنه يشفق عليه لبعده الطريق ومشقته .

ولعلّ السبب في عدم موافقة المقام الإمامي على ذهاب الملك الصليحي إلى مصر ، يرجع إلى أن حالة مصر في ذلك الوقت كانت سيئة جداً بسبب الشدة العظمى ^(٣) التي اجتاحت البلاد . وحسبنا أن نشير إلى الفتنة ^(٤) التي جرت في سنة ٤٥٤ بين ناصر الدولة بن حمدان وأتباعه الأتراك ، وفتوح الشامي وأنصاره العبيد ، حينما وردت إلى مصر هدية موجهة من الملك على بن محمد الصليحي إلى إمامه المستنصر « عظيمة القدر لم يسمع بمثها » ، وأن نشير إلى ضعف الخليفة المستنصر

(١) عيون ٨٠/٧ — ٨٢ .

(٢) ورد السجل في عيون ٨٢/٧ — ٨٦ (انظر الملحق رقم ٥) . فد عهد الامام المستنصر إلى الصليحي بأن يتوجه إلى حضرموت ونشر الدعوة في آفاقها . ومن أثر هذا التكليف أن دخل الصليحي في حروب مع هذه البلاد ولكنه لم يفتحها (راجع د الإمام إبراهيم بن أبي قيس الحضرمي) ، بل دخلت حضرموت بفضل مساعي الصليحي تحت نفوذ الصليحيين الديني في عهد الملك المكرم .

(٣) اجتاحت الشدة العظمى مصر في المدة ما بين (٤٥٩ — ٤٦٦) وتمرضت في أثنائها البلاد للنهب والسلب والحرب بسبب اختلال الأمن وانتشار القوضى . ولما يئس المستنصر من استصلاح الحالة استوزر بدر الجمالي فيما بين (٤٦٦ — ٤٨٧) وبتوليته الوزارة بدأ عصر الوزراء العظام .

(٤) عيون ٦٦/٧ — ٧٢ .

أمام مطالبات ابن حمدان ولجأه في السؤال . ولعلَّ المقام الإمامي خشي أن يطلع الصليحي ومن معه على حقيقة هذه الأمور ، فيترك في نفوسهم أثرا غير مرضي . ويحتمل أن يكون الإمام رغب في ألا يبتعد الصليحي عن دولته فيشق عليه الأعداء عصا الطاعة إذا ما أنسوا بعد الملك عنهم . وقد أثبتت الأيام أن البلاد جميعها كادت تخرج من قبضة الدولة الصليحية حين علموا بقتل علي الصليحي سنة ٤٥٩هـ ، وقد لاقى الملك المكرم صعابا جمة ، في إعادة الحياة إلى مجاريها وثبتت مركز هذه الدولة مرة ثانية .

قيام المكرم بأعمال الدولة

بعد أن استعد الملك علي استعدادا حسنا ، أوصى ابنه أحمد المكرم « بالعدل وحسن السيرة والسياسة ، وتقوى الله في الجهر والسريرة ، والعمل بأعمال الشريعة وإقامة دعائمها ، والانتهاز بأوامرها والانهاء عن محارمها » ^(١) . وفي العهد إلى المكرم قال القاضي الحسن بن أبي عقامة قصيدة طويلة جاء فيها ^(٢) .

هَمَّنا الدينَ والعِلياءَ تَقْلِيدُكَ الأَمْرَ فقد طوقَ التَّقْلِيدَ هَذَا وَذِي نَفْرا
لَعَمْرِي لَقَدْ طالَ انتِظارُها لَذا وعدَّأله الأَيامَ والحولَ والشَهرا
إلى أن أتى تحقيقَ ما كان ظَنُّه وللكونِ فَعَلَّ ليس تَفْعَلُهُ البُشرى
فلو ملكا قولاً إِذنَ ثَنِيابِه ولو ملكا بطشاً إِذنَ سَجَدَا شُكْرا
ثم غادر الملك علي الصليحي صنعاء ، وترك فيها ابنه الأمير أحمد المكرم ^(٣) ، ومعه السلطان أحمد بن المظفر الصليحي ^(٤) . وفي هذا يقول الشاعر عمرو بن يحيى الهيثمي قصيدة جاء فيها :

(١) عيون ٨٨/٧ .

(٢) وردت هذه القصيدة في عيون ٨٦/٧ — ٨٨ .

(٣) وسيأتي ذكره في الباب الخامس .

(٤) في عيون ٨٦/٧ جاء : ومعه خاله أحمد بن المظفر الصليحي . والظاهر أن أحمد ابن المظفر لم يكن خال المكرم .

ما لمن فارق الأحبة عذر إن نهى دمه عن الفيض صبر
 إن سيف الإمام كالبحر ذى المو ج له فى البلاد مد وجزر
 ولكن ساءنا فراق على فبأحمد ابنه لنا ما يسر
 ذلك بحر سقى به مكة الله وهذا لوفد صنعاء بحر^(١)

الموكب المسمى بمنى

قدم الملك على أمامه خمسين ملكا من ملوك اليمن المغلوبين على أمرهم ،
 ومئة وسبعين من آل الصليحي وغيرهم ، ممن أرادوا الحج معه من يام وجنب
 وسنحان وأهل حراز . وقد رعى من سيرهم أمامه عدم ازدحام الطريق بهم .
 ثم سار فى ألنى فارس وبين يديه خمس مئة فرس مطهمة بالسروج المحلاة بالذهب
 والفضة ، وخمسون هجينا^(٢) ، وغير ذلك من الزينة والآلات ، مما لا يدخل تحت
 الحصر^(٣) .

ضيانة العبير وقتل الصليحي وأسر السيرة الحرة أسماء

وكان قيامه من صنعاء فى يوم الاثنين السادس من ذى القعدة سنة ٤٥٩ .
 ولكن فى هذه الأثناء كانت نار الحقد وحب الانتقام تلهم قلوب بنى نجاح بزعمارة
 سعيد الأحول . فكانوا يتر بصبون الفرص للإيقاع بالصليحي والعمل على تقويض
 دولته ، التى كانت سببا فى زوال ملكهم . وكان يشجعهم على الاستمرار فى
 المطالبة بحقوقهم ، ويقوى عزيمتهم على الأخذ بشار نجاح ، فرح البيشى أحد عبيد نجاح ،
 الذى أخذ يحرص العبيد الأحباش ويشد أزهرهم فى الخفاء . فلما وصل الخبر إلى
 الصليحي ، استقدم فرحا وعاقبه وذكر له إحسانه إليه وتقديره ورفع مكانه . فأنكر
 فرح ما نسب إليه وحلف الأيمان المغلظة ، وقرّر أنه سيذهب لىأتى رأس سعيد

(١) باخرمة : قلادة ٢/٢ ورقة ٦٠١ ؛ الأصهباني : خريدة ٢/ ورقة ٢٧٩ ، وجاء
 فى الحريدة فى البيت الثالث :

ولئن ساءنا فراق على فبتك ابنه لنا ما يسر .

(٢) أنباء/ دار ٤٠ . (٣) كفاية ٤٩ .

الأحول إلى الصليحي الذي صدّقه . ولكن فرحا لما ذهب إلى زبيد أخذ
يخرض العبيد بقوله : إنه قد اشتهر أمركم فأدركوا نفوسكم ، وإلا فإنه قد حان
هلاككم^(١) . فلما بلغ الصليحي ذلك أمر بالقبض على فرح الذي ساقه أبو السعود
بن أسعد بن شهاب مكبلا ، فأمر الصليحي بقتله حين ثبت له فساداه وعناداه . وكان
من أثر ذلك أن شق الأحباش عصا الطاعة على مواليهم زبيد حيث وثبوا على أبي
السعود وأحمد ابني أسعد بن شهاب فقتلوا ، وقتلوا من كان معهم من أهل حراز
ونهبوا ما معهم من أموال وكراع^(٢) .

ولما قوى أمرهم عزموا على محاربة الملك على الصليحي ، فاستدعوا من كان
على رأيهم من العبيد بتهامة والحجاز للقيام معهم لحرب الصليحيين . وقد وقفوا
من عيونهم على أن الصليحي لم يكن معه أحد من أهل البأس والمراس ، لأن
رجالهم قد تقدموه وجميع أمواله وأثقاله مبيثثة فيما بين هجر والمهجم ، لأن البلاد
قد تمهد مهادها واستقام عمادها وأمنت السبل وخضع كل عزيز وذل^(٣) . ولم
يكن مع الصليحي في المهجم إلا ابنته الموفق وزوجته السيدة أسماء بنت
شهاب وأخواه عبيد الله وإبراهيم وجماعة من بني الصليحي . وكان الصليحي
لما علم بأن الأحباش في طريقهم لقتاله قد أنفذ عبيده لمقاتلة عدوه . وقد عهد إليهم
بهذا الأمر لو توفقه فيهم لأنه ولي نعمتهم ، وله عليهم فضل وإحسان ، فذهبوا
مسرعين متظاهرين بالحماسة والإخلاص ، « ولكنهم أضمرُوا الخيانة والفدر ،
لأنهم حين التقوا في الطريق بيني جلدتهم ، غدروا بسيدهم وحرصوا العبيد من
الحبشة على قصده ، ودلّوهم على موضعه وقالوا لهم : إن فاتكم غدا السبت لحق
بأصحابه وعسكره وامتنع عليكم . فأصغوا إلى نصيحتهم وقويت نفوسهم وصحّت
عزائمهم وساروا إليه مجدين ، حتى فاجئوه بضبعة يقال لها أم الدهيم ، وانقضوا

(١) عيون ٧/٨٩ .

(٢) نفسه .

(٣) الفاسي : تحفة الكرام ورقة ١٨٨ .

عليه في يوم السبت الحادى عشر من ذى القعدة، ومعه بنو عمه الذين أبلوا بلاء شديداً، وكان السلطان عبدالله ابن محمد أشدهم يومئذ إقداماً وأعظمهم بطشاً بالأعداء»^(١).

قتل الصليحي وأخواه عبدالله وإبراهيم وبعض أقاربه . أما الأمير الموفق ابن على الصليحي ومهنا بن على بن المظفر الصليحي فقد اتجها إلى مكان السيدات لحمايته ، ولكن العبيد ما لبثوا أن حاصروا هذا المكان واستمروا حصارهم حتى يوم الأربعاء الخامس عشر من ذى القعدة . فاستأمن مهنا ، وخرج إلى الأحول ، فأخذ منه ميثاقاً شديداً على الحرائر الصليحيات وعلى من بقى من بنى الصليحي وسواهم ، وحلف له أغلظ الأيمان بأنه سيطلق سراحهم ليسيروا إلى صنعاء ، فوثق بقوله ، ونقل السيدات إلى دار أخرى ، وغدر الأحول بالرجال فقتلهم عن آخرهم ، ونهب كل ما كان فى الدار من أموال جلييلة القدر من العين والورق^(٢) وسائر ما يدخره الملوك^(٣) . وكان الداعى قد أعدّها لينفق منها على الجند ، وعلى صالح البيت الحرام ، ويقدمه إلى إمامه^(٤) . ومما غنمه ألف فرس وثلاثة آلاف جمل بعددها^(٥) .

وسألت الملكة السيدة أسماء بنت شهاب سعيديداً الأحول أن يسمح لها ، هى ومن معها من النساء بالعودة إلى صنعاء ، فامتنع . ثم سار إلى زييد ومعه النساء ورأسا الملك على بن محمد الصليحي وأخيه السلطان عبدالله محمولان على رحلين أمام هودج الملكة أسماء . ونصيب الرحان أمام الطاق الذى تنظر منه الملكة الحرة أسماء فى الدار التى حلت بها ، إلا أن القائد بذل ما استطاع من المجهود لصيانة السيدات .

غرضه الصليحي من محج البيت الحرام

وفى قيام الصليحي للحج وقتله بالطريق قال حسين القمى^(٦) :
« قام الملوك^(٧) ، قاصدا مكة لحج البيت الحرام ، وتسهيل الحج لطالبي

(١) عيون ٩٠/٧ .

(٢) الورق هو المال من الدراهم المضروبة ، وكذلك الرقة والماء عوض من الواو .

(٣) أنباء / دار ٤٠ . (٤) عيون ٩١/٧ .

(٥) عمارة / كلى ٦٤ . (٦) رسائل القمى ٤١ — ٤٢ .

(٧) المراد منه الصليحي كما ذكرناه فى ص ٨٦ ، هامش رقم ٢ .

قصده كل عام . . . وعمارة ما درس من آثاره ، وإبانة ما عفا من مناره ، وأمان قاصديه وزواره ، وإجراء مارقاً من أنهاره ، وحط المؤن عن سفاره ، ومواساة من قطن . . . راجياً أن يتجر بأريج المتاجر ، ويحوز في الدنيا شكر الوارد الصادر ، ويستولى في الأخرى على الأجر الكامل الوافر ، ويكون من الداخلين في قوله سبحانه وتعالى : **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** . واستمر في طريقه حتى وصل قرية العمد^(١) في يوم الخميس التاسع من ذي القعدة ، ثم سار من العمد وقصد سررد ، فنزل بها في يوم الجمعة . ولما وصل له الخبر بخروج العبيد من زبيد أخرج الصليحي له ما كان بحضرته من عبيد « وأعلمهم بمقصوده ، فحادوا عن طريق العبد عمدا . . . فلما سار العبد بإزاء سررد ، خرج المملوك لاستقباله ، وتخلف العبيد عن الخروج لقتاله ، وأعلموا ابن نجاح بانفراد الأجل الأوحده ، وأنها فرصة إن فاتته وقع في الندامة . . . وقادوه إلى الانتهاء والاعتنام . . . فاستشهد رحمة الله عليه ومن معه في الثاني عشر من ذي القعدة »^(٢) .

من هذه الوثيقة التي أوردتها القمى نرى أن الصليحي لم يقصد بلاد العراق ولا مصر لذاتها ، كما قال صاحب الأنباء^(٣) وصاحب اللطائف^(٤) ، ولم يكن يبغي الحج لذاته ، كما قال ابن الديبع^(٥) وباخرمة^(٦) ؛ بل كان له برنامج إصلاحى حافل بالأعمال ، بعضه يتعلق بالمساعي الخيرية ، كتسهيل الحج وعمارة الآثار وحط المؤن وإجراء الأنهار ، والبعض الآخر يتعلق بزيارته لإمامه . وتحقيقاً لهذا البرنامج قام الصليحي بسفارته على النحو الذى وصفناه ، ولكنه ما لبث أن قتل نتيجة لخيانة هبيده وعدم اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمواجهة العدو .

(١) العمد في أرض لسان في بطن تهامة ، ومواردها أسفل سهام وأسفل سررد ، وسوقها المهجم والكدراء كما ذكره الهمداني في صفة ١٠٥ — ١٠٦ . وقال القاضي محمد الحجري : لأنها قرية من قرى همدان من مديرية آل سريخ .
(٢) رسائل القمى ٥ : ٤ ؛ قال إدريس (عيون ٩٠/٧) : إن قتله كان يوم السبت الحادى عشر من ذي القعدة سنة ٤٥٩ .

(٤) الكبسى : اللطائف ١٧ .

(٣) أنباء / دار ٤١ .

(٦) قلادة ٢/٢ ورقة ٦٠٠ .

(٥) قره ورقة ٢٣ .

هذا وقد اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي قتل فيها على الصليحي ، كما اختلفوا من قبل في السنة التي تولى فيها . فقال بعض : إن قتله كان في سنة ٤٧٣^(١) ، وقال بعض آخر : إن ذلك حدث في سنة ٤٥٩^(٢) . والصواب هو الأخير ، كما ورد في الوثائق المعاصرة ، وهي السجلات المستنصرية . وقد جاء في السجل المؤرخ في شعبان سنة ٤٦٠ الذي بعث به الخليفة المستنصر إلى أحمد المكرم ما يفهم منه ذلك ، فقد أظهر فيه المستنصر أسفه الشديد على وفاة الصليحي ، ثم نادى بالمكرم ملكاً من بعده^(٣) ، كما جاء في السجل المؤرخ في جمادى الثانية من سنة ٤٦١ الذي أنفذه المستنصر إلى المكرم على يد القاضي ملك بن مالك أن المستنصر خلع على المكرم لقب « أمير الأمراء »^(٤) . ويؤيد صحة هذا الرأي مقاله عمارة^(٥) : « إن قتله كان في يوم السبت الثاني عشر من ذي القعدة سنة ٤٧٣ ؛ وقيل سنة ٤٥٩ ؛ وهي رواية صحيحة » .

وقد رثاه الشاعر عمرو بن يحيى الهيثمي بقصيدة جاء فيها^(٦) :

وَأَنْشَأَ الْحَجَّ إِلَى مَكَّةَ بِمَعْنَى رِضَا اللَّهِ وَآلِ الْبَتُولِ
وَارْتَحَتِ الْأَرْضُ لَهُ خِيفَةً بِمَنْ بَهَا بَيْنَ فُرَاتٍ وَرَيْلِ
وَقَامَ بِالْجَيْشِ وَأَضْرَابِهِ شَمُّ الْعَرَانِينَ كَرَامِ الْأَصُولِ
فَصَارَ فِي الْمَهْجَمِ فِي عُصْبَةٍ مِنْ قَوْمِهِ غَالَتُهُ دَهْيَاءُ غُولِ
كَالْلَيْثِ فِي الْغَابَةِ دَبَّتْ لَهُ رَقْطَاءُ لَيْلَا ذَاتُ شَخْصِ ضَيْلِ
فَإِنْ يَكُنْ نَيْلٌ عَلَى غُرَّةٍ فَالْبَدْرُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَفُولِ

وقال الشاعر الحسين بن علي القمي على لسان الحرّة الزكية السيدة تحفة بنت محمد الصليحي في رثاء أخيها الملك علي بن محمد الصليحي^(٧) :

(١) كشف ٤٤ .

(٢) عيون ٨٨/٧ ؛ كفاية ٤٩ ؛ أنباء / دار ٤١ .

(٣) السجلات رقم ٤٠ . (٤) نفسه رقم ٤٢ .

(٥) عمارة / كاي ٢٢ . (٦) عيون ٩٢/٧ .

(٧) صورة شمسية من مخطوط المتحف البريطاني نمرة ٤٠٠٤ لديوان أبي عبد الله الحسين بن علي بن محمد القمي . وفي المخطوط « تحفا » ، وهو تحريف .

لَعَمْرِي مَا طَارَتْ، طَيُورِي بِأَسْعَدِ
وَذَكَرَنِي فَقَدَيْ لِأَسْعَدِ إِخْوَتِي
وَقَدْ فَقِدَ الْأَحْبَابُ بَعْدَ أَحَبَّتِي
رَزِيَتْ مِنْ الْأَمْلَاكِ كُلِّ مَتَوَجٍ
مُلُوكٌ تَرَى الْأَمْلَاكِ جَوْلَ دُسُوتِهِمْ
أَبْكِي عَلَيَّ أُمَّ أَخَاهُ الَّذِي فَدَيْ
أُمُّ الثَّيَّابِ اللَّاقِي الْحَرَابَ بَنَجْرِهِ
فَلِلَّهِ أَسْنَدٌ مُرْتَعَتْ بِشَعَابِ
وَهُوَ وَجْدِي أَنَّهُمْ مَا تُخَرِّمُوا
أَمَامَ الْخَمِيسِ الْخَوَرُ تُخَفُّقُ فَوْقَهُمْ

غَدَاةَ ذَهْنِي الْحَادِثَاتِ بِأَسْعَدِ
مُلُوكٌ مِنَ الْمُسْتَشْهِدِينَ بِسُرْدِدِ
وَأِنْ كَانَ لَامْفَقُودَ مِثْلُ مُحَمَّدٍ
كَثِيرَ غِبَارِ الْجَيْشِ طَلَّاعِ أَنْجِدِ
صَفُوفًا عَكُوفًا مِنْ قِيَامِ وَسُجْدِ
وَأَكْرَمُ مَفْدِيٍّ هُنَاكَ وَمَفْتَدِيٍّ
وَقَدْ نَهَيْتُ مِنْ كُلِّ أَعْيَدِ أُصِيدِ
وَلِلَّهِ أَجْرَارٌ أَذِيلَتْ بِأَعْبِيدِ
بَغْيَرِ الْمَوَاضِي وَالْوَشِيحِ الْمُقْصَدِ
لَوَاءُ مَعَدٍّ مَرْتَضَى آلِ أَحْمَدِ^(١)

نوميد اليمن تحت لواء الصليحي

بعد عهد الملك علي الصليحي في تاريخ اليمن عهداً قل أن يوجد الزمان بمثله ، وذلك لأن هذه البلاد لم تجتمع لملك واحد ، بل « كان الرئيس منهم إنما كان رئيساً على خلافه ومحجّره لا يجاوز ذلك ، فإن نزع عنهم نازغ ، أو نبغ منهم نابغ ، فتجاوز ذلك وإن بعدت مسافة سيره من خلافه ، فإتاما ذلك منه من غير ملك له موطن ، ولا لأبائه ولا لأبنائه ؛ كذلك كان أمر ملوك اليمن ، كان الواحد منهم بعد الآخر يخرج من خلافه ومحجّره فيصيب مما يمر به ، ثم ينشمر عند خوف الطلب راجعاً إلى محجّره من غير أن يدين له أحد من غير أهل خلافه بالطاعة ، أو يؤدي له

(١) الخور ، يريد به الخيل المسرعة ، يقال فرس خوار العنان ، سهل المعطف لينه ، كثير الجري ، جمع خور (ل/خور) ؛ ومعناه هو الخليفة المستنصر الفاطمي .

خراجا»^(١) ، بخلاف ما قام به الصليحي ، فقد تمكن من جمع اليمن كله تحت لواء واحد . ويرى عمارة^(٢) « أن هذا أمر لم يمهّد في جاهلية ولا في إسلام » ، وبين ذلك المرشي^(٣) بقوله : « ولم يقع لأحد فيمن ملك اليمن ما وقع لعليّ بن محمد الصليحي فإنه استولى على اليمن سهله وجبله وشماله وجنوبه وشرقه في مسدة يسيرة بعد أن قهر ملوكه » . فهو لذلك لا يقل في نظرنا عن بعض القواد الفاتحين الذين لمع اسمهم على صفحات التاريخ بما أحرزته من انتصارات وما قاموا به من أعمال مجيدة وإن كان ذلك لمدة وجيزة .

الرؤى التي بنى عليها الصليحي سياسته

وعد الصليحي الرعية بأن يسير فيهم سيرة الحق والعدل ، وعمل على تحقيق هذه السياسة ما وجد إلى ذلك سبيلا ، فبعد أن تم له الاستيلاء على جبل مسار — كإربنا — كتب كتابا نشر بين أهل حراز وقفنا منه على أنه كان يرغب في إقامة المثل العليا في حياة الشعب ، ونفى عن نفسه التهم التي أشاعها عنه أعداؤه ، وبين أنه « لم يكن متجبرا ولا مبتدعا في الدين ، بل متمسكا بحبل الله المتين ، وداعيا لأمر المؤمنين المستنصر بالله »^(٤) . ووعد أهل حراز بأنه سيكون معهم حسن السيرة والمعاملة بما يرضى الله والرسول ؛ وإن قوله : « أنصف المظلوم وأقع الظالم » لا يقل في قوته عن قول أبي بكر في خطبته يوم بايعه المسلمون : « والضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ له حقه ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه »^(٥) . فهو وإن كان لا يقرّ أبابكر في خلافته إلا أن سياسته كانت مبنية على أصول قويّة متينة .

ولما تمكن الصليحي من إخضاع ابن جهور ، أمر بجمع أهل حراز في عبري

(٢) عمارة / كاي ١٨ .

(١) طبرى ١/١٦٢ .

(٣) بلوغ المرام ٢٥ .

(٤) عيون ٨/٧ .

(٥) ابن هشام : سيرة ٣/٧٣ .

دعاس ، ونزل لهم بعد أن ترك في مسار من يحفظه ، وقام في الناس فخطبهم خطبة بليغة ، أمرهم فيها ، بوجوب التمسك بحبل الله ، والامتنثال لأوامر الإمام ، ووعدهم بحسن السيرة والسياسة إذا هم عملوا بما أمرهم به .

ولما تم له فتح مكة المكرمة — كما ذكرنا آنفاً^(١) — عامل الناس هناك بالحسنى واستمالهم بما كان معه من أموال جلييلة ، ونشر العدل ، فأدب القبائل التي كانت تتعدى على الحجاج ؛ فطابت قلوب الناس هناك ، ورخصت الأسعار ولهجت الألسن بالدعاء له ، لما قام به من خدمات لحجاج المسلمين .

التفاف الأمراء والملوك حول الصليحي

وبتلك السياسة ازداد التفاف زعماء اليمن حوله وفضل كثير منهم الإقامة معه في مسار . فقصده عمران بن الفضل اليامي وعباس بن الكرم السنجاني ومن معها من أتباعهما ، كما توجه إليه السلطان عامر بن سليمان الزواحى هو وأهله ، فأسكنهم معه في مسار ، وتجمع بذلك منهم جمع كبير أجرى عليهم النفقات الواسعة .

ولما دان له جميع اليمن ، بنى في عاصمته صنعاء قصورا وأسكنها الملوك والساطين تحت رعايته وفي ضيافته . ولما قام لأداء فريضة الحج سنة ٤٥٩ هـ ، أخذ معه هؤلاء الملوك ، وهذا يدل من غير شك على مبلغ حرصه لإعلاء كلمة اليمن ورفع شأن اليمنيين في المؤتمر الإسلامي .

سياسته الإدارية

وبعد أن ثل عروش الملوك المغلوبين على أمرهم ، وقضى على دويلاتهم المفككة ، ولى مكانهم ولاية يثق فيهم ، فولى الأمير أسعد بن شهاب التهامي وزيد ، وكان هذا الوالى يحمل للملك على بعد صرف أرزاق الجند ألف ألف دينار كل عام ،

ولعله كان يأخذ الخس من أموال الناس وفقا للفقهاء الفاطميين^(١)، كما ولى القضاء معه الحسن بن محمد بن أبي عقامة التغلبي من علماء السنة. وكان الأمير أسعد يثني عليه ويقول: «قام الحسن بأمور الشريعة قياما يؤمن عييه، ويحمد عييه»^(٢). وولى أخاه السلطان عبد الله بن محمد الصليحي حصن التمكن^(٣)، وولى الحسين بن مهمل حصن الأخرج^(٤)، وولى السلطان سببان أحمد الصليحي حصن أشيخ^(٥)، وولى السلطان عبد الله بن يعلى حصن خدد^(٦)، واستعمل الأمير أحمد المكرم على الجند وما والاها.

ومن ذلك نرى أن كل هؤلاء الولاة كانوا من أنصاره المخلصين، وليس هذا بغريب فإنه رأى في ذلك خير وسيلة لتنفيذ سياسته، أو بعبارة أخرى إن هذه هي السياسة الوحيدة التي كانت تصلح لضبط أمور الدولة في تلك الظروف، إلا أنها كانت فيما بعد من أسباب ضعف الدولة بعد أن تغلغل نظام الإقطاع فيها.

وكان الصليحي لا يألو جهدا في أن يجمع حكام هذه الأقاليم من آن لآن كلما سمع بأن بعضهم قد خاد عن الطريق السوي، ويتوجه إليهم بالنصح تارة والوعيد تارة أخرى، رغبة منه في صلاح الرعية على أيديهم، فهو يرى أن الله خلق الخلق بالحق، فهو لا يقبل إلا الحق، فجمعهم مرة في مسار وقال لهم:

«إن الذي بلغني عن قوم منكم هو يفض الله ووليه، وأنا أعضب مما يفض الله. فمن كان مني لم يتمد شيئا من الدين، ولم يتعرض لسخط رب العالمين ولم يخالف مولانا أمير المؤمنين. ومن لم يكن مني أخرجته من جماعتي ونفيته من بلدي»

(١) أنباء/دار ٤٠؛ والمعروف أن الفاطميين كانوا يأخذون الزكاة ونحوها من الصدقات الشرعية والخمس فيما يجب فيها الخس، لأنهم كانوا يأخذون من أموال الناس مطلقا كما يفهم من بيان صاحب الأنباء.

(٢) باخرمة: قلادة ٢/٢ ورقة ٦٣٥؛ وكان الحسن ملقبا بمؤمن الدولة وكان عالما بارعا في كثير من العلوم وله مؤلفات كثيرة وقد ولى القضاء الأكبر أيام الصليحيين ثم أيام جيش بن نجاح (عمارة: النكت ٢/٢٨؛ الأصبهاني: خريدة ٢/ورقة ٢٨٢).

(٣) قرة ٢٤. (٤) عيون ٨/٧. (٥) فقه ٥٤/٧.

(٦) خريدة ٢/ورقة ٢٧٩.

وأجريت عليه من الحكم ما يجري على أمثاله من المعتدين». ثم قال: «لا أصدقكم حتى يلتزم كل داع بصلاح من تحت يده، ويضمن ما يجري ممن كان في جهته. فن كابر وعاند ورفع أمره إلى أنزلت به ما يستحقه»^(١)، كما حرم عليهم أن يتناولوا من مصالح دينهم ودنياهم شيئا ولو صغيرا إلا بإذنه، فكان ولايته في الأقاليم كانوا يقومون بأمر الدين والدنيا، أى أنهم كانوا مكلفين برعاية من كان تحت أيديهم من الرعية في أقاليمهم. وكان هؤلاء الولاة يسرون في جهاتهم وفقا لسياسة مرسومة وضعها الملك على، لتكون أساسا ومنهجاً يسير على هديه كل الولاة ويكون هو مرجعهم في كل ما أشكل عليهم. وكان يدعوهم إلى مسار ويجتمع بهم من حين إلى حين، «يذكرهم ويبصرهم ويقربهم ويدبّرهم ويصلى بهم ويتلو عليهم بعد الصلاة بعض ما تيسر من العلم والحكمة»^(٢).

من هذا نرى أن الملك علياً بن محمد الصليحي حكم البلاد حكماً مطلقاً كما كان في العصور الوسطى في جميع البلاد، ولكنه كان حكماً مستقراً، فكانت أمور الدعوة والدولة مركزة في شخصه، إلا أنه كان مقيداً بالمثل التي قررها لنفسه «من إقامة الحق، وإقرار العدل».

الناحية الدينية في عهده

أما الناحية الدينية في عهده، فإن علياً الصليحي ظهر على صفحة التاريخ داعياً متمسكاً بأهداف دينه، حريصاً على ما جاء في الكتاب والسنة، غير مكره لأحد في الدين. فلم يرخص لأحد مطلقاً في التهاون بشيء من فرائض الدين^(٣)، ولكنه مع ذلك اتهم كما اتهم الفاطميون من قبله بالكفر والخروج على الدين الإسلامي. ومن عجب أن يذهب بعض المؤرخين إلى أن الصليحيين كانوا يدينون بالإباحة وتمطيل الشرائع.

فيقول الفقيه الحمادي عن مذهبهم: «...إنه مذهب الراحة والاستباحة، يريح

(٢) نفسه ١٣/٧.

(١) عيون ١٢/٧ - ١٣.

(٣) نفسه ١١/٧.

أتباعه مما تلزمهم الشرائع من طاعة الله ، ويبيح لهم ما حظر عليهم من محارم الله^(١) .
ويقول في مكان آخر : « وكان الصليحي الملعون شهما شجاعا مقداما ، فحرم الحلال
وأحلّ الحرام ، وناقض بجهده الإسلام ، وأبطل الصلاة والصيام ، والحج إلى بيت
الله الحرام »^(٢) .

وكيف يكون ذلك وقد عرفنا ما قام به من أعمال جلييلة في مكة عند ما حج
سنة ٤٥٤ ؟ وكيف ننكر ما قاله الفاسي^(٣) : « فطابت قلوب الناس ورخصت
الأسعار وأمنت الحاج أمنا لم يعرف لهم مثيل من قبل ، حتى إنهم كانوا يعتمرون
ليلا ونهارا وأموالهم محفوظة ، ورحالهم محروسة » ؟ وكيف ننكر كذلك
ما قاله ابن الجوزي^(٤) : « فردّ بنى شيبه عن قبيح أعمالهم وأفعالهم مع الحاج ،
وردّ إلى البيت من الحلى ما كان بنو الطيب الأشراف قد أخذوه لما ملكوا بعد
شكر ، وكانوا قد عروا البيت والميزاب » ؟ إن ما قام به عليّ الصليحي في الأراضى
القدسة كسبه ثقة كثير من أهالى البلاد الإسلامية^(٥) ، وما جلبه من الأقوات
إليها جعل الألسن تلهج بالدعاء له في كل مكان^(٦) .

هذا ما قاله المؤرخون وهو من غير شك شهادة طيبة في حق الصليحي ،
ولكن بعضا يرمونه بالخروج والروق حقدا وحسدا ، ليشوهوا سمعته ، ولا يمت
هذا إلى الإنصاف بسبب .

إننا نستبعد أن يكون كلام المغرضين صحيحا ، لأن تاريخ الصليحيين لا يدلنا
على شيء مما ذكروا . فالصليحيون كانوا يتخذون الدين الإسلامى الحنيف ،
وولاءهم لأئمتهم الفاطميين بمصر ، وسيلة لنشر نفوذهم وتوطيد حكمهم في البلاد التى
أخضعوها لسلطانهم ، كما كان دأب الحكومات والسلطين في العالم الإسلامى في
ذلك العهد ، في تعلقهم واتسابهم لخلافة بنى العباس لذلك الغرض . وكيف ننكر

(١) كشف ١٢ . (٢) نفسه ٤٤ . (٣) تحفة السكرام ١١٨ .

(٤) مرآة الزمان ١/١٢ ورقة ٨٨ . (٥) الفاكهى : الملتقى ٥٤ .

(٦) العيني : عقد الجمان المجلد من ٤٢١ — ٤٥٦ ورقة ٢٢٦ .

ما قاله الصليحي نفسه لأهل حراز^(١) : «... فلم أطلع مسار متجبرا باغيا ولا متكبرا على البلاد عاتيا... وإما قيامي بالحق الذي أمر الله عز وجل به، والعدل الذي أنزل في محكم كتابه... إنما أنا متمسك بحبل الله المتين، عامل بما شرع الله في الدين » .

تسامح مع أهل السنة

وكان الصليحي يتسامح، كما كان الفاطميون بمصر يتسامحون، مع علماء السنة، حتى سمحوا لبعض فقهاءهم بإقامة شعائرهم ونشر تعاليمهم في المساجد. فقد قيل إنه في سنة ٣٨٣ وثب رجل جعفرى للجلوس في الجامع الأزهر للفتوى على مذهب أهل البيت، فشغب عليه الفقهاء من أهل الجامع، فبلغ القاضي ذلك، فقبض على بعضهم^(٢). وهذا النص يدل على أنه كان بالأزهر في عهد الفاطميين فقهاء يخالفون المذهب الفاطمي، ويفتون وفق تعاليم مذهبهم. فلما جاء هذا الفقيه للفتيا على المذهب الإمامي شغبوا عليه، فاضطر القاضي إلى إصدار الأمر بالقبض على بعضهم لا لشيء إلا لأنهم لم يتسامحوا مع هذا الفقيه كما تسامحت الدولة معهم.

وهذا يشبه إلى حد كبير ما كان في عهد الصليحيين. ويدلنا على ذلك ما ذكره صاحب الأنباء نقلا عن الصليحي في تاريخه: «بلغني أن الصليحي لما استقر في صنعاء كان ينادى باجتماع المصلين في المساجد، وشق عليه أمر صنعاء، وذلك أن المصلين كانوا إذا اجتمعوا في المساجد يذكرونه ويحتجون على ظلمه وجوره؛ وربما كفروه وسفهاه عليه وعلى أهل رأيه. فتضرر بذلك، وأمسك أياما»^(٣).

كذلك فعل أسعد بن شهاب لما دخل زيد سنة ٤٥٦ واليا عليها من قبل الصليحي، «فأحسن السيرة في الرعية وأذن لأهل السنة بإظهار مذهبهم»^(٤).

(١) عيون ١٨/٧ .

(٢) الكندي : كتاب الولاية والقضاة ٥٩٤ .

(٣) أنباء / دار ٤٠ .

(٤) قرعة ورقة ٢٢ .

ونشير أيضا إلى وصية الصليحي لابنه الأمير أحمد المكرّم لما تركه نائبا عنه في البلاد حين عزم على الحج في سنة ٤٥٩ . فقد أوصاه « بتقوى الله في الجهر والسريّة ، والعمل بأعمال الشريعة ، وإقامة دعايتها ، والانتهاز بأوامرها ، والانتهاز عن محارمها » (١) .

ويعتبر ما قاله المؤيد في الدين الشيرازي داعي دعاة المستنصر في قصيدة له (٢) من الأدلة الواضحة على تمسك أهل الدعوة بالتكاليف الشرعية :

فكيف شرّع الأنبياء ندفعُ وما لنا إلّا النبيّ مرجعُ
بنوره في الدرجات نرتقي (٣) وبالكرام الكاتبين نلتقي
ياربّ فالتمس جاحدي الشرائع وارزهمم بأفجع الفظائع
والتمن إلهي من يرى الإباحة بلمنة فاضحة محتاجة

وقد ساعدت هذه السياسة الدينية الدولة الصليحية إلى حدٍّ ما على حفظ الأمن في البلاد الخاضعة لها ، مع وجود المعارضة القوية لمذهبها الرسمي . فانصرف الناس إلى أمور معاشهم مطمئنين ، وتخبر المنافسون في مقاومة هذه الدولة التي أصبح لا يمكن مقاومتها ، بعد أن رأوا من حسن سياسة الملك على وتشدّده مع الخارجين على الدين الحنيف ، ورفعه لأهل العلم والفضل مهما تسكن نحلّتهم ، وتسامحه مع أهل المذاهب الإسلامية الأخرى . « فلم ينكر على أحد من مذهبها من مذاهب فرق الإسلام على تشعبها ، بل أقرّ كل امرئ على ما كان عليه » (٤) .

اهتمام بالشعر والشعراء

عرف الملك على الصليحي أن الشعر العربي يعتبر سلاحا ماضيا في خدمة الدولة ، وأنّه من أهمّ وسائل الدعاية لها . فلم يشأ أن يترك هذا السلاح دون أن

(١) عيون ٨٨/٧ . (٢) القصيدة الأولى من د المؤيد / كامل حسين .

(٣) في الديوان : ترقى . والصواب ما أثبتّه رعاية للوزن ،

(٤) عيون ١٦/٧ .

يشهره على خصومه أو يستخدمه في الدفاع عن دولته والمباهاة بفضائلها والإشادة بذكورها . فلا عجب إذا رأيناه يجرل العطاء للشعراء كما كان يفعل العباسيون والفاطميون . ومن أشهر الشعراء الذين قرضوا الشعر في عهده عمرو بن يحيى الهيثمي ، والحسين بن علي القمي ، والحسن بن أبي عقامة ، وقد ذكرنا شيئاً من أشعارهم في مناسبات سبق ذكرها .

وكان الصليحي نفسه ممن يتذوقون الشعر ، فصيحاً بليغاً^(١) . وقد روى عنه بعض الأبيات ، قلها في مناسبات . فمنها :

أَنكَحْتُ بَيْضَ الْهِنْدِ سُفْرَ رِمَاحِهِمْ
فَرَّوْهُمْهُمْ عَوْضَ النَّشَارِ نِشَارُ
وَكَذَا الْمُؤَلَّا لَا يُسْتَبَاحُ نِكَاحُهَا
إِلَّا بِمَيْتٍ تُطَلَّقُ الْأَعْمَارُ^(٢)

ويروي أيضاً أن الملك علي بن محمد الصليحي قال في وراخ الحصن المشهور :
ما اعتذارى وقد ملكت وراخاً

عن قراع العدا وقود الرغال

وكانت له نفس طموح ، فأنشد على لسان حاله :

وَأَلَدْتُ مِنْ قَرَعِ الثَّانِي عَنْدهُ فِي الْحَرْبِ : أَلْجَمُ يَا غَلَامَ وَأَسْرَجُ
خَيْلٌ بِأَقْصَى حَضْرَمَوْتَ مَجَالُهَا وَصَهْلُهَا بَيْنَ الْمَرَاقِ وَمَنْبِجُ

وكان الصليحي فوق ذلك « عالماً وفقهاً مستبصراً في علم التأويل »^(٣) ، كما كان خطيباً ممتازاً . وقد وقفنا على بعض خطبه التي ألقاها في أهل حراز وأنصار الدعوة ، وهي تبين مقدار بلاغته وقدرته . ولا يبعد أن تكون الخطابة قد بلغت مركزاً مرتفعاً في عهد هذه الدولة العربية .

(١) باغزمة : فلاة ٢/٢ ورقة ٦٠١ . (٢) نفسه ؛ الأمصهاني : خريدة ٢/ ورقة ٢٧٩ .

(٣) عمارة / كاي ١٤ و ١٥ .

الباب الخامس

عهد الملك المكرم أحمد الصليحي

(٤٥٩ - ٤٧٧)

قبام المكرم بأمر الدولة

ظهر أبو علي أحمد المكرم بن علي بن محمد الصليحي الهمداني ملك اليمن على صفحة التاريخ ، واتصف بالشجاعة وكرم الأخلاق . وفيه يقول صاحب قلادة النحر^(١) : « كان المكرم ضخماً شجاعاً ، وفارساً مقدماً » . وقد منحه الخليفة المستنصر بالله لقب « المكرم » في سنة ٤٥٦^(٢) ، وأصبح ولياً لعهده أبيه بعد وفاة أخيه الأكبر محمد الأعز في هذه السنة . ثم أخذ يتدرّب على إدارة شؤون البلاد ، حتى عزم والده على الحج سنة ٤٥٩ ، فأنابه عنه في حكم البلاد ؛ وكان قبل ذلك استعمله على الجند وماجاورها من البلاد . ولما جاء الخبر بقتل أبيه الملك علي الصليحي في المهجس ، وأسر والدته الملكة السيدة الحرة الصليحية أسماء بنت شهاب وغيرها من حرائر بني الصليحي ، والقضاء على خيرة رجال دولته على النحو الذي ذكرناه في الباب السابق ، وقع المكرم في حيرة ؛ وكاد يُقضى على صرح الدولة الصليحية قضاء مبرماً ، لأن أعداءها لم يقفوا عند هذا الحد ، بل أخذ المنافقون ينقضون عهودهم حتى خرج أمر الصليحيين من كافة بلاد اليمن ، ولم يبق لهم إلا التّشكّر ، وكان العبيد قد حاصروه ، كما حاصروا مالك بن شهاب الصليحي في حصن مسار . وتآمرت القبائل من كحلان وهرّان وعُسن

(١) ٢/٢ ورقة ٦٢٧ .

(٢) عيون ٧٦/٧ .

وزُيِّنَ وَيُحْصَبُ عَلَى الصليحيين ، وامتدَّت العدوى إلى صنعاء نفسها حيث كان المكرَّم يقيم مع جماعة من خالصاء أتباعه لا يزيد عددهم على ست مئة من الحجازيين .

فإذا بعمل المكرَّم ؟ وقد أحاط به الأعداء وطمع فيه المنافقون ، وظهر الناس بظهر العداة الواضح ، وغدا المكرَّم في حرج . وأنى له أن يتخلص من هذا المأزق ؟ ولكن يمكن تعليل هذا الموقف بأمرين :

أولاً : أن أهل اليمن لم يألفوا الخضوع لسلطان حكومة مركزية ، وقد تمكن على الصليحي من ضم بلاد اليمن جميعها تحت لوائه ؛ وأصبح ملكه يمتد من الحجاز شمالاً إلى حضرموت جنوباً ، كما تمكن من ثلّ عروش ملوك اليمن الأقدمين وكبح جماحهم وإقصائهم عن إماراتهم بجمعهم في صنعاء تحت مراقبته وتعيين ولاية ممن يثق بهم بدلاً منهم . وما استطاع الصليحي في حقبة وجيزة أن يغير عادة اليمنيين وهي استقلال الشعوب وانفرادها . وثانياً : أن خضوع اليمن كلها لسلطان الصليحي لم يكن عن رغبة من أهلها ، بل كان نتيجة للحروب والرهبة والقوة الفائقة والدهاء السياسي ، فكانت حالة الشعوب خضوعاً في الظاهر والقلوب لم يتمكن منها حب النظام وإطاعة أولى الأمر ، ورأوا أن في موت الملك علي بن محمد الصليحي فرصة تمكنهم من العودة إلى ما كانوا عليه قبل تملكه من دويلات وإمارات وولايات مستقلة .

لذلك قرر المكرَّم قتال هؤلاء الذين خرجوا عن حظيرة دولته مع علمه بأن هذا الخروج كان من معظم الأمراء والرؤساء والقبائل ، ولكن صدق عزيمته ذلك هذه المصاعب . ولما استمرت الأرض حول المكرَّم ناراً ، كان لا بد له من معالجة هذه الحالة التي لم تر الدولة الصليحية مثلها ، فاستمدَّ ممانسعيه شجاعة اليأس قدراً ، وأخذ يشجّع من ظلّ من أصحابه على الولاء وملاقة الصعاب . وقد صور صاحب العيون هذا الموقف بقوله ^(١) : « .. وكان المكرَّم يثبت أصحابه على الدين ،

ويذكرهم بما وعد الله به عباده الصابرين ، وبما ابتلى به مواليه الطاهرين ، ويتلو ما أنزل الله في كتابه المبين : أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ .

واستطاع المكرم وأعدائه أن يرفعوا عن صنعاء الحصار وتتبعوا الأعداء ، فانتصروا في ناحية حضور انتصارا تنفّسوا بعده نسيم الأمل ، « وحارب الأعداء في كل مكان ، والله يعطيه النصر ويبسط يده عليهم » (١) .

قواد المكرم وانتصارهم

وكان هذا النصر مشجعاً لأنصار المكرم على الاستماتة في الدفاع عن كيانهم . فانتصر قائده إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي بجهة كُحْلان وهرَّان . وأخذ هذا الجوّ المظلم الذي أحاط بالدولة يصفو ، وبدأت هذه الشدة التي حاقت بها تنقشع تدريجياً بفضل شجاعة المكرم وحسن بلائه ، وبسالة جيشه العربي وقواده الأبطال .

وبينا كان المكرم يستعد لمناصرة الأعداء وتحرير البلاد من المنافقين ، كان قواده عامر بن سليمان الزواحي ومدافع بن حسن الجنبي وعمران بن الفضل اليامي والحسن بن عمر السنحاني وغيرهم في طريقهم إلى مكة لأداء فريضة الحج مع الملك علي بن محمد الصليحي (٢) ؛ ولكنهم قفلوا راجعين إلى صنعاء عندما سمعوا بقتل ملكهم في المهجم ، وقد لاقوا في طريقهم صعاباً كثيرة من الأعداء ، « فأوقعوا في طريقهم سبع عشرة واقعة ، في كلها يمتحنون النصر على من عاداهم ، والظفر ببركة مولاهم » (٣) .

وصلوا إلى صنعاء في وقت كان المكرم في مسيس الحاجة لتجديدهم ، فكان

(١) رسائل القمي ٤٩ .

(٢) عيون ٩٣/٧ .

(٣) رسائل القمي ٥٠ .

فرحه بوصولهم عظيما ، حتى إنه خرّ ساجدا لله شكراً على وصولهم . « فلما اجتمعوا به تواسوا بينهم بالصبر على قتال الباغين المفسدين ، والحماية والجهاد عن الدين ، وتواسوا ألا يطالبوا الملك المكرم بدينار ولا درهم ، حتى يظفر بالعبيد ، وينال منهم ثأره بمدينة زبيد ، وتعاهدوا على ذلك وتعاهدوا الله سبحانه » (١) .

من هذا نرى أن المكرم أخذ يلتفت حوله قوة من أنصاره ، وأصبح لزاما عليه أن ينظم هذه القوة ، ومما لاشك فيه أن هذا التنظيم يقتضى الكثير من التدبير وإعمال الرأى ، حتى يتمكن بهذه القوة اليسيرة من إعادة الخارجين عليه إلى صوابهم ، ويأخذ بثأره من النجاحيين بتهامة . وقد أحسن المكرم التدبير ، ورأى بمساعدة خلائه أن وجود والدته الملكة السيدة أسماء أسيرة في يد سعيد الأحول عدوهم الألد لا يمكن السكوت عليه . أصبحت هذه الصورة القائمة مرسومة في خيلة المكرم تحرّ في نفسه وتقض مضجعه ، وقد انعكست هذه الصورة في نفوس أصحابه المخلصين ، فأصبحت نار الغيظ تأكل أكبادهم وتشحذ قرائحهم ، وتؤجج نفوسهم العربية الأبية . ولكن ما العمل ، وعوامل الاضطراب مخدقة بدولتهم في الداخل وفي الخارج ، والفن والثورات منبعثة في كل أرجائها ؟ فقد شقّ عليهم عصا الطاعة كل منافق مخادع ، وأصبح نفوذهم إلى الزوال أقرب . لذلك رأوا من الصواب كبح جماح كل من حدثتهم أنفسهم بالخروج عليهم ، والضرب على أيدي المنافقين ، وتطهير البلاد من الفن والثورات وإعادة الأمن إلى نصابه ، ثم التوجه إلى الأخذ بالثأر .

فأرسل المكرم قائده عامر بن سليمان الزواحى إلى بلاد حمير وإلى مغرب اليمن لإصلاح الفساد . وقد جاء إليه أهل هذه البلاد طائعين ، ولكن القائد الزواحى قاتل المنتفضين قتالا شديدا ، وتبعهم في السهل والوعر . وفي يوم السبت العاشر من شهر ذى الحجة سنة ٤٥٩ هـ وصلت كتبهم إلى الملك المكرم مستجيرين (٢) .

وجاءه بعد ذلك كتاب من قائده إسماعيل بن أبى يعفر الصليحي يخبره

بانتصاراته على أهل يَحْصُبَ ورُعَيْنَ بِجَهَّةِ كُحْلَانَ وَهَرَّانَ وَأَنَّهُمْ دَانُوا لَهُ بِالطَّاعَةِ بَعْدَ حَرْبٍ سِجَالٍ^(١). فَسُرَّ الْمَكْرَمُ كَثِيرًا ، وَبَدَأَ الرُّوحُ الْمَعْنَوِي يَدِبُ فِي نَفُوسِ جُنُودِهِ ، وَاتَّخَذَ مِنْ هَذَا النُّصْرَةِ وَسِيلَةً لِدَفْعِهِمْ لِنُصْرَةِ آخَرٍ ، فَذَكَرَهُمْ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ الصَّابِرِينَ مِنَ النُّصْرِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ .

وفعة الملوئ

وَبَيْنَمَا كَانَ الْمَكْرَمُ وَكِبَارُ رِجَالِ دَوْلَتِهِ مَشْغُولِينَ بِاتِّخَاذِ الْأَهْبَةِ لِحِفْظِ كِيَانِ دَوْلَتِهِمْ وَتَخْلِيصِهَا مِنْ سَطْوَةِ أَعْدَائِهِمْ ، وَإِعَادَةِ مَا تَحْتَ يَدِ الْأَعْدَاءِ مِنَ الْبِلَادِ ، ظَهَرَتْ فِي الْأَفْقِ سَحَابَةٌ غَطَّتْ هَذَا الْجَوَّ بِرَهَةٍ مِنَ الزَّمَنِ ، وَشَغَلَتْ الْمَكْرَمَ وَأَعْوَانَهُ عَنْ مِتَابَعَةِ الْأَعْدَاءِ ؛ تِلْكَ هِيَ الْحَرَكَةُ الَّتِي قَامَ بِهَا الْأَمِيرُ الدَّاعِي حَمْزَةُ بْنُ أَبِي هَاشِمٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَحْيَى الْحُسَيْنِيِّ^(٢) فِي سَنَةِ ٤٥٩ هـ ، بَعْدَ أَنْ التَفَّ حَوْلَهُ فَرِيقٌ مِنَ النَّاسِ بَايَعُوهُ عَلَى الْقِيَامِ بِدَعْوَتِهِ . فَقَامَ هَذَا الدَّاعِي مُتَحَلِّيًا بِالتَّوْحِيدِ مَدَّعِيًا الْإِمَامَةَ ، وَسَمَّى نَفْسَهُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَجُمِعَ إِلَيْهِ كَثِيرًا مِنَ الْقِبَائِلِ فَصَارُوا حَزْبًا لَهُ وَحَرْبًا لِلصَّلَاحِيِّ ، وَزَحَفَ إِلَى صَنْعَاءَ وَمَعَهُ خَمْسُ مِائَةِ فَارِسٍ وَخَمْسَةُ عَشَرَ أَلْفَ رَاغِلٍ مِنْ هَمْدَانَ وَغَيْرِهِمْ^(٣) إِلَى أَنْ بَلَغَ الْمَلُوءَ^(٤) .

(١) عيون ٧ / ٩٤ .

(٢) هُوَ حَمْزَةُ بْنُ أَبِي هَاشِمٍ الْحُسَيْنِيِّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (أَخُو الْإِمَامِ الْهَادِي يَحْيَى) بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْقَاسِمِ الرُّسِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَكَانَ قِيَامُهُ بِالْإِعَادَةِ فِي سَنَةِ ٤٤٩ هـ ، وَقَتْلُهُ فِي سَنَةِ ٤٥٩ هـ ، وَمَشْهُدُهُ فِي بَيْتِ الْجَلَالِ مِنْ بِلَادِ أَرْحَبَ (أَنْبَاءُ / دَار ٤٠) وَإِلَيْهِ يَنْسَبُ الْحَمَزَاتُ .

(٣) يَقُولُ لُدْرِيْسُ فِي الْعِيُونِ ٧/٩٥ : « وَكَانَ مَعَ الشَّرِيفِ ثَمَانِيَةَ آلَافٍ رَاغِلٍ وَعَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْخَيْلِ . وَكَانَ أَصْحَابُ الْمَكْرَمِ لَا يُزِيدُونَ عَلَى أَلْفِ رَاغِلٍ . وَيَقُولُ صَاحِبُ الْأَنْبَاءِ / دَار ٤٠ : « وَكَانَ عَدَدُ جَيْشِ حَمْزَةَ ثَمَانِيَةَ آلَافٍ وَجَيْشُ عَلِيِّ الصَّلَاحِيِّ أَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةِ فَارِسٍ وَخَمْسَةُ عَشَرَ أَلْفَ رَاغِلٍ » . وَيُظْهِرُ بَعْدَهُ عَنِ الْحَقِيقَةِ ، ذَلِكَ لِأَنَّ الدَّاعِي حَمْزَةَ قَتَلَ فِي ٢١ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ٤٥٩ هـ ، وَكَانَ مَقْتُلَ الْمَلِكِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّلَاحِيِّ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَسَكَنَ فِي يَوْمِ ١٢ ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ نَفْسِ السَّنَةِ ، فَتَشَابَهَ عَلَى صَاحِبِ الْأَنْبَاءِ وَصَاحِبِ الْمَقْتَضَفِ ٦٦ أَنْ قَتَلَ حَمْزَةَ حْدَثَ فِي عَهْدِ الْمَالِكِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّلَاحِيِّ . وَالصَّوَابُ مَا جَاءَ فِي الْعِيُونِ ٧/٩٥ .

(٤) الْمَلُوءُ فِي بِلَادِ أَرْحَبَ ، وَمَشْهُدُ الشَّرِيفِ حَمْزَةَ فِي بَيْتِ الْجَلَالِ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنَ الْمَلُوءِ .

وفي هذه الأثناء أرسل المسكرم إلى قائده عامر بن سليمان الزواحي يدعو من المغرب ، فوصل في صبيحة الثلاثاء التاسع عشر من ذي الحجة سنة ٤٥٩ في خمس مئة من حمير ، وخرج من صنعاء برفقة القائد أحمد بن المظفر الصليحي وجماعة من المسكرم ، وذلك في صباح يوم الخميس الحادي والعشرين من ذي الحجة من نفس السنة . فوافوا الداعي الشريف بالملوى في يوم الجمعة ، ووقع القتال بين الطرفين ، وكاد النصر يفلت من أنصار الملك المسكرم ، ولكن الدائرة دارت على الشريف وأصحابه الذين ولوا هاربين تاركين الشريف وابنه ، فقتل مع زعماء القبائل من أهل عسكرهما . ويقول إدريس^(١) : « فما أنجلت الموقعة إلا عن ثمان مئة قتيل من أصحاب الشريف » .

وفي هذا النصر ، وفيما كان من أمر يحصّب ورعين ، قال الشاعر عمرو بن يحيى الهيثمي^(٢) :

لك الله ، ذا السيفين ، يكلاً ناصر

فمجدك بعد الأوحـد الملك قاهر

فمع الفتن في مرار وبهرز بكيل

وكان الأعداء يتربصون نتيجة هذه الفتنة ويرجون لها النجاح . فلما انقشعت هذه السحابة ، عاد المسكرم وأتباعه إلى التفكير في تصفية موقفهم مع أعدائهم ، ولم يروا من الحكمة أن يحاربوا النجاشيين في زبيد قبل أن يثبتوا أقدامهم في البلاد المجاورة المحيطة بصنعاء ، يأخذون الأمان من جميع القبائل التي يخشون خروجها في غيبتهم عن بلادهم . لذلك أرسل المسكرم من قواده : أحمد بن المظفر الصليحي وإسماعيل ابن أبي يعفر الصليحي وعامر بن سليمان الزواحي إلى حراز ، وكان كبار أهلها لا يزالون يدينون بالطاعة إلى سلطان الصليحيين ، على حين كان الدهاء منهم يحاصرون حصن مسار حيث كان به مالك بن شهاب الصليحي . وفي طريقهم إلى

(١) عيون ٩٥/٢

(٢) نفسه ٩٦/٧ وهي قصيدة طويلة .

هذا الحصن وافهم من قبائل مُجَيِّح وكرار^(١) وقدموا فروض الطاعة . وتقدم القواد إلى حصن مسار فاستولوا عليه ، وأقام عسكرهم ثمانية أيام في حراز ، لم يتركوها إلا بعد أن أخذوا اليهود على من حولها من القبائل . ثم نهضوا لمحاربة بكيل ، « وكانت شوكتهم على المنابذة قوية ، وصولتهم على المحاربة شديدة ، وشدتهم على الجلال عتيدة ، وآملهم في الضلال بعيدة »^(٢) . وقد بلغ جيش المكرم بكيل في أول المحرم سنة ٤٦٠ ، وأمر القواد جندهم بالكف عن القتال في ذلك اليوم . وأخذوا يرسلون بكيلا ويلاطفونهم ، فأبوا إلا عُتَوْا واستكبارا . فلما حان وقت الظهيرة هبطت بكيل للقتال ، ونشبت المعركة ، وحى وطيس القتال ، وكانت الدائرة على بكيل ، فقتل منهم ثلاث مئة وعشرون رجلا من بينهم كثير من رؤسائهم وأولى النجدة منهم^(٣) . وبعد أن استقرت الأمور في هذه الجهات عاد القواد الثلاثة في شهر صفر إلى صنعاء غانمين ظافرين .

واقعة ذى أشرق

وفي هذه الأثناء انتهز بنو نجاح فرصة انشغال جيش المكرم في إخضاع بكيل ، وأغار بلال وأبو الفتوح ابنا نجاح بعساكر عديدة من العبيد وأهل تهامة على أسعد بن عبد الله الصليحي في حصن التعكر ، ووقع بين الطرفين قتال شديد دارت الدائرة فيه على العبيد بذى أشرق . بن قري الخلاف^(٤) ، فولوا منهزمين ، وغنم أصحاب الصليحي أموالا كثيرة ، ونجا بلال وأبو الفتوح بعد أن نظرا القتل عيانا^(٥) .

قيام المكرم لحرب العبيد

لما ثبتت قدم الدولة الصليحية نوا بعد القضاء على الثائرين والمنتقصين واستقرت

(١) ذكر الهمداني مجيح وكرار من أسباع حراز (صفة ١٠٥)

(٢) رسائل القمى ٥٢ .

(٣) عيون ٩٦/٧ — ٩٧ .

(٤) رسائل القمى ٥٣ ؛ وذو أشرق معروفة عائرة تابعة لمديرية ذى سفال على مقربة من

جيلة ويشرف عليها من شمالها الغربي حصن التعكر .

(٥) عيون ٩٧/٧ ؛ رسائل القمى ٥٤ .

الأمر في صنعاء وما حولها من المخاليف ، عوّل المكرّم على السير إلى زيد .
واتفق في هذه الأثناء أن يلغى في شهر صفر سنة ستين وأربع مئة من أمه الملكة
أسماء كتاب لطيف^(١) . وقد احتالت بإيصال الخطاب إلى سائل وجعلته في رغي .
فلما كسر السائل الرغي وجد الكتاب ، فأوصله إلى المكرّم ، وفيه له تنكيّف^(٢) .
وقد وجد المكرّم في هذا الكتاب خير مثير لحفاظ العرب ، فجمع الناس وأوقفهم
على ما تضمنه كتاب أمه السيدة الحرة ، فضجوا بالبكاء^(٣) . ولم يزل المكرّم يخطب
الناس في كل مكان ، ويقول لهم : « من يكن يرغب في الحياة فلا يكن معنا »^(٤) ،
إلى أن صفاه من الخالصاء عدد غير كبير ، فخطبهم وعرفهم بأنهم سيقدّمون على
الموت ، فمن أراد الرجوع فليرجع . كما اتفق عند مسيره أن وصل عمران بن الفضل
اليامي وحسين بن عمرو السنجاني ومنصور بن محمد اليامي في جماعة كثيرة من العرب .
فانضموا إليهم وخرجوا قاصدين العبيد في زيد يوم الجمعة التاسع عشر من شهر صفر
من نفس السنة ، كما انضم إليهم أحمد بن المظفر الصليحي وعامر بن سليمان الزواحي
والحسين بن عمرو السنجاني وأبو الحسين بن مهمل بن الدعام ومدافع بن الحسن الجنبى
ومحمد بن علي اليامي . وأمر المكرّم بالأسير في عسكره إلا كل من آانس في نفسه
البأس والصبر على الآلام وآثر الموت على الحياة ورضى بالشهادة . وترك المكرّم في
صنعاء إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي نائباً عنه ، ومعه جماعة من أهل الحجاز وأهل
حراز . وقد أخذ قبل خروجه العهد والمواثيق على الشريف القاسم بن جعفر
ابن الإمام المنصور القاسم العياني^(٥) وعلى أخيه ذى الشرفين محمد بن جعفر ،

(١) قالت فيه : إنها قد صارت حاملاً من العبد الأحول ، وإنه من الواجب أن ينفذها
قبل أن تقع الفضيحة والعار ، كما رواه عمارة / كاي ٢٣ . وقد ذكر صاحب الأنباء / دار ٤ :
أن العبد لم يتصل بها وأن هذا لم يحدث .

(٢) عيون ٩٧/٧ ؛ وفي كفاية ٥٠ قال : نالفت إلى رجل مشرق فرمت إليه برغي
وفيه كتاب لطيف إلى ابنها المكرّم . (٣) عمارة / كاي ٢٣ . (٤) قرّة ورقة ٢٣ .

(٤) الشريف القاسم هو بطل الهراية (انظر ص ٨٢ — ٨٣) الذي أكرمه الملك على
الصليحي وأبقاه لديه في صنعاء نحو عامين . وسار الشريف بعد ذلك إلى مكة فأقام بها سبع سنين ،
ثم عاد إلى اليمن ، وأقبل على أعمال الزراعة وقتله بعض أهالي نهم في سنة ٤٦٨ (مقتطف ١١٢) .

وأحسن إليهما وأمر للشریف بكسوة فاخرة ودنانير كثيرة ؛ وعاهدها على الطاعة وعدم العنـدر في غيـبته فشكرهم على ذلك^(١) .

وخرج المكرم من قرية العـمـد^(٢) في يوم الأربعاء لست بقين من شهر صفر في عشرة آلاف راجل وفارس^(٣) — «وهو أكرم عربى تمشى به الخيل»^(٤) — وخطبهم ووعظهم ، فقال : «إننا لم نزل لعرض من الدنيا نصيبه ، ولا مال نخزنه ، ولا شيء نذهب به من متاع الدنيا ، سوى إدراكنا ثأرنا من هؤلاء العبيد ، واستنقاذ حريتنا ، لا لقصـد إضرار بأحد من الناس ، ولا لتغيير شيء مما يملكـون ، ولا تعد على زروعهم ومواسيهم ونحن في طريقنا . . . وقد رجوت أن تكون سيرتكم جميلة ، ولكم حسن الأحداثـة ، وحميد العاقبة . . . ولا تتعدوا على أحد في طريقكم ، إلا من وترككم ونال منكم»^(٥) .

وهذه الوصية تكشف عن فروسية المكرم وشهامة أخلاقه ، كما تبين لنا أنه أراد أن يثار لنفسه وقومه ، وينقذ والدته الملكة ، فنهى جنده عن الأمور التي تخل بالنظام وتسيء إلى سمعته ، ورجا ألا يكون تعدى جنـدى سبباً في إثارة سخط الأهلين عليهم^(٦) .

ثم قام المكرم فخطب جنده خطبة بليغة ، قال فيها : «أيها المؤمنون ، لا أريد

(١) عيون ٩٨/٧ ؛ وبالرغم مما بذل الملك على الصليحي والملك المكرم من الجليل نقض القاضل الشريف تهوده (انظر ص ١٢٧) .

(٢) انظر ص ١٠٢ ، هامش رقم ١ .

(٣) قال ابن الديبع في قرة ورقة ٢٣ وفي بغية ورقة ١١ : « إن عدد جيش المكرم كان ثلاثة آلاف فارس غير المشاة » . وخالفه صاحب الأنباء/ دار ٤١ فقال : « إن جيشه كان يتكون من عشرين ألف حربة » . واتفق الاثنان على أن جيش الأحوال كان يتكون من عشرين ألف حربة . وفي عيون ٩٩/٧ قال : « إن عدد جيش المكرم كان عشرة آلاف بين فارس وراجل » ، وقد أثبتنا رواية الأخير .

(٤) عمارة/ كى ٢٤ .

(٥) عيون ٩٧/٧ .

(٦) وكانت سيرة المكرم متمشية مع سيرة السلف الصالح . فالخليفة أبوبكر ، لما أوصى الجيش الذى أرسله بقيادة أيسامة بن زيد لحرب بني غسان ، قال للجند : « . . . لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تمقلوا . . . ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة (الحضرى : محاضرات ١٧٣/١) .

منكم اليوم غير ماسمتموه مني بالأمس وفيما قبله ، وفيما قلته كفاية ، وقد كنت أعرض عليكم الرجوع في المسافة إيمان ؛ فأما اليوم فقد صار الخيار إلى عدوكم لأنكم توغلت عليه ، وإنما هو الموت أو العار بفرار لا يجدي ^(١) ، وتعمل بقول المتنبي :

وأوردُ نَفْسِي والمَهْنَدُ في يدي

مواردَ لا يُصْنِدُن من لا يجادل ^(٢)

ثم وطىء المكرم وجنوده تهامة من شرقي زبيد ، فقصدوا قرية التريبة ، ودخل مسجدها يوم الجمعة عند طلوع الفجر . وكان الشيخ الزاهد محمد بن عليّة من أهل القرية قد صلى الصبح ، ووقف يتلو حتى بلغ في الختمة إلى سورة البروج أو الطارق ، وإذا هو بفارس ركز رحله وأسندته إلى الجناح الغربي ، ثم قام إلى جانبه فصلى . قال الشيخ : « مارأيت شخصاً في ولد آدم أتمّ منه خلقة ولا أحسن منظراً ، وروائحهم روائح الملوك » . ولم يلبث الصباح أن تجلى ، وكان المكرم واقفاً عنده ، حتى ختم ودعا وأتمن هو ومن معه على الدعاء ؛ وإذا الخيل قد أقبلت عند طلوع الشمس أرسالا ؛ وكل رعيّل منهم يسلم ويقف ، وكان تحيتهم له : أنعم الله صباحك ، مولانا ، وأدام عزك ! ولا يزيدهم على الردّ أكثر من قوله : مرحباً يا وجوه العرب ، إلى أن تكاملوا ثم خرجوا من المسجد فركبوا خيولهم وقصدوا باب الشبارق ^(٣) ، وهو الباب الشرقي من زبيد

واقعة زبيد

وحين دنا المكرم من زبيد عتبي جيشه فكان هو وأحمد بن المظفر الصليحي

(١) عمارة / كاي ٥٤ — ٥٥ .

(٢) كفاية ٥٠ ؛ بقية ورقة ١١ .

(٣) يوجد بالسور الذي بناه سيف الاسلام طغتكين بن أيوب حول زبيد سنة ٥٨٩ أربعة أبواب : الشرقي ويسمى باب الشبارق وينسب إلى القرية التي يطل عليها هذا الباب . والباب الثاني يتجه إلى الشام ويسمى باب سهام لأنه ينفذ إلى وادي سهام وهو وجه المدينة وغرتها . والثالث إلى المغرب ويسمى باب النخل وكان يسمى باب غلافقة وهو ينفذ إليها . الرابع ويسمى باب القريب وينفذ إلى وادي زبيد ثم إلى قرية القريب (بقية ورقة ٧ — ١٨) .

وعامر بن سليمان الزواحي وأبو الحسين بن مهلهل والحسين بن عمرو السنجاني في القلب ، ومعهم قبائل تهذ وسنجان وحمير . وكان عمران بن الفضل اليامي ومدافع بن الحسن الجنبي ومحمد بن علي اليامي في قبائل همدان من يام وجنب وسواهم في الميمنة . وكان مالك بن شهاب الصليحي في الميسرة ومعه الحرازيون . ثم أقبلوا على العبيد ، وهم صاقون على باب الشبارق ، وكانوا ستة كراديس ، وعددهم ثمانية عشر ألفا ، وهم مثل العارض الأسود^(١) .

تقابل الجيشان في يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر صفر سنة ٤٦٠ . وقد قاتل سعيد الأحوال وجيشه قتالا شديداً حتى انطوى عليهم الجناحان ، فانكسر جيشه كسرة شنيعة ، وهزموا شر هزيمة^(٢) ، فجالت عليهم الخيل جولة واحدة فانطحنوا طحن الرحي وآتى القتل على أكثرهم^(٣) . وكان سعيد الأحوال قد أعدّ خيلاً مضمرة على الباب الغربي المسمى بباب النخل ، فسار مع من سلم من خواصه إلى البحر ، وقد أعدت له سفن هنالك ، فركبها من فوره ، وسار نحو جزيرة دهل^(٤) . وكان سبب نجاته انشغال السكرم ومن معه في الوصول إلى والدته الملكة السيدة أسماء . « فلم يتتبع العبد أحد ، ولا أقيم له في ذلك صد »^(٥) ، ودخلت العرب زبيد عنوة ولم يزل القتال إلى صلاة الظهر^(٦) .

تخليص الملكة أسماء أم المكرم من الأسر

وكان المكرم أول من وقف تحت الرأسين المصلوبين تحت طاقة الملكة أسماء بنت شهاب . فقال لها السكرم وكانت لا تعرفه : « أدام الله عزك يامولاتنا ! »

(١) وفي عيون ٩٩/٧ وصف تنظيم جيش الحبشة ، فقال : « وكردوس ميمنة ، وعن عينه كردوس أردفوه به ، وكردوس ميسرة ، وعن يساره آخر ، وكردوس قلب ، وكردوس آخر جعلوه كميناً في الحائط » .

(٢) رسائل القمي ٥٥ .

(٣) كفاية ٥٠ .

(٤) بالخمره : نقر عدد ٨/١ .

(٥) رسائل القمي ٥٧ .

(٦) عمارة/كاي ٢٥ ، قال : ظهر يوم الاثنين ١٩ صفر سنة ٤٦٠ .

فقلت : « مرحباً بأوجه العرب » . ثم سألته من هو . فقال لها : « أنا أحمد بن علي بن محمد » . فقلت : « إن أحمد بن علي في العرب كثير ، فاحسر لي عن وجهك حتى أعرفك » . فرفع المغفر عن وجهه^(١) . فقلت : « مرحباً بمولانا المكرم ! من كان مجيئه كمجيئك فما أخطأ ، ولا أبطأ » . ثم دخل رؤساء العرب فسلموا عليها ، وقد كشفت عن وجهها ، وكانت هذه عادتها في أيام زوجها لسمو قدرها عمن يحتجب عنه النساء^(٢) . وقد نزل المكرم عن ظهر جواده ، وسجد لله شكراً على ما أحرزه من نصر ، وعفر خده في التراب ، وأحرقت الدار التي استعصم بها العبيد^(٣) .

سيرة المكرم في الحرب والسلام

ولما دخل المكرم زبيد لم يعمل لأحد سبيلاً إلى حريم بني نجاح وأطلق من وقع في أيدي العسكر من أولاد العبيد . وقد يكون راعى في ذلك ماسار العبد من سيرة سليمة أثناء اعتقال الملكة أسماء وحرائر آل الصليحي . وقال عماره^(٤) : « ونادى منادى المكرم يومئذ برفع السيف بعد الفتح وقال للجيش : اعلموا أن عرب هذه البادية يستولون الجوارى السود فالجلدة السوداء نعم العبد والحر » .

وهنا نقف لتساءل : لماذا لم ينتقم المكرم لآبيه وعمه وأهله بالفتك بهؤلاء الذين وقعوا أسرى في يده ؟ . عرف عن المكرم كما عرف عن أبيه من قبل حسن السيرة في الرعية ، وقد تمسك بهذه الصفة لأنه وجد فيها الخير كله ، وكان يرى أن إدراك الثأر ليس في الفتك بالأسرى ، بل إنه اكتفى بتخليص أمه وأقاربه ، وآثر أن يعامل الناس بالحسنى حتى يملك القلوب والأنفس ، كما ملك مشاعر الناس بانتصاراته ، فبر بوعده الذي أخذه على نفسه أمام جيشه ، فلم يرم من وراء ذلك إلا إلى تخليص أمه ، ولم يكن غرضه انتهاك الحرمات وإثارة الفتن ، فكسبت

(١) في تلك الحالة أصابه الهواء فارتعش واختلجت بشرة وجهه وعاش عدة سنين وهو ينفذ رأسه وتحرك بشرة وجهه (عماره/ كاي ٢٥ ؛ كفاية ٥٠) .

(٢) عماره/ كاي ٢٦ ؛ كفاية ٥٠ .

(٣) عيون ١٠٠/٧ .

(٤) عماره/ كاي ٢٦ .

بذلك الفتنة في نفوس الأعداء ، وأطلق الألسن تلهج بالثناء عليه ، واشتهر أمر
المكرم بما أظهره من ضروب الشجاعة وعلو الهمة . قال عمارة^(١) : « أدركت
أهل زبيد إذا شتم السوق صاحبه وقيل له أتشتم الرجل . فيقول الشاتم : الرجل
والله هو الذي أخذ أمه من زبيد وقتل من الأحباش عشرين ألفاً دونه ، لعمري
هذا هو الرجل » . وهذه الأقوال تبين مقدار مركز أحمد المكرم الصليحي في
نظر اليمنيين ، لأن انتصاره على النحو الذي ذكره التاريخ أكبر وأعلى من جبروت
المنتصر على عدوه ، وساعد على تثبيت مركز دولته ؛ فأجبه الموالى والمعاد ،
وآثروا الخضوع إليه ، لا خوفاً من قوة بطشه ، بل رغبة في شهامته ، وقال الناس
فيه : « والله الذي سماه ذا السيفين الحكيم » .

وقبل أن يغادر المكرم زبيد نقل الرأسين^(٢) من مكنهما وبني عليهما
مشهداً . وفي ذلك قال عمارة^(٣) : « وأنا أدركت مشهد الرأسين » ، كما أقام أياماً
مهد فيها قواعد البلاد ، وأقام رسم الدعوة الهادية على العادة الجارية^(٤) .

عودة المكرم الى صنعاء

وفي يوم الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ستين وأربع مئة خرج
المكرم من زبيد يريد متابعة العبيد الهاريين ، لولا أن وصل إليه في هذه
الأنثناء من إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي عامله بصنعاء كتاب يذكر فيه أن
الشريف قاسم بن جعفر العياني تقض العهد ، وأنه اتخذ من تغيب الجيش فرصة
للاقتراض على صنعاء ، كما جاء في هذا الكتاب أن الوالي إسماعيل هذا قد اشتد
عليه المرض ، وأن الحجازيين وأهل حراز قد وقع بينهم النزاع وساءت العلاقات .
نخاف المكرم أن ينال المخالفون من صنعاء ما سولت لهم أو هامهم . تخف مسرعاً

(١) عمارة / كاي ٢٦ .

(٢) رأس على الصليحي وأخيه عبد الله نقلهما من أمام دار شجار بزبيد إلى مكان
الدفن في صنعاء .

(٣) عمارة / كاي ٢٦ .

(٤) رسائل القمي ٢٦ .

للمودة ومعه أمه الملكة أسماء والحرار الصليحيات . وفي رجوعها إلى قصرها بصنعاء وخلاصها من الأسر قال الشاعر عمرو بن يحيى الهيثمي ^(١) :

أَوْبَةُ أَسْمَاءَ إِلَى قَصْرِهَا بَعْدَ فِرَاقِ الْمَلِكِ الْأَوْحَدِ
وَبَعْدَ عَوْصَاءِ الْخُطُوبِ الَّتِي رَمَتْ بَنِي قَحْطَانَ بِالْمُؤِيدِ ^(٢)
كَرْجَةِ الشَّمْسِ وَقَدْ جَنَّهَا دَجْنٌ وَسُرْبَالٌ دُجَى ^(٣) أَسْوَدِ
فِيهَا مِنْ نِعْمَةٍ أَصْلَاهَا بَأْسَ ابْنِهَا بَانِي الْعُلَى أَحْمَدِ

ومن هذه الحروب نلاحظ ظهور الروح الوطني واضحاً جلياً عند العرب فأخذوا يثيرون حماسة العرب على العبيد . وكان الأحباش يشعرون بأن العرب لن يتركوا ثأرهم . يتضح هذا من خطاب حياش بن نجاح لأخيه سعيد الأحول بعد قتل علي الصليحي ينصح له أن يفك أسر السيدة الملكة أسماء بنت شهاب ويردها إلى ابنها المكرم ، قتل علي الصليحي ويعفو عن بقية آل الصليحي ، ويكتب للمكرم ما معناه : «إنا أدر كنا ثأرنا، واسترجعنا ملكنا، وقد أحسنا إليك ومجملناك بصيانة والدتك والعفو عن بني عمك » ، وإن فعل ذلك لم ينازعه أحد في ملك تهامة أبداً ، وإن خالفه أغارت عليه قبائل العرب وطلبت بثأرها . فلم يجبه أخوه إلى طلبه وتمثل بقول الشاعر :

لَا تَقْطَعَنَّ ذَنْبَ الْأَفْعَى وَرَسَاهَا

إِنْ كُنْتَ شَهْمَا فَأَتْبِعْ رَأْسَهَا الذَّنْبَا ^(٤)

وفاة إسماعيل بن أبي يعفر وإلى صنعاء

وصل المكرم إلى صنعاء ليلة السبت السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ستين وأربع مئة ، فوجد والي الأمير إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي قد اشتدت عليه ، ولم يممه المرض غير عشرة أيام ، ثم وافاه الأجل . فحزن المكرم لفقده ،

(١) عيون ١٠١/٧ .

(٢) المؤيد الداهية الشديدة .

(٣) الدجى جمع دجبة وهي ظلام الليل .

(٤) العرشى : بلوغ المرام ٢٥ — ٢٦ .

لأنه كان ركنا من أركان دولته ، وكانت قبائل يحصب وعنس ورعين تدن بولائه وتخاف بأسه^(١) ، ثم عين مكانه ابنه عبد الله ، وأطلق يده في كل ما كان يضطلع به أبوه .

فسمع الفتن الداخلية

ثم أخذ المكرم بعد ذلك يعالج الأمور التي تعقدت في أثناء غيابه ويصالح ما أفسده الطامعون . وكان أول هذه الأمور الفتنة التي قام بها الشريف القاسم ابن جعفر العياني^(٢) ، لأنه نقض عهده ، واستمال ذبيان^(٣) وبني جبشير^(٤) وبني الدعام^(٥) وحرضهم على خلاف الملك المكرم ، ووعدهم بظهور عمه الحسين بن القاسم ، وكانت همدان قد قتلت قبل ذلك الوقت بستين عاما^(٦) ، وأفهمهم بأنه سيظهر ويملا الأرض عدلا ، فمال إليه فريق من الناس .

لذلك اتجه المكرم إلى ذبيان بجيشه وحاربها بحجة أنهم قد استولوا على طعام له وفعلوا أفعالا لا يمكن السكوت عليها ؛ ومازال بها حتى أصلح ما فسد منها . وقدم له كبارؤها الولاء فعاتبهم على سوء تصرفهم ، وقربهم وأحسن إليهم . ولما كان يوم الجمعة الرابع والعشرون من شهر جمادى الأولى سنة ٤٦٠ عاهدوه على السمع والطاعة ، وأن يخرجوا في كل مكان يخرج فيه المكرم لإلتهامة ، فإنهم بالخيار ، إن شاءوا خرجوا ، وإن شاءوا تركوا وقعدوا ، وأنهم لا يأوون الشريف القاسم ولا يوالونه^(٧) .

(١) كان له حصن كحلان (عيون ١٠٢/٨) .

(٢) أنظر ص ٨٢ — ٨٣ ، ١٢٠ (هامش ٤) .

(٣) هو بنو ذبيان بن عليان بن أرحب ، وبلد ذبيان وجبل ذبيان ووادي ذبيان من بلد همدان ثم من أرحب ، وهي بلد كثيرة الأعقاب كما ذكر الهمداني (صفة ١١) . وما تزال هذه القبيلة من أرحب تسمى بهذا الاسم .

(٤) بنو جبير ، هكذا ورد أسمهم في عيون ١٠٤/٧ ، والمعروف الآن بنو جبر بضم الجيم وفتح الباء من حاشد .

(٥) الدعام ثم من بني عليان بن أرحب من همدان (صفة ١١١ ، ٢٠١) .

(٦) عيون ١٠٤/٧ . (٧) نفسه ١٠٥/٧ .

قام الملك المسكرم لصالح المغرب ، فانتفى إلى اللومى^(١) حيث وافاه كتاب والدته الحرة أسماء بنت شهاب تخبره بورود كتابين من أسعد بن عبد الله الصليحي ومن على بن سويد وعبد الله بن معمر ، قد جاء فيهما أن حسين بن مغيرة التميمي وأبا العباس الشخطي وأبا إسماعيل السكالي نزلوا إلى الحراء^(٢) بجميع أهل يمحصب ورعين ، وأن سعيد الأحول طلع من تهامة بجمع عظيم عازما صنعاء ، وأن أخوى الأحول في جمع آخر مقابلون لمسكر أسعد بن عبد الله الصليحي بذى أشرق ، وأنهم يستعجلون نهوض الملك المسكرم . فلم يتمكن المسكرم الرجوع من المغرب وقد قارب جبل مسسور . فلذلك نهض من اللومى ، فنزل بقرية مدع^(٣) ، وتقيه محمد بن إبراهيم الصليحي ، وحاشد بن كديس الصليحي عامل مسور ، ومشأخ أهل لاعة ، ولحقه عامر سليمان الزواحي . ولما صار المسكرم بالجبل وهو مقابل لجبل حملان^(٤) المطل على كافة بلاد المغرب ، « فوجد أهل المغرب معتصمين فيه ، لازمين لصياصيه »^(٥) . فوقف المسكرم بالجبل إلى الليل ، ولما كان الصباح أمر جنده بطولع جبل حملان من غربي الوادي تحت قيادة عامر الزواحي ، ومن أعلى الوادي تحت قيادة محمد بن إبراهيم وحاشد بن كديس ، وطلع المسكرم بفرقة من جهة وسط الوادي . فأقبل أهل الجبل من كل حذب ينسلون ويكرون ، وكان معظمهم في الناحية التي كان فيه المسكرم . فنزل المسكرم عن جواده ، وصعد الجبل هو في مقدمتهم لا تثنيه النبال والأحجار مما اضطر أهل الجبل إلى الفرار . فلما ملك المسكرم جبل حملان « جاءوا إليه من جميع المغرب مدعين ، . . . فعفا وأحسن عليهم »^(٦) .

(١) واللومى يقع في جبل عبال يزيد من مديرية عمران .

(٢) الحراء موضع معروف في جبل الشعر (هامش عيون ١٠٥/٧) .

(٣) عيون ١٠٦/٧ : قرية من قرى حمير .

(٤) في رسائل القمي ٦٠ ، قال : « وكان حملان معقلا للعرب قديما ، وحصنا يلجئون إليه عظيما » . وحملان على مقربة من حجة . وفي عيون ١٠٧/٧ تلاق عن سيرة المسكرم ، قال : « وما يؤثر عن هذا الجبل أنه لم يطلع أحد إليه قط ولا طمع فيه ، وأن الأجل الأوحى (يعني الملك علي بن محمد الصليحي) لما جاز مسور أطاعه أهله بغير قتال » .

(٦) عيون ١٠٧/٧

(٥) رسائل القمي ٦٠

واتصل الخبر بالمكرم أن سعيد الأحول قد صار بالخلاف ، وأن التبعية والسخطى والكلالى ويعفر بن الكرندي ويحصب ورعين قد صاروا ألبا واحدا في جموع عظيمة بالشوافي ، يهددون سيادة الدولة الصليحية . فنهض المكرم إلى صنعاء ، ثم صار منها يريد الخلاف وأنهى إلى وادي بينون^(١) ، وأخضع بني صعب من عنس وبني الحارث ومذحج في طريقه حتى وصل إلى جبل الشعر الذي تحصن فيه التبعية والسخطى في معظم يحصب ورعين وعنس ، وهم أهل النجدة والبأس ، فقام المكرم بجميع عساكره بهجوم عنيف في الوقت المعين على رأس الجبل معلنين بالتكبير والتهليل ، فأجفل أهل الجبل مولين تاركين كثيراً من الغنم والمتاع ، وفرّ التبعية والسخطى ، واعتصموا بحصن القراخ^(٢) . فأمر المكرم بحصار الحصن وقتالهما . ولما جن الليل خرج السخطى يريد النجدة ، فوافقه قوم من كحلان ، فسيق إلى المكرم ، فأكرمه وأحسن إليه . ولما علم التبعية بخذلان حليفه ، طمع في كرم الملك المكرم وعفوه ، وسلم نفسه ، فأعطاه الأمان . وكان من أثر هذه السياسة المرنّة أن أقبل الناس على المكرم يطلبون الأمان ، فأجابهم إلى ما أرادوا ، إلّا أن ابن مغيرة التبعية فرّ ولحق بسعيد الأحول . «وفي اليوم التاسع والعشرين من رجب سنة ٤٦١ توجه المكرم إلى صنعاء ، فدخلها في اليوم السابع من شعبان ، وهو يكثر من حمد الله والثناء على الإمام المستنصر الذي يبركته ماتم له من فتوح»^(٣) .

الأثر بالتأثر من سعيد الأحول والحبش

عم الهدوء أنحاء دولة المكرم بعد أن قضى على الفتن والثورات التي أقضت مضجعه منذ تولى الحكم في شهر ذي الحجة سنة ٤٥٩ إلى أن عاد إلى صنعاء في شعبان سنة ٤٦١ ، لأن الأعداء وجدوا فيه قائدا لا تلين قناته كما وجدوا في أنصاره قوة عزيمة وإيمان واستبسال في الحروب ، تدل على ثقتهم بملكهم ، ففكر في أن يثأر من سعيد الأحول وبني جلده لئلا يسترخ من شرورهم .

(١) بينون، واد في بلاد المشرق عظيم الفيول، كثير المزارع والأغاب (عيون ١٠٨/٧).

(٢) القراخ، حصن مطل على مدينة الطويلة ، شمال غرب صنعاء .

(٣) عيون ١٠٩/٧ .

فتح نهامة

كان المكرم يرى أن عدوه التقليدي لا يزال قائماً ، وأن والده شهيد أم الدهيم^(١) ، وأن ثأره بل ثأر العرب جميعاً ، لا يمكن أن تنام عنه أعين العرب . فالدم في عرفهم لا يعوض عنه إلا الدم ، ولا جزاء لمهرقه غير القتل ، والتبعة الأولى تقع على عاتق الأقربين ، فلم يكد المكرم يستقر شهراً واحداً في قاعدة مله حتى قام يستنهض العرب من جديد للأخذ بالثأر من العبيد . « فأمر برسالة قرئت على أعوانه في الوعظ والتذكير وفضل الجهاد وما فيه من الثواب العظيم ، واستبشر الناس بذلك وأجابوه بما أراد »^(٢) . وقام الشعراء يحرضون العرب على وجوب الأخذ بثأر ملكهم العظيم علي بن محمد الصليحي ، ومن هؤلاء الشعراء الحسين ابن علي اليمامي^(٣) الذي نظم قصيدة طويلة جاء فيها^(٤) :

أفحطان هُرِّيَ البيضَ واعتقلى السُّمرا

ورُدِّي العوالي من دماء العدا حُمرا

ولا تُهدري ثأرَ المظفرِ إنَّه^(٥)

بني لكمُ مجندا وشاد لكمُ فخرًا

سَرَى نحو بيتِ الله ، لله قاصدا

برومٍ من الله المُتوبة والأجرًا

(٢) عيون ١١٠/٧ .

(١) أم الدهيم ، موضع بمقربة من المهجم .

(٣) هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد القم . كان أبوه صاحب ديوان الخراج بهامة ، وقد ظهر شأنه في أيام الملك علي بن محمد الصليحي . ولد ابنه الحسين بزييد وتأدب بها ، وكان يعد من فضلاء اليمن ورؤساء شعرائها (الجندي : السلوك ١/ ورقة ٨٨) . وقال عماره عنه : « إنه كان شاعراً مترسلاً يكتب عن الملكة الحرة بنت أحمد » (النكت العصرية ٥٦٧/٢) . وكان على صلة وثيقة بالسلطان سبا بن أحمد الصليحي وأقام معه بمحضر أشيخ (عمارة/ كافي ١٢٧) ، ومدحه وأسرته بغير قصائده . وتوجد في المتحف البريطاني أوراق منترعة من ديوانه وشعره ، وقد أورد الداعي لإدريس بعض قصائده في السبع السابع من العيون . وكان رئيس ديوان الإنشاء عند الصليحيين ، ويوجد في مكتبتنا الحمديّة الهمدانيّة نسخة خطية من مجموع المكاتيب التي ألفها على لسان السلاطين الصليحيين ، وأشرنا إليها في هذا البحث باسم « رسائل القمي » .

(٤) عيون ١١٠/٧ — ١١١ .

(٥) المراد من المظفر الملك علي بن محمد الصليحي .

ولما صحت عزائم العرب على القتال ، بعد أن استنهضهم الملك والشعراء والخطباء ، قام الملك أحمد المكرم من صنعاء في يوم الخميس غرة شهر رمضان سنة ٤٦١ قاصداً سعيداً الأحوال في زبيد ، فوصل إلى العمدة في يوم الأحد الخامس من ذلك الشهر ، وعرض عسكره في خارج القرية ، ثم وعظهم وحثهم على عدم النهب والسلب ، وتأمين الناس على أموالهم وأرواحهم ، وأنهم لا يريدون إلا قصد عدوهم ، فأطاعوه .

وفي صبيحة اليوم السابع من ذلك الشهر قصد المكرم زبيد حيث جاءته الأخبار بأن سعيداً الأحوال قد تحرك في أول رمضان إلى المخلاف أو إلى عدن . فأرسل المكرم قائده عامر بن سليمان الزواحى في جُل من معه من جنب وسنحان وحمير إلى جهة تقيل صيد وأنجه المكرم بمن معه من همدان وأهل حراز نحو جبل الشعر حيث كان سعيداً الأحوال وجيشه قد تعلقوا بالجبل ^(١) فملك الرعب قلوب الحبشة ، وأيقنوا بالهلاك ، فحمل المكرم عليهم حملة من يختار الموت على الحياة الفانية ^(٢) ، وهزم العبيد هزيمة منكرة ، وأدرك رجل من شاكر ^(٣) سعيداً الأحوال فقتله عند قرية مابة ^(٤) ، وأتى برأسه إلى المكرم . وقتل بلال بن نجاح وأخوه مالك بجهة تقيل صيد على يد عامر بن سليمان الزواحى . وعاد المكرم بعد ذلك إلى زبيد ، وفي يوم السبت غرة شوال صلى بالناس العيد ، وخطبهم خطبة أفاض فيها بالدعاء لأبيه ، على ما قيضه له من الأخذ بثأره ^(٥)

(١) وكان عدد جيشه ١٢ ألفاً وجيش المكرم سبع مئة رجل ، وذلك لأن معظم جيشه كان مع الزواحى بجهة تقيل صيد (عيون ١١٢/٧) .
(٢) نفسه ١١٢ .
(٣) شاكر بن بكيل قبيلة همدانية مشهورة تسكن شمال اليمن ولها فروع (صفحة ١٦٩ ، ١٩٤) .
(٤) مابة ، قرية في رأس جبل بني الحارث ، ومتصلة بجبل الشعر مباشرة ، وكذلك بمخلاف جعفر . وهى الفقل الفاصل ما بين اليمن الأعلى والأسفل ، ويطل عليها حصن سلبة الذى يقول فيه أعشى همدان :

يعدان أورعان أو حصن سلبة دواء لمن يشكو السهائم بارد
وبالقصر من إرباب لو بت ليلة لجاءك مثلوج من الماء جامد
(٥) عيون ١١٣/٧ .

ومما قاله : « اللهم وتعمد بغفرانك ورحمتك ورضوانك عبد أمير المؤمنين وداعيه الأجل الأوحى ، واجزه أفضل ما جزيت داعياً عمن دعاه ، اللهم وأوزعنا شكر ما أنعمت به علينا من توحيدك لنا بإدراك ثأره من الظالمين والإدالة به من أعدائه الفاسقين ، حتى صاروا بأسيا فثنا حصيدا خامدين ، فكما بككت عليهم السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا أَكَانُوا مُنْظَرِينَ » (١) .

ترك المكرم زبيد بعد أن ولى عليها السلطان أبو حمير سبا بن أحمد المظفر الصليحي وأراد متابعة جيش بن نجاح ؛ فوصل إلى الهجر في صبيحة يوم الجمعة ٢٨ شوال سنة ٤٦١ ؛ وعلم فيها بأن جيشا هرب إلى بلاد الهند. ثم اتجه المكرم إلى الساعد بعد ما خلف على الهجر عليا ومحمدا ابني مالك بن شهاب الصليحي وجماعة من أهل الحجاز وأهل المغرب .

ثم وصلت في هذه الأثناء السجلات المستنصرية تتضمن تشريفات وزيادة في الألقاب فقرأها على الناس في يوم السبت السابع من ذى القعدة . وجاءه الشعراء مهئين بالنصر ، منهم الشاعر أحمد بن علي التهامي الذي قال قصيدة جاء فيها (٢) :

(١) عيون ١١٣/٧ ؛ وقد جاء عمارة/ كاي ٣٠ برأى آخر في قتل سعيد الأحول ، وذكر أن قتله كان في سنة ٤٨١ في عهد الملكة الحرة أروى بنت أحمد . واتبعه في هذا الحزبي (كفاية ٥٣) ويحيى بن الحسين (أنباء/ دار ٤٢) وابن الديبع (قرة ورقة ٢٤) . وهذا الرأي بعيد عن الصواب لأن قتله كان كما ذكرنا في سنة ٤٦١ . وقد ظل حسين بن مغيرة التبعي صاحب حصن الشعر طوال مدة حكم المكرم عدوا للدولة الصليحية ، بالرغم من أن المكرم قد أعطاه الأمان وأكرم مثواه ، إلا أنه فر ولحق بسعيد الأحول بزبيد كما سبق أن ذكرنا ذلك . وقد ذكر المؤرخون الأربعة أن حسين بن مغيرة قد انضم إلى الملكة الحرة ودخل في طاعتها وهو الذي رسم لها الخيلة التي قتل بها سعيد الأحول . إننا نستبعد أن يكون هذا المعاند المكابر في عهد المكرم ، وهو عهد قوة الدولة وسموتها ، أن يصير حليفا اليوم للملكة الحرة ، فيساعد على قتل سعيد الأحول الذي كان يتخذها ملجأ له ، بل يعده أكبر مساعد له ضد هذه الدولة الخصيمة . ثم إن هؤلاء المؤرخين ، قد أجمعوا على أن الملكة الحرة قد كانت في هذه الأثناء ، أسعد بن شهاب وعمران بن الفضل الياي ، وأمرتهما بالتوجه من صنعاء إلى تهامة . وهذا الأمر يخالف الواقع لأن أسعد بن شهاب كان قد توفي في شعبان سنة ٤٥٦ (عيون ٧٦/٧) . لذلك كله نرى أن هذا الرأي ، لا أساس له من الصحة ، وأن قتل سعيد الأحول كان في عهد الملك المكرم كما ذكر صاحب العيون .

(٢) عيون ١١٤/٧ — ١١٥ .

نَفَضْتُ غُبَارَ الْعَارِ عَنْ ثَوْبِ يَسْعُرُبِ
 وَقَدْ سَجَبْتَ أَعْطَافَهُ كُلَّ مَنْحَبِ
 بِشَعْوَاءٍ فِي صَنْعَاءٍ قَرَعَ طَبُولُهَا
 وَرَبَاعُهَا بِالْعِرْقِ دُونَ الْحَصْبِ (١)
 أَدْرَنْتِ عَلَى دَرْبِ الْحَصِيبِ مَعَ الضَحَى (٢)
 رَحَى ذَاتِ قَطَبٍ حَاشِدِيَّ وَلَوْلَبِ (٣)
 فَأَضْحَوْا عَلَى الْأَبْوَابِ صَرَعِي كَأَنَّهُمْ
 قِبَائِلُ عَادٍ فِي الصَّبَاحِ الْعَصِيبِ (٤)
 وَجِئْتُ وَأَمَّ الْمُؤْمِنِينَ وَسِرْبُهَا
 كَزَيْبِ يَوْمِ الْطَفِّ حَوْلَ الْمُخَضَّبِ (٥)
 حَمَاهَا الَّذِي أَعْطَاكَ مُلْكًا كَمَا حَمَى
 بَنَاتِ عَلَى مَنْ مَسُوخٍ وَأَكَلَبِ
 فَإِنْ ذَكَرْتَ بِالْفَخْرِ يَوْمَ نَسَابِهَا
 قَرِيشَ كَعَمْرٍو أَوْ كَعِيسَى وَمَضَبِ (٦)
 أَوْ الْخَرَقِ عَتَابِ أَوْ الْمَرْءِ خَالِدِ أَوْ الشَّهْمِ مِرْوَانَ الْخَطِيبِ الْمَهْدَبِ
 وَإِخْوَتَنَا الْأَزْدَ الْيَمَانُونَ إِنْ أَنْوَا بَغَرَّ بَنِي الْأَيَّامِ آلَ الْمَهَلَّبِ
 أَتَيْنَا بِذِي السِّيفَيْنِ أَحْمَدَ إِنَّهُ يَفُوقُ عَلَى الْحَيِّينَ أَدَّ وَيَمْرِبِ

- (١) حاشية العيون : الحصب ، موضع بالحجاز .
 (٢) الحصب ، هو نفس مدينة زبيد .
 (٣) حاشية العيون : اللولب المستدير . قال الأزهري : لا أدري عربي أم مغربي .
 (٤) العصب ، شديد الحر .
 (٥) يريد به الإمام الحسين المخضَّب بالدماء .
 (٦) عيسى ، هو عيسى بن موسى العباسي ، ومضعب ، هو مضعب بن الزبير بن العوام .

لقد طالهم نفرا ومجداً ونجدةً كما طال كسيوان على كل كوكب
 أليس نظام المؤمنين أميرنا أباك وإن الفخر للمتسبب
 وأمك بنت القليل من آل جعفر فناهيك من أمّ وناهيك من أب
 ومكفك الباري على لوح عرشه طراز العلي في مفخر التسج مذهب
 قدّم لبني قحطبان يارأس عزهم وهميهم في الحادث المتعصب

نفل جنتي أبيه وعمه إلى صنعاء

ترك المكرم بعد ذلك قرية الساعد في نفس اليوم ، فبلغ المهجم وأمر بحمل
 جنتي والده وعمه في تابوتين إلى زبيد ؛ ثم سار بهما إلى صنعاء ؛ فقبرها يمانى الجبانة ،
 وأمر ببناء مشهد جامع لهما ^(١) ، وكتب بعض الشعراء على قبر الصليحي أشعاراً
 منها ^(٢) :

في القبر ليثٌ وبحرٌ زائرٌ وجدى جود وطودٌ وضرغامٌ وصمصامٌ
 فاعجب بأن ضمّ هذا كله جدّث بداله في قلوب الناس إعظامٌ
 فطُفّ به واقضِ حقَّ المجد إن له

حقاً على كلِّ حرٍّ جدّه سامٌ
 هذا الذي أمس رُجّتْ خُوف سطوته .

نجدٌ وبفدادٌ والأحساءُ والشامُ
 حتى إذا قيل هذا ماله مثلٌ

من الأنام تولّت قتلَه حامٌ

ولما عاد المكرم إلى صنعاء بعد دفن الجثتين جلس في مسجد كان قد بناه أبوه ،

(١) يقول صاحب العيون ١١٦/٧ : « ومشهد الصليحي اليوم قد غنى المتغلبون الظالمون
 آثاره ؛ وهدموا مناره ... فإن عنايتهم في ذلك كثيرة ، وفي هدم القبور أفعال نكيرة ،
 وذلك شيء يتعاماه الكفار والمسلمون ، ويأنفون عنه ، وهؤلاء يقدمون » .

(٢) نفسه ١١٦/٧ .

وأخذ الشعراء ينشدونه قصائدهم ، ومن بينهم عمرو بن يحيى بن الحسين الهيثمي حيث قال قصيدة جاء فيها^(١) :

وكيف لا نبكي ملوكا عنت لهم ملوك الشرق والمغرب
دارت رحي بأسيهم من قرى الشحر إلى نجد إلى يثرب
بما حوى البحر وشادوا العلى وأدركوا ثارات آل النبي
لم تطلع الشمس على مثلهم من غيرهم جودا ولم تغرب
ولم يمت مجدهم إنما

غُيِّبَت الأجسادُ في التَّيْرِبِ^(٢)

وسمى ذى السيفين يحْيِيهم ملاح في الليل سنا كوكب

وفاة الملكة الوالدة أسماء

استقر المكرم بعد ذلك في صنعاء ، وأخذ يصرف أمور دولته إلى أن توفيت أمه أسماء بنت شهاب بصنعاء سنة سبع وستين وأربع مئة على ما ذكره الداعى إدريس^(٣) ، إلا أن كتب التاريخ الأخرى ذكرت أن وفاتها كانت في سنة ٤٧٩^(٤) ، وهذا الزعم بعيد عن الصواب إذ لم نعد نسمع بذكرها في الجزء الأخير من حياة المكرم بعد أن صارت أمور الدولة والدعوة في يد زوجته السيدة الحرة أروى بنت أحمد^(٥) .

(١) عيون ١١٧/٧ .

(٢) في أصل : في الترب . ولعل ما أثبتناه هو الصحيح ، والترب والتورب من أسماء التراب ، وبه يستقيم وزن البيت .

(٣) عيون ١٢١/٧ ؛ انظر الفصل عن فضائل السيدة أسماء ص ٦٧ .

(٤) أنباء ٤٢/١١ ؛ قررة ورقة ٢٤ ؛ بغية ورقة ١٢ ؛ وذكر الخزرجي في كفاية ٥٣ أن وفاتها كانت سنة ٤٧٤ .

(٥) عيون ١٢٢/٧ .

انتقال المكرم من صنعاء إلى ذي جبلة

وقد رأت الملكة الحرة بثاقب فكرها أن تجعل ذي جبلة^(١) دار قراره فأشارت على زوجها الملك المكرم بذلك ، فقالت له : « يا مولانا ! أرسل إلى أعمال صنعاء ، ليجتمعوا أو يحشدوا » . فأمر الملك المكرم بجمعهم وحشدهم . فلما حضروا الميدان أشرف عليهم من قصره ، فلم تقع عينه إلا على حامل سيف أو رمح . ثم انتقل الملك المكرم إلى ذي جبلة ومعه امرأته السيدة ، فسألته أن يحشد أهلها ورعاياها . ففعل ، وأشرف عليهم ، فلم تقع عينه إلا على حامل هدية أو ساقية . فقالت له : « العيش بين هؤلاء أفضل ، لأن ذلك أقر للمملكة وثبوت قواعدها وأسهل جانباً في مصادر الأمور ومواردها ، وهي متوسطة بين اليمن الأعلى والأسفل ، وبها ينحصب العيش وبطيب المحل »^(٢) .

اغتناف في مصنع التفكير ونفوي بصره أمر الدولة لزوجه

ولما اقتنع المكرم بوجهة نظرها جعل ذي جبلة له مقراً وترك صنعاء بعد أن

(١) اختط السلطان عبد الله بن محمد الصليحي في سنة سبع وخمسين وأربع مئة مدينة ذي جبلة بمخلاف جعفر بأمر أخيه الملك علي بن محمد الصليحي (انظر ص ٨٨) . وجبلة ، على ما قيل ، اسم لرجل يهودي كان يسكن فيها ويعمل الفخار في الموضع الذي بنى فيه السلطان عبد الله دار الغر الأولى . وهي تسمى مدينة النهرين لأنها مدينة بين نهرين كبيرين جارين في الصيف والشتاء . ويقال في النثر المشهور إن جبلة لا يدخلها أحد إلا طاهر وصباحها صباح عروس . ولما انتقل المكرم إلى ذي جبلة اختط بها دار الغر الثانية في ذي بوز وكان حائطاً فيه بستان وأشجاراً كثيرة ؛ وهو مطل على النهرين وعلى الدار الأولى . وقال عبد الله بن علي الصليحي في وصف ذي جبلة :

هب النسيم فبت كالحيران شوقاً إلى الأهلين والجيران
مامصر ؟ ما بغداد ؟ ما طبرية كمدينة قد حفها نهران
خدد لها شام وحب مشرق والتعسكر السامى الرفيع يمان

« وأمرت الملكة السيدة ببناء الدار الأولى مسجداً جامعاً وهو المسجد الجامع الثاني . وبها قبر الملكة السيدة رحمها الله إلى الآن » كما حكاه عمارة / كاي ٣٠ . وأضاف عمارة قائلا : « وكان بناء دار الغر الثانية الكبيرة سنة إحدى وثمانين وأربع مئة » .

(٢) عيون ١٢٢/٧ .

وُلِّيَ عليها عمران بن الفضل اليامي وأبا السعود بن أسعد بن شهاب^(١) واستقرَّ
بدار العرّ التي بناها بنو جبلة جميعاً^(٢). وأقام بها مدة، ثم اشتد به مرض الفالج
الذي أصابه بعد تخلص أمه أسماء من الأسر بزييد^(٣)، وأشار الأطباء عليه أن
يحتجب عن الناس لذلك السبب^(٤)، فترك ذي جبلة وطلع حصن التعكر بعد أن
فوّض لزوجته شئون إدارة الدولة.

عمرانه بن الفضل الباصي وعزله من ولاية صنعاء

وكان الملك المكرم قد وُلِّيَ على صنعاء القاضي عمران بن الفضل اليامي
الهمداني^(٥) أحد أقطاب الدولة الصليحية أيام سكون المكرم بنو جبلة، ثم عزله
عنها، وكان ذلك من الأسباب التي كانت بها المباعدة بينه وبين القاضي عمران^(٦).
وفي ذلك يقول القاضي عمران يخاطب المكرم والأمير سبا بن أحمد الصليحي :

ولا تجرحا بالعزل أ كباد معشير إذا غضبوا علّ القنا وتكسّرا
فلو أن مولانا معدداً أتاكما بعزل تولّى الكلّ منا وأدبرا
فلا تفرقا من لفه والداكما وعودا إلى عقليكما وتدبرا
فإن أنما أنكرتما ما نظمتُهُ

فصِدِّقْ غدا من طلعة الشمس أزهرها

(١) في كفاية ٥٣ وأثناء / دار ٤٢ ورقة ٢٤ أنه ولي أسعد بن شهاب. وهذا
يخالف الحقيقة لأن أسعد خال المكرم قد توفي سنة ٤٥٦ (عيون ٧/٧٧) والذي ولاه المكرم
على صنعاء أبا السعود ابن أسعد بن شهاب.

(٢) كفاية ٥٢.

(٣) عمارة / كافي ٢٥، ٢٦.

(٤) عيون ٧/١٢٢.

(٥) هو عمران بن الفضل بن علي بن أبي زيد بن العمر بن صعيب بن الفضل بن عبد الله
ابن سعيد بن العوث بن ألفت بن مذكر بن يام بن أصبى بن دافع بن مالك بن جشم الأوسط بن
جشم الأكبر بن حبران بن نوف بن همدان ؟ ويلتقي نسبه مع الصليحيين من جشم الأوسط.
وقد اختارت همدان حفيده السلطان حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي بأمر صنعاء في
سنة ٥٣٣، وملسكها بعده السلطان علي بن حاتم. وضربت باسمهما السكة وأقيمت لهما الخطبة.

(٦) عيون ٧/٢٣١.

وفي أثناء مرض المكرم وصل إلى باب التعكر المسمى بباب كُثَيْب القاضي عمران وجماعة كبيرة من الناس يريدون مقابلة الملك^(١)، فمنعه القائمون على خدمة المكرم من دخول الحصن، لما به من مرض، وصرفوا أمره إلى الملكة الحرة بذي جبلة، ولكن هذا التصرف أغضب القاضي عمران^(٢)، وقال في ذلك قصيدة جاء فيها :

أَبَابُ كُثَيْبٍ إِنِّي لَكَ هَاجِرٌ عَلَى أَنِّي دَاعٍ لِمَوْلَاكَ شَاكِرٌ

وهي قصيدة طويلة كما حكاه صاحب العيون، ذكر فيها أفعاله وسوابقه مع الملك علي بن محمد الصليحي، وظنَّ أنَّ سبب رده يرجع إلى سوء تصرف ابن هباله ونجم بن بشاره وكانا يتوليان خدمة المكرم، وذكرهما في قصيدته هذه :

فَلَمَّا بَدَيْنِ بَابَهُ ابْنُ هَبَالَةٍ وَمَأْذُونُهُ نَجْمٌ فَعَمْرَانُ كَافِرٌ !

والواقع أنَّ الملك أحمد المكرم لم يطلع التعكر إلا بمشورة الأطباء عليه بالاعتكاف. ولكن ما لبثت أن عادت المياه إلى مجاريها مرة أخرى بعد وفاة الملك المكرم، لأن القاضي عمران حارب النجاشيين في عهد الملكة الحرة، وقتل في موقعة الكظائم سنة تسع وسبعين وأربع مئة كما سيأتي ذكره في الباب التالي.

(١) عيون ١٢٥/٧ .

(٢) وكان الملك المكرم إذا دخل عمران بن الفضل إليه ينزل عن السرير ويقوم لإقباله ويأخذ بيده فيصعده إلى السرير معه . وقد دخل القاضي إليه ذات يوم مع سمية عمران بن الشاعر العثماني وقد هجا الشاعر العثماني الملك علي بن محمد الصليحي لما أتى بعيد الأحوال برأس الملك زبيد منصوباً على الراية . فكان الشاعر المطلوب بعد أن ظفر الملك المكرم بسعيد بن نجاح . فقال القاضي عمران : لا أصعد السرير حتى تقضى لي حاجتي . فقال له المكرم : هي مقضية ولو كانت في أمان العثماني . فقال عمران : ذلك أريد ، وهذا الغلام ولده . فقام الغلام وأنشد قصيدة آتية مطلعها :

ماذا ترد على الركبان عدنان إن لم تجد يجميل الصفح فحطان

فقال المكرم بعد تمام الإنشاد : إن صدقتني ظني فإنك تجد أباك قد هلك . إني لأجد هذا الشعر من أخسر نفسه . وروى أن الشاعر قد مات قبل وصول ابنه إليه (المرجع نفسه ١١٩/٧ - ١٢١) .

أحمد المكرم ذو السيفين

وقد بلغت الدولة الصليحية في عهد الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي أقصى انساعها ، ولم تكسب أرضاً ولا نفوذاً أكثر مما كسبته في عهده ، فقام الملك المكرم بأمر الملك والدعوة في جزيرة اليمن وفي الجهات المضافة إليها^(١) . ولعل الظروف التي حاقت بالدولة في عهده بعد مقتل أبيه العظيم الملك الأوحدي علي الصليحي وذلها بما أحرزه في وقت قصير من انتصارات (Blitzkrieg) هي التي جعلت المؤرخين يصفونه بأنه « كان ملكاً شجاعاً شهما جواداً هماً وفارساً مقدماً »^(٢) . وأبدى إمامه الخليفة المستنصر بالله الفاطمي مسرته على انتصارات المكرم بقوله^(٣) : « ... عرض بحضرة أمير المؤمنين ملطف يشر بذكر سلامتك ، ويسخر الأقدار لإرادتك ، ومواجهتك وجوه الظفر في أبواب وجهتك ومقاساتك للخطوب بعد الخطوب ، واصطلائك بنار الحروب ، مما لو جرى في مثله في السنين لكانت قضيتها عجيبة ، وحالتها غريبة ، فكيف في هذه الأشهر القريبة ؟ وإنك ما لقيت ذا بغى عليك وعتو ، إلا وقصصك الله قيص ظفر به وعلو ، قد جعل الله وله الحمد النصر للوائك عذبا ، كما جعل الأعداء لنار سيوفك حطبا ، فامتلاً إهاب أمير المؤمنين مسرة بك وفيك ، وحمد الله سبحانه كثيرا على نجاح مساعيك وإصابة مراميك ، وكونك خير خلف لأبيك » الخ . فترى أن لقبى « ذى السيفين »^(٤) و « داعى السيف »^(٥) الذين منحهما الخليفة الإمام المستنصر أحمد المكرم قبل أن يكون سيد اليمن قد انطبعا عليه تماما .

خطابة المكرم

وكان المكرم فوق ذلك ، كما قال عمارة : « فصيحاً خطيباً مشهوراً بالثبات والإقدام ، ولم يكن في زمانه من يتعاطى حمل رمح وسيفه وقوسه وشدة قوته وعظيم خلقته » .

(٢) باغمرة : ثغر عدن ٢ / ٥٧

(٤) السجلات رقم ٣ .

(١) عيون ٧ / ١٢٣

(٣) السجلات رقم ٤٠ .

(٥) عيون ٧ / ١٥٢ : زهرة ٨٣ / ١ .

وقد لسننا فصاحة المكرم وقدرته الفائقة على الخطابة عندما أخذ يخطب أتباعه ويحثهم على وجوب تخليص أمه من الأسر في زبيد ، فلاحظنا إيماننا صادقا وعزيمة ماضية وشجاعة نادرة في دفع العرب نحو الهدف المنشود .

توحيد العملة

ولما رأى المكرم أن العملة تعتبر من مظاهر سيادة الدولة ، وأن توحيدها يعمل على رواج التجارة ، أمر بصك الدينار الملوكي الذي ينسب إليه ، وكتب عليه : « السيد المكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين » . وقال عمارة^(١) : « . . . وإلى اليوم الدينار على هذه السكة إلى أن ولي الداعي الملك عمران بن محمد الزريعي ، فسك ديناراً آخر كتب عليه : « أوحده ملوك الزمن ملك العرب واليمن عمران بن محمد » . ومما لا شك فيه أن المكرم سك الدينار لأنه وجد أن عدم توحيد العملة في البلاد يدعو إلى اضطراب النقد . وكانت الدنانير المستعملة قبل ذلك إما سعيدية^(٢) أو عثرية^(٣) وغيرها^(٤) . وكان هذا يدعو إلى المضاربة بين قيمة العملة المستعملة المتعددة ، وإلى التعقد في التعامل ولا سيما في التجارة .

ثم إن المكرم يحتمل أنه قد طلب إلى الناس وجوب التعامل بهذه العملة الجديدة ، إما لرغبة في إزالة مظاهر سيادة الدول التي سبقتها في حكم هذه البلاد ، وأنه حمل الناس على استقبال عهد جديد له سياسته ونظمه وأهدافه ، وإما أنه كان يقصد من ذلك أن يحمل الناس على بيع ما عندهم من عملة قديمة بأثمان رخيصة .

(١) عمارة / كاي ٢٣ .

(٢) نسبة إلى سعيد الأحول بن نجاح .

(٣) نسبة إلى بلدة عثر وهي تقع شمالي زبيد .

(٤) أنباء / دار ٤٠ .

ومعنى ذلك أن الحكومة تعمل على أن تسحب عملة لها قيمتها فى نفوس الناس بشرائها منهم بأقل من قيمتها الحقيقية ، وهذا ما يعود على مالية الدولة بالربح .
وبلاحظ أن الملك المكرم أحمد بن على الصليحي برغم شجاعته ومتهامته وفصاحته ومواهبه ، وبرغم مجهوده الجبار فى توحيد بلاد اليمن لم يستطع أن يستمر فى الحكم على الدولة التى أنشأها والده العظيم الملك على بن محمد الصليحي ، والتى استرجعها المكرم بعد أن أفلتت من يديه ، وذلك بسبب اشتداد مرض الفالج الذى لازمه منذ أن خلّص أمه السيدة الملكة الحرة أسماء بنت شهاب من أسرها بزييد . فاعتكف بحصن التعكر ، وترك — إلى حين وفاته فى شهر جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وأربع مئة^(١) — شئون الدولة والدعوة فى أيدي زوجته الملكة السيدة الحرة أروى بنت أحمد الصليحية .

(١) وقد اختلف المؤرخون فى سنة وفاته ، فزعم بعضهم أنها كانت سنة أربع وثمانين وأربع مئة (كفاية ٥٣ ؛ قرّة ورقة ٢٤ ؛ عمارة / كاي ٣١ ؛ باخرمة : قلادة ٢/٢ ورقة ٦٢٨ ؛ الكسبى : اللطائف ورقة ٢٠) ، وقال لاديس إنها كانت سنة سبع وسبعين وأربع مئة . وقد أثبت روايته السجل المستنصرى الموجه إلى الملكة الحرة المؤرخ فى شهر ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وأربع مئة (السجلات رقم ٤٨) بما يدل على أن الملك المكرم قد توفى فى نهاية سنة سبع وسبعين وأربع مئة وأن الخليفة المستنصر أرسل عزاءه الشخصى مع الأمير أبى الحسن جوهر المستنصرى ، كما جاء فى السجل المؤرخ فى شهر ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربع مئة (السجلات رقم ٤٦) أن المستنصر أمر بإرسال كافة المراسلات إلى على بن المكرم بعد وفاة المكرم .

الباب السادس

عهد السيدة الحرة الملكة أروى بنت أحمد الصليحية

(٤٧٧ - ٥٣٢)

السيدة الحرة الملكة

كان أهل اليمن يخاطبونها بلقب « سيدتنا الحرة الملكة » حبا فيها وإجلالا لها ، وهي أروى بنت أحمد بن محمد بن القاسم الصليحي^(١) . ولدت سنة أربعين وأربع مئة ؛ ويروى أن أبها أحمد بن محمد بعثه الملك على الصليحي بعد استيلائه على حصن مسار مع الوفد اليمني إلى الخليفة المستنصر بالله بالقاهرة لكي يستأذن الخليفة الفاطمي في إظهار الدعوة في أنحاء اليمن ، وأنه مات في عدن بسقوط البيت الذي كان يسكنه ، وأن أروى كانت في هذا الوقت في طفولتها^(٢) .

(١) وقد اشتهرت باسم « سيدة » ، والواقع أن اسمها « أروى » ؛ وقد ذكر عمارة / كاي ١٦ اسمها وهو « الحرة الملكة السيدة أروى ابنة أحمد الصليحي » . ويؤيد ذلك ما ذكره صاحب العيون ٢٠٣/٧ - ٢٠٤ حيث قال : « وكان (عبد المجيد) قبل ذلك يكتب الحرة الملكة ... » من ولي عهد المسلمين ، ابن عم أمير المؤمنين » ، ثم كتب : « من أمير المؤمنين » ، فقالت : « أنا أروى ابنة أحمد ، بالأمس ولي عهد المسلمين ، واليوم أمير المؤمنين . لقد جرى في غير ميدانه ... الخ . فالظاهر أن لفظة سيدة لقب للملكة وليس اسمها لها ، ولكنه أطلق عليها بكثرة استعماله لها .

كذلك وقع الاختلاف في اسم جدتها الأعلى . وروى عمارة / كاي ٢٨ أنها ابنة أحمد ابن جعفر بن موسى الصليحي ، واتباعه المؤرخون الآخرون في هذا ببعض الاختلاف كما جاء في رواية الجندی والحزرجي أنها ابنة أحمد بن محمد بن جعفر (نفسه س ٢٨) أو لم يذكروا أسماء أجدادها . قد جاءت أسماؤهم في وصيتها (انظر المحقق رقم ٩) . وضبط صاحب العيون ٢١٨/٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ نسبها إلى أحمد بن محمد بن القاسم الصليحي . فلذلك اعتمدنا في أسماء أجدادها على شهادة وصية الملكة نفسها وعلى رواية العيون .

(٢) تعليق كاي رقم ٢٩ .

وأُمها الرراح بنت الفارع بن موسى الصليحي . وقد تزوجت الرراح بعد موت زوجها من عامر بن سليمان بن عبد الله الزواحي ، فرزقت منه بسليمان بن عامر ، أخو الحرة لأُمها^(١) .

وقد قامت بتربيتها وتهذيبها وتأديبها السيدة الحرة أسماء بنت شهاب زوجة الملك على الصليحي ، فنشأتها نشئة طيبة فاضلة ، وذلك لاهتمام على الصليحي بها ، فكان كثيرا ما يقول لأسماء : « أكرمها ، فهي والله كافلة ذرارينا ، وحافظة هذا الأمر على من بق منا » . ويحكى عمارة^(٢) أنها روت رؤيا لأسماء ، قالت فيها : « إنها رأت في المنام أن بيدها مكنتة ، وأنها تكنس قصر مولانا على الصليحي » . فقالت لها أسماء : « كآنى بك والله وقد كنست آل الصليحي ، وملكت أمرهم » .

فضائل الملكة السيرة أروى

وكانت الملكة أروى على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة إلى جانب ما تمتعت به من جمال الخلقة ؛ فكانت بيضاء اللون مشربة بحمرة ، مديدة القامة ، معتدلة البدن ، تميل إلى السمنة ، كاملة المحاسن جهورية الصوت ، قارئة ، كاتبة ، تحفظ الأخبار والأشعار والتواريخ وأيام العرب^(٣) ، ولها تعليقات وهوامش على الكتب تدل على غزارة مادتها . وكان يقال لها بلقيس الصغرى ، لرجاحة عقلها وحسن تدبيرها^(٤) . وكانت الحرة الملكة ، كما قال صاحب العيون : « متبحرة في علم التنزيل والتأويل والحديث الثابت عن الأئمة والرسول عليهم السلام . . . وكان الدعاة يتعلمون منها من وراء الستر ، ويأخذون عنها ويرجعون إليها »^(٥) .

وامتازت ملكتنا بالصلاح والتقوى والخبرة الواسعة ، والمعرفة الفاتمة بأحوال الناس ، مما ساعدها على إدارة شئون بلادها في ظروف سيئة أحاطت بالبلاد . قال إدريس^(٦) : « وكانت امرأة فاضلة ذات نسك وورع وفضل وكال عقل

(١) عمارة / كآى ٢٨ .

(٢) عمارة / كآى ٥٩ ؛ كفاية ٥١ .

(٣) عيون ٢٠٨/٧ .

(٤) كفاية ٥١ .

(٥) نفسه ١٢٢/٧ .

(٦) نفسه ٢٨ .

وعبادة وعلم ، تفوق الرجال فضلا عن ربّات الرجال ، وتستحق مدح الشاعر حيث قال :

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير نحر للهلال

وقال أيضا^(١) : « وقد استحققت التقديم والتفضيل على الفضلاء من الرجال . وكان الإمام المستنصر أصدر إليها أجل أبواب دعوته ، فأفادها من علوم الدعوة ، ورفعت عن حدود الدعاة إلى مقامات الحجج » .

وفي ذلك قال أحد أقطاب الدعوة في عهدها السلطان الخطّاب بن الحسن الحجوري الهمداني^(٢) ردا على اعتراض المعارضين أن الإناث لا يستحقن رتبة الحجية^(٣) : « نقول إن القمص البشرية الجسمانية لا قول بها ولا عمل عليها . . . إنا نجد من هو ظاهر بقميص الإناث هو في أعلى الرتب وأشرفها كالزهراء البتول . . . وخديجة ابنة خويلد . . . ومريم ابنة عمران . ونجد أيضا بالعكس من هو ظاهر بقميص الإناث وهو أسفل سافلين من رتب الاستحالة . . . إن الذكر والأنثى من القمص البشرية لا يعرب عن حقيقته ولا يهتدى إلى طريقته ، بل العرب والهاذي الظاهر بها ، وهذا منها أعنى القمص البشرية الجسمانية التي يكشف لنا حقيقة باطنة حتى يقع على الحكم بأنه ذكر أو أنثى ، وهو ما يظهر من الأفعال في الطاعات والقبول . . . ومن أفعال الخير . . . فإن ظهر عنه خير لا شر فيه ، وطاعة لا معصية معها ، وولاية لا مكابرة بعدها ، وقبول لا يمازجه رد ، ينجع فيه آثاره وتشعشع منه وقع العلم بأنه قد رسخ عنده ما ألقى إليه وقبله وأمر منه . . . ومن هذه الطريق يتبين المؤمن الولي من الجاحد الغوي . . . فإذا كان الظاهر بقميص الإناث قد أحرز جميع الخلال المحمودة فقد خرج من دائرة الاستفادة

(١) عيون ١٣١/٧

(٢) لمصنعا ما يأتي من رسالته المسماة بقاية المواليد ١٣ — ٢٦ .

(٣) المصدر الصناعي من لفظ الحجّة . والحجة في مصطلح الدعوة هي درجة من درجات الحدود تلي درجة داعي الدعاة أو باب الأبواب ، وعادة يكون الحجّة ممثلا للإمام في بحر من بحار الدعوة أو جزيرة من جزرها الإثني عشرة ، ولا يراد من هذه الكلمة المعنى المقهوم « حجة الله » .

وصار بمنزلة الذكور . . . وإذا كان الظاهر بقمص الذكور غير محرز لجمعها ، فهو أبدا مستفيد بمنزلة الإناث . . . والإناث والذكور لا من يكون قبل الأجسام التي هي القمص عندهم ، بل من قبل الإفادة والاستفادة فقط .

ومما مدحت به الملكة الحرة الصليحية قول الخطاب بن الحسن الحجوري^(١) وهو لا يمدح أحدا إلا الحرة الملكة ، وذلك من خالص ولائه وعظيم إجلاله لها :

همم النفوس على النفوس مدارها وبها تبين كبارها وصغارها
وإذا تفرس في الوري متفرس ببصيرة لا تحت له أخبارها
إن النفوس فروع أجسام وما تبديه من همم النفوس ثمارها
وحياة أفضلها التقى إذ بالتقى تحوى بها ممّا ابتغت آثارها
كوحيدة الزمن التي أضحت التقى وشعارها من مخضه ودثارها
رضى الأئمة سعيها فتوطدت في الأرض دولتها وقرّ قرارها
وتواصلت بركاتها ممدودة منها جبال ما استترم مغارها
موصولة بجبالها تبقى على مر الزمان وصرفه أسرارها
وإذا الملوك أطاعت الرحمن لم

تخذل وطالت في الوري أعمارها
وجرت لها بغيامن وسعادة موصولة بدوامها أطيّارها
أما علاك فإنها مشهورة لاحت أدلتها وطال منارها
شهدت عداك بها فإن هم طالبوا
إدراكها فقصارها إقصارها

(١) عيون ٢٢١/٧ — ٢٢٢ . ولا توجد هذه الأبيات في نسخة د الخطاب الموجودة

في م. م. هـ . ولم يمدح الخطاب أحدا من معاصريه إلا الملكة الحرة وأستاذاه المقيد . انظر ص ١٩٣ — ٢٠٤ من هذا الباب عن حياة الشاعر وبميزات شعره .

(م — ١٠ — الصليحيون)

أنتم بنو الأصْلُوحِ جوهرِ يعربِ وسواكم أصدافُها وبخارُها
ولأنْتِ يا ابنةَ أحمدَ تَنمِيكَ من تلكَ اللَّآلِي الفاتكاتِ كِبَارُها
أَنقَذْتِ من يَمِّ الضلالةِ أَهْلَها كانوا بها طامِ بهم تَبَارُها
كما مدحها الشاعرُ الحُسينُ بنُ علي بنِ مُحَمَّد القِسمِ^(١) في قصيدة أولها :
أَعْلَمْتُ أَنَّ مِنَ الرِّماحِ قُدُودًا وَمِنَ الصِّفاحِ مَحَاجِرًا وَمِنْهُودًا
ومنها :

أَعْلَى الْأَنامِ أَبَا وَأَكْرَمَ طَبِيعَةً وَأَتَمَّ أَعْراقًا وَأَصْلَبَ عودًا
لو كان يُعْبَدُ لِلْجَلالَةِ في الْوَرى بِشَرِّ لِسَانٍ ذَلِكِ الْمَعْبودَا
أو كان في أَتوابِها بَلْقِيسُ ما هابَتْ سَلِمانًا ولا داودَا
وَإِذا الْوُفُودُ تَأَخَّرَتْ ، وفَدَّتْ عَطا ياها ، فَكانَتْ لِلوُفُودِ وَفودَا
هي نعمةُ اللَّهِ الَّتِي ما ماؤُها تُمدُّ ولا مَعروفُها مَحْجودَا
هي رَحمةُ اللَّهِ الَّتِي ما زالَ مِنْ فَوْقِ الْبَرِيَةِ ظِلُّها مَمْدودَا

هذه الصفات الفاضلة ، التي لم تتجمع قط إلا في قليل من نساء العالم ، قد تجمعت في السيدة الملكة الحرة في بلد كان — ولا يزال — الرجل ينظر فيه إلى المرأة نظرة أمة مملوكة لأنها إن كانت في عصمته ، ولزوجها إن كانت في حصانته^(٢) .

(١) دأبى عبد الله حسين بن علي القمي ورقة ٥ — ٦ .

(٢) يقول محمد حسن في كتابه قلب اليمين : « إن المرأة في اليمن لا قيمة لها في المجتمع إلا من حيث خدمة الزوج ، وإنتاج النسل والطهي ، وغير ذلك من مهام تدبير المنزل . فكان لنظرة الرجل إلى المرأة هذه النظرة القاسية أثر عميق في نفسها ، عاشت عليها دهرا طويلا حتى غدت ترى نفسها وضعية مهملة مملوكة . وما يدل على قيمتها في نظر الرجال ، ذلك المثل السائر في هذه البلاد وهو : المرأة ناقة وإن هدرت ، وهذا المثل وحده يكفي بثبوت السؤال عن قيمة المرأة الحقيقية في هذه البلاد » .

وهذا الظلم الذي فرضه المجتمع على المرأة اليمنية كبت شعورها وسلبها تفكيرها الحر . ولو قدر لها أن تعيش حرة ، لما تخلفت عن ركب الحضارة ، بل كان لها قصب السبق على كثير من نساء العالم . وقد أثبتت الملكة الحرة والسيدة أسماء بنت شهاب صحة هذا الرأي ، ودلتنا على أن العقل القحطاني عَيْنٌ ، ويمكن أن يكون أحسن من كثير من العقول إذا تهافت له الظروف .

اقترانها بالأمير أحمد المكرم

وكان من الطبيعي بعد ما علمنا كل هذا عن السيدة ، وبعد ما وقفنا على مقدار اهتمام السلطان على الصليحي ، وزوجته السيدة أماء بنت شهاب وعنايتهما بها ، أن تختار زوجة لابنهما الأمير أحمد المكرم . وكانت السيدة قد اقترنت بالمكرم بعد أن تولى منصب ولاية العهد سنة ثمان وخمسين وأربع مئة ، وكان لها من العمر ثمان عشرة سنة^(١) وفي هذا الزواج قال الشاعر الحسين بن علي القمي قصيدة مدح فيها المكرم ، جاء فيها^(٢) .

وكريمة الحسين^(٣) يكنف قصرها

أسد تخاف الأسد من صولاتها

وتكاد من فرط الحياء تنفض عن تماثيل الرثي في مرآتها

ظفرت يداك بها ، فبجئ إنا لك تذخر العلياء مضموناتها

وكان الصليحي أصدقها عدن حين زوجها من ابنه المكرم ، ولم يزل ارتفاع عدن من حين زواجها يرفع إليها وهو مئة ألف يزيد وينقص^(٤) .

فأنجبت علياً ومحمداً وفاطمة وأم همدان . فأما علي ومحمد فسنكلم عنهما فيما بعد ، وأما أم همدان فقد تزوجت من ابن خالها أحمد بن سليمان بن عامر بن سليمان ابن عبد الله الزواحي ، فرزقت منه بعبد المستعلي ، وتوفيت سنة ٥١٦ . وأما فاطمة فتزوجت من شمس المعالي علي بن السلطان سبا بن أحمد الصليحي ، وتوفيت في سنة ٥٣٤^(٥) .

(١) نظرا لأن الملكة عاشت اثنتين وتسعين سنة ، وأنها توفيت سنة ٥٣٢ . فتكون قد ولدت سنة ٤٤٠ ، كما ذكره صاحب البيون ٢٢١/٧ نقلا عن صاحب المقيد . ويكون سنها عندما بنى بها المكرم سنة ٤٥٨ هو ثمان عشرة سنة .

(٢) الأصبهاني : خريدة القصر ٢٥٤/٢ .

(٣) رواية الحريدة : وكريمة الحسين ، والظاهر فيها تحريف .

(٤) عمارة كاي ٤٩ . (٥) عمارة / كاي ٢٩ ؛ الخطر ص ١٦٤ هامش رقم ١ .

نشاطها السياسي

بدأت الملكة أروى نشاطها السياسي في عهد زوجها الملك المكرم . وفي ذلك قال عمارة : « لما توفيت أسماء بنت شهاب والدة المكرم ، فوض الأمر لزوجته الملكة السيدة الحرة . فاستبدت بالأمر واستعفته في نفسها وقالت : إن المرأة التي تراد للفراس ، لا تصلح لتدبير أمر ، فدعني وما أنا بصدده »^(١) .

وكانت تستشير في هذه المدة القاضي عمران بن الفضل البامي ، وأبا السعود ابن أسعد بن شهاب . ولما توفي زوجها سنة ٤٧٧ ، لاقت الملكة الحرة وحدها عبء هذه المسئولية الجسيمة ، وأصبحت بتفويض من الخليفة الفاطمي المستنصر تتصرف في أمور الدولة والدعوة^(٢) في اليمن والهند وعمان ، فلاقت بسبب هذه المسئولية مصاعب كثيرة ، كادت تززع أركان الدولة الصليحية ؛ ولولا ما جيلت عليه الملكة من حسن التدبير وحسن اختيارها للرجال ، لعصفت بها تيارات الفتن والخلافات الداخلية .

نولية علي بن أحمد المكرم

قال عمارة ، واتبه الآخرون^(٣) : إن المكرم قبل أن يتوفى « أسند الوصية في الدعوة إلى الأمير الأجل الأوحده المنصور المظفر عمدة الخلافة أمير الأمراء أبي حمزة سبأ بن أحمد المظفر بن علي الصليحي » . وانفرد إدريس^(٤) نقلا عن السجلات^(٥) برأى آخر وهو الأصح « بأن المكرم عندما توفي كتمت الحرة الملكة الأمر إلى أن جاءها سجل أمير المؤمنين المستنصر بالله بإقامة ولدها المكرم الأصغر عبد المستنصر علي بن المكرم أحمد » ، كما أمر المستنصر بأن ترسل كل المراسلات إلى علي بن المكرم ، وكلفه بالقيام بمرافق الدعوة وأمور الدولة بقوله^(٦) : « . . . وقد رأى أمير المؤمنين أن يصطنعك ويلحقك برتبة أليك وينصبك منصبه ويرقي بك درجته . . . وأمره (أي الأمير أبا الحسن جوهر

(١) عمارة / كأي ٢٩ . (٢) عيون ١٢٣/٧ ؛ السجلات رقم ٥٠ .

(٣) عمارة / كأي ٣١ ؛ كفاية ٥٢ . (٤) عيون ١٢٦/٧ — ١٣٠ .

(٥) السجلات رقم ١٤ ، ٢٦٠ . (٦) السجلات رقم ١٤ .

المستنصرى) أن يقلدك النظر فيما كان أبوك تقلده من الدعوة الهادية والأحكام في سائر اليمن وسائر الأعمال المضافة إليه برًّا وبحرا وسهلا ووعرا ونازحا ودانيا وقريبا ونائيا . . . حتى خصّك من ملابس الإمامة بشريف الحياء»^(١).

وقد ذكر هذا الكلام في السجل المستنصرى الصادر في شهر ربيع الأول سنة ٤٧٨هـ^(٢)، ولم يكتف المستنصر بذلك، بل دلّ على مبلغ اهتمامه بهذا الأمر بأن سبّر الأمير أبا الحسن جوهر المستنصرى بهذا السجل، وكلفه بأن يقوم بتعزية الملك على بن المكرم في والده وأن «يشد أزره ويظهره بالتشريف على رؤوس الأشهاد ليلتف حوله المؤمنون ويجمع أنف المخالفين وتجتمع كلمة الأمة تحت لوائه وتنقسم نار الفتنة».

ولم يقف حسن سمى المستنصر في هذا الأمر عند هذا الحد، بل أمدّ الملك على ابن المكرم بالتأييد وأوصاه بأن يهتدى بهدى أمير المؤمنين «حتى تتألف لك الضمائر وتوافقك القلوب والسرائر وتستوثق الأمور لك في البادية والحاضر»^(٣)، كما أرسل المستنصر إلى الأمير محمد بن المكرم يأمره بطاعة أخيه الملك على «ومؤازرته وموالاة من يوالى أمير المؤمنين ومعاداة أعدائه». وأرسل كذلك إلى كافة السلاطين والمقدمين والمؤمنين بل وإلى الملكة الحرة نفسها يأمرها بضرورة طاعة الملك على عبد المستنصر والامتثال لأوامره، وأن تعول عليه في سرها وجهرها، وتستعين بأهل الدعوة في اليمن على من عاداهم وعادها^(٤).

وفي سنة ثمانين وأربع مئة أرسل المستنصر سجلا آخر إلى الملك على لقبه فيه بلقب «سليل الدعوة ونجلها»^(٥). وقد قصد الإمام بذلك أن يشعر الجماعة في بلاد اليمن بمكانة على من الدعوة ويبين لهم مدى تأييد الإمام له، وأنه قد اختاره في رئاسة الدعوة والدولة في اليمن، لما كان لآبائه من فضل في رعاية الدعوة الفاطمية.

(١) انظر الباب السابع (ص ٢١٨ — ٢٢٠) فصل عن تبادل الهدايا. ولنا نرجح أن الكسوة التي أرسلها الخليفة الفاطمي إلى على بن أحمد المكرم كانت من الثوب الديقى، وهذا النوع كان ينعم به على الأمراء وحدهم (راجع القرزى: خطط ١/٤٤٠).

(٢) السجلات رقم ١٤: عيون ١٢٩/٧. (٣) عيون ١٢٩/٧.

(٤) نفسه ١٣٠/٧. (٥) السجلات رقم ٣٧.

ويدل على ذلك ما جاء على لسان المستنصر نفسه حيث قال : « وأعلمك أن دعاة أمير المؤمنين وأوليائه نجوم في سمائه ، إذا خوى نجم أطلع نجما ، وسيوف إذا أغمد حسام انتضى حساما » (١) .

ثم إن المستنصر لكيلا يدع فرصة لمنافسة هذا الصغير الذي لم يتجاوز العاشرة من عمره بين في هذا الكتاب أن الخليفة قلَّده هذا المنصب بالرغم من صغر سنه ، وأنه لا ضير في ذلك فإن المستنصر نفسه قد تولى الخلافة وهو دون الثامنة من عمره ، ثم قال المستنصر : « وقد جاز هذا في الإمامة وهي الدرجة التي تلي النبوة ، فكيف في الدعوة التي لأمر المؤمنين أن يتصرف فيها على اختياره » (٢) .

وهكذا دلت سياسة المستنصر على بعد نظره ، فقد رفض تولية السلطان أبي حمير سبا بن أحمد الصليحي بالرغم من وصية المكرم له ، وولى على بن المكرم لأنه يعلم أن الملكة أروى من القوة والكفاية بحيث يمكن الاعتماد عليها في تنفيذ السياسة التي ترضى الفاطميين (٣) ، ولا ريب فهي « سيدة ملوك اليمن . . . وولية أمير المؤمنين » . ولعله أدرك شيئا آخر هو أن المحافظة على مبدأ الوراثة في الابن الأكبر خير ضمان لعدم إثارة المنازعات ، وخصوصا أن هذا المبدأ كان معمولا به في عهد الدولة الفاطمية إلى أيام المستنصر . ففضل تولى الطفل على بن المكرم بدلا من السلطان سبا ، بالرغم من أن الأخير كانت تؤهله لهذا المنصب سنه وشخصيته الممتازة وغيرته على الدولة والعمل على رفع شأنها ، كما تؤهله أيضا مواقفه الحميدة في عهد الملك المكرم ، ووصية المكرم له تعتبر أحسن شهادة بذلك .

نشاط أبي حمير سبا

واقده كانت مؤازرة الإمام للملكة الحرة وابنها على بن المكرم والعمل على جمع كلمة أهل الدعوة حولهم وتحريض جميع المسلمين على وجوب طاعتها ، سبا في أن تحلّي السلطان سبا عن المطالبة بحقه ، وتمكنت الملكة الحرة بحسن سياستها وتقديرها الصحيح لعواقب الأمور ، من أن تقضى على هذه الفكرة ، فجعلت الأمير

(١) السجلات رقم ٣٧ .

(٢) نفسه رقم ٣٧ .

(٣) عمارة / كافي ٣٥ .

سبا نائبا عن ولدها وحاميا لدمار دولته من المعتدين . فأبلى في ذلك بلاء حسنا .
فدخل سبا في حروب متوالية مع جيّاش^(١) بن نجاح ، وذلك لأن
حصون^(٢) بني المظفر كانت مطلة على تهامة وهي أقرب إلى تهامة من جميع الجبال .
فكان إذا برد النسيم ترح العرب بقيادة سبا إليها ، وارتحل جيّاش عن البلاد ،
ويقيم سبا يحجي خراجها وييسط العدل فيها ، وكان يحتسب للعمال ما قبض منهم
جيّاش في أشهر الصيف والخريف . فإذا انفصل الشتاء وانصرم الربيع ارتحل بمن
معه من العرب من تهامة إلى الجبال ، وملك جيّاش تهامة إما بالقتال وإما لشدة
الحرّ وانتشار الوباء في العرب . ويقول عمارة^(٣) : « وإذا عاد جيّاش إلى زبيد
نشرت المصاحف ، وابتهلت له الرعايا بالدعاء ، وظهرت الفقهاء ، وتطاولت العلماء ،
واحسب جيّاش للعمال ما قبضه منهم سبا ونوابه في مدة الشتاء والربيع » .

(١) وكان جيّاش شاعرا فصيحاً ، وله ديوان شعر ضخّم وعدة مجلدات نثر . وهو
مؤلف كتاب « المفيد في أخبار زبيد » . ومن قوله :

إذا كان علم المرء عون عدوه عليه فإن الجهل أبى وأزوج

ولما انتقم الملك المسكرم لقتل أبيه بأن قتل سعيداً الأحول بن نجاح سنة ٤٦١ هـ هرب
جيّاش إلى بلاد الهند . وما لبث أن عاد إلى اليمن متنكراً حيناً علم بمكر المسكرم واضطراب
أحوال دولته . وكان قد اشترى في الهند جارية هندية تزوج منها وأخضرها معه إلى اليمن .
وقد أنجب منها ابنه المسمى الفاتك الذي تولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة ٤٩٨ هـ . فظل هو
وزوجته الهندية ووزيره خلف بن أبي الطاهر الأموي مختفين بزبيد حتى عرف جيّاش أن الوالي
أسعد بن عراف (والي زبيد من قبل المسكرم) حدث بينه وبين وزيره علي بن القم نزاع
اضطر الوزير أن يقول يوماً : « لو وجدت كلباً من آل نجاح للسكنة زبيد » (أنباء/دار ٤٣) ،
كما قال في مناسبة أخرى : « عجل الله لنا بك آل نجاح » (قرة ٤٠) . فاغضب جيّاش
من هذه الأخبار . وأخذ يعد العدة ، فاتصل بالحيشة المتفرقين بالبلاد وأمرهم بالاستعداد
كما اتصل بوزير الوالي وهو علي بن القم ، وتعاهدا على كتمان الأمر حتى يتخلصوا من أسعد
ابن عراف حاكم زبيد . ولما استوثق جيّاش لنفسه أمر بضرب الطبول والأبواق ، وثارته معه
عامة أهل المدينة وطرّدوا الوالي . ولم يمض شهر واحد حتى أصبح يركب في عشرين ألف حربة
من عبيده وبني عمه (أنباء/دار ٤٣) . ويروي أن وزير الوالي علي بن القم لما تعرف على
جيّاش أمر أن تحل دار الأمير الأعز محمد بن علي بن محمد الصليحي ، ففرشت وحملت إليها زوجة
جيّاش الهندية ، فولدت له ابنه الفاتك في الليلة التي ملك فيها زبيد .

(٢) ومنها مقرو وصاب وقوايرر والظرف والشرف (عمارة / كاي ٣٣) .

(٣) نفسه ٣٣ .

وقعة الكظام وهزيمة العرب

ولما طال ذلك على جيش أش وأتعبه حرب العرب وخشى منهم الغلب ، دبّر له وزيره خلف بن أبي الطاهر ^(١) حيلة ، فأرسل من يشير على الأمر سبا الصليحي بوصوله إلى زبيد ^(٢) ؛ وقد كاتبه أعيان من فيها يبدل الطاعة وأخفوا الغدر ، فاطمأن الصليحي إلى قولهم ؛ وذهب إلى زبيد ، ومعه ثلاثة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل . وكان جيش أش قد أعدّ الجوع ، واستنصر بالشريف يحيى بن حمزة بن وهاس ^(٣) ، وكثير من زعماء جيوش جيش أش قد كاتبوا الصليحي غدرا وكيدا . فلما انتهى سبا وفرقه إلى باب زبيد وكان الشريف وغيره ممن مع جيش أش كميناً ، فظهروا على الناس بغته ووقعت بينهم موقعة الكظام ^(٤) في يوم الجمعة الخامس من ذي الحجة سنة تسع وسبعين وأربع مئة حيث انهزم سبا ومن معه . وقتل الأميران قيس بن أحمد بن مظفر (أخو الأمير سبا) ومحمد بن مهنا الصليحيين ، وحمل الشريف

(١) . المنسوب إلى زياد بن أبيه دعى أبي سفيان بن حرب الأموي « كما قال صاحب العيون ١٣٣/٧ . صحب هذا جيشاً إلى بلاد الهند ، وعاهده على أن يقاسمه الأمر ولقبه « قسم الملك » وبه رجع إلى الملك (بالحزبة : ثغر عدن ٧٠/٢) ، وساءت العلاقة بينه وبين جيش أش بعد ذلك فأقصاه عنه (الأصبهاني : خريدة ورقة ٢٧٦) .

(٢) هذا ما رواه إدريس (عيون ١٣٣/٧) . وقال عبارة / كاي ٣٣ : « أشار الوزير خلف بن أبي الطاهر على جيش أش بأن يعتقله ويحبسه على أمواله وأملاكه ويقم محمد بن الغفاري وزيراً له . ففعل ذلك . ثم إن خلف ثقب الحبس وهرب إلى سبا . فحسن موضعه منه . فلم يزل يحسن لسبا الزول إلى تهامة وضمن له من الخيل والمساكن ما يقطع به دابة جيش أش لسبا ما لا يقوم به مقام النصف وأن يشترط على سبا إبعاد الوزير خلف من عنده . فلما فعل جيش أش ما أشار به الوزير استحكمت أطماع العرب في بلاد تهامة » .

(٣) نزهة ٦١/١ . هو من أشراف تهامة عسير تعرف بالخلاف السليمانى ، وهم ينتسبون إلى موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وهم أقرب لأشراف مكة ، وذريتهم لا تزال معروفة في تهامة عسير ، ومن قراهم صبيا وأبو عريش وحرض وضمد والملاح والقبه وغيرها . هذا ما أفاده لنا شيخنا القاضي محمد الحجري .

(٤) كذا في نزهة ٦٢/١ ؛ عيون ١٣٣/٧ ؛ وفي رواية الأبناء/دار ٤٣ : « القضاء » . ونرجح رواية العيون والنزهة ، ولعل هذه الواقعة حصلت بالقرب من الكظام التي قد تكون في نواحي زبيد . والكظام جمع كظيمة ؛ والكظيمة هي شبه بئر من سطح الأرض إلى مجرى الماء الذي تحت الأرض ، تستعمل هذه لتنظيف مجارى الماء تحت الأرض ، وهذه الكظام منتشرة في أرجاء اليمن ، كما أفادنا شيخنا القاضي .

يحيى بن حمزة على القاضي عمران بن الفضل اليايى ، قطعنه طعنة مات بسببها بعد أيام^(١) ، وعُقر فرس الأمير سبا ، فاضطر أن يسير راجلاً في غمار الناس حتى حمله بعض جنده على جواده^(٢) .

وفى قتل القاضي عمران بن الفضل اليايى قال الشريف يحيى بن حمزة مفتخراً من شعر أوله^(٣) :

أبلغ زاراً حيث حلّ زارُ

ومنها :

ونجا الحجازيُّ الرئيسُ بطعنة
نَجَلًا لها تحت القميص خوار^(٤)

ثم اعتذر إلى السلطان سبا بن أحمد فيما كان من نصره للحبشة في قصيدة أولها^(٥) :

يا راكبا جسرَ كالفارب القطم
هوى لقاريّه الكدرى من أمم^(٦)

(١) يقول لإدريس (نزهة ٦٣/١) : إن أحمد بن عمران بن الفضل اليايى خرج ومعه أخوه الحسين يطلبان بئار أبيهما ، فترلا تهامة وتعرفا على الإمام فقتلاه انتقاماً لقتل أبيهما . وقد أيد هذا الخبر صاحب الأنباء/دار ٤٣ .

(٢) عمارة / كاي ٣٣ — ٣٤ ؛ عيون ١٣٣/٧ .

(٣) عيون ١٣٣/٧ .

(٤) نجلا ، مقصور من نجلاء لضرورة الشعر . وخوار وجوار أى صوت يسمع من الطعنة عند خروج الدم منها .

(٥) عيون ١٣٤/٧ .

(٦) الجسر الضخم من كل شيء ومؤنته جسر يريده فرساً أو ناقة . الفارب قاصد الماء والقطم الذى يشتهى أى شيء ، يريد به العطشان والكدرى نوع من القطا أخضر اللون والأمم القريب . وفى الأصل ربه : بالباء الموحدة والأقرب لقارية بالياء المثناة لأنه يصف طائراً من القطا الكدرى يطلب الماء ليروى ظمأه . ولفظ الكدرى بدل من لفظ الفارب . يقول : يا راكبا فرساً ضخماً أو ناقة ضخمة تشبه فى سيرها القطا الكدرى الذى يطلب الماء من قريب ليروى ظمأه ، كما فسر لنا البيت الأستاذ مصطفى السقا .

إلى قوله :

وقد بعزّ علينا ما أصابكم منّا بغير رضا كف ولا قدّم
والله يعلم أنّي يومَ وقعتكم لم أمس إلا على جحرٍ من الندم
وأنّ فيض دم منكم كفيض دم بكريلاء وثأر الطّف لم يرم^(١)

فأجابه السلطان عبد الله بن يَمَعلى الصليحي على لسان سبا :

يا راكباً راح لا يَلَوِي على أحد

لقيت دأعية التوفيق والنعم

إلى قوله :

فليس قيس وإن جلّت رزيّته وكان صنويّ لحى لحه ودى
ولا الهُمام أبو موسى وصاحبه محمدٌ وها من أوثق العِصم
بأول القوم منّا حمّ مؤهّم بين الأسنة والهنديّة الخُدم
والسيف يا كلنا حيناً ونُرته حيناً إذا شاء في الأعناق والقِمم

وملك جيش زبيد ، ولم يقدر العرب على أخذ تهامة بعد هذه الموقعة^(٢) رغم محاولات الأمير المفضل بن أبي البركات لاسترجاعها ، وكانت هزيمة العرب ضربة قاسية على كيان الدولة الصليحية ، بل على فكرة وحدة البلاد اليمنية تحت راية العروبة . وذلك الأمر لم يتم فيما بعد بفضل مكابد الوزير العربي ونصرة الشريف للأحباش ، ولم ينفع الأخير الندم بعد فوات الآونة .

موقف الملكة من النزاع بين السلطانين سبا الصليحي وعامر الزوامي

وفي عهد الملك علي بن المكرم قام نزاع بين الصليحيين والزواحين ، وكان هؤلاء سداة الدولة الصليحية ولحمها ، فشغل ذلك النزاع الملكة الحرة حقبة من

(١) والطف ، موضع عند الكوفة (ق/ملف) .

(٢) عمارة / كاي ٣٣ .

الزمن ، لأن المخالفين انتهزوا هذه الفرصة ووجدوا في هذا النزاع وسيلة لذلك صرح الدولة الصليحية ، وإفسادها بالسعى لدى المتخاصمين في توسيع شقة الخلاف ، مما دعا الملكة الحرة إلى أن تعرض الأمر على الخليفة المستنصر بالله الذي أسرع في رده ، وكلف الملكة بوجوب العناية لفض هذا النزاع بين أبي حمير سبا ابن أحمد الصليحي وأبي الربيع عامر بن سليمان الزواحي ، وشدد عليها في ضرورة وضع حد لهذا النزاع بين الاثنين حرصاً على سلامة الدولة . وفي ذلك يقول المستنصر : « وأما ما كان بين السلطانين الأجلين أبي حمير سبا بن أحمد الصليحي وأبي الربيع عامر بن سليمان الزواحي — أعزها الله — فقد عرف أمير المؤمنين ما تكررت به مكاتباتك مع نعيم الشاعر الهلالي ، ثم مع سعد الله ورفيقه الشيرازي ، وساقه رسولك أبو النصر — سلمه الله وحفظه — بما كان من تسديد السلطان أبي حمير في جميع ما جرى بينه وبين السلطان أبي الربيع عامر ابن سليمان الزواحي من المشاجرة والمنافرة ، وما أفضت فيه على السلطان أبي حمير من الثناء والتزكية والإطراء ، وما رضى عنه من حسن الطاعة ولين قيادة من المرافقة والمتابعة ، وإبقائه على ما طلب منه من المصانعة ، ولو كان مهضوماً فيه ، من غير اضطرار إلى ما اعتمده من حسن احتماله وتغاضيه . وتلك سجية تعرب عن السلطان أبي حمير سبا بتميز وسداد وخلص نية واعتقاد . ومعلوم أنه ليس بمغبون من لطف وأجل ، ولا بمهموم من سدد وتأنى واحتمل ، وتعجل استيفاء حظه من رضا الله سبحانه ورضا أمير المؤمنين بما يعود عليه فيه من جميل الذكر والثوبة وطيب الأجر ، ما ينوب له عن عظيم الظفر والنصر ، وما يحمد العاقبة من سداد الحال ، ويرتق فتوق هذا الشعب والاختلال . وقد شكر له أمير المؤمنين ما طالعت به من هذه الأوصاف الحميدة والمقامات الرشيدة ، وأسعده في إجابته من هذه الجملة مما يحده على امتراء ما أكسبه فيه الرضا ، ومهد له دواعي الزلفى »^(١) .

ولما كانت مسألة هذا النزاع تعتبر مسألة حيوية بالنسبة لبقاء دولة الصليحيين واستمرار نفوذ الفاطميين في اليمن فإن الخليفة المستنصر لم يأل جهداً في أن يتولاها

(١) عيون ١٣٤/٧ — ١٣٥ ؛ السجلات رقم ٣٦؛ وقد اتبعنا نص العيون لأنه أصح .

بعنايته ورعايته لكي يقف تيار النزاع ويثبت قدم هذه الدولة ، فبادر في شهر ربيع الأول سنة ٤٨٠ وأرسل إلى سلاطين الصليحيين وإلى الزواحيين وإلى مشايخ الحجاز وكل رجال الدين وأهل الدعوة في اليمن رسالة^(١) يحثهم فيها على تناسي الأحقاد ويأمرهم بوجوب طاعة الملكة الحرة وابنها الملك علي بن المكرم والتعاقد والترافد في نصرة الدعوة . ويعتبر هذا السجل شهادة هامة على اعتراف الإمام بفضل الدولة الصليحية على الدعوة الفاطمية ، كما يعتبر من أهم العوامل التي ساعدت على تثبيت مركز الدولة في الصدر الأول من حكم الملكة الحرة .

وكان من أثر إرسال هذا السجل أن انتظمت الأمور وأذعن المؤمنون هناك لأوامر الإمام ودانوا بالطاعة للملكة الحرة .

وقد سرّ الخليفة المستنصر كثيرا حين جاءت الأخبار من الملكة بأن النزاع بين الصليحيين والزواحيين قد انتهى على أحسن حال ، وقد وقفنا على ذلك الخبر من سجل أرسله المستنصر إلى الملكة الحرة في شهر ربيع الأول من سنة ٤٨٠^(٢) ، ومن رسالة أخرى أرسلها إلى ابنها الملك علي في شهر ذي القعدة من سنة ٤٨١^(٣)

وفاة ابني الملكة محمد وعلي

وقد توفي ابن الملكة الأصغر وهو الأمير محمد بن أحمد المكرم في حياة أخيه علي بن أحمد . ولم تطل الأيام حتى قضى الله بوفاته الملك علي بن أحمد المكرم . فعاد السلطان سبا يطالب بحقه في تولي أمور الدولة والدعوة . ولكن الملكة الحرة لم تتمكن من ذلك ، بل « قامت هي فكفلت كافة المؤمنين والدعاة اليمانيين والحدود المستجيبين خير كفالة ، وأوضحت البرهان في ولاية الأئمة ، وأظهرت معالم الدعوة للتابعين وأبانت وما وهنت لما أصابها في سبيل الله »^(٤) .

(١) السجلات رقم ٣٨ .

(٢) نفسه رقم ٤٩ .

(٣) نفسه رقم ٢٢ .

(٤) عيون ٧ / ١٤١ .

السلطان سبا بخطب الحرة الماسكة للزواج

فأخذ السلطان سبا سبيلاً آخر لإقناعها بأن طاب يدها للزواج . وقد ظن أنه يستطيع أن يصل بهذه الطريقة لتحقيق غرضه مع أنه كان يفهم تماماً أنها لن ترضى بهذا الزواج ، وكيف يتم ذلك وقد سبق أن استعفت زوجها الملك المكرم بقولها له : « إن المرأة التي تراد للفراش لا تصلح لتدبير أمر فدعني وما أنا بصدده »^(١) . حدث هذا في حياة زوجها الملك المكرم الذي كانت تشاطره الحكم . أما الآن وقد تولت تدبير شؤون الدولة الداخلية والخارجية وحدها ، بل وأمور الدعوة ، فإنه يبعد كثيراً أن تقبل هذا الزواج السياسي .

ولما رفضت السيدة الحرة ذلك وأنكرته غاية الإنكار جمع السلطان سبا بن أحمد جموعه وسار من حصن أشيخ^(٢) بجيشه إلى ذي جبلة ، للمحاربة الماسكة ، بل أراد من هذا إظهار قوته وسؤدده . فجمعت هي أيضاً جموعها . فتناور الفريقان وتناوشا ، وكادت رحى الحرب تدور بينهما إلا أن سليمان بن عامر بن سليمان الزواحي (أخو الماسكة الحرة لأُمها) أوقف : فقد أشار على السلطان سبا أن يتصل بالخليفة المستنصر بالله ليستعين به في فض هذه المشكلة . فقال له : « والله لا أجابتك إلى مرادك إلا بأمر المستنصر »^(٣) . فترك سبا المنهج العسكري ، ورجع إلى حصن أشيخ ، وسير إلى المستنصر رسولين ، هما القاضي أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل الأصبغاني وأبو عبد الله الطيب . وقد ساعدته في تحقيق مطلبه رغبة المستنصر في استتباب الأمن في اليمن ، وفي إقرار الوحدة بين أنصار الدولة الصليحية والدعوة الفاطمية . فلما وصل هذان الرسولان إلى القاهرة ولم يرض الخليفة

(١) عمارة / كاي ٢٩ .

(٢) من أعظم حصون الجبال في رأس جبال آنس (أنباء / دار ٤٣) . وكانت خزائن بني الطغفر في الحصن ، وكان للسلطان المنصور أبي حمير سبا الصليحي ، والحصن واقع في مخلاف بني سويد . وهو على مسافة مرحلتين من صنعاء ويسمى الآن حصن طفار . راجع ياقوت : البلدان / أشيخ .

(٣) قررة ورقة ٢٥ .

(٤) نفسه ٢٥ .

عن بقاء هذا النزاع بين أنصاره ، عمل على أن يجذب إليه الفريقين المتنازعين بزواج السيدة من السلطان سبا . فكتب إليها بأمرها بقبول أمر الزواج . وأرسل كتابه مع أحد الأستاذين ويعرف بحامل الدواة عيين الدولة^(١) . فصار بصحبة هذين الرسولين حتى دخلوا على السيدة الملكة ، وهي بدار العز في ذى حيلة . فتكلم الأستاذ الرسول وهو واقف بين وزرائها وكتائبها وأهل دولتها قيام لقيامه ، فقال : « أمير المؤمنين يقرأ السلام على الحرة الملكة السيدة الرضية الطاهرة الزكية وحيدة الزمن سيدة ملوك اليمن عمدة الإسلام ذخيرة الدين عصمة المؤمنين كهف المستجيبين ولية أمير المؤمنين كافلة أوليائه الميامين ، ويقول لها : وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا . وقد زوجك مولانا أمير المؤمنين من الداعي الأوحده المنصور المظفر عمدة الخلافة أمير الأمراء أبي حمير سبا بن أحمد بن المظفر الصليحي ، على ما حضر من المال وهو مائة ألف دينار عينا وخمسون ألفا أصنافا من تحف ولطائف وطيب وكساوى » . فقالت : « أما كتاب مولانا فأقول : إِنَّ أَلْقَى إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ ، إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، ولا أقول في أمر مولانا : أَيُّهَا الْمَلَأَ أَفْتُونِي فِي أَمْرٍ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ . وأما أنت ، يابن الأصهباني ! فوالله ما جئت إلى مولانا مِنْ سَبَأٍ بَنِيَّ يَفِينِ ، ولقد حرفتم القول عن موضعه ، وَسَوَّيْتُ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ » . ثم تقدم وزيرها زريع بن أبي الفتح والقاضي الأصهباني ونظراؤها إلى السيدة الحرة ، ولم يزالوا يلاطفونها حتى أجابتهم إلى تحقيق رغبة الخليفة^(٢) . فعمدوا عقد الزواج ، ولم

(١) أنباء / دار ٤٣ : عيون ١٤٣/٧ .

(٢) أنباء / دار ٤٣ — ٤٤ : عيون ١٤٣/٧ ١٤٤ .

يلبث سبا بن أحمد أن سار في أمم عظيمة إلى ذى جبلة ، فأقام شهرا والضيافات الواسعة تخرج إلى خيمه كل يوم حتى أنفقت على عساكره مثل ما قدمه من المهر . ورأى أبو حمير من على همتها ما حقر نفسه معها ، وندم على خطبتها . وروى أنه أرسل إليها سرا يستأذنها في الدخول إليها بدار العز ليوهم الناس أنه دخل بها ، ففعلت ذلك . وزعم قوم من أهل ذى جبلة أنه اجتمع بها ليلة واحدة ، ثم ارتحل في صبيحتها . وقال آخرون إنها بعثت إليه جارية شبيهة بها ، وعرف ذلك السلطان سبا ، فباتت الجارية واقفة على رأسه ، وهو جالس لا يرفع طرفه إليها ، حتى إذا طلع الفجر صلى ، وأمر بضرب الطبول ، ثم سار^(١) .

فضائل السلطان أبي حمير سبا بن أحمد الصليحي

ومع ذلك فإن الملكة الحرة قد أقامت السلطان سبا في الدعوة والملك . وكان هذا فاضلا ورعا تقيا زاهدا^(٢) . قال عماره : « . . ويقال إن الداعي سبا بن أحمد ما وطئ أمة قط ولا شرب مسكرا ، وكانت زوجته الجمانة بنت سويد بن زيد الصليحي تقول : أنا لا أغير على مولانا سبا ، لأنه لا يطأ أمة قط »^(٣) .

وكان فوق ذلك كريم الأخلاق طيب الأسباب والأعراق ، يقصده الشعراء وطلاب الندى . وقد أقام معه في أشيخ الشاعر الحسين بن علي بن القم ومدحه وأمرته بغير قصائده ، منها^(٤) :

إن ضامك الدهر فاستعصم بأشيع أو
أزرى بك الفقر فاستمطر بنان سبأ
ما جاءه طالب يبغي مواهبه إلا وأزمع منه فقره هربا

(١) عماره كأي ٣٦ ، قال : وقال سبا للجارية : « أعلمى مولانا أنها تظقة شريفة لا توضع إلا في مستحقها » ثم سار ، فلم يجتمعا بعد .

(٢) عيون ٧ / ١٤١ .

(٣) وأضاف عماره / كأي ٣٦ إلى هذا : والعرييات تقول ما تسلت حواء مثل الجمانة غير أسماء بنت شهاب .

(٤) عيون ٧ / ١٤٢ ؛ نزهة ١ / ٦١ .

تَحَالُ صَارِمَهُ يَوْمَ الْوَعَى نَهْرًا تَضَرَّمَتْ مِنْ دَمِ حَافَةِ كَهْبَا
 بَنِي الظَّفَرِ مَا امْتَدَّتْ سَمَاءُ عِلَا إِلَّا وَالْفَيْتُمُ فِي أَفْقِهَا شَهْبَا
 إِنْ أَمْرًا كُنْتُ دُونَ النَّاسِ مُطْلَبُهُ لِأَجْدَرِ النَّاسِ أَنْ يُحْطَى بِمَا طَلَبَا
 وَفِيهِ يَقُولُ ابْنُ الْقَمِّ (١) :

وَمَا يَلْتَقَى صَدَقُ الْوُدَادِ وَطَاعَةُ الْـ
 مَذُولِ ، وَلَا جُودُ ابْنِ أَحْمَدَ وَالْجَدْبُ
 كَرِيمٌ إِذَا جَادَتْ فَوَاضِلُ كَفِّهِ
 تَيَقَّنْتُ أَنَّ الْبَخْلَ مَا يَفْعَلُ السَّجْبُ
 أَجَارَ فَلَا خَوْفٌ ، وَأَخْيَا فَلَا رَدَى
 وَجَادَ فَلَا فَقْرٌ ، وَرَامَ فَلَا صَعْبُ
 وَبَثْنِي عَلَى قَصَادِهِ فَكَأَنَّهُ يَجَادُ بِمَا يُجْدِي وَيُحِبُّ بِمَا يُحْبُو
 كَتَبْتُ إِلَيْهِ وَالْفَاوِزَ بَيْنَنَا
 وَكَانَ جَوَابِي جُودَ كَفِّيهِ لَا الْكُتُبُ
 وَمِنْ شَعْرِهِ فِيهِ أَيْضًا (٢) :

مَعَالِيكَ لَا مَا شَيَّدَتْهُ الْأَوَائِلُ وَجَدُّكَ لَا مَا قَالَهُ فِيكَ قَائِلُ
 وَمَا الْمَجْدُ إِلَّا حَيْثُ يَمُتُّ قَاصِدَا وَمَا النُّصْرُ إِلَّا حَيْثُ تَنْزِلُ نَازِلُ
 مَلِيكَ يَقْضِي الْجَيْشَ وَالْجَيْشُ حَافِلُ
 وَيُحْجِلُ صُوبَ الْمِزْنِ وَالغَيْثُ هَارِطِلُ
 سَحَابُ غَوَادِيهِ لُجَيْنٌ وَعَسْجَدُ وَلَيْثُ غَوَادِيهِ قَنَا وَقَنَايِلُ

(١) عيون ٧ / ١٤٣ .

(٢) نفسه ٧ / ١٤٣ .

تَوَقَّى الْأَعَادَى بِأَسْهٍ وَهُوَ بِاسْمٍ وَيَرْجُو الْمَوَالِي جُودَهُ وَهُوَ صَائِلٌ

وكان السلطان أبو حمير سبا فصيحا شاعرا يحيب الشعراء عن كثير من شعرهم، ثم يجيزهم ويزيد في برهم؛ ومن ذلك أن ابن القيس مدحه فأجابه بمثل شعره، وأجازه بجائزة سنوية لا تصدر إلا عن مثله. فقال في ذلك الحسين القيسي^(١):

وَلَمَّا مَدَحْتُ الْهَزْبِيَّ ابْنَ أَحْمَدٍ

أَجَازَ ، وَكَافَانِي عَلَى الْمَدْحِ بِالْمَدْحِ

فَعَوَّضَنِي شِعْرًا بِشِعْرِي ، وَزَادَنِي

عَطَاءً ، فَهَذَا رَأْسُ مَالِي ، وَذَا رِئْخِي

شَقَقْتُ إِلَيْهِ النَّاسَ حَتَّى لَقِيتُهُ

فَكُنْتُ كَمَنْ شَقَّ الظَّلَامَ إِلَى الشُّبْحِ

فَقُبِّحَ دَهْرٌ لَيْسَ فِيهِ ابْنُ أَحْمَدٍ

وَنُزَّهَ دَهْرٌ كَانَ فِيهِ مِنَ الْقُبْحِ

الأُمير الفضل بن أبي البركات الحميري

وظل أبو حمير سبا في حصن أشيخ، يقدم المساعدة إلى الملكة، في كل ما يعود على الدولة بالخير، حتى وافته المنية سنة إحدى وتسعين وأربع مئة^(٢). وتوفي بعده السلطان عامر بن سليمان بن عبدالله الزواحي في سنة اثنين وتسعين وأربع مئة. وكانا من أهل السوابق في خدمة الدولة، ومن أعيان رجال الملكة الصليحية. ولما مات السلطان سبا خرجت صنعاء وأعمالها عن مملكة الصليحيين، وارتفعت أيديهم عنها، ولم يبق لأحد منهم فيها ذكر. فاستولى على صنعاء وأعمالها يومئذ السلطان حاتم بن الغشيم القلسي الهمداني، وكان ناهضا كافيا^(٣). ولم تحاول

(١) عيون ١٤٣/٧.

(٢) عيون ١٦٨/٧؛ وفي أنبا. / دار ٤٤؛ وكفاية ٥٩ جاء أنه توفي سنة ٤٩٢.

(٣) كفاية ٥٩.

فالمملكة إعادة صنعاء إلى مملكتها ، بل قبلت الأمر الواقع ، واتجهت إلى تدعيم ما بقي من هذه المملكة . فأقامت المفضل بن أبي البركات بن الوليد الحميري على قيادة الجيش ، وإدارة شئون الدولة التي كانت بحاجة إلى شخصية قوية . وكان هذا يتوصّف للملك المكرم بذي جبلة ، وهو من صغار الدار ، الذين يدخلون على الملك برسائل الملك المكرّم . وقد كان والده أبو البركات والياً على التعمر من قبل المكرّم^(١) ، ولما توفي بعد المكرّم ، جعلت الملكة التعمر إلى ابنه خالد ابن أبي البركات نحو سنتين ، ولكن الفقيه عبد الله بن المصوع قتله^(٢) ، فثار له أهل الحصن بقتل الفقيه . فجعلت الملكة ولاية التعمر إلى المفضل بن أبي البركات . وكان التعمر مقر ذخائر بني الصليحي التي صارت إليهم من ملوك اليمن^(٣) ؛ وكانت تطلع من ذي جبلة في أيام الصيف فتقيم به ، وإذا برد الجو سكنت بذي جبلة . والمفضل يتصرف عن أوامرها ، ويدخل عليها مع خواص وزرائها والأمراء والأكابر من عبيدها . وهو رجل الدولة ومديرها ، والمرجع إلى رأيه وسيفه . والحرّة لا تقطع أمراً إلاّ به ، فعظم بذلك شأنه ، وعلت كلمته ؛ وغزا تهامة مراراً ، فتارة له وتارة عليه . وهبط عدن مراراً ، ولم يبق باليمن من يساميه . وقد قال للحرّة يوماً وهي في التعمر : « انظري ، يامولاتنا ! إلى ما كان في هذا الحصن من ذخائر ، فانزلي به إلى دار العزّ ، فاعزليه في بعض هذه القصور . أما هذا الحجر (يعني

(١) وكان التعمر للسلطان عبد الله بن محمد الصليحي كما ذكرنا سابقاً . فلما قتل مع أخيه علي بن محمد الصليحي بالمهجم واستولى المكرم على البلاد ، جعل أمر التعمر إلى ابن عمه أسعد بن عبد الله الصليحي . فسأدت سيرته ، فنقله عن التعمر وعوضه عنه بمحسون ريمة . وجعل أبا البركات الحميري والياً في التعمر وأعماله ، وولى أخاه أبا الفتوح بن الوليد الحميري حصن نعر (كفاية ٥٤) .

(٢) كان ابن المصوع المذكور فقيهاً فاضلاً سليماً ، « وكان ذا دنيا واسعة ، وكان يواصل الأمير خالد بن أبي البركات لكونه الحاكم على بلدة ذي السفال . وكان الوالي يأمنه ويأمر أن لا يمنعوه عن الطلوع متى شاء . وكان الأمير لا يحتج منه لما يعتقد فيه من الخير والصلاح ، فسوّلت له نفسه أن يقتل الوالي استغلالاً لدمه لكونه على مذهب الدعوة ... فلما خلا الفقيه بالأمير قتله . ثم صاح صياحاً بازرعاج ، فتبادر أهل الحصن ، فوجدوا الأمير مقتولاً ، فقتلوا الفقيه » (كفاية ٥٤ - ٥٥) .

(٣) عمارة / كاي ٣٧ ؛ أنباء / دار ٤٤ .

التمكر) فتركه لى ، فلا طاعة لك على ما فيه بعد اليوم » . فقالت : « لولم تقل هذا القول ما أحوجتك إليه ، الحصن حصنك ، وأنت رجل البيت ، ولا حرج عليك منى فيما عاد لسمو قدرك ، وعلو أمرك » . فخرج منها وأطرق ؛ ونزلت الحرة إلى ذى جبلة ، وكان المفضل يترضاها فى طلوع التمكر ، فلا تفعل ، وهى مع ذلك تواصل برّه بما يحسن عنده موقعه ، من الجوارى والغانى والكساوى والطيب والعبيد والأستاذين وغير ذلك ؛ ولم تسمع وشابة أحد فيه^(١) .

مواقف المفضل

وله فى نصرتها مواقف حميدة ، منها أنه بولى قيادة الجيش لمحاربة السلطان سبا بن أحمد الصليحي حين خطب الحرة الملكة ولم تجبه إلى طلبه ، كما حارب شمس المعالى على بن سبا بن أحمد الصليحي صاحب حصن قيضان ، وأخرجه منه سنة ٤٩٥ ، وملك حصون بنى المظفر فى نفس التاريخ المذكور^(٢) ، وكان على ابن سبا بن أحمد هو زوج فاطمة بنت السكرم من الحرة . وحدثنا عمارة^(٣) أنه تزوج عليها ، فكتب إلى أمها تستنجدها ، فأمدتها بالمفضل بن أبى البركات فى عساكر ، ولبست فاطمة زى الرجال . وفصلت من حصن زوجها فى عسكر المفضل ، فسيرها إلى أمها الملكة ، وأدار الحصار على شمس المعالى حتى أخرجه من حصنه بأمان على نفسه . فاتصل هذا بالوزير شاهنشاه الأفضل مستنجدا به ، فلم يلتفت الأفضل إليه ، ولا الأمير شجاع الدولة الذى كان أغناه فى اليمن ، فعاد إلى اليمن وملك بعد حصون أبيه ، ولكن المفضل دس عليه من قتله بالشتم سنة ٤٩٥ .

وحارب المفضل عمرو بن عرفطة الجنبي^(٤) وغيره من سنحان وعنس وزبيد ،

(١) عمارة / كى ٣٨ .

(٢) نفسه ٣٨ .

(٣) نفسه ٣٦ .

(٤) نفسه ٣٨ ؛ عيون ٧ / ١٨٤ .

واسترجع للملكة نصف خراج عدن^(١) من آل الزريع .

نصرة الملكة الحرة لمنصور بن فائق على استرداد نهامة

وحدث في سنة ثلاث وخمسة مئة مالم يكن في الحسبان ، ذلك أن أولاد جيش اختلّفوا فيما بينهم ، وكادت الفتن الداخلية تقضى على دولتهم ، ولما لم تكن ا دولة الصليحية قادرة على حفظ كيائها في هذا الوقت ، لم تتمكن من انتهاز هذه الفرصة وتسترد نهامة . ولكن هذا الخلاف أدّى إلى خروج منصور بن فائق بن جيش من زبيد فرارا من عمه عبد الواحد ، وسار في عبيده وعبيد أبيه ، وزلوا في رحاب الملكة الحرة ، فأكرمت مشواهم ، وتعهدوا للملكة بدفع ربع متحصل نهامة إذا هي ساعدتهم وتم نصرهم على عبد الواحد^(٢) ، فأرسلت المفضل بن أبي البركات بجيش كبير ، يساعده جيش آخر بقيادة زريع بن العباس وعمه مسعود بن السكرم الهمداني^(٣) .

ثورة الفقهاء بالتعكر وموت المفضل

وولّت على التعكر من يحفظه في غياب المفضل الذي تمكن من الاستيلاء على زبيد بعد حصار طويل وطرد عبد الواحد . وما طل المفضل في تولية منصور

(١) لما تزوج المسكرم السيدة الحرة أروى بنت أحمد سنة ٥٥٨ هـ جعل الملك على الصليحي خراج عدن وهو مئة ألف دينار صداقا لها (انظر ص ١٤٨) . ولما قتل الصليحي تغلب بنومعن على عدن ، حاربهم المسكرم وأخرجهم منها . وولاه العباس ومسعودا ابني السكرم الهمداني . فجعل للعباس حصن التعكر وباب البر وما يدخل منه . وجعل لمسعود حصن الحضراء وباب البحر وما يدخل منه ، وإليه أمر المدينة ، واستخلفها لحرّة الملكة . فلم يزل ارتفاع عدن يحمل إليها كل سنة إلى أن توفي العباس بن السكرم ، خلفه ابن زريع ، وبقي مسعود على ما تحت يده ، وكل واحد منهما يحمل ما عليه . ولما فكرا في خلع طاعة الحرة حارباها المفضل واستخلص منها نصف ارتفاع عدن (عمارة / كاي ٤٨ ؛ باخرمة : نقر عدن ٢ / ٨٦) . ولما مات المفضل تغلب أهل عدن على النصف الثاني ، فسار إليهم أسعد بن أبي الفتح وصالحهم على الربع . وتغلب أهل عدن على الربع الباقي بعد ثورة الفقهاء بالتعكر (عمارة / كاي ٤٩) .

(٢) باخرمة : نقر عدن ٢ / ٨٦ .

(٣) وكانوا والي عدن من قبل الحرة وقد قتلا على باب زبيد سنة ٥٠٣ هـ وتولى أمر عدن بعدهما أبو السعود بن زريع وأبو الغارات بن مسعود (نفسه ٢ / ٨٦) .

ابن فاتك^(١)، ولكن لما جاءته الأخبار بأن التعكر قد استولى عليه جماعة من الفقهاء بمساعدة بني الزر الخولانيين، قفل راجعا وحاصر الحصن مدة، ولكنه لم يقدر على اقتحامه، وذلك لأن الفقهاء السنيين بالإضافة إلى قبيلة خولان^(٢) التي كانت تظاهروهم، دافعوا عنه مجيدا. وما زال الحصار عليهم، ثم رأى الفقهاء أن خولان خذلهم^(٣)، فدبروا حيلة.

ويقول عمارة^(٤): «إن عمى إبراهيم بن محمد بن زيدان كانت له البيعة، وحلف ألا يموت حتى يقتل الفضل، فعمد إلى حظاياه من السراري، وأخرجهم في أكل زى وأحسنه، وجعل بأيديهن الطارات وأطلعهن على سقوف القصور بحيث يشاهدن الفضل، ويسمع هو وجميع من معه أصواتهن. وكان الفضل أكثر الناس غيرة وأنفة، فقبل إنه مات في تلك الليلة^(٥). وكانت وفاته في شهر رمضان سنة أربع وخمسة مئة. ولما مات الفضل طلعت الملكة من ذى جبلة، وحطت بالربادي^(٦) على باب التعكر، وكاتبته الفقهاء بالنزول من الحصن، على أن يقترحوا عليها ما شاءوا، فأجابوا إلى ذلك واشتروا عليها شروطا وفت لهم بها. وولت التعكر مولاهما فتح بن مفتاح.

مآثر الأمير الفضل الحميري

وكان الفضل، كما ذكره الخزرجي^(٧): «حازما عاقلا شجاعا شهما، له عدة مكارم وجملة مفاخر، لكنها دون مكارم سبأ بن أحمد. وكان جوادا ممدحا، قصده الشعراء من الأماكن البعيدة ومن جملة من قصده مواهب بن حديد المغربي، وامتدحه بغير قصائد، يقول في بعضها:

يا مالک الدین والدنیا وأهلها ومن بعزته الإسلام ممتسك

(١) يرى الخزرجي (كفاية ٥٦) أن الفضل لم أن يقدر به وأخذ يزيد منه.
(٢) المراد بخولان هنا هي طائفة من خولان العالية كما أفادنا شيخنا القاضي محمد الحميري (راجع صفة ١٠٧).

(٣) عيون ١٧٩/٧. (٤) عبارة / كاي ٣٩.
(٥) وقيل إنه امتس خاتما مسموما كان بيده، فأصبح ميتا والخاتم في فيه. وما هذا القول إلا خرافة، كما قال شيخنا القاضي، بل مات كمدا لشدته غيرة وأنفة.
(٦) الربادي، اسم المنطقه التي منها التعكر. (٧) كفاية ٥٥.

قد قيل جاورُ لتَمْنَى البحرِ أو ملكا

وأنت يا بُنَّ الوليدِ البحرِ والملكُ

وهو الذى جرَّ الغَيْلَ من خُضوة^(١) إلى مدينه الجند ، ومدحه القاضى
أبو بكر الياغمى فقال^(٢) :

وأقلَّ مكرمة له وفضيلة إجراؤه للغيل فى الأجنادِ

شقَّ الجبال الشاخبات كَأَنَّمَا كانت [معالمها متون] وهادٍ^(٣)

وذلك أنه حفر فى الصفا حفرا عديدة ، وخرق بعضها إلى بعض ، وأجرى
الماء فيها فى مواضع لا يصدق بها إلاَّ من رآها ، ثم لَمَّا جاء إلى موضع بين جبلين
أمر الصناع فبنوا جدارا من الجبل إلى الجبل ، طوله مئتا ذراع ، وعرضه نحو من
عشرة أذرع بالحديد ، وارتفاعه نحو من خمسين ذراعا ، بحيث إذا رآه شخص
يقول ما فعل هذا إلاَّ الجنَّ ، وبني مسجد الجند وجدّد بناءه من المقدم والجناحين
ما هو مبنى بالحجارة وسقفه على ذلك . وقال صاحب قلادة النحر^(٤) : « إن محمد بن
زياد المأربى مدحه ، فوصله المفضل بألف دينار » .

وكان من صفات المفضل أنه عندما عظم أمره كان يحتجب عن الناس ، حتى
لا يرجى لقاءه ، ثم يظهر فيغنى من اجتمع ببابه من الوفود ؛ ويصل إليه الضعيف
والقوى ، فينظر فى أحوال الأعمال والعمال ؛ ويحب عن كل كتاب وصل إلى الباب ،
ثم يغيب ، فلا يظهر ، ولا يوصل إليه .

(١) وخضوة من أخصب قرى اليمن وهى شمالى الجند والغيل هذا لا يزال موجودا .

(٢) فى الأصل : إخرأه .

(٣) ورد البيت فى الأصل ناقصا بسبب الحزم مع وجود آثار تحمل على الظن أن تتمه .

كما دونه بين القوسين الأستاذ على النجدى .

(٤) بخرمة : قلادة ٢/٢ ورقة ٦٦٥ .

نورات بنو الزر وضوالة

وقد أدت وفاة المفضل إلى خروج بعض الجهات على الملكة الحرة . فاستولى مسلم بن الزر على حصن خدد^(١) ، وأخرج منه السلطان عبد الله بن يعلى الصليحي الشاعر الأديب . ثم أظهر ولاءه إلى الملكة ، بأن قدم ولديه عمران وسليمان كرهينة عندها ، فاهتمت الملكة بتربيتهما . ولما توفي مسلم ملك بعده ابنه سليمان حصن خدد ، وبقي عندها عمران الذي تولى على حصن التعكر سنة خمس وخمس مئة بعد أن تخلص من فتح بن مفتاح ، الذي شق عصا الطاعة على مولاته الملكة^(٢) . واحتال عليه بنو الزر . وذلك أنهم خطبوا ابنة لعمران فزوجه بها ، فلما كانت ليلة الزفاف وصل جماعة منهم فأخرجوه من الحصن^(٣) . فلما حصل التعكر بيد عمران واصل الحرة الملكة ببذل الطاعة ، فلم يلتفت إليه . فازداد نفوذ ابني الزر تبعا لذلك ، وامتدت أيدي خولان على الناس وعاثوا في الأرض الفساد ، فكانت الحرة إذا رأتهم قد طفوا أرسلت إلى عمرو بن عرفطة الجنبي سطرًا أو سطرين بخطها ، فيقبض على بلاد ابني الزر ، فلا يخلصهما منه إلا الضراعة إليها والسؤال لها في صرف العرب عنهما .

قال عمارة^(٤) : حكى لي السلطان يزيد بن عيسى الواثلي قال : فكتبت لي بخطها إلى عمرو بن عرفطة الجنبي برقة فيها : « إذا وقفت على أمرنا هذا فارتحل عن بلاد بني الزر مشكورا » . فلما وقف عمرو بن عرفطة عليها نادى في الناس بشعار الرحيل . فلم يمض ساعة وبقي منهم أحد . فقال عمران لأخيه : « هذا وربك العز والطاعة » .

أسعد ابن أبي الفتح الحميري

وحرصا على سلامة الدولة أقامت الملكة المفضل ابن عمه الأمير أسعد بن

(١) خدد في الجيش شمالي التعكر . ذكره الهمداني في صفة ٧٨ .

(٢) عمارة / كأي ٤١ .

(٣) كفاية ٥٦ .

(٤) عمارة / كأي ٤١ .

أبي الفتوح بن العلاء بن الوليد الحميري من القيام بدولتها والذب عن مملكتها والتوجه إليها أمرته . وكان متوليا حصن تعز وصبر إذ كان أبوه قبله واليا عليهما . فأخذ هذا يدير شئون الدولة على أحسن حال حتى غدر به رجلان من أصحابه ، فقتلاه بين البابين في حصن تعز سنة أربع عشرة وخمس مئة^(١) .

الموفق ابن نجيب الدولة

ولما تعقدت الأمور على الملكة الحرة ، أرسلت إلى الحكومة المصرية تطلب منها إعادتها مستشارا لمساعدتها في تدير شئون دولتها . وقد شعرت الخلافة الفاطمية بأن مركز الدولة الصليحية بدأ يتزعزع ، فبادر الوزير الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالي^(٢) في سنة ٥١٣ بإرسال الأمير الموفق على بن إبراهيم بن نجيب الدولة يصحبه عشرون فارسا^(٣) مختارة منتقاة إلى بلاد اليمن ، ليقوم بهذه المساعدة . وكان ابن نجيب الدولة قد قدم من مصر قبل وفاة الأمير أسعد بن أبي الفتوح الحميري . فقررت الملكة إقامته في مدينة جبلة للاستشارة والناورات الحربية . وكان متفقها في أصول الدعوة الفاطمية ، مستبصر في مذهب الشيعة . وكان على خزائن الكتب الأفضلية بمصر . وكان نبيا ، حسن التدبير ، كثير المحفوظات ، قبا بتلاوة القرآن على عدة روايات^(٤) ، ويلقب باللقاب تدل على سمو قدره ، منها : الأمير المنتجب ، عز الخلافة الفاطمية ، فخر الدولة العلوية ، الموفق في الدين ، ولي أمير المؤمنين^(٥) . من هذا يتضح أنه كان موضع ثقة الخلافة الفاطمية ، ولا بد أن يكون هذا الرسول مكلفا أمورا هامة ، لعلها ترجع إلى رغبة الخليفة الأمر بالله بن المستعلي في أن يستفيد من نشاطه ومهارته في تمكين الدعوة المستعلية^(٦) في نفوس أهل اليمن ، وفي تعزيز مركز الملكة الحرة ، بعد أن طمع فيها زعماء البلاد ، واستقلوا بما تحت أيديهم .

إعادة الأمن بفضل جبرود ابن نجيب الدولة

وقد كان ابن نجيب الدولة عند حسن ظن الدولة الفاطمية به ، فلما وصل إلى

(١) كفاية ٥٦ ؛ أنباء / دار ٤٦ ؛ باخرمة : ثغر عدن ١٧ .

(٢) لم يرسله المأمون البطاحي كما قال ابن ميسر في كتابه أخبار مصر ٧٠/٢ .

(٣) عيون ١٨٠/٧ . (٤) كفاية ٥٧ .

(٥) عيون ١٨٠/٧ . (٦) نفسه ١٤١/٧ .

جزيرة دهلك لقيه من عدن الداعي محمد ابن أبي العرب من ولد صاعد بن حميد الدين ، فكشف لابن نجيب الدولة أسرار اليمن ، وأحوال الناس وأسماءهم وكنائهم ، وتواريخ مواليدهم ، وما تحت أيابهم من شامة أو جراح أو أثر نار^(١) .

فجاء إلى ذي جبلة ، وتشرف بمقابلة الملكة الحرة ، فقلدته إمرة جيوشها . فاستخدم أربع مئة فارس من همدان وغيرهم ، وقدم عليهم الطوق الهمداني^(٢) . واشتد بهم جانبه ، وقويت شوكرته . وتمكن من وضع حد للخلافات الداخلية ، وإعادة الأمن والطمأنينة إلى البلاد^(٣) . وكان أول عمل قام به هو تأديب الخولانيين ، لأنهم كانوا قد بسطوا أيديهم على الرعايا في البلاد ، واستهانوا بالسيدة الحرة . فطردهم من ذي جبلة ونواحيها ، وأوقع بمن بقي منهم حتى لم يبق منهم إلا ما كان منتسباً إلى الملكة . فلما رأت منه ذلك أمرته أن يسكن الجند . فضاق الأمر به على سلاطين اليمن^(٤) .

وقد أمنت البلاد ، واستقرت الأمور ، ورخصت الأسعار بحسن سياسته وتديره ، وأقام العدل ، وعفَّ عما في أيدي الناس من الأموال ، وأقام الحدود ؛ وعزَّ به جانب الملكة ، واتقاع أهل اليمن عن الطمع في أطراف بلادها^(٥) .

وقد كان برنامج ابن نجيب الدولة مقصوداً على إخضاع إمارات اليمن الصغيرة للسيدة الملكة الحرة ، فتحسنت بجهوده الفذة مركز الدعوة في اليمن ، كما ساعد الملكة على عدم تسرب النزارية إلى هذه البلاد . وبذلك لم تتفرق كلمة الفاطميين فيها كما تفرقت في مصر .

تقوية الوزير المأمون لابن نجيب الدولة

ولم يقف نفوذ ابن نجيب الدولة عند هذا الحد ، بل لقد بلغ هذا الشأو البعيد

(١) عمارة / كاي ٤٢ — ٤٤ . (٢) عيون ١٨٣/٧ .

(٣) ابن مخرمة : قلادة النحر ٢/٢ ورقة ٦٦٦ .

(٤) عيون ١٨٢/٧ ؛ وأنباء / دار ٤٦ . وهؤلاء الملوك هم سليمان وعمران ابني الزر ومنصور بن المفضل وسبا بن أبي السعود ومفضل بن الزرعي (عمارة / كاي ٤٣) .

(٥) عمارة / كاي ٤٣ .

النجاح في عامين اثنين بين سنتي ٥١٣ - ٥١٥ . وكان نجمه لا يزال في صعود لأنه بعد وفاة الأفضل بن بدر الجلى في رمضان سنة ٥١٥ أمدّه المأمون البطائحي وزير^(١) الخليفة الأمر بأحكام الله ، بالمال والرجال ، فسير إليه أربع مئة قوس أرمني وسبع مئة أسود^(٢) وقبل ذلك يقليل تمكن ابن نجيب الدولة من أن يستخدم ثلاث مئة فارس من سنجان بقيادة الطوق الهمداني بالإضافة إلى من انضم إليه من أهل الدعوة . وقد ساعدت هذه العوامل على ارتفاع شأنه عند الملكة الحرة ، وبخاصة بعد أن كتب إليه الوزير المأمون بالتفويض في الجزيرة اليمنية ، وبسط يده ولسانه^(٣) وأوجب عليه تقديم المساعدة للسيدة الحرة في كل ما تطلبه .

موقعة زبير وهزيمة جيش ابن نجيب الدولة

ولقد أطمعه هذا المركز الحربى الممتاز في محاربة الدولة النجاشية في زبير في سنة ثمانى عشرة وأربع مئة ، والوزير يومئذ بها من الله الفاتكى أحد عميد بنى نجاح . وكانت عشرة رماة من الأرمن أصحاب ابن نجيب الدولة قد استأمنوا إلى أصحاب زبير . ولما تراخى الرجال في الحرب ، رمى رجل من العشرة المستأمنة بسهم ، فلم يخط أنف الفرس الذى عليه ابن نجيب الدولة . فسقط على بن إبراهيم إلى الأرض وشبّ الفرس عن ابن نجيب الدولة نافراً ، فانهزم عسكره ، فقتل السودان بأسرهم ، ولم ينج من الأرض سوى خمسين وكانوا أربع مئة قوس . وأما ابن نجيب الدولة فقاتلت عليه همدان أشد قتال ، حتى أردفه منهم رجل يقال له السباعى . وكان في همدان الطوق بن عبد الله الهمداني ، فأبلى هو وقوم معه . وعارك^(٤) جواد ابن نجيب الدولة من الوقعة صلاة الظهر يوم الجمعة ، فأصبح يوم السبت بمدينة الجند ، وبينها

(١) وقد تولى المأمون البطائحي الوزارة من أول ذي القعدة سنة ٥١٥ إلى ٤ رمضان سنة ٥١٩ (انما ٣٣٨) ، وكان ذلك في عهد الخليفة الأمر بالله بن المستعلى الذى تولى الخلافة سنة ٤٩٥ حتى قتل سنة ٥٢٤ .

(٢) عيون ١٨٢/٧ (٣) عمارة / كاي ٤٣ .

(٤) عار الفرس ، أى انقلت وذهب ههنا وههنا (صح / عار) .

وبين زبيد أربعة أيام . ولم ينس الخبر إلا بذى جبله ليلة الأحد بأن ابن نجيب الدولة قد قتل . ثم وصل على بن إبراهيم بن نجيب الدولة إلى الجند بعد أربعة أيام . وركب إلى ذى جبلة ، واجتمع بالحرّة^(١) .

خلاص ابن نجيب الدولة من حصار سلاطين العمرة

وعضدته الحرّة الملكة وأعطته الأموال ، وجمعت إليه الرجال بعد فشله بزبيد . فما زال يغزو العدو إلى أقصى البلاد ، على أن ابن نجيب الدولة لم ينح من حسد منافسيه الذين أخذوا يوقعون بينه وبين الملكة الحرّة . فأخذت علاقته بها في الفتور منذ سنة ٥١٩ حتى إنه أثر عنه أنه رماها بالجبل ، فقال : « قد خرفت واستحق عندي أن يحجر عليها » . ثم اجتمع عليه سلاطين اليمن سليمان وعمران ابني الزر وسبا بن أبي السعود وأبي الفارات وأسعد بن أبي الفتوح والمنصور ابن الفضل في ألقي فارس وثلاثة آلاف راجل ، فأحاطوا به في الجند . وكانت الجند ذات سور ، وكان مع ابن نجيب الدولة من همدان أربع مئة فارس منتقاة كل فارس منهم بعد بمائة فارس ، منهم الطوق ابن عبد الله الهمداني ومحمد بن أحمد ابن عمران بن الفضل بن علي الياحي وعلي بن عبد الله الصليحي وعلي بن سليمان الزواحي وأبو الغيث بن سامر ومحمد بن الأعز .

ولما اشتد الحصار على ابن نجيب الدولة ، وهو في أشد التعب يستغيث بها . كتبت الحرّة الملكة على جاري العادة منها إلى عمرو بن عرفة الجنبي . فأتاها ، فخيم بذى جبلة . وبعثت إلى وجوه القبائل ففرقت فيهم عشرة آلاف دينار مصرية ، وقالت للرسول : أشيعوا في العسكر أن ابن نجيب الدولة فرّق في الناس عشرة آلاف دينار مصرية ؛ فإن أنفق السلاطين شيئاً من الذهب المصري ، وإلا ارتحلنا . فلما خوطب السلاطين بذلك وعدوا الناس . فلما كان من الليل ، ارتحل السلاطين ، كل واحد منهم إلى بلده ، وأصبحت الحشود من كل بلد بلا رأس ، فانفض الناس عن الجند . فقليل لابن نجيب الدولة : هل أبصرت هذا التدبير للتي

(١) عمارة / كاي ٤٣ — ٤٤ ؛ وعيون ٧ / ١٨٣ .

قلت إنها قد خرفت ؟ فركب إلى ذى جيلة ، وتنصّل واعتذر ^(١) .

ولكن هذا التصرف الذى أقدمه ابن نجيب الدولة ودلّ على حنكته الملكة الحرة فى حرصها على إبقاء كلمة الفاطميين فى اليمن هى العليا ، قد أغضب سلاطين هذه البلاد ، لإخفاقهم فى التشفى من منافسهم .

ولما رأى الخليفة الأمر الفاطمى أن سياسة ابن نجيب الدولة التى رسمها له الفاطميون قد حادت عن الخطة المرسومة ، أرسل إليه يستدعيه إلى مصر . وبذلك انتهز سلاطين اليمن الفرصة ، واتصلوا برسول الخليفة الأمر ، فشوّهوا سمعة ابن نجيب الدولة لديه . وكان من سوء حظ ابن نجيب الدولة أنه لم يحفل بهذا الرسول ، بل سفهه فى مجلس حافل ، مما ساعد على تدمير مؤامرة انتهت بالقضاء على ابن نجيب الدولة . وفى ذلك قال عمارة ^(٢) : « ضمن الأمير الكذاب (رسول الأمر إلى اليمن) لهم هلاك على بن نجيب الدولة بفصلين : أما أحدهما ، فقال : اكتبوا على يدي إلى مولانا الأمر كتباً تذكرون فيها أنه دعاكم إلى زار وراودكم على ذلك وامتنعتم ؛ والفصل الثانى ، اضربوا سكة زارية وأنا أوصلها إلى مولانا الأمر بأحكام الله ، ففعلوا ذلك . وتصادف أنه عندما وصل من اليمن كانت العلاقة قد ساءت بين الخليفة الأمر ووزيره المأمون البطائحي ، فقبض الخليفة على الوزير ، فأوصل الأمير الكذاب الكتب والسكة إلى الخليفة الأمر » ، وفيها ما يدل على انصراف ابن نجيب الدولة عن الدعوة المستعيلة وانحيازها إلى طائفة الزارية .

القبض على ابن نجيب الدولة وتسليمه إلى رسول الخليفة

وقد تركت هذه المؤامرة أثراً سيئاً فى نفس الخليفة ، فأرسل إلى اليمن الأمير الموفق ابن الخياط فى مائة فارس للقبض على ابن نجيب الدولة . ولما وصل إلى الملكة الحرة فى ذى جيلة طلب منها ابن نجيب الدولة ، وكانت قد قبضت عليه بجيلة ^(٣) ،

(١) عمارة / كلى ٤٥ ؛ عيون ١٨٣/٧ — ١٨٤ .

(٢) عمارة / كلى ٤٦ .

(٣) قال عمارة ما معناه : إن ابن نجيب الدولة توجه إلى زيد عن كره منه . فدخل أعداؤه على الملكة الحرة ، ورجوا منها أن تحتفظ به ، لأن الإمام لا يظليه إلا منها ، =

وامتنعت عن تسليمه ، وقالت : « أنت حامل كتاب ، نخذ جوابه ؛ وإلا فاقعد حتى أكتب إلى الخليفة ويعود جوابه » ^(١) . فخوفها وزراؤها سوء السمعة ، وأفهموها بأنه داع لتزار ، وأن هذا خطر على دولتها . ولكنها برآته مما نسب إليه ، وأظهرت طهارته ، ومع ذلك سلمته إلى الرسول سنة ٥٢٤ امتثالاً لأمر الإمام ، بعد أن استوثقت له من ابن الحياط بأربعين يمينا ^(٢) . وكتبت إلى الخليفة الأمر وأرسلت إليه كاتبها محمد بن الأزدي ^(٣) — وكان أديبا منشئاً للديوان مجيدا للألفاظ — رسولا ، وسيرت معه إلى الخليفة بذرة من الجواهر تقوم بأربعين ألف دينار ^(٤) . ثم خرج ابن نجيب الدولة من ذى جبلة وهو في قفص من الخشب ، والناس ينظرون إليه ، فقال لهم : « ما تنظرون ؟ أسد في قفص ! » .

نهاية ابن نجيب الدولة

ويختلف المؤرخون في نهاية ابن نجيب الدولة ، فبعضهم يقول : « إن السيدة الحرة سلمته إلى رسول الخليفة ، وبالرغم من شفاعتها للخليفة وأخذها الأيمان الغليظة على الرسول ألا يمس بسوء ، تأمر أعداؤه مع الرسول على إغراقه ، وقد تم ذلك عند باب المندب ، كما أغرق معه رسول السيدة الحرة ^(٥) . وبعضهم يقول : إنه وصل إلى مصر وشهر به في القاهرة في سنة ٥٢٢ كما قال ابن ميسر ^(٦) ، وقيل إنه لا يعلم ما جرى لابن نجيب الدولة بعد خروجه من اليمن » .

= قمارض الملكة ، وأرسلت إليه الشريف أسعد بن عبد الصمد بن محمد الحوالى ، وكان ابن نجيب الدولة يثق فيه . فأذركه بعيدا عن الجند ليلة ، وأخبره بأن الملكة مشرقة على الموت ولا تثق بأحد إلا بك . فرجع ، فاحتفظت به ، وقيدته بقيد من فضة زنته خمسون أوقية (عمارة / كاي ٣٦ — ٤٧) .

(١) نفسه ٤٧ .

(٢) نفسه ٤٧ .

(٣) كذا ورد الاسم في كفاية ٥٨ ؛ وذكر في عمارة / كاي ٤٧ (الأزرقى) وصححها

كاي (باب الأزدي) ، وفي العيون ١٨٥/٧ : ابن الأردني .

(٤) عمارة / كاي ٤٧ .

(٥) نفسه ٤٨ . وقد أيد ما قال عمارة صاحب العيون ١٨٥/٧

(٦) ابن ميسر : أخبار مصر ٧٠ .

ومهما يكن من أمر ، فإن نجم ابن نجيب الدولة قد أخذ في الأقول منذ دبّ النزاع بينه وبين السيدة الحرة الملكة ، ومنذ أن ساء التصرف في أمور الدولة . أضف إلى ذلك حقد سلاطين اليمن عليه ومؤامراتهم ضده . ومع ذلك فإن الملكة أروى فقدت بخروجه من اليمن أنشط أنصارها ومساعدتها . فتجلى طمع السلاطين فيها في نفس اليوم الذي فارق فيه ابن نجيب الدولة مدينة ذى جبلة ، إذ دخل عليها سليمان وعمران ابنا الزر شامتين في ابن نجيب الدولة ، وخرجا من عندها وهما يقولان : « صدق الفقيه في قوله : قال عبد الله بن عباس : كنّا ندخل نسمع الحديث من عائشة فلا نخرج حتى نعلم أنها امرأة » . فكان آخر دخولهما عليها ^(١) .

على بن عبد الله الصليحي

وبعد رحيل ابن نجيب الدولة اختارت الملكة الحرة السلطان علي بن عبد الله الصليحي ابن أخى السلطان علي بن محمد الصليحي ، للدفاع عن دولتها ؛ ونعت بفخر الخلافة ، وقد مدحه الشاعر محمد بن أحمد بن عمران بقصيدة جاء فيها ^(٢) :

يا غادياً مُزَمِّعاً في السَّيْرِ معترماً	لا يَتَّقِي الأَين والوَغَاء والألأ
واحمل سلامي إلى المختار من كُتُب	فخُـر الخِلافة والتم كَفِّهِ أُمَمَا
وحاز من نسب الأصالوح ذروته	وحاشد واعتلى الهامات والقما
رئيس همدان بل كهلان أجمعها	بل قَرَمَ قحطانَ حازَ العلم والكرما
أوفى بني الدهر في شام وفي يمن	قولا وفعلأ وأعلى يعربَ هَمَمَا
ومنصبأ ومحلأ شاعخا وعلا	عند الفخار وأسنى رهطه شيمَا
لسأ رأى الله ركن الدين منهدما	والعدل مهتضما والحق مخترما

(١) عمارة / كالأ ٤٨ .

(٢) عبون ٧ / ١٨٦ — ١٨٧ . وقد ورث هو وابنته الأميرة أروى بنت علي بن عبد الله ممتلكات الملك المكرم بعد وفاة الملكة الحرة .

حياء بالرتبة العليا وشرّفه - بدعوة الدين حتى عزّ وانتظما
ولكننا لا نعرف شيئا عما قام به على هذا من الأعمال ، لأن المصادر التي
تحت أيدينا لا تذكر شيئا عنه . ولكن يظهر أن الدولة قد أخذت في الانهيار
في هذا الوقت ، وهذا ما سندكره فيما بعد .

القاضي ملك وبعثته إلى مصر

ونظرا لأننا في صدد الكلام عن عهد الملكة السيدة الحرة ، نشير إلى بعض
ما وجدنا في مصادر الدعوة اليمينية عند الدعاة الذين حملوا لواء الدعوة الفاطمية
في عهدها ، ونشاطهم في تأييد الدعوة والدولة .

لعب قاضي قضاة اليمين ملك بن مالك الحمادي الهمداني^(١) دورا هاما في تاريخ
الدعوة الفاطمية في بلاد اليمين . وقد عاصر الملك علي بن محمد الصليحي والملك
المكرم والملكة الحرة . وذكر إدريس^(٢) نقلا عن السلطان حاتم بن إبراهيم
الحمادي المتوفى سنة ٥٩٦ ، أن عليا الصليحي لما تمّ له فتح جزيرة اليمين بأسرها
أرسل إلى الخليفة المستنصر الفاطمي كتابا مع قاضي قضاة اليمين وجماعة من وجوه
الأولياء^(٣) ، يطلب منه أن يأذن له بالحج إلى مكة والمسير إلى مصر لزيارة الإمام
في القاهرة والنهوض إلى العراق . ويمكننا أن نقرر أن هؤلاء الرسل قد وفدوا
إلى مصر في سنة ٤٥٤ ، ذلك لأن المصادر كلها قررت أن القاضي ملك أمضى
خمس سنوات في القاهرة ، ثم عاد إلى اليمين سنة ٤٥٩ أو ٤٦٠ أي بعد
قتل الملك علي الصليحي بقليل . وبعد أن سلم سفير اليمين القاضي ملك إلى الخليفة
ما استودعه الملك علي بن محمد الصليحي من الرسالة والسفارة ، أُرسل الخليفة

(١) في التمهيد ١ / ٨٤ — ٨٥ قال : « وهذا الداعي ملك بن مالك هو من بني
حماد من همدان ، وحماد وحماد أخوان . وكان محل ملك في لهاب من نواحي حراز ثم سكن في
قرار ملك بني الصليحي في صنعاء ثم في ذي جيلة » .

(٢) عيون ٧ / ١٠٣ .

(٣) ورد أسماؤهم في السجلات رقم ٥٥ (الموجه إلى السيدة أسماء بنت شهاب المؤرخ
في سنة ٤٦١) : قاضي قضاة اليمين ملك بن مالك وعبدالله بن علي ومحمد بن حسن وحسين بن علي
وعبدالله بن عمر وأبو البركات بن أبي العشرة .

القاضي في دار المؤيد في الدين هبة الله بن موسى الشيرازي^(١) باب أبواب الإمام^(٢) المستنصر بالله الفاطمي . وكان المؤيد يناجي الإمام بالفسح للقاضي فلا يحجب إلا بالقول : « كيف يستأذن وقد آن وقت الشتاء » ؟ وأقام ملك بمصر خمس سنوات . ويقول حاتم بن إبراهيم الحامدي^(٣) : « وفي مدة إقامة القاضي الأجل ، كان لا يفارق المؤيد ، بل ظل بين يديه يسأله ويأخذ عنه ، ويكتب ما استفاده منه إلى أن استوعب ما عنده » . وأخيرا قدم إليه القاضي سبعا وعشرين مسألة ، فقال : « ما جواب هذه إلا من مولاك » . فدخل القاضي على المستنصر بالله فأجابها عنها جميعها ، وكساه عن كل جواب حلة من حلل الشرف^(٤) . وظاهر هذه البعثة ، كما ذكر الحامدي ، هي رغبة الملك علي بن محمد الصليحي في أن يسمح له الإمام بالحج وزيارة القاهرة وطرد العباسيين من بغداد ، ولكن هذا الأمر لا يستدعي إقامة القاضي خمس سنوات في القاهرة ، وخصوصا أن سرعة إنجاز ما يطلبه الملك على الصليحي من الخليفة الفاطمي كثيرا ما كان يحل صعاب الأمور . والذي يلفت النظر حقا ، اهتمام زعماء الدعوة في مصر بالقاضي ملك . ونظرا لأن الملك عليا الصليحي كان على صلة برياسة الدعوة في مصر بتبادل الرسائل والرسول

(١) راجع مقاله حسين الهمداني في (JRAS (1932) ص ١٢٦ — ١٣٦ ؛ د المؤيد

١٨٤ — ١٨٦ ؛ سيرة المؤيد ١٧ ؛ الباب التاسع من هذا البحث .

(٢) كانت هذه الوظيفة في أول نشأتها سرية لا يعرف بها أو بصاحبها إلا رجال الدعوة المقربين . ولما تركر الحكم الفاطمي أعلنوا هذه الوظيفة ورفعوا الستار عن صاحبها ، فأصبحت الوظيفة خطيرة . فمنها ينبعث التوجيه السياسي والديني والعلمي . ولا يمنح هذا اللقب إلا لمن سبق أن تدرج في مراتب الدعوة . ويعتبر داعي الدعاة الصلة بين الإمام وبين حدود الدعوة ، كما يتضح ذلك من قول المؤيد في الدين عند كلامه عن داعي الدعاة القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن أبي حنيفة النعمان في عهد المستنصر : « وتوجهت بعد ذلك إلى المرسوم بالقضاء والدعوة الذي كان باب حطتنا ونحن بالبعد ، والواسطة بيننا وبين مجلس الإمامة » (سيرة المؤيد ٨١ — ٨٢) . ومن أعماله رياسة الدعوة الفاطمية وأخذ العهد على المريدين مباشرة أو بواسطة نوابه ... (خطط ٣٩١/١) .

(٣) عيون ١٠٣/٧ . ونقل هذا الخبر الحسن بن نوح البهروزي في كتابه الأزهار

٧١/٢ — ٧٥ والشيخ شرف على في كتابه عيون المعارف ٥٠٦ .

(٤) عيون ١٠٣/٧ .

في المناسبات المتعددة فلا بد أن رؤساء الدعوة كانوا على إلمام تام بحقيقة شخص
لك ، ومدى مركزه في الدولة والدعوة في بلاد اليمن .

ومما لا شك فيه أن القاضي لك بحضوره المجالس المستنصرية التي كان يلقيها
المؤيد في دار العلم ، وبملازمته باب أبواب الإمام هذه المدة الطويلة وقف على
التعليمات المهمة التي أولاه إياها باب الأبواب . هذه التعليمات والإشارات التي سيكون
لها الأثر الفعال في توجيه الدعوة الفاطمية في بلاد اليمن ، ومما يدل على مبلغ اهتمام
الإمام وباب أبوابه المؤيد بقاضي قضاة اليمن وبدعوة اليمن ، ماجاء في سجل^(١) أرسله
المستنصر بالله إلى السيدة الحرة أسماء بنت شهاب والدة المكرم حيث يقول :
« ... وساق إلى ولدك (المكرم) من التشریفات والألقاب ما شفعه بما هو
أزید من ذلك صحبة رسلكم : قاضي قضاة اليمن لك بن مالك ، وعبد الله بن علي
ومحمد بن حسن ، وحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وأبو البركات بن أبي
العشيرة — سلمهم الله — فلقد جاهدوا وصبروا ، واجتهدوا في الخدمة
وما قصروا ، والله تعالى يبلغهم مقصدهم سالمين برحمته ... » .

وكان المؤيد من أكبر الشخصيات الذين حملوا لواء الدعوة لا في مصر
بحسب ، بل في كثير من البلاد ، وبخاصة بلاد اليمن . وفي ذلك يقول إدريس^(٢) :
« فهو بالنسبة للدعاة القائمين أب ، وكلهم إليه بعلمه منتسب ، لأنه سلم للداعي لك
ماعنده » .

نفوذ الوزراء في مصر

ويجب أن نقرر حقيقة أخرى وهي : أن المؤيد لما حضر إلى مصر من بلاد
فارس ، ورتق في مناصب الدعوة حتى أصبح باب أبواب الإمام ، وجد أن أمور
الدعوة والدولة ليست في يد الخليفة ، بل وجد الوزراء قد سلبوه السلطة ، لذلك
رأى أن مصير الدعوة بهذا الوضع ينحدر إلى الضعف ، بل قد يكون الزوال على يد
هؤلاء الوزراء . وقد أخذ نفوذ الوزراء يزداد لضعف نفوذ الخليفة ، ولا أدل من

(١) السجلات رقم ٥٥ .

(٢) عيون ١٨٨/٧ .

إقحام اسم بدر الجمالي^(١) في معظم مكاتباته إلى تحار الدعوة ، ومعظم رسائله التي بعث بها بعد سنة ٤٦٧ إلى الصليحيين قد ذكر فيها اسم بدر مشفوعا بالثناء والتقدير العظيم^(٢).

تحويل التراث الأدبي الفاطمي إلى البصرة

ونخلص من هذا إلى الصورة التي ظهرت في مخيلة الداعي المؤيد ، أن الدولة على هذا الوضع مصيرها إلى الزوال . لذلك وجب تحويل آداب الدعوة إلى مكان يضمن حفظها ، ولم يكن هذا المكان إلا اليمن . وساعد على ذلك أن الدعوة الفاطمية الرسمية كانت قد استقرت في بلاد اليمن ، لأن دعوة اليمن هي الوحيدة التي ظلت موالية لدعوة الفاطميين الرسمية بعد أن فقدت تلك الدعوة نفوذها لضعف أمرها في كل من شمال إفريقية ومصر وسورية والعراق وفارس^(٣).

(١) هو أبو نجم بدر الجمالي أمير الجيوش مملوك جمال الدين بن عمار ، تولى الوزارة للخليفة المستنصر بالله في يوم ٢٨ جمادى الأولى سنة ٤٦٦ وتوفي في شهر ربيع الأول سنة ٤٨٧ .

(٢) والمستنصر إذ يعترف لبدر في إنقاذ دولته بخدمته والثناء على جهوده في سبيل رفع الدعوة الفاطمية يطلب من الصليحيين أن يشاركوه هذا التقدير السامي ، ويتخذ من بدر وابنه الأفضل هداة يهتدون بهما ، وقد أمدتنا رسائله بصورة واضحة عن ثقة الخليفة ببدر حتى إنه وضع وأمور الدعوة والدولة جميعها في يده . وقد ورد اسم بدر في رسائل المستنصر إلى الملك المكرم في سنة ٤٧٠ ، فيقول : ... ولم يكن له يد من ... أن يحله محل الوالد ويجعل له مكان الملك وينزله في عقد خلافة الإمامة ... فويل وجهك نحو هذا السيد الأجل . واجعله قبلة دينك في مصادر ومواردك (السجلات رقم ٣٤) . لما تمكن بدر من نفس المستنصر وصار يؤلف الكتب في أصول الدعوة اتخذ منه المستنصر بابا لدعوته ، ووضعه في مراكز لم يضع فيه وزيرا قبله ، وأخذ الخليفة يحتم على أتباعه وجوب طاعته . فأرسل إلى الملكة العزة سجلا مؤرخا في شوال سنة ٤٧٢ يطلب منها أن تحذو حذوه وتسترشد بنصائح الوزير بدر (السجلات / الهمداني ٣١٤) ، فأصبح المستنصر بهذا الوضع ملوبب السلطة والإرادة كما كان ابنه المستعلي . كذلك في عهد الأفضل بن بدر الجمالي ، فأصبح النفوذ والسلطان المطلق بيد الوزراء . وكان التحمس للدعوة ونصرتها أو إضعافها تابعا لرغبة الوزراء وميولهم . فالأفضل كان يميل ميل السنيين ، فألقى الكثير من الأعياد الفاطمية المحضة (حسن إبراهيم : الفاطميون في مصر ٢٧٩) .

(٣) انظر مقال حسين الهمداني في J.R.A.S. (١٩٣٣) ص ٢٦٣ .

وقد بدأ هذا التحول بالفعل على يد القاضي ملك بن مالك الذي عاد إلى بلاد اليمن يحمل تقليد المكرم ملكا خلفا لأبيه . ولما علم المكرم بأن ملك كان بعد عودته من القاهرة مكلفا من قبل الإمام تنفيذ سياسة معينة ، كان لا يقطع أمرا من أمور الدولة والدعوة إلا إذا استشاره ، نظرا لمكانته العظيم في نفسه ، حتى إنه كان إذا لقيه في طريقه ترَّجل عن جواده ، احتراماً لمقامه ، وحفظاً لأُكيده ودّه^(١) . فكان القاضي ملك ينهاء عن ذلك بقوله : « إنك في الملك في مقام الإمام عليه السلام ، فلا ينبغي لك أن تتواضع عن منزلتك »^(٢) .

نفي بوضي رئاسة الدعوة اليمنية إلى القاضي ملك

وصفوة القول أن المكرم جعل ملك رئيس الدعوة في اليمن ، تحقيقاً لرغبة الإمام ، فكان المكرم « داعي السيف » وكان ملك « داعي القلم »^(٣) ، وكان ملك قبل ذلك قاضي القضاة^(٤) . وفي ذلك يقول إدريس^(٥) : « وأرسل الإمام عليه السلام الداعي الأجل ملك بن مالك إلى اليمن ؛ فأقامه داعياً مع الداعي الملك المكرم ؛ وأمر المكرم بأن يقوم بالسيف والقاضي ملك داعي القلم ؛ وجعل إلى الملك المكرم أمر الملك والسياسة ، وإلى الداعي ملك إقامة القضاء ، ولكن لا يمكن أن نجزم بأن القاضي ملك كان يقوم وحده بأمر الدعوة والمستنصر يقول : « . . . والدعوة الهادية المستنصرية ثبتها الله في الأعمال اليمنية بفضل سياسة المكرم الذي ضمَّ شمل الأولياء ، وجمع الآراء على ماعاد بنظام الدين وإشرافه »^(٦) ، ويقول

(١) وقد تمشى في ذلك مع القاعدة التي اتبعها الخلفاء الفاطميون مع قضاة دولتهم ، فالخليفة المستنصر بالله ، كان إذا خرج القاضي اليازوري من عنده مثنى جميع أهل الدولة في ركابه (العسقلاني : رفع الإصر ورقة ٨٣ — ٨٤) .

(٢) عيون ١٠٤/٧ .

(٣) نهضة ٨٣/٧ .

(٤) « كان يختار لهذا المنصب من يتوسم فيهم العلم بكتاب الله وسنة رسوله وكان يزكّيه لذلك أن يكون رجلاً غنيا ورعاً تقياً لا تأخذه في الحق لومة لائم » (مشرفه : نظم الحكم عصر في عهد الفاطميين ٢٣٢) .

(٥) نزهة ٨٣/١ . (٦) عيون ١٢٧/٧ .

في موضع آخر موجهها الكلام إلى الملك على المكرم : « . . . وأمر أن يقلدك النظر فيما كان أبوك تقلده من الدعوة الهادية والأحكام في سائر اليمن وسائر الأعمال المضافة إليه » (١) .

ومن هذا يتضح أن المكرم كان الرئيس الأعلى للدولة والدعوة ، ولكنه ترك أمر الدعوة للقاضي الملك يتصرف فيها بالرجوع إليه . ومع ذلك فإننا نلاحظ أنه قد حدث تغيير جوهري في دستور الدعوة في اليمن ، فقد كان أول الملوك الصليحيين وهو الملك علي بن محمد الصليحي رئيساً للدولة ، كما كان رئيساً للدعوة ، أي أن أمور الدولة والدعوة كانت مركزة في شخصه ؛ فهو والحالة هذه أشبه ببعض شيوخ الجبل عند النزارية ، بحيث لا يفرق عنهم ، إلا في أنه يدعو لإمام ظاهر ، يظهر الولاء والطاعة له (٢) ، على حين كان المكرم رئيساً للدولة ويشترك معه القاضي ملك في إدارة شئون الدعوة .

فصل الدعوة عن الرولة

في الشطر الأول من حكم الملكة الحرة منحها الإمام لقب حُجَّة ، وقال صاحب العيون (٣) : « . . . فرفعت بذلك عن حدود الدعاة إلى مقامات الحجج ، وكفلت كافة المؤمنين ، والدعاة اليامين ، والحدود والمستجيبين خير كفالة ، وأوضحت البرهان في ولاية الأئمة عليهم السلام ، وأظهرت معالم الدعوة للتابعين ، وأبانت وما وهنت لما أصابها في سبيل الله » . واستعانت في تثبيت قواعد الدعوة بقاضي القضاء ملك الذي لقب في عهدا بداعي البلاغ . واستمر القاضي بوظائفه العديدة التي ذكرناها آنفاً إلى أن وافته المنية في السابع والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة عشر وخمس مئة ودفن بلهَاب (٤) .

(١) عيون ٧ / ١٢٩ .

(٢) طه شرف ، النزارية ٢٧٤ .

(٣) عيون ٧ / ١٤١ .

(٤) صحيفة الصلاة ٣٣٩ .

يحيى بن ملك

ولما توفى القاضي ملك خلفه ابنه يحيى فى نفس الوظيفة التى كان يعمل فيها أبوه مع الملكة الحرة . « فاستمر ينصب الدعاة ، ويوضح معالم الدين ، ويحيى مراسمه ويبين شريعته ، ويفسر تأويله وحقيقته »^(١) . وبفضل جهوده التى بذلها تحت رعاية الملكة الحرة ، تمكنت الدعوة الفاطمية المستعملة فى بلاد اليمن ، وما انضاف إليها عمان والهند^(٢) ، وزادت ثقة الإمام بالصلحيين ، لأنهم برهنوا على صدق إخلاصهم لمذهبهم وولائهم له . فلما توفى الخليفة المستعلى سنة ٤٩٥ وخلفه ابنه الأمر ، قامت الملكة الحرة له بالدعوة خير قيام ، وساعدها فى ذلك الداعى يحيى . « فاستقامت بهما أمور الدين فى أقطار اليمن ، ووضحت بهما الفروض الشرعية والسنن ، ومضت بهما الأحكام ، وأقيمت شعائر الإسلام ، وعرف الحلال والحرام »^(٣) . واستمر يحيى يعمل فى وظيفة أبيه مع الملكة الحرة حتى توفى فى ٢٨ جمادى الآخرة سنة ٥٢٠^(٤) .

نولية الداعى الذؤيب بن موسى الوادعى أمر الدعوة

ولما تبين للملكة أن مملكتها أخذت تتزعزع أركانها للأسباب التى سنذكرها فيما بعد ، قررت بثاقت فكرها أن تفصل الدعوة عن الدولة فصلاً تاماً ، كما كان الحال فى مصر ، حتى تباشر الدعوة نشاطها العملى والدينى مستقلة عن تأييد الدولة ، ففصلت هيئة الدعوة كلية عن إدارة الحكومة ، فأصبح يقوم بأعباء هذا النظام الثنائى (Dual hierarchy) رؤساء مختارون لإدارة شئون الدولة والدفاع عن المملكة ، وآخرون للدعوة .

فأقام الداعى يحيى والملكة الحرة الداعى الذؤيب بن موسى الوادعى الهمدانى

(١) عيون ١٤٤/٧ .

(٢) نفسه ١٢٣/٧ — ١٢٤؛ والسجلات رقم ٥٠ .

(٣) عيون ١٤٤/٧ .

(٤) صحيفة الصلاة ٣٣٩ .

في رئاسة الدعوة ، وفي اختياره رئيسا للدعوة يقول إدريس^(١) : « اجتمع عدة من سلاطين اليمن إلى قاضي القضاة وداعى الدعاة باليمن يحيى بن ملك . وكل من أولئك السلاطين يرى أنها ستقع إليه بإقامة الدعوة الشريفة بالإشارة ، ومتطلع إلى أن يلى إيراد الأمر فيها وإصداره . والدؤيب بن موسى متواضع مع علو مرتبته لأبويه ، إلى ما يشار إليه من على منزلته . فحين اجتمعوا عند القاضي الأجل يحيى ابن ملك بن مالك أعلن بالتعريف بفضل الداعى دؤيب بن موسى وعلى مقامه ، وأنه المعاضد له ، والخالف له بعد انقضاء أيامه ، وتلا على السلاطين والمؤمنين التقليدين من الحرة الملكة السيدة ولية أمير المؤمنين ، وكافلة أوليائه الميامين ، ومن داعى الدعاة وقاضى القضاة يحيى بن ملك ذى الحجة الماضية البراهين ، فسمع أهل الفضل والديانة قول الحرة الملكة حجة الإمام الأمر ، وقول داعيه يحيى ابن ملك ، ولم يكن منهم جاحد ولا مكابر » .

وكان قد وقع في دستور الدعوة تغيير جوهرى ، بسبب اختفاء الإمامة من مسرح مصر ، مركز الدعوة الفاطمية ، ودخلت الدعوة في اليمن في عهد الملكة الحرة والداعى الدؤيب بن موسى مرحلة أخرى . وصارت الدعوة منظمة دينية بحتة بعد سقوط الدولة الصليحية ، يعوزها تعاون الدولة وتأييدها ، مع أنها كانت تحاول عدة محاولات طوال القرون لإنشاء دولة مستقلة في المناطق التى قطنها أولو الدعوة .

استقرار الإمام الطيب والدعوة اليمنية

فلنرجع إلى مصر برهة من الزمن ، لكي نعرف ما حصل هنالك من الانقلابات والحوادث التى أدت إلى هذا التغيير في نظام الدعوة باليمن .

أنجب الخليفة الأمر قبل مقتله بقليل طفلا في الليلة المصباحة باليوم الرابع من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وخمس مئة ، وسماه الطيب ، وكناه أبا القاسم

وكتب سجلات البشارة بهذا المولود والنص على إمامته ، ومن ذلك سجله إلى الملكة الحرة الصليحية^(١) ، فقال فيه :

« . . . أما بعد ، فإن نعم الله عند أمير المؤمنين لا يحصى لها عد . . . ومن أشرفها لديه قدرا . . . بأن رزقه مولودا زكيا مرضيا ، . . . وذلك في الليلة المصباحية بيوم الأحد الرابع من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وخمس مئة ، . . . سماه الطيب . . . وكناه أبا القاسم كنية جده نبي الهدى . . . ولمكانك من حضرة أمير المؤمنين المكين . . . أشعرك هذه البشرى . . . لتأخذى من المسرة بها بأوفى نصيب ، وتذيعها فيمن قبلك من الأولياء المؤمنين ، إذاعة يتساوى بالمعرفة بها كل بعيد وقريب ، . . . » الخ

وأرسل الأمر إلى الحرة الملكة الشريف محمد بن حيدرة « بسجلات تتضمن السلام عليها ، . . . وكان مما سفر به إليها سنديل كم سمل ، وأمر الشريف ابن حيدرة بتسليمه إليها »^(٢) . فلما وصل الشريف وسلم إليها السجلات الآمرية وذلك المنديل فاضت عينها بالدموع حين وقفت على المنديل ، « فعلت أنه نعى إليها نفسه »^(٣) . والمحتمل أن الشريف كان من الحاضرين حينما نص الأمر على تعيين ابنه الطيب للإمامة بعده ، ولذلك نديه الأمر للسفارة إلى اليمن^(٤) . ومن المحتمل أيضا أن السجل الذى ذكر فيه المولود الطيب ، كان من ضمن السجلات التى أتى بها الشريف إلى اليمن .

فأذاعت الملكة ببشرى المولود فى جميع أنحاء مملكته ، وقامت هى والذؤيب ابن موسى الوادعى بأخذ البيعة والعهد للطيب والدعوة إليه ، وأمرت الملكة عند قراءة مجالس الحكمة بالصلوات على الطيب بن الأمر^(٥) .

(١) عمارة / كلى ١٠٠ — ١٠٢ ؛ عيون ١٩٢/٧ — ١٩٣ ؛ والملحق رقم ٨ .

(٢) عيون ١٨٩/٧ .

(٣) نفسه ١٨٩/٧ .

(٤) نفسه ١٩٤/٧ .

(٥) نفسه ١٩٤/٧ .

وقد قتل الخليفة الأمر بأحكام الله في الثالث، من ذى القعدة من سنة أربع وعشرين وخمس مئة^(١) بيد جماعة من النزارية . فأظهر الوزير أبو علي أحمد ابن الأفضل مذهب أهل السنة ، بعد أن أقام الدعوة للخليفة المزعوم أبي القاسم المنتظر القائم في آخر الزمان المهدي حجة الله على العالمين . واستولى على أمور الدولة وقبض على ابن مدين صاحب الرتبة وقتله . وقتل من أصحاب ابن مدين الدعوة ابن رسلان والعريزي ونسلان . وهرب قونص^(٢) إلى اليمن ، وعاد بعد ذلك فقتل . وأقام ابن مدين قبل مقتله في رتبته صهره القاضي أبا علي ، وأمره أن يخرج الإمام الطيب خوفاً من عدوان الوزير ابن الأفضل . فاستتر القاضي صهر ابن مدين بستر الإمام الطيب وسافر معه . « وكان ابن مدين المنتصب بالدعوة إلى الطيب في الديار المصرية وقامه الأمر بأحكام الله في الرتبة البابية ، وأشار الأمر إلى القاضي أبي علي صهر ابن مدين بحفظ رتبته . فغاب القاضي بغيبة الطيب . فلم يعرف إلا المخلصون أين مقصده ومثواه . وما زال الستر إلى هذا الأوان ، والإمامة جارية في الإمام الطيب أبي القاسم أمير المؤمنين وعقبه الطاهرين في كل وقت وزمان » . هذا ما رواه صاحب العيون^(٣) .

فلما قتل الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل في نهاية فترة شغور^(٤) خرج عبد المجيد بن محمد بن المستنصر من سجنه ، وادعى إمرة المؤمنين والإمامة .

(١) في رواية العيون ٧/ ١٩٠ فتك النزارية بالأمر يوم الثالث من ذى القعدة سنة ٥٢٦ ، وكانت نقلته ليلته بعد تجديد النس على ابنه الطيب . وهذا التاريخ يخالف جميع المصادر . فلذلك اعتمادنا على التاريخ المشهور بدلاً من رواية صاحب العيون .
(٢) عيون ٧/ ٢٠٢ — ٢٠٣ : وقونص دون الثلاثة في المترلة .
(٣) نفسه ٧/ ٢٠١ — ٢٠٢ .

(٤) فترة شغور من الثاني من ذى القعدة سنة ٥٢٤ يوم اغتيال الأمر إلى الخامس عشر من المحرم سنة ٥٢٦ يوم تولى الحافظ عبد المجيد الخلافة الفاطمية بمصر . وكان عبد المجيد قائماً بحفظ القصر وظاهر الملك وولاية عهد المسلمين ، لا يدعى الإمامة ولا يعرف بها عند الخاصة والعامة إلى أن ظهر الوزير أبو علي بن الأفضل الذي تغلب على الديار المصرية وقصد إلى القاهرة وسجن عبد المجيد . ومالا الوزير على ذلك ابنه الحسن بن عبد المجيد واعتقل أباه حتى قتل ابن الأفضل وبعده الحسن بن عبد المجيد .

وذلك حين استتر من استتر من الدعاة مع الطيب، وقتل من قتل على يد الوزير أبي علي ابن الأفضل في هذه الفترة .

وذهب بعض المؤرخين^(١) المتأخرين البعيدين عن مسرحي الدعوة — المصري واليمني — مذهبا آخر في أمر عقب الأمر والإمامة بعده، فقالوا ما معناه : إن الأمر لما اغتيل في سنة أربع وعشرين وخمس مئة خلف امرأته حاملا فبويع بولاية العهد لابن عمه عبد المجيد بن محمد بن المستنصر ، ولم يبايع بالإمامة حتى يظهر الحمل . فلما وضعت زوجته أنثى ، عهد إلى الحافظ عبد المجيد بالخلافة . وأما المقرئ فلم يقل إنها وضعت أنثى بل ذكر أن برغش وهزار الملوك أقاما الأمير عبد المجيد ، « وأنه يكون كفيلا لمنتظر في بطن أمه من أولاد الأمر » . ثم ذكر استبداد أبي علي بالوزارة والقبض على عبد المجيد وسجنه ، وخروجه من المعتقل بعد قتل أبي علي الوزير . فاستطرد المقرئ قائلا : « وأخذله العهد على أنه ولي عهد كفيل لمن يذكر اسمه » ، وأشار إلى الوزير رضوان الذي أخذ في إهانة حواشي عبد المجيد الحافظ ، « وهم بخلمه وقال : ماهو بإمام ، وإنما هو كفيل لغيره وذلك الغير لم يصح » .

وقال ابن الفرات^(٢) : « إن أهل صنعاء يرون له (الأمر) ولذا يسمى الطيب ، وهم آمرية المذهب ، وبالشام جماعة من الآمرية » . والآمرية في اليمن هم في الواقع الذين يسمون بالطيبية ، لأن أتباع الأمر هم أتباع ابنه الطيب ، إلا من أتبع الإمامة الحافظ عبد المجيد فسموا المجيدية ، ولم يبق منهم أحد في اليمن حتى بعد مدة وجيزة من الزمن .

وإننا نرى أن سجل الأمر^(٣) الذي ذكرناه آنفا خير رد على من يذهب إلى القول بأن الأمر لم يتجب قبل موته . ولقد أورد عمارة اليمني (وهو ليس من أهل الدعوة) هذا

(١) النويري : نهاية الأرب ٨١/١٦ ؛ أبو الفداء : المختصر ١١٤/٢ — ١١٥ ؛ العيني : عقد الجمان ٣/ورقة ٥٥١ ؛ السيوطي : حسن المحاضرة ١٦/٢ — ١٧ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ١٠/٣ . نرى أن ابن الفرات (المتوفى سنة ٨٠٧) غير مصيب في قوله إن جماعة من أتباع الآمرية لا يزالون بالشام ، يعني في القرن التاسع ، لأن نفوذهم كان سائدا في بلاد الشام لفترة من الزمن ، ثم أزاله التتار وأصبحت الشام مجالا حيويا للتتارية .

(٣) عمارة / كاي ١٠٠ — ١٠٢ ؛ عيون ١٩٢/٧ — ١٩٣ ؛ انظر الملحق رقم ٨ .

السجل، كما أورده صاحب العيون نقلا عن مؤرخي الدعوة اليمينية السابقين. ونحن نرجح قول عمارة اليميني والمؤرخين اليمينيين للإمامهم بالحقائق، وقربهم في الزمن والدعوة يستحق الترجيح.

وباختفاء الإمام الطيب دخلت الدعوة في اليمين دورا جديدا يعرف بدور الدعوة الطيبية، وانفصلت الدعوة اليمينية عن مصر نهائيا، وأصبحت اليمين هي المركز الرئيسي للدعوة الفاطمية المستعلية الطيبية. واستقلت اليمين عن الخلافة المصرية بعد اغتيال الأمر، وظلت الملكة الحرة تحافظ على ولائها للإمام الطيب ودعوته والأئمة الفاطميين من قبل. ومما لا شك فيه أن الملكة ورياسة الدعوة في اليمين كانوا يعرفون مكان اختفاء الإمام الطيب كما يظهر من تقليدها السلطان أحمد بن أبي الحسين بن إبراهيم بن عمر الصليحي بوصيتها إذا وافتها المنية، أن يقوم بتنفيذ ما جاء في الوصية، وأن يوصل كل ما ذكر فيها من مجوهراتها ومصوغاتها على باب الإمام الطيب وأن يأخذ عليها الخط الشريف الإمامي بوصول ذلك.

شخصية الطيب التاريخية

ويقول الدكتور محمد كامل حسين مستندا إلى التاريخ والعقل معا^(١): «قصة الطيب هذه أقرب إلى الأساطير الخيالية منها إلى الواقع التاريخي. فإن أحدا من المؤرخين [لم يـ] يذكر وجود الطيب بن الأمر إلا ما زراه في كتب دعائه. فالصليحيون ودعاة الدعوة الطيبية بعدهم هم فقط الذين تحدثوا عن الطيب بن الأمر، بينما سكت المؤرخون عنه ولم يذكروا حتى اسمه في كتبهم؛ بل ذهب المؤرخون إلى أن الجهة التي كانت حاملا عند موت الأمر بأحكام الله وضعت أنثى، ولكن الصليحيين قالوا بل وضعت الطيب، وإن السيدة الملكة الحرة كانت كفيلته وأنها سترته فلا يعرف أحد شيئا عنه! ونحن نتساءل عن سبب ستره مع أن الدولة

(١) وبعد أن حررنا ما سبق أرسل إلينا صديقنا الفاضل الدكتور محمد كامل حسين مقالا، وذلك بدعوة منا، عن «عقائد الدعوة»، فله منا الشكر على إجابة دعوتنا، والعذر عني ما أبدينا من آرائنا، خدمة للعلم والتاريخ.

كانت دولة الصليحيين والسلطان في أيديهم . فلم قبلوا أن يدخلوا إمامهم الستر وأن يخفوه ما داموا يدعون له ويدنون بطاعته وإمامته ؟ يخيل إلى أن الصليحيين وضعوا قصة الأمر هذه ، حتى يتخذوها ذريعة للانفصال من سلطان الفاطميين الديني ، وأن يستقلوا بالنفوذ السياسي والديني معا . وأوحى دهاء الملكة الحرة وذكاؤها الشديد وحرصها على أن تجمع في يدها السلطتين السياسية والدينية إلى أن تقول بأنها كافل الإمام المستور وحجته الكبرى . وسار على نهجها كل داع مطلق في الدعوة إلى الآن .

وإننا نرى وجهة في رأى صديقنا الفاضل الذي ذكرناه آنفا ، وأن من حق الباحث أن يتساءل ويناقش ويشك ، حتى يصل إلى معرفة الحقائق أو ما قرب إليها . وإننا نرى أن ما روى عن الطيب بن الأمر يكتنفه بعض الغموض من حيث مسألة استتار الإمام واختفائه في ظروف خاصة ، كمسائل أخرى تتعلق باستتار الأئمة الفاطميين . ونقول إن استتار الإمام لا يبقى سترًا إذا كانت أحواله وأمره مكشوفة واضحة . والذي يدعشنا أن الأمر لم يعلن ولاية عهد ابنته الطيب في دار الخلافة بمصر بالرغم مما روى اليمنيون أنه نص على تعيين الطيب للإمامة بعده . ونحن لا نستطيع أن نفسر هذا إلا أن الإمامة يخصها رئاسة الدعوة وأهلها ، وأما الخلافة فلم ير أنه جاء الأوان لإعلان ولاية عهده ، واغتيل حجة .

وبالرغم من ذلك تؤيد وجهة نظر الدعوة اليمنية على أساس وثيقة معاصرة هامة — وهي السجل الأمري الموجه إلى الملكة الحرة . وهذا السجل أورده المؤرخ الفقيه عمارة اليمني الحكيم (٥١٥ — ٥٦٩) في كتابه تاريخ اليمن . وقد عاش الفقيه في اليمن ، ثم انتقل في سنة اثنتين وخمسين وخمس مئة في عهد الخليفة الفارز الفاطمي إلى مصر ، ورفض أن يتخذ مذهب الدعوة دينًا ، بالرغم من حبه للفاطميين ومعرياته المناصب والمكاسب المادية . ولم يكن هذا المؤرخ طيِّبًا ولا مجيدًا بل ولا فاطميًا في ميوله الدينية ، بل تمسك بمذهب أهل السنة ، ولكنه كان مخلصًا بحقائق الأمور في السرحين اليمني والمصري . ويزيدنا اعتمادًا عليه أنه تحدث عن الطيب بن الأمر وذكر سجل الأمر الموجه

إلى الملكة الحرة وهو بين أصحاب الدعوة المجيدة المصرية التي كانت تحارب الدعوة الطيبية بكل شدة . فلم يخف عمارة من إتيان الوثيقة في كتابه ، ولم يتملق أو يلفق ، بل ذكرها بكل بساطة كعادته . والظاهرة هذه أدتته إلى مشنقة الأيوبيين . فزى أن علماء الدعوة الطيبية لم ينفردوا بالتحدث عن الطيب الإمام المستور ، بل تحدث قبلهم هذا المؤرخ السنّي الفقيه الثقة الجليل القدر .

والظاهر من رواية المقرئ التي ذكرناها آنفا أن الأمر كان له أولاد غير الذي كانوا يتوقعون ولادته . ولو صحت رواية المقرئ نستطيع أن نقول إن الطيب كان من هؤلاء الأولاد . ولم يذكر أحد من المؤرخين أسماءهم ولا نعرف شيئا عنهم إلا أن المقرئ أشار إلى أن عبد المجيد « كان كفيلا لمنتظر في بطن أمه من أولاد الأمر » . ولو صحت رواية المقرئ فإنه لجاز أن الأولاد كانوا أناثا ، ولكننا لا نعرف عنهم شيئا ؛ ويجوز أن الأولاد كانوا ذكورا . وليس الأمر بعيدا لأن الأمر كان كمثل من خلفاء المسلمين وأمراء المؤمنين لم يقتصر على زوجة واحدة . وإننا نعتقد أن الأمير عبد المجيد كان كفيلا للطيب ، لا لمنتظر من أولاد الأمر . وذلك لأن المقرئ ليس دقيقا دائما في تسجيل الحوادث .

ولم نعث في كتب الدعوة التي تحت أيدينا ما يثبت أن الصليحيين قالوا إن السيدة الملكة الحرة كانت كفيلا للطيب وأنها سترته . ولم يذكر صديقنا المحقق مصادره . ولقد روى مؤرخو الدعوة اليمنية معلومات هامة عن هيئة الدعاة الذين كلفوا كفالته وستره ، وعمالاقوا في هذا السبيل من القتل على أيدي الوزير أبي علي بن الأفضل الذي أظهر مذهب أهل السنة بعد أن أقام الدعوة للخليفة الزعوم أبي القاسم المنتظر القائم في آخر الزمان المهدي . وليس هناك تناقض بين كفالة ابن عم الأمر الأمير عبد المجيد بن محمد بن المستنصر لخلافة الطيب وبين كفالة الدعاة لإمامته . فقد وجد الأمير بعد خروجه من المعتقل أن الدعاة قد قتلوا ، وأن الطيب قد استتر في فترة اعتقاله في السجن ؛ ومن المحتمل أنه لم يكن يعرف ملجأه ولا مشواه ، فأصبح طريقه إلى الخلافة ممهدة ، وأظهر الخلافة والإمامة معا لنفسه ، مع أن هذا العمل يناقض مبدأ الإمامة منذ الفاطميين ويردها إلى القهقري .

وقد ذكرنا فيما سبق ما قال ابن الفرات عن الآمرية في الشام واليمن والطيب ابن الآمر ، ولكنتنا اعتمدنا في تأييد وجهة نظرنا على سجل الآمر نفسه وعلى تسجيل المؤرخ المعاصر القاضي الفقيه عمارة اليمنى ، وبين هذا وذاك أوردنا تفاصيل ذكرها علماء اليمن .

هذا من الناحية التاريخية . وأما بقية الاعتراض فنقول إن الصليحيين كما أوضحنا لم يخفوا الطيب بل الدعاة في مصر أخفوه . وإن سلطان الصليحيين في أواخر عهد السيدة الملكة الحرة أخذ في الزوال ، ولم يبق في دولتها إلا بعض الحصون والمعاقل ، وانقرض أمرهم بعد وفاتها . ونسب الأستاذ العليم إلى الصليحيين وإلى ذكاء الملكة ودعائها وضع قصة الآمر هذه « على أن تجمع في يدها السلطتين السياسية والدينية إلى أن تقول بأنها كفل الإمام المستور وحجته الكبرى » الخ . إذا كانت مملكتها في أواخر عهدها أخذت تنهار ، فإننا نرى أن قبولها دعوة الخليفة الحافظ عبد المجيد يساعدها على استرجاع بعض نفوذها وفي تقوية سلطتها السياسية إلى حد كبير ، لأن الفاطميين في أيام الحافظ عبد المجيد كانوا لا يزالون يملكون أمبراطورية قوية الجوانب . وكان الملك سبا الزريمى استطاع أن يوطد مركزه في اليمن الأسفل بفضل مساعدات الخليفة الحافظ وسفيره المقيم باليمن . ولكونها لم تفعل هذا ، بل رفضت دعوى الحافظ ، وهى تعرف أنها تخسر صداقة دولة قوية ، وتعرف أن ما بقى من مملكة الصليحيين تنتهى بعد موتها إذا لم تسكسب حلفاء أقوياء ، وبقيت الملكة تحافظ على ولائها للإمام الطيب ودعوته والأئمة الفاطميين من قبله ، وتقول : « حسب بنى الصليحي ما علموه من أمر مولانا الطيب » كما رواه عمارة اليمنى . فهذا يدل على أنها لم تكن ترى إلى هدف سياسى لما فصلت دعوة اليمن من الخلافة المصرية .

وقد عرفنا من المصادر التاريخية أن ملكتنا السيدة الحرة كانت امرأة كسائر النساء إلا أنها امتازت بعلمها وفضلها وتقواها وعبادتها حتى فاقت الرجال ، وأنه لم ينسب إليها الكذب والخديعة والغدر والخيانة وما شاكلها من الرذائل . ومن الطبيعى أن سيدة عظيمة كهذه يكون لها ولأمرها أولياء ومؤمنون

يحبونها إلى درجة العبادة ، ويكون لها أعداء يريدون القضاء عليها وعلى أمرها . أضف إلى ذلك أنها كانت رأس مجتمعا يتمتع بقسط كبير من السؤدد والنسب والإباء والشرف والحرية حتى سميت باسم « سيدة ملوك العرب » . وكان في هذا المجتمع سلاطين بنى الصليحي وخولان ويام وهمدان واليعارب ذوو بأس وشهامة ، وبالرغم من ولائهم للملكة كانوا يعارضون أحيانا خططها السياسية والحربية ، كما شاهدنا في معارضتهم للأمر بن نجيب الدولة مستشار الملكة المصرية ، وفي قول السلاطين الخولانيين ابنى الزر شامتين في سقوط المستشار المصرى ونصرتها له : « صدق الفقيه في قوله : قال عبد الله بن عباس : كنا ندخل نسمع الحديث من عائشة ، فلا نخرج حتى نعلم أنها امرأة » . وكان في هذا المجتمع المبنى علماء ومفكرون امتازوا عن غيرهم بمعارفهم الواسعة وتفكيرهم وخبرتهم بأحوال الناس أمثال الشيخ يحيى بن ملك الحمادى والحبر الذؤيب بن موسى الوادعى والسلطان الخطاب الحجورى والشيخ إبراهيم الحامدى وعلماء آل الوليد العبشمى . فإننا نستبعد أن امرأة مهما بلغت في الدهاء والذكاء تستطيع أن تخدع مثل هذا المجتمع بأسره ، وفي كل زمان . ولم نسمع أن أحدا من هؤلاء السلاطين والملوك والرعايا والشايخ والعلماء احتج أو أشار إلى اختراعها هذه « القصة » . ولم نسمع أن ملوك بنى حاتم اليامين الهمدانين الذين تحرروا من اختلاف انذاهب وانفصلوا عن الدعوة الفاطمية ، أو السلاطين الخولانيين سليمان وعمران ابنى الزر اللذين اشتهرا بمعارضتهما للملكة ومستشارها المصرى ، أو السلطان سبا بن أبى السعود بن زريع الجشمى صاحب عدن الذى استماله سفير مصر القاضى الرشيد أبو الحسن أحمد بن على الفسائى الأسوانى^(١) إلى دعوة الخليفة الحافظ عبد المجيد ، أو السفير المصرى نفسه الذى كان يحارب الملكة ودعوتها إلى الطيب بن الأمر بعالمه وعلمه ،

(١) هو أبو الحسن أحمد بن على بن محمد بن الحسين بن الزبير الفسائى الأسوانى . وكان من أهل الفضل والنباهة والرياسة ، كما كان أوحد عصره فى الفقه والرياضيات والهندسة . وله كتاب « الحتان ورياض الأذهان » . وقد قال الجندى : « إنه قدم التين رسولا من صاحب الديار المصرية الحافظ ، وأقام فيها مدة وانتفع به وبعلمه كثير من أهل التين (بأخزمة : نقر عدن ٢/٤٠) .

أو غيرهم تسكّموا أنّها أو الصليحيين وضعوا قصة الطيب هذه .

وقد حاول الأمير عبد المجيد (الخليفة الحافظ) بعد اختفاء الإمام الطيب أن يتصل بالملكة الحرة ، فراسلها ليستميلها إلى قبول خلافته ، وإعلان ولائها لشخصه ، ولكنه أخفق في جميع محاولاته . وفي ذلك يقول إدريس^(١) « .. وكان عبد المجيد يكتب الحرة الملكة ابنة أحمد حجة الأئمة في الجزيرة اليمنية ذات الرتبة السنية ، من ولى عهد المسلمين وابن عم المؤمنين » ، ثم كتب إليها : « من أمير المؤمنين » فقالت : « أنا أروى ابنة أحمد ، بالأمس ولى عهد المسلمين ، واليوم أمير المؤمنين . لقد جرى في غير ميدانه ، وادعى أمرا يبعد عن مكانه » . وأعلنت أهل دعوتها أنه قد نكث عهده وخالف رشده ، وادعى ما ادعاه الظالمون من قبله ، وارتقى لمقام ليس من أهله » .

ولما عجز عن استمالتها أرسل القاضي الرشيد داعيا له باليمن ، فاستطاع استمالة بعض السلاطين بالوعود والمال . ولم تقف عرقلة الحافظ للدعوة اليمنية عند هذا الحد ، بل اتصل ببني زريع^(٢) في عدن واستعان بهم في نشر الدعوة باسمه . وكان القائم منهم في هذا الوقت هو سبأ بن أبي السعود بن زريع الجشمي الهمداني ، الذي نصبه داعيا له في اليمن . ويقول إدريس^(٣) : « وكان السلطان سبأ بن أبي السعود يظهر الدعوة إلى الحافظ . . . وقد ذكر أنه لم يحب عبد المجيد وبدع إليه إلا تقية وخوفا . . . تخاف سطوته وصولته وعدوانه ، وإنه كان باقيا على طاعة الإمام الطيب » . فاستاءت الملكة الحرة من عمل عبد المجيد هذا ، وفي ذلك يقول صاحب الأنباء^(٤) : « إنه وصل العلم بقتل الخليفة الأمر سنة ٥٢٤ بمصر

(١) عيون ٢٠٧/٢ .

(٢) ثم رؤساء همدان وهم من جشم ثم من يام بن أصبا . وكان لجدهم زريع بن العباس جهاد واجتهاد في قيام الدعوة الفاطمية في بلاد اليمن في عهد الملك علي بن محمد الصليحي وابنه المكرم ، وإليهم يرجع الفضل في مساعدتهم ضد الدولة النجاشية . ثم ظلوا على ولائهم للدعوة المستعيلة بعد وفاة المستنصر (راجع بالمعزومة : ثغر عدن ٤٠) .

(٣) عيون ٢٠٤/٧ .

(٤) أنباء / دار ٤٧ .

وقيام الحافظ بعده ، فأضافت السيدة دعوته إلى الزريعيين » . ويقول صاحب العيون : « ورأت أن الإمساك عنه ، والإغضاء أجدر ، ولم تظهر الإنكار عليه ، تقية من السلطان عبد المجيد . . على دينها ، ورعاية لأهل دعوتها ومملكاتها وأهلها » (١) .

فإذا كانت الملكة الحرة هي التي اخترعت أسطورة الطيب ، فلماذا لم ينتهز القاضي الرشيد فرصة وجوده في اليمن ليعين حقيقة هذه الأسطورة ، فيسهل عليه المهمة التي أرسل من أجلها ؟ ولماذا لم يرسل الحافظ لسلطين اليمن — الناقين منهم على الملكة — ليفهمهم مبلغ تجرؤ الملكة على مقام الإمامة ؟ ولماذا سكت المؤرخون اليمنيون المعروفون بكرهم للفاطميين والصليحيين عن هذه الأسطورة ؟

ومها يكن من أمر ، فإن مجهود الحافظ عبد المجيد وسفيره باليمن قد نجح إلى حد ما ، فضعفت الدعوة الطيبية ، وتفككت أوصال الدعوة الصليحية بسبب هذه المناورات والخلافات .

وليس من المعقول أن الملكة السيدة تخدع الناس كلهم وتخدع نفسها في أواخر أيام حياتها . وذلك لأن الإمامة مسألة لها خطر وقداية عند جميع فرق الشيعة . ومما لا شك فيه أنها كانت تؤمن إيمانا صادقا مخلصا بوجود إمامها المستور ، بل تعلم هي وبعض أوليائها مثنوى الإمام وهقامه ، كما هو ظاهر في نص وصيتها (٢) .

استقلال دعوة اليمن عن مصر

ثم إن دولة الصليحيين لم تسكن في يوم من الأيام تابعة سياسيا للدولة الفاطمية ، بل إن حبهم وإخلاصهم لمذهبهم الديني هو الذي جعلهم يفرضون على أنفسهم تبعيتهم المذهبية للفاطميين . ولم تر طوال مدة حكم الصليحيين أن الخلفاء الفاطميين تدخلوا سياسيا في شئون هذه الدولة . وعلى ذلك فالملكة الحرة ومن سبقها من

(١) عيون ٧ / ٢٠٥ .

(٢) عيون ٧ / ٢٠٩ — ٢١٨ ؛ انظر الملحق رقم ٩ .

سلاطين الصليحيين كانوا مستقلين سياسيا ببلادهم ، ولكن ولائهم للاثمة الفاطمية في مصر يجعلهم يخضعون لرغبات أمتهم صاغرا وكابرا .

أما فصل الدعوة اليمنية عن الدعوة الفاطمية باسم الدعوة الطيبية ، فلم يكن الغرض منه كذلك هو الاستقلال الديني . ولم تكن الدعوة الطيبية دعوة جديدة ، كما يقول صديقنا الفاضل ، وإن كان هناك بعض الفوارق ، لأنه هو نفسه عاد ، فقال : « . . . إن آراء الفاطميين في التوحيد هي نفس آراء الدعوة الطيبية » . ثم قال في مكان آخر : « . . . فالعبادتان الظاهرة والباطنة هما أسس المذهب الفاطمي ، وعنهم أخذ الصليحيون هذه الأسس ولم يغير وافيا شيئا » . فثبت أن دعوة اليمن بالرغم من أنها انفصلت عن الخلافة الفاطمية القائمة في مصر سياسيا بقيت مستمرة في عقائدها ومحفظتها بآدابها على ما كانت عليه الدعوة الرسمية في مصر .

وكانت الملكة الحرة حجة إمامها الفاطمي في الجزيرة اليمنية ، فلذلك كانت تتمتع بقسط كبير من السلطان المطلق في أمور الدعوة حتى قبل انفصال الجزيرة عن مركزها الرئيسي بالقاهرة . وقد نصبت الملكة الذؤيب بن موسى الوادعي في حد « الداعي المطلق » ، فأصبح مركزه بذلك عظيما ، لأنه ينوب عن حجة الإمام بل عن الإمام نفسه . وأصبح هو المصدر الذي تستقي منه علوم الدعوة ، فلا نجد داعيا من الدعاة يكتب في التأويل إلا بعد الرجوع إليه ، بعد أن كان هذا مباحا لعلماء الدعاة في دور الظهور ، وبعد أن كان باب الاجتهاد مفتوحا كذلك لهم بإذن الإمام وحججه . وأما الآن (دور الستر) فلا يسمح لأحد إلا بدراسة علوم الدعوة وجمعها وتنقيحها ، وذلك أيضا بإذن الداعي المطلق .

السلطان الخطاب بن الحسن المحموري

عاضد الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي في إقامة الدعوة مأذونه السلطان

الخطاب بن الحسن بن أبي الحفاظ الحجوري^(١) الهمداني ، ومركزه في الدعوة إلى الداعي المطلق الذؤيب . وفيهما قال إدريس^(٢) « وما في العلم مناره وعلمه الذي لا تحبونه » وقال أيضا^(٣) : « وكان الخطاب بن حسن أخا الملكة من الرضاع — ذا منزلة جليلة ، وهو أرفع الدعاة بعد الداعي الذؤيب بن موسى ، وعاضده في إقامة الدعوة الأمرية والطبيية في أوان الحرة الملكة السيدة الصليحية وبعد وفاتها ؛ وكانت له عندها مزية جليلة ومرتبة وفضيلة . وهو من دعاة أيام الظهور والستر » . وكان الخطاب معروفاً بالفضل والعلم والشعر والحكمة ، وبالبأس عند الشدائد والإفحام في الحروب ، وبالورع والزهد ، وبالمكث والسؤدد^(٤) .

وقال باخرمة وإدريس نقلاً عن صاحب المفيد^(٥) : « ومن شعراء اليمن المجيدين الخطاب بن الحسن بن أبي الحفاظ » وله ديوان شعر^(٦) ، فهو من الشعراء المعروفين في اليمن . وقد شاركه أخوه الأكبر سليمان بن الحسن الحجوري في هذه

(١) حجور حى من همدان ، وعم ولد حجور بن أسلم بن عليان بن زيد بن عريب ابن جشم بن حاشد . وحجور حى عظيم باليمن والشام والعراق بقارب نصف حاشد . ومنهم بنو الصليحي بيت الأخروج ، وعم من بني عبيد بن أوام بن حجور (هامش العيون ٧/٢٢٢ ؛ إكليل ١٠/٩٧ — ٩٩) والخطاب من ولد حرث بن شراحيل ثم من ولد موله بن حجور ثم من قدم من ولد عليان بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد . ابن حيران بن نوف بن همدان (إكليل ١٠/٩٧ — ٩٩ ؛ عيون ٧/٢٢٢ ؛ نزهة ١/٨٦) وذكر أبو محمد الهمداني في صفة ١١٣ بلاد حجور من جبال حاشد ، وقال حجور أربعون ألفاً . وفي انتسابه إلى حجور يقول الخطاب (د الخطاب ١١١) :

قوى حجور جناح لي أطير به وأهل عزمي من دون الوري قدم
لا يبدلون لرسم حين أرسمه ولا أبدل رسماً غير ما رسموا

(٢) عيون ٧/٢٢٢ .

(٣) نفسه ٧/٢٢٦ .

(٤) وذكر إدريس (٧/٢٢٤) نقلاً عن عمارة اليمن في كتابه المسمى بأعمودج ملوك اليمن ما يوصف من أحكام السلطان الخطاب صاحب مدينة الجرب وفضته وذكره في معرفة القضايا التي كانت ترفع إليه .

(٥) باخرمة : قلادة البحر ٣/٢ ورقه ٦٣٥ — ٦٣٦ ؛ عيون ٧/٢٢٢ . والظاهر هو كتاب المفيد لعمارة .

(٦) مخطوط ديوان الخطاب محفوظ بالمكتبة الحميدية الهمدانية . وسند ذكر مصنفاته في الباب العاشر .

الناحية الفنية . وقال إدريس ^(١) : « إن ديوان سليمان معروف جيداً ولا يزال موجوداً » ^(٢) . وقال إدريس ^(٣) نقلاً عن مؤلف ديوانهما : « إن الخطاب وسليمان كانت لهما معرفة قوية حتى عرفا باسم «مِقْوَكَي قحطان» ، وأجيز لسليمان في ست مئة كتاب قراءة ، ولأخيه الخطاب في أربع مئة ، وركب سليمان أيامه في ثلاث مئة فارس ، وركب الخطاب أيامه في خمس مئة فارس » .

ومعظم قصائد الخطاب كانت في مدح آل بيت الرسول والأئمة ، وفي الحكم والحقائق ، وفي الرد على المعارضين على الدعوة ، والمفاخرة . ولم يمدح أحداً من معاصريه إلا الحرّة الملكة ابنة أحمد « وصاحب الرتبة السابق » (ولم يذكر اسمه) ، وهذا على سبيل الاعتراف بالجليل وتلقي العلم . ولعله يريد بالسابق الذؤيب بن موسى الوادعي .

ونورد هنا بعض الأبيات التي تشفّ عن أسلوبه في الشعر ، وولائه للملكة الحرّة وللائمة الفاطميين بمصر ، وعقيدته في النظام الفكري الفاطمي ، وإخلاصه وحماسه للدفاع عن حوزة الدولة الصليحية ، والتي تلقى ضوءاً على شخصيته الفذة ، فلنقتطف من غير قصائده الأبيات الآتية ^(٤) . قال :

مِلَلْتُ بدار الحسّ طولَ ثَوَائِي	وسجّني وتمنّيني بها وبلائي
وَجَمَعَ لطيفي بالكثيف وزَّره	إليه لإشقائي وطول عنائي
ومالي سوى فوز المَعَاد إرادة	وخلعي من الأجسام كلَّ غشاء
كعلّي بدار القدس أرجع كالذي	وجدت به من عزّة وعلاء

(١) عيون ٧ / ٢٢٣ .

(٢) ذكر الأصبهاني في خريدة القصر (مخطوطات المكتبة الأهلية بباريس رقم ٣٣٢٩ ورقة ٢٧٥) سليمان بن أبي الخفاض من شعراء اليمن ؛ وأورد بيتين من شعره :

كنتم تمنون ربحاً أن يهب لكم
من النسيم ولو يومين تنصل
فجاءكم مثل ما عاد به هبّت
من العقيم التي عاد بها هلكوا

وقد بحثنا عن ديوان سليمان بدون جدوى .

(٣) عيون ٧ / ٢٢٣ — ٢٢٤ .

(٤) وقد لحس ستروطنان في Miscellany ١٣٨ — ١٣٩ موضوعات هذه القصيدة .

ولألاء نور واقتدار وغنية
 حنت إلى تلك المقامات والتظي
 أرى الموت جسرا والأحبة خلفه
 وهل يكره الموت امرؤ متعلق
 غداراضيا في كل أمر مسلما
 تحفنت لإخواني صريح نصيحة
 وأودعتها روحا من القدس ساريا
 وذلك أني قد بلغت فلم أجده
 سراب كما قال الإله بقمعة
 ولا شيء إلا ما علقتم بحبله
 ألا واغسلوا من كل حقد قلوبكم
 ولا تجمعوا لها للحقود أوانيا
 وإياكم والكبر والحسد اللذين
 دعوه وسوء الخلق والعجب أنهما
 فلا تستهينوا بالحدود وعظموا
 تلقوا بحسن السمع والطوع أمرهم
 ولا تسألوا لم ذلك، وارضوا وسلموا
 فلك صفات المؤمنين ومحتهم
 ورأى لكم أن لا تحبلوا بشرطها
 بذلت لكم نصيح الأمين لأنني
 فمن شاء فليأخذ ومن شاء فليدع
 (١) رأي: رأي.

ومحض جلال باهر وسناء
 فؤادي بحر الشوق والبرحاء
 وعابره من أسعد السعداء
 بعروة إخلاص وحبل ولاء
 لمولاه ديننا ليس فيه رأي
 تعرفهم أني من النصحاء
 إلى كل داء منهم بشفاء
 مذاهب هذا الخلق غير هباء
 رأي القوم مصححين ظاء
 وعروته للمرة النجباء
 عليكم فداء الحق أبحث داء
 فإن إناء الحق شر إناء
 وإياكم من الهدى من الإيمان كل بناء
 خلائق أعداء لكم أمناء
 مقامات تلك الصفوة العظاء
 بما جاءكم لو جاءكم بفناء
 بغير اعتراض منكم ومراء
 وسيرتهم تقلا عن العلماء
 إذا كنتم متمن بصواب رأي^(١)
 على كل خلصان من النصحاء
 نصائح لم تبدل لأخذ كفاء

ولا طلباً للشكر من آخذ بها
 لحبت بها الظموس من سبل الهدى
 وأيقظت من نوم الجهالة أنفساً
 عسى تنجلي منهن نفس صديّة
 فيصبع إكسرى مهيباً ذاتها
 وتخلص من سجن الهيولى الذى غدت
 ولن يدرك الحال الذى أنا واصف
 أريد به عقل المعارف ، لم أرد
 شبهاً بعقل فى البهائم همّة
 فمن كان مهترأ لما أنا واصف
 ولا يعتمد خرق الشريعة تابعا
 ومحمّوه ديناً عندهم وادّعوا به
 وأول كل منهم بقياسه
 ألا كل من هذا السبيل سبيله
 وقالوا كذا قول الأئمة واعتزوا
 لقد قال إفكاً فى الذى قال عنهم
 وأجفل عنهم ذا السواد الذى غدا
 به امتدت الأيدي إليهم وأصبحت
 نوافر من راع شفيق يصونها
 ويوردها المذب الفرات وشربها
 وما يتقى بطش السباع رعيّة

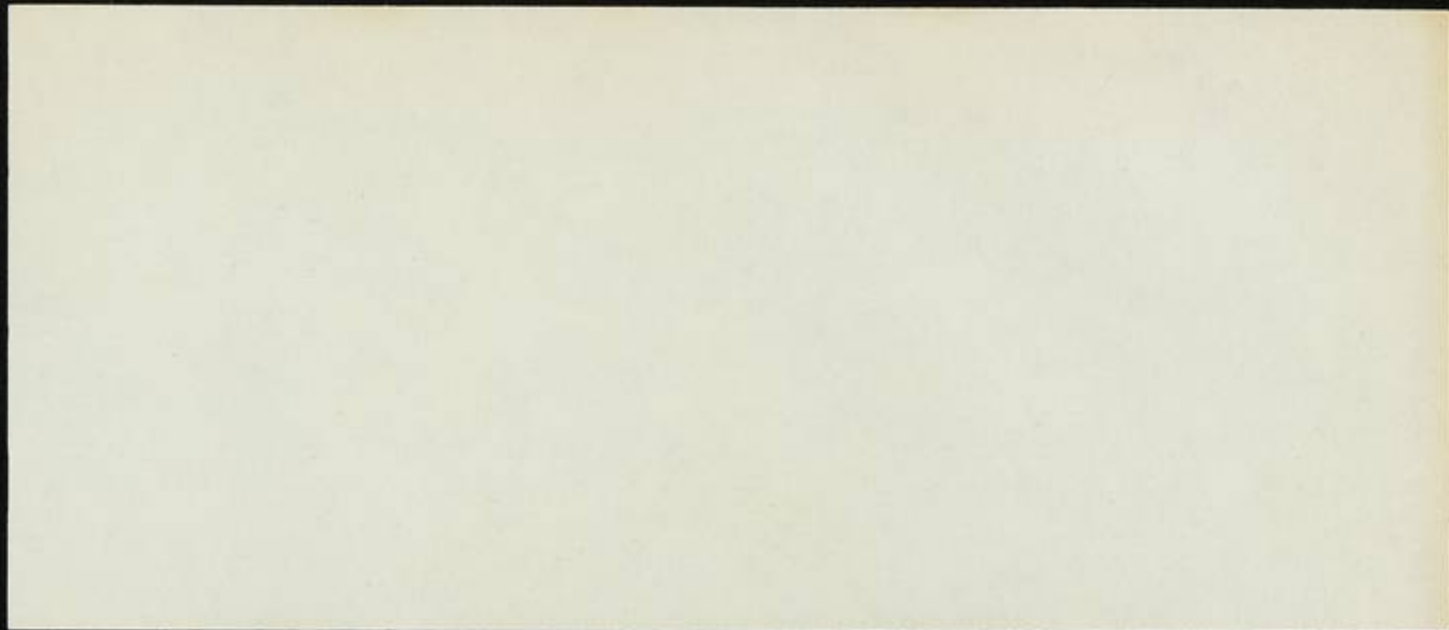
ولا الذكر لى أئى من الفصحاء
 حيران فى تيه الضلالة نأى
 إن استيقظت لى أنفس الجهلاء
 بصقلى وتهذيبى بها وجلاى
 صباغاً به تضجى من البلغاء
 بظلماتها فى جملة السجناء
 فتى ليس معدوداً من العقلاء
 به عقل طبع ذا عى وعياء
 دفاع مضر واجتلاب غناء
 به فليلازم سنة القضاء
 بذلك أضداداً من القدمات
 مقاماً وشدوا أيدياً بهواء
 له من كتاب الله عدة آئى
 فإنى له من أبغض البغضاء
 إليهم بمكر منهم ودهاء
 وزوراً مبيحاً منهم لدماء
 كهمل معنز فى الغلاء وشاء
 رعاياهم فى جملة النظراء
 فتضجى وتسمى فى كلاً وكلاء
 أمين ويسقيها بحوض رواء
 تشيع من أشياعه برعاء

DS 247

.44

.H3262

al-Sulaybi



وما ذاك إلا زُبْدٌ تخضضهم الذى
أبا ليس من نسل ابن مرة أصلهم
عليهم شعار المؤمنين وسميتهم
أضلوا بما جاءوا فريقي غواية
فريقاً نحاً ما قد نحوه مقلداً
وثانٍ رماهم والإمام الذى اعتروا
وأصبح من يدعو إليه لديهم
تباده الدهاء فى كل مشهد
حلفت بمولاي الذى كفروا به
لأنهم بالقتل من كل حية
له تخضوا فى الكفر شر سقاء
تسموا لمن كادوه بالخلفاء
وسمياء قوم جلة حكام
وأدلوهم فيها بغير رشاء
عقول أولاك السادة الكبراء
إليه من الفحشا بكل خناء
تهيماً بهم من جملة التهماء
وترميه من شتم بكل بداء
وهم مدعو نصح له وصفاء
أحق ولا كانوا من الشهداء

وقال يخاطب أهل الدعوة فى أنحاء اليمن (١) :

أبلغنا لى تحيتى واغما الشكر كثيراً يا أيها الراكبان
من ثوى ساكننا بصنعاء فالبو ن فما بينها إلى تجران
فإلى حازر فالبوادى فغيراً ن فعلى الذرائع من كوكبان
فشبابهم فسور فإلى العسر ب [فـ] من حير ومن همدان
مؤمنها خصاص ذوى الاعتقاد ت التى لازول والأديان
كل صافى اليقين موفى ربما عا كهد الله مخلص الإيمان
صفو صفو الأفلاك لب الهوى من قديم وزبدة الأزمان
أن سلام عليكم أولياء الله حقاً يا شيعه الرحمن
هل أنا كم ما كان منى من الكشيف لأهل الضلال والظناني

وقيامى بدعوة الأمر المنصور جهراً في موضعى ومكانى
فنفيت الأستام والجبت والطا غوت عنها وسائر الأوثان
وأيضاً يذكر ما أقام من الدعوة إلى الأمر بأحكام الله الفاطمى وإقامة الخطبة
له وباسمه وضرب السكة حيث يقول^(١) :

حرام على النوم غير غرارى	يلم بجفنى بمد طول نغارى
وأظهر أعلام الهدى مستطيلة	أشعة أبقار بها ودرارى ^(٢)
وأظهر للمنصور مولاي دعوة	موطدة فى مسكنى وقرارى
وأعلنها كشفاً بغير تسر	وأكشفها جهراً بغير سرار
أمتلى يلهيه فيلهو بلدة	ترتم أوتار وشرب عقار
ويرضى بما يرضى به من معيشة	من الناس فى دنياه كل حمار
فمن مبلغ مولاتنا ابنة أحمد	نهايتى القصى وقطب مدارى
سلامى وإلمامى وزاكى تحيتى	وإن بعدت دارى وشط مزارى
أمولاتنا حقّت لديك نصيحتى	حقيقة علم ليس فيه تمارى
وما كان من كشفى القناع لمذهبي	جهاراً فلم أخش العدا فأدارى
خطبت لمولاتنا وأظهرت سكة	عليها اسمه طارت بكل مطار
لدى معشر حبل الضلالة عندهم	مغار وحبل الدين غير مغار
وفارقت أولادى وأهلى وما حوت	جميعاً يدى من فضة ونضار
ورمت رضا المنصور فيما أتته	إذا فارقت درى قشور صغار ^(٣)

(١) لا توجد هذه القصيدة فى نسخة ديوانه الموجودة فى مكتبتنا المحمدية الهمدانية ،
فقلنا هذه الأبيات من عيون ٧ / ٢٢٦ — ٢٢٧ .

(٢) وفى رواية : مستطيرة أشعة أبقار لها البيت .

(٣) صغار ، بلد فى أرض حجور فى سرة المصانم (صفة ٦٩ و ٧٢) .

فهل لي يا مولانا منك عاضد معين به يضحي زناده واري
أمولاتنا لا تتركيني بفترة وحيداً لأعدائي تروم دماري
وقومي بأمرى والحظيني بلحظة فلحظك غدار بالسعادة جاري
ولي غرض لا بد لي من مثاله بلا رقبة مني ولا بخذار
سأضحي لها عزمي فإمّا منية تحين بفك من وفاق أسارى
وأن لا علّت بي دعوة آمريّة بها وإليها نسبتى وشعارى

الحرب بين الخطاب وإخوانه

وكان الخطاب يسكن مع إخوته في مدينة الجريب^(٢). وبعد وفاة أبيه حدث نزاع بينه وبين أخيه الأكبر سليمان الشاعر، أدّى إلى قيام حرب بينهما دامت مدة طويلة من سني الخمس مئة إلى أربع عشرة وخمس مئة. فغلب الخطاب على الأمر وجعل الجريب مسكنه ومقر مملكته. ويذكر إدريس^(٣) نقلاً عن مؤلف ديوانهما أن «سليمان ركب أيامه في ثلاث مئة فارس، وركب الخطاب أيامه في خمس مئة فارس. وانترج عنه سليمان إلى قومه من حجور بن أفلح بالعرق^(٤)، ثم إلى الأمير أبي الغارات على بن يحيى بن حمزة بن وهاس السلمي بالساعد^(٥)، ثم إلى الحبشة آل نجاح يزيد وإلى قوادهم الفواتك مفلح ومنصور بن مفلح ومن الله وإسحاق بن مرزوق وأبي محمد سرور وأحمد بن مسعود الجزلي، فجيّش مستنصرًا بهم على أخيه، فاستغار بغارات عليه». ولكنه لم يتمكن من أخذ البلد الجريب، لأن الخطاب تعلق بآل الصليحي بندي جبلة أيام الحرة الملكة السيدة ابنة أحمد.

(٢) عيون ٧ / ٢٢٢: الحريث. والصواب الجريب كما جاء في د الخطاب ونزهة ١٠٨٦ / ١ وهو بلد في سرة قدم وسوقهم الأعظم يتسوقه يوم وعده ما يزيد على عشرة آلاف إنسان؛ والجريب من بلاد حجور هي سوق لأهل تهامة. وعثر وجميع بلد همدان كما ذكرها أبو محمد الحمداني في صفة ٦٩ و ١١٣.

(٣) عيون ٧ / ٢٢٤.

(٤) كذا في عيون ٧ / ٢٢٣. وفي صفة ٦٩ و ١١٣: العرق بلد في سرة قدم.

(٥) سبق أن ذكرنا نسب الأشراف السليمانيين القاطنين بتهامة غير في ص ١٥٢.

وأخيرا تمكن الخطاب من سليمان فقتله غيلة ، رماه بحربة تسمى المريجة ، ولبت في الأمر بعده وبعد قتل أخيه أحمد بن الحسن^(١) . وكان أحمد بن الحسن « قد قتل أختها جميعا ظلما وعدوانا ؛ وكانت امرأة مؤمنة صالحة »^(٢) . فيدل قول إدريس على أنها كانت تميل إلى الدعوة وتنسب إلى حزب أخيها السلطان الخطاب ، فلذلك قتلها أخوها أحمد بن الحسن . وبظهر أيضا أن أحمد بن الحسن احتضنه أخوها الأكبر سليمان لا لجهه ، بل لرفض الخطاب . وذلك « ذنبه الذي فرق بينه وبين أخيه سليمان »^(٣) وأدّى هذا النزاع إلى الحرب بين الخطاب وإخوته وطرده إياهم من مقر مملكة أبيهم السلطان الحسن بن أبي الحفاظ المجبوري — الجريب . وهناك سبب آخر أكثر خطورة من قتل أختهم الحرّة البرّة . وهو انتساب السلطان الخطاب إلى الدعوة وحماسه في تدعيمها ونشرها في اليمن . وفسر صاحب العيون حربه لإخوته قائلا^(٤) : « إنهم كانوا مخالفين له في المذهب والسيرة ، مباينين للدولة الصليحية مناصبين لها ، كثيرى البغى على الخطاب » . وقد تفاقم الخلاف بين الإخوة بسبب التجاء سليمان إلى أعداء الدولة الصليحية وخصوصا الألد منهم آل نجاح يزيد . ومع ذلك كان الخطاب متألما بهذا النزاع الدموى بينه وبين من يربطه الرحم حيث يقول متضرعا إلى الله^(٥) :

يا من رَضِيتُ مسلِّما لقضائه ورضيتُ حكمه
وعلمتُ أنَّ جميع ما يَأْتِي به عدلٌ وحِكمَةٌ
مولائِكم من نعمة أوليتَنِي في رِيِّ نِقْمَةٍ
فأفرِّجْ يَمَنِّكَ عن وليِّكَ مُسرِّعا ما قد أغنَمَ

(١) عيون ٧ / ٢٢٣ .

(٢) نزهة ١ / ٨٧ .

(٣) نفسه .

(٤) عيون ٧ / ٢٢٦ .

(٥) الخطاب ١١٨ — ١٢٠ .

وَارْحَمْ تَضَرَّعَهُ وَنَفْسُ كَرَبَهُ عَنْهُ وَغَمَّةُ
وَابْصَرَهُ نَصْرًا يَسْتَقِيمُ مِنَ الْعِدَا عَاصِي الْأَرْمَةِ
وَأَدِلَّهُ مِنْهُمْ إِنَّهُمْ أَعْدَاءُ غَدْرِ الْأُمَّةِ (١)
لَا يَحْفَظُونَ لِمُؤْمِنٍ عَهْدًا وَلَا يَرْعُونَ ذِمَّةَ
فَتَرَى الْوَلِيَّ بِهِمْ حَلِيفَ كِتَابَةٍ وَأَخَا مَهْمَةٍ
تَطْوِي مَحَامِدَهُ بِهِمْ وَتَشِيعُ الْأَنْجَاسَ ذِمَّةَ
لَوْ يَعْضُدُونَ بِقُوَّةٍ لَتَقَاسَمُوا ذِمَّةَ وَلِحْمَةٍ (٢)
لَا يَنْظُرُونَ لَهُ وَشَيْخَ قَرَابَةٍ وَأَكِيدَ حَرَمَةٍ
قَدْ صَبَرُوا إِيمَانَهُ وَوَلَّاهُ لِلَّهِ جُزْأَةً
فَتَأْلَبُوا غَضَبًا عَلَيْهِ وَأَكْثَرُوا بِالْغَيْبِ رَجْمَةً (٣)
وَرَمَوْهُ عَنِ قَوْسِ الْعَدَا وَهُوَ طَالِبِينَ بِذَلِكَ ظُلْمَةً
مُتَنَاصِرِينَ عَلَيْهِ يُطْلِقُ كُلُّهُمْ بِالْكَيدِ سَهْمَةً
فَإِلَيْكَ يَا مَوْلَايَ يَدُ عَوْ رَافِعَا يَدَهُ وَوَهْمَةً
مُتَوَسِّلَا بَيْنَ ارْتَضَيْتَ مِنَ الْهَدَاةِ الْمُسْتَهْمَةِ (٤)

فترى أن السبب الحقيقي الذي أدى إلى الحرب بين الإخوة كان النزاع حول
« إرمهم » الجريب عاصمة بلاد أبيهم السلطان الحسن بن أبي الحفاظ الحجوري .
أقسمت بالله رب الناس كلهم أن الجريب لمشكال لما كنهما
لكننا قد نراها أنها « إرم » (٥)

وقد اشتد الخلاف كما ذكرنا آنفاً بمقتل أختهم الصالحة ، ثم بالتجائنهم
إما إلى الصليحيين أو إلى النجاشيين ، فصار الخلاف سياسياً ، ثم أخذ

(١) هامش الديوان : أداله الله من عدوه أى جعل له الدولة عليه .

(٢) في رواية : لم يعضدوه بقوة . (٣) تألبوا عليه أى اجتمعوا عليه .

(٤) المستهمة أى الداعية إلى الأمة . (٥) د الخطاب ١١٣ .

صبغة دينية ، وقد تغالى الفريقان في حب الأبعد وبغض الأقارب ، فيقول الخطاب
مفتخرا بموالاته للأمة^(١) :

وأقصوا مناوبهم ولو كان والدا
أو أبنا وخصوه بكلّ جفاء
ووالوا مواليهم بصّفو محبّة
ولو أنه من أبعد البمداء

فهكذا نرى كثيرا من الحوادث في تاريخ اليمن ترجع إلى أسباب شخصية
أو سياسية ثم تنتهي إلى التحزب المذهبي والتعصب الديني وتأليب المسلمين
بعضهم على بعض . فياحبذا لو اجتمع الأخوان سليمان والخطاب — مقولا
قحطان — واتحدت قواهما واثقلت مواهبهما في إعلاء كلمة قحطان !

وقد انتصر الخطاب على إخوته وكان الانتصار في الحقيقة فشلا وهزيمة .
وأراد أن يتدارك بعض ما فاته من أهل بيته وصلة الرحم ؛ فضم إليه أولاد أخيه
سليمان وآواهم وقام بأمرهم ورباهم . فلما كبروا أظفاهم بعض الناس وذكروهم
مقتل أبيهم سليمان وإدراك الثأر . ففتسكوا به على غرة وقتلوه بمضجعة^(٢) .

ووجدت بمدقمثله قصيدته الميمية^(٣) التي كان قد قالها وكتبها قبل وفاته ، مطلعها :

الدهر يعتد ما يجري به القلم^(٤) والمرء يلحقه النعماء والألم^(٥)

ومنها :

يا أيّها الناطق الناهي يحذرنى إنّ الحذير من المقدور مخترم

إن كان قد حلّ حقّا ما أحاذره فليس لي من قضاء الله معتصم^(٦)

(١) د الخطاب ٥١ .

(٢) ولم يمت الخطاب في ميدان القتال ، كما ذكره سترومطان في Miscellany ١٣٦ .

(٣) د الخطاب ١١٠ — ١١٥ ؛ نزهة ١ / ٨٨ — ٩٠ .

(٤) راية نزهة ١ / ٨٨ : يتبع ما يأتي به القلم .

(٥) كما في نزهة . ديوان : تحفظه . (٦) نزهة : إن كان حقاً قضى ما كنت أحذره .

كم مُفسد مرء لم يدرك مَرَحَ إلا وقد حلَّ من بأسى به النقمُ
 كم من أعاد ذمَّرتُ الخيلَ نحوهم بكلَّ أروع في عرينه شَمُّ (١)
 حتى تركتهم والناس قولهم (٢) كانوا وكان لهم عزٌّ له حَرَمُ (٣)
 فإن أصرَّ مثل ماقد سيرته يدى فالله أكبر وهو العادل الحكمُ
 ولست أجزع من موتٍ على كرم وذاك أكرم شيء فاسمه السكرمُ
 أقسمت بالله ربَّ الناس كلهم بارى الأنام ومن يخشى به القسمُ (٤)
 أنَّ الجرب لشكالٌ لسا كنها لكننا قد نراها أمها إرَمُ
 هذا لآخر منا من يحلَّ بها (٥) فسوف يبقى على أفعاله الندمُ (٦)
 يا أيها الدهر كم تلهو بغرتنا أشكو إلى الله دهرًا ليس يلتزمُ (٧)
 وهكذا الناس دنياهم تبددتم وهكذا قد مضى من قبلنا أَمَمُ
 ويذهبون شتيتا في الورى مَزَقا بين البرية لا عُرْب ولا عَجَمُ

ويظهر أنه قال هذه القصيدة وكان أله أشد ما يكون بعد وفاة الملكة الحرة ، وكانت هي قطب مداره ، فوجد نفسه « وحيدا بقرعة لا تلحظه بلحظاتها ولا تقوم بأمره » . وظل الخطاب يعاضد صاحب الرتبة السابق الذؤيب بن موسى الوداعى بعد وفاة الحرة الملكة في إقامة الدعوة حتى وافته المنية .

- (١) ذمَّره الرجل أى حَضَّه على الأمر ليجد فيه . وفي رواية : زمت الخيل نحوهم وكل أروع البيت . والأروع الشهم الذكى القواد ومن يعجبك بجهارة منظره .
 (٢) كما في نزعة . ديوان : حتى تركت يقول القائلون لهم
 (٣) نزعة : له كرم .
 (٤) كما في نزعة . ديوان : بارى النفوس يحى به السقم .
 (٥) نزعة : من يقيم بها وسوف يبكى البيت . وفي هامش نزعة : قوله قس لآخر منا من يقيم بها فصل فيه بين المضاف وهو قوله لآخر وبين المضاف إليه وهو قوله من يقيم بها . فصل بينهما بقوله منا .
 (٦) نزعة : وسوف يبكى البيت .
 (٧) كما في نزعة . ديوان : ليس ينصرم .

مآثر الملكة أروى الجليلية

وإذا كانت الدول الناهضة في العصر الحاضر تعمل على تنمية اقتصادياتها بشتى الوسائل ، لإسعاد شعوبها وتوفير الرخاء لأكبر عدد من سكانها ، ورفع مستوى المعيشة بين أفرادها ، وهى بذلك لاتدع ناحية من نواحي الإنتاج إلا أولئها عنايتها المرموقة لتصل إلى هدفها المنشود ، فهتتم بالزراعة والصناعة والتجارة والمواصلات . ويعتبر هذا العمل من قبل هذه الدول عملاً مشكوراً ، كما يعتبر من أهم الأسباب التى تساعد على تقوية مركز الحكومات في نظر الرعايا . فإذا كان مدى تقدّم الدول الآن يقاس بمقدار ما تقدّمه الحكومات من إصلاحات في سبيل رفع مستوى المعيشة للشعوب ، فإننا نقف معجبين عند ما نعرف أن ملكتنا الحرة السيدة أروى بنت أحمد ، قد سبقت الحكومات المتحضرة المعاصرة في اهتمامها لتنمية اقتصاديات الجبلين ، فقد اهتمت الملكة برعى المواشى وتحسين النسل لكي توفر للشعب بمختلف طبقاته اللحوم والألبان ، بل توفر القوة والغنى . فقد أثر عنها أنها وقفت أراضى واسعة في نواحي جبلة وحقل قتاب ، تصرف غلاتها في شراء الفحول من البقر كما أوقفت أراضى كثيرة ثمينة خصبة لرعى المواشى ، وهذه الأوقاف لا تزال موجودة إلى الآن ومعروفة باسم « صلبة السيدة » . حدث هذا في العصور الوسطى مما يدل على أن الملكة أروى سبقت في تفكيرها ووعيتها دول العصر الحديث التى تعمل بشتى الوسائل على تنمية اقتصادياتها ، وتصرف الأموال الطائلة في سبيل ذلك .

وشىء آخر لا يقل أهمية عما ذكرنا يدل على سبق ملكتنا في تفكيرها لعصرها ، وهو الاستعانة بالمستشارين من الدول الأخرى ، على الرغم من وجود شخصيات وزعماء وسلاطين ممتازين في بلادها . فقد أثر عنها أنها أرسلت إلى الخليفة الأمر تطلب منه إرسال أحد رجاله المشهود لهم بالكفاية والقدرة ، وأجابها لذلك بأن أرسل إليها ابن نجيب الدولة^(١) ، وهذا ما فعله الدول في العصر

الحديث، فتستعين بالخبراء الأجانب، على الرغم من توافر رجالها الممتازين وتقدمها في مضمار الحضارة.

وعرفت الملكة كذلك أن التجارة تعتبر مرفقا هاما من مرافق الاقتصاد الوطني، وأن هذا المرفق يعتمد على المواصلات التي تعتبر الدعامة الأولى لتسهيل نقل المتاجر، فعمدت الطريق من رأس جبل سمارة (تقيل صيد في عهدنا) إلى السيانى على مسافة ثلاثة مراحل. ويعتبر هذا أول الطرق الزراعية الممهدة في اليمن ومن أفيدها إلى الآن.

وأولت الملكة عنايتها لحركة التعمير والبناء التي تعتبر دعامة قوية من دعائم استقرار الحكم ورضا الشعوب، فأنشأت الكثير من المدارس، ومنها مدرسة لتدريس الصححين بذي جبلة، وأنشأت المصالح العامة المتعددة. وبنت المساجد، وهي التي وسعت جامع صنعاء الجناح الشرق منه وصححت عمارته وزينته، وأمرت أن يكتب فيه أسماء جميع الأئمة من علي بن أبي طالب إلى إمام عصرها وأثبتت ذلك في الحائط القبلي من المسجد الجامع، وكان اسمها مكتوبا على الأحجار البيضاء التي بين أبواب الجامع، ولكن العصبية لم تترك من الكتابة غير البسملة^(١)، وأعيد بحص وأشراس في دولة الملك حاتم بن أحمد الياصمي الممداني ثم كشط في عهد دولة آل يحيى من الأشراف^(٢). وبنت كذلك مسجد الضربة في بلاد يريم، والمسجد الجامع في جبلة؛ ولها علاوة على ذلك أعمال جبلة وآثار باقية لا تحصى على أحد إلا على أكمه لا يعرف القمر.

كان من نتيجة سياستها الرشيدة ومنهجها لرعاياها حرية العقيدة أن أصبحت سمعة اليمن عالية، لعمل الحاكم لمصلحة الشعب وإتاحة الفرصة لجميع الكفايات أن تشترك في بناء هذا الوطن، ولأن السيدة اعتبرت أن اليمن ملكا للشعب لا لنفسها ولا لأسرتها فقط، فقامت «في أرض الله، لا لعلو، أو لما يستفاد».

(١) عيون ٧ / ٢٨٨.

(٢) نفسه؛ انظر الملحق رقم ٩.

وصية الملكة

وقد أورد صاحب العيون في السبع السابع من كتابه وثيقة هامة هي وصية السيدة الملكة^(١)، كتبها قبل وفاتها بسنة، أي سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة، وعهدت عهدا، وأجرت علامتها، وأخرجت جميع الأشياء التي ذكرت في الوصية، وعابها شهود، « وإنما فعلت السيدة ذلك قربانا تقررَّت به إلى إمامها الطيب لما ترجوه من ثواب الله، وتأمله من رضوانه، ولأن تكون يوم الفزع الأكبر من الأمنين، يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ^(٢). » وجعلت السيدة الملكة ولي وصيتها، والقائم بها والمنفذ لها، السلطان أحمد بن أبي الحسين بن إبراهيم بن محمد الصليحي، وأن يقوم بتنفيذ ما جاء في الوصية، ويوصلها بحملتها إلى باب الإمام الطيب، ويأخذ عليه الخط الشريف الإمامي بوصول جميع ذلك. وقبل السلطان أحمد بن أبي الحسن ابن إبراهيم بن محمد الصليحي ما أسند إليه.

وفاة الملكة الحرة

وفي غرة شهر شعبان من سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة توفيت الملكة الحرة عن اثنين وتسعين سنة من العمر، ودفنت في جامع ذي جبلة أيسر القبلة، في منزل متصل بالجامع. وكانت هي التي تولت عمارة هذا الجامع، وهيأت موضع قبرها فيه^(٣) وذكر إدريس^(٤): أن بعض ملوك اليمن أراد أن يخرج جثتها من قبرها حين ظن بعض الفقهاء كونها في الجامع. ففتحوا عن قبرها حتى انتهوا إلى التابوت، فوجدوا فيه قفصا مقفلا ففتحوه، فأصابوا فيه كتباً وأحكاما تشهد أنها استتنت فيه ذلك المنزل الذي دفنت فيه عن المسجد لقبرها فيه، ووجدوا بذلك علامات القضاة وشهادة

(١) عيون ٧ / ٢٠٩ — ٢١٨ : انظر الملحق رقم ٩.

(٢) نفسه ٢١٨. (٣) نفسه ٢٢٨. (٤) نفسه ٢٢٨.

الشهود الثابتة عند الحكام . فردوا قبرها على ما كان عليه وردوا تربته وحجارته إليه .
ويقول إدريس^(١) : « وقبرها إلى اليوم ، يزوره جميع فرق الاسلام ، ويعترف
بفضلها الخاص والعام ، ويأتى إلى قبرها من أصيب بظلم ، أو حاجة أو علة في بدنه ،
أو بليّة ، فيتشفعون بها إلى الله تعالى في كشف ما انتابهم بفضلها » .

وقد رأت الملكة الحرة بعد وفاتها كثير من الشعراء . فزار قبرها القاضي حسين
ابن عمران بن الفضل الياصم في ذى جيلة ، وقال قصيدة جاء فيها^(٢) :

وقفت على قبر الوحيدة وقُفسي	وقد زين منها مسجدٌ وستورٌ
فقبلته واستفتت رياءَ رآيه	وعاودَ قلبي رنةً وزفير ^(٣)
وساكتَ دموع العين منى كلتها	بشطّ مجارى المقتلين سطورٌ
ولله منها روحٌ قدس تميزت	فصارت بأعلى الدائرات تطير ^(٤)
خلا القصر في ذى جيلة من مكارم	يحنّ إليها بأس وفقر
ومن جود بحر بالعطايا نواله	على معتفيه عسجدٌ وحرير
ومن درّس ما ضم الكتاب وبعده	صلاةً وتسبيحاً معاً وطهور
وما سمعت أذن ولا راعاً ناظري	تجاوب قينات بها وخمور
ولو كان داعى الموت يثنيه دونها	قبيل وينجى من سطاء عسير
لقام له من حمير كل أرعن	سحاب المنايا حيث حلّ مطير
وصار له من صيد كهلان جحفل	تسير الجبال الشم حيث يسير
ولو حال دون الموت عنها ملبط	منيع يرد الطير في رهو حسير

(١) عبون ٧ / ٢٢٨ .

(٢) نفسه ٧ / ٢٢٩ .

(٣) ساق الشيء يسوقه ويساقه سوقاً وساقوه واستاقه كله شمه ، والاستياق الإشتام

(ل / سوف) .

(٤) يريد بالدائرات الدرجات في المقادير .

لكان لها في حصن قِيَضان مَعْقِلٌ تَقْصِرُ عَنْهُ فِي الْعَالُو طَيُورٌ^(١)
ولكن أُنِي إِلَّا خَفِيًّا بِشَخْصِهِ حَقِيرٌ وَمَا يَسْطُو عَلَيْهِ كَبِيرٌ

وقال القاضي محمد بن أحمد بن عمران بن الفضل الياقوبي يرنمها :

نَأَتْ رَبَّةُ الْقَصْرِ الشَّرِيفِ عَنِ الْقَصْرِ فَأَيَّاسٌ رَاجِي النَصْرِ فِيهِ عَنِ النَصْرِ
إِذَا اجْتَثَّ دَهْرُ الشَّرِّ دَوْحَةَ رَوْضَةٍ فَفَقَضِبَانَهَا لَا تَسْتَقِيمُ عَلَى الْمَنْصَرِ
سَخِطَتْ عَلَى أَهْلِ الزَّمَانِ لِفَعْلِهِمْ حَقِيقُونَ أَهْلُ الْعَصْرِ يَارَبَّةَ الْعَصْرِ
فَصَارُوا بِلَانُورٍ يَتَبَهَوْنَ فِي الْعَمَى وَذَلِكَ تَمَثِيلٌ لِمَا كَانَ فِي مَعْرِ^(٢)
فَكَمْ ظُلْمَةٌ يَغْشَوْنَهَا وَمُضَلَّةٌ وَكَمْ إِضْرَافٌ ذَنْبٍ يَحْمَلُونَ عَلَى إِضْرَافِ
رَجَوْنَا بِهَا بَدْءَ الظُّهُورِ وَنَشْرَهُ فَعُدْنَا إِلَى السِّتْرِ الْحَقِيقِيِّ وَالْحَصْرِ^(٣)
وَقَدْ يَنْقُصُ التَّيَّارُ مِنْ بَعْدِ مَدَّةٍ وَيُضْطَرُّ حَرْفُ الْمَدِّ حِينَ إِلَى الْقَصْرِ
فَذَاكَ كَسُوفُ الشَّمْسِ قَدْ طَالَ مَكْنَهُ وَهَذَا خُسُوفٌ دَائِمٌ الْمَكْنُ لِلْبَدْرِ
وَذَاكَ سِرَارٌ لَا أَنْجِلَاءَ لِلَّيْلِ وَهَذَا مَحَاقٌ لَيْسَ يُسْفَوْنَ عَنْ فَجْرِ
وَرَجَوْا فِرْعَوْنَ ثَمَّرَ اللَّهُ نَبْتَهَا وَأَيَّدَهَا بِالنَّصْرِ وَالْفَتْحِ وَالْقَهْرِ

لَهُمْ وَبِهِمْ رَجَاؤُنَا وَسُلُوكُنَا

لَأَنَّ رَجَاءَ الْيُسْرِ فِي عَقِبِ الْعُسْرِ

وَأَوْرَثَ أَمْلَاكَ الْأَنَامِ وَسَيْطَهُمْ

عَلَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى ذُرَا الْقَخْرِ^(٤)

(١) استولى على الحصن الأمير المفضل الحميري بعد أن طرد هلي بن سبأ بن أحمد الصليحي سنة ٤٩٥ هـ . فدخلت حصون بني الظفر في مملكة السيدة الحرّة (انظر ص ١٦٣ و ٢٤٠) .
(٢) يشير إلى اغتصاب الحافظ عبد المجيد الإمامة والخلافة في مصر .
(٣) يبدأ دور الستر باختفاء الإمام أبي القاسم الطيب بن الأمر .
(٤) أغلب الظن أنه السلطان علي بن السلطان عبد الله بن محمد الصليحي . وعلى بن عبد الله هذا هو ابن عم الملك المكرم . فوُثِرَ أَمْلَاكُ بَيْتِ الصَّليحي بعد وفاة السيدة . وقد قيل إن الأميرة أروى ابنة علي بن عبد الله كانت مقيمة في قصر الملكة الحرّة حينما طلقها منصور بن المفضل الحميري وتزوجها الملك محمد بن سبأ الزرعي (انظر ص ٢٤٠ — ٢٤١)
(م — ١٤ — الصليحيون)

فصبراً على رَيْبِ الزَّمانِ وَصَرَفَهُ

فَأَوْقَرُ أَهْلِ الْأَجْرِ حِظًّا أَوَّلُو الصَّبْرِ

ومما قاله السلطان الخطّاب بن الحسن بن أبي الحفاظ الحججوري في قصيدة

برثيها^(١) :

عليك سلامُ الله والصلواتُ	ورحمته ما شاءَ والبركاتُ
وكفاك عنا بالذي لك عندنا	إلهٌ لديه تُضعِفُ الحسناتُ
كفلتَ جميعَ المؤمنين كفالةً	علتَ لهم في ظلِّها الدرجاتُ
وقمتَ بأمرِ الله فيهم فأخلصتُ	سرايرُ في طاعته وريّاتُ
أمولاتنا يا من يباهر نورها	تَجَلَّينَ عن أبصارنا الظلماتُ
أَجَلَّكَ عن موتِ بروحك نازل	وأنتَ لأرواحِ الأتام حَيَاتُ
بَصُرْتُ بِأَمْرِ منك ما بَصُرْتُ به	عيونُ لهم في غيِّها وَسَنَاتُ
ولاحَ لي السرُّ الذي حَجَبْتَهُمْ	عقولُ لهم من نوره وذواتُ
فقالوا مقال الجهل ، غِيبْتَ بِمَيْتَةٍ	عليهم فما الأنباءُ مُشْتَبِهَاتُ
وهل غاب عنا أو يَغِيبُ الذي اغتدت	

له رُبُّ في الدين منحفِظاتُ	أما نورُه سارٍ ، أما لحظاته
بنا وهو ناءِ الدار متصلاتُ ؟	أليس لنا منه إليه مُحَرَّكُ
ومنا وعنا تصدرُ الحركاتُ ؟	أما قال مولانا على سلامه
علينا مقالاً أسندته ثقاتُ :	نعلمكم منكم* وعنكم نفيدكم
أشئ* سوى هذا المقال فهاتوا	وأزعم أن الأولياء تقدّمت
مقاماتهم كفرٌ مقالى : ماتوا	

فكيف بمن هم في كفالاته غدوا وظلّوا بها مستكفّلين وباتوا ؟
فلا غرو أن ذكريات سيدتنا وملكتنا ستبقى خالدة في قلوب اليمنيين مدى
الدهور ، كما بقيت إلى يومنا هذا مآثرها وأعمالها الجليلة التي تنطق بعظمتها ، وستظل
وحيا ونورا في حياة الشعب مهما اختلفت الطرق واشتدتّ الأزمات وبعدت
المسافات وتخلّفت القوافل ، لأنّها وحيدة كلّ زمان وسيّدة اليمن والعرب
ولحظاتها متصلة بهذه البلاد العربية الغير السعيدة .

أما نوره سار ، أما لحظاته بنا وهو ناء الدار متّصلات
أليس لنا منه إليه محرّك ومنّا وعنّا تصدر الحركات

الباب السابع

العلاقات بين الدولتين الفاطمية والصليحية

مظاهرها وآثارها

الألقاب

حرصنا على أن يكون التسلسل التاريخي متصلا إلى حد الإمكان ؛ لذلك بقيت بعض المعلومات التي أفردنا لها هذا الباب . ويلاحظ أنه لم يكن هناك في أيام الخليفة المعز لدين الله تنافس على الألقاب من الوزراء وكبار رجال الدولة ، كما كان في أيام من آتى بعده من الخلفاء ، فقد لقب هؤلاء بالألقاب كثيرة . ولعل ذلك يرجع إلى حيطة المعز من أن تخلق هذه الألقاب طبقة ممتازة لها نفوذ سياسى واجتماعى . ولكن ليس معنى هذا أنه لم تكن هناك ألقاب للوزراء في عهد المعز ، بل كانت هذه الألقاب محدودة ، وتنسب إلى الدولة أو الخلافة أو الملة أو الإمامة . ويدل اهتمام الوزراء وكبار رجال الدولة بهذه الألقاب وحرصهم عليها فيما بعد على :

١ - ضعف الخلفاء ، ورغبتهم في استرضاء من يمنحونهم هذه الألقاب ،

كما يدل على قوة من يُمنح إليهم ونفوذهم ؛

٢ - أن الخليفة كان يمنحها للمقربين إليه إرضاء لهم إما لقوة نفوذهم أو لخدماتهم ؛

٣ - أن الوزراء وكبار رجال الدولة كانوا يعتبرونها مظهرا من مظاهر علو شأنهم في نظر الرعية ، بل دليلا على ثقة الإمام بهم ؛

٤ - أن هذه الألقاب شجعت الذين مُنحوها على الاستبداد بالأمر ، دون الخلفاء ، مما أدى إلى زوال ملكهم في النهاية .

ولما كان سلاطين الصليحيين قد قاموا بخدمات جليلة للدولة الفاطمية وجد الخلفاء أن في منح الألقاب لسلاطينها وأمرائها خير وسيلة لاكتساب ولائهم . وكانت هذه الألقاب تطلق على أبناء هذا البيت كما كانت تمنح على الأمراء والوزراء في مصر . فالخليفة المستنصر لقب الملك على بن محمد الصليحي بلقب الأوحده^(١) ، ومنحه لقب عمدة الخلافة تقديرا له على الخدمات التي قام بها في مكة وغيرها^(٢) ، كما منحه لقب تاج الدولة^(٣) ، وأول من تلقب بهذا اللقب في عهد الدولة الفاطمية الوزير بهرام الأرمني النصراني^(٤) .

وكان الخليفة المستنصر يذكر في مكاتباته^(٥) ألقاب الملك على الصليحي على النحو الآتي : « السلطان الأجل ، الملك الأوحده ، أمير الأمراء ، عمدة الخلافة ، تاج الدولة ، ذو المجددين ، سيف الإمام ، المظفر في الدين ، نظام المؤمنين ، شرف المعالي » .

ولما أمر الخليفة المستنصر بجعل الأمير محمد بن على بن محمد الصليحي ولي عهد أبيه ، منحه الألقاب الآتية : « منتجب الدولة وصفوتها ، ذو المجددين ، الأمير الأعز ، شمس المعالي » ، كما لقب الابن الأوسط بلقب الأمير المسكرم ، ولقب الأصغر بلقب الأمير الموفق^(٦) ، وأرسل سجلا آخر إلى الصليحي^(٧) ، لقب فيه ابنه الأكبر بلقب ذي المجددين ، ولقب الأوسط بلقب ذي السيفين ، ولقب الأصغر ذي الفضيلتين .

(١) عيون ١٦ / ٧ . وأول من لقب بهذا اللقب في الدولة الفاطمية هو الوزير أبو القاسم على بن أحمد الجرجاني (الصيفي : الإشارة إلى من نال الوزارة ٣٥) ، كما تلقب به أبو محمد بن على بن عبد الرحمن البازوري سنة ٤٤٢ (نفسه ٤٠) . ولقب به كذلك الحسن ابن القاضي ثقة الدولة وسنأها المعروف بابن كديته حين تولى الوزارة سنة ٤٥٥ (نفسه ٥١) ، كما لقب به الوزير أبو سعد منصور المعروف بابن زينون سنة ٤٥٨ (نفسه ٥٤) .

(٢) السجلات رقم ٤ .

(٣) عيون ١٦ / ٧ .

(٤) النويري : نهاية الأرب ١٦ ورقة ٥٠ .

(٥) عيون ١٦ / ٧ ، ٨٠ ، ١٥٢ : السجلات رقم ٤ ، ٨ .

(٦) عيون ٧ / ٧٦ : انظر الملحق رقم ٢ .

(٧) السجلات رقم ٣ .

ولما توفي الأمير الأعز في الثاني والعشرين من شهر المحرم سنة ٤٥٨ أرسل
المستنصر سجلاً^(١) إلى الملك على الصليحي في شهر جمادى الآخرة سنة ٤٥٩ ،
جاء فيه أن الإمام ولي المكرم وليا للعهد ، وزاد في ألقابه شرف الأمراء ، عز الملك ،
كما زاد في ألقاب أخيه الأصغر لقب شرف الملك .

ومما جاء من ألقاب المكرم في سجلات المستنصر نذكر : « الملك الأجل ،
الأوحد ، المنصور ، سيف الإمام ، عظيم العرب ، عمدة الخلافة ، شرف الأمراء ،
عز الملك ، منتجب الدولة وغرمها ، ذو السيفين ، تاج الدولة ، عماد الملة وغيث
الامة ، أمير الأمراء ، سلطان أمير المؤمنين ، وعميد جيوشه » وغيرها^(٢) .

ورزق المكرم ابنه محمدا فأرسل المستنصر سجلاً إلى الملكة الحرة
في ١٥ رمضان سنة ٤٦١ يهنئها بالمولود السعيد ، ويمنحه لقب الأمير نجيب
النجباء^(٣) ، كما لقبه في سجل آخر أرسله في ربيع أول سنة ٤٨٠ بلقب : سليل
الدعوة ونجلها^(٤) .

وما جاء في السجل الذي أرسله المستنصر بإقامة الطفل علي بن أحمد الصليحي
ملكاً بعد وفاة أبيه الملك المكرم سنة ٤٧٧ الألقاب الآتية : « الملك الأجل
الأوحد ، المنصور ، العادل ، المكرم ، عمدة الخلافة ، تاج الدولة ، سيف الإمام ،
المظفر في الدين ، نظام المؤمنين ، عماد الملة ، وغيث الأمة ، شرف الإيمان ، مؤيد
الإسلام ، عظيم العرب ، سلطان أمير المؤمنين ، وعميد جيوشه »^(٥) .

(١) عيون ٧ / ٨٢ — ٨٦ ؛ انظر الملحق رقم ٥ .

(٢) نفسه ٧ / ٨٠ ؛ انظر الملحق رقم ٤ ؛ السجلات ٤٢ و ٦٠ .

(٣) السجلات رقم ٦٥ .

(٤) نفسه رقم ٣٧ .

(٥) عيون ٧ / ١٢٦ — ١٣٥ ؛ السجلات رقم ١٤ .

وقد أراد المستنصر بهذه الألقاب الرئانة أن يشد عزم الملكة الحرة والمدة هذا الطفل وأن يظهره أمام شعبه بأنه ملحوظ بالعناية .

وذكرت الملكة في السجلات الواردة إليها من مصر بالألقاب الآتية^(١) :
« الحرة ، السيدة ، السيدة ، الرضية ، الطاهرة ، المخلصية ، المكينة ، ذخيرة الدين ، عصمة المسترشدين ، عمدة المؤمنين ، كهف المستجيبين ، كافلة أوليائه الميامين ، ولية أمير المؤمنين ، عمدة الإسلام ، وحيدة الزمن ، سيدة ملوك اليمن » .
من ذلك نستطيع أن نقرر أن هذا المظهر من مظاهر العلاقة بين الدولتين ، له ناحيتان :

أولاً : أن خلفاء الفاطميين كانوا عادة يمنحون هذه الألقاب كبار رجال دولتهم . وقد رأوا أن السلاطين والملوك الصليبيين لا يقولون في نظرهم عن هؤلاء ، لأنهم يضطلعون بتأدية رسالة مهمة لدولتهم . لذلك كان الخلفاء يمنحونهم هذه الألقاب الرئانة تشجيعاً لهم على الاستمرار في صدق وفائهم وإخلاصهم للفاطميين .

ثانياً : أن هذه الألقاب كانت تقابل من جهة الصليبيين بالارتياح والشكر للإمام على هذه العناية وهذا الاهتمام وكانت من جهة أخرى تظهرهم أمام رعاياهم بمظهر القوة . فكان المخلصون للدولة والدعوة يتفانون في نصرتهم ، لأنهم رسل الإمام ودعائه الذين يعملون على إعلاء كلمته . وكان الآخرون من الرعايا ، كلما وجدوا اهتمام الخليفة بهذه الدولة ، وأنه يشد أزرها بما يعمل على بقائها ، يخافون الخروج عليها ، لأنها تستند إلى قوة دولة كبيرة ، كان لها من السلطان والجاه ما لم يكن لدولة بنى العباس في ذلك الوقت .

التعزية

تعتبر المجاملات مظهراً من مظاهر حسن العلاقة بين الدولتين ، وقد تجلت هذه المجاملات في مناسبات أربع ، هي : التعزية ، والتهنئة بالأعياد ، والتهنئة بالمواليد وتبادل الهدايا .

(١) عيون ٧ / ١٤٣ ؛ عمارة / كلى ٣٥ .

، فعند وفاة الأمير الأعز في الثاني والعشرين من شهر المحرم سنة ٤٥٨ ، كما تقدم ذكره ، أرسل المستنصر إلى الصليحي سجلاً^(١) يعزيه في ابنه وولى عهده ، كما أرسل سجلاً آخر^(٢) يعزيه في ابنه هذا وابنته ميمونة^(٣) .

ولما سمع الخليفة بخبر قتل الملك على الصليحي استدعى القاضي لك ، وكان بالقاهرة في ذلك الوقت ، وعزاه وسمح له بإقامة العزاء على هذا الفقيد في حضرة الإمام^(٤) . وأرسل إلى المكرم سجلاً^(٥) تلتف فيه كثيرا ، كما أرسل له سجلاً^(٦) آخر أظهر فيه أسفه الشديد لفقد الملك على بن محمد الصليحي .

وكذلك فعل المستنصر ، عند وفاة المكرم سنة ٤٧٧ ؛ فأرسل إلى ابنه على بن المكرم سجلاً^(٧) يعزيه في والده ، ويدعو له بالبقاء .

ولما توفي الأمير محمد بن الملك المكرم أحمد ، جاء سجل الخليفة إلى الملك على بن المكرم يعزيه في أخيه ، ويدعو للفقيد بالجنة ، ويمدحه بحسن الثواب^(٨) . وبعد قليل توفي الملك على بن المكرم في نفس السنة ، فأرسل الخليفة إلى الملكة الحرة يعزيها في ابنها ، ويشد أزرها بالدعاء لها وبالتوفيق وحسن الثواب^(٩) .

التهنئة بالأعياد

وتعتبر التهنئة بالأعياد عنصراً آخر من عناصر المجاملة بين الدولتين ، وقد

-
- (١) عيون ٧ / ٧٩ ؛ انظر الملحق رقم ٤ .
 - (٢) نفسه ٧ / ٨٢ — ٨٦ ؛ انظر الملحق رقم ٥ .
 - (٣) توفيت بعد وفاة أخيها حزناً عليه (نفسه ٧ / ٧٨) .
 - (٤) نفسه ٧ / ١٠٣ .
 - (٥) السجلات رقم ٦٠ .
 - (٦) نفسه رقم ٤٠ .
 - (٧) عيون ٧ / ١٢٦ — ١٣٠ ؛ السجلات رقم ١٤ و ٤٦ .
 - (٨) السجلات رقم ٢٤ .
 - (٩) عيون ٧ / ١٤١ .

جاء في السجلات المستنصرية^(١) عدة سجلات إلى سلاطين اليمن تهنئة بالأعياد ،
ووصفا لهذه المناسبات السعيدة .

فأرسل المستنصر إلى الملك علي محمد بن الصليحي سجلا يهنئه بالعيد ويكلفه
نشر هذه التهنئة في ربوع دولته ، وذلك في عيد الفطر سنة ٤٥١ ، كما أرسل إليه
في عيد الفطر سنة ٤٤٥ ، ويحوى وصف عظمة المستنصر عند ذهابه إلى المصلى
لأداء سنة هذا العيد ، ثم عودته إلى قصره . ووجه كذلك إلى الملك أحمد المكرم
سجلا بمناسبة عيد الأضحى سنة أربع وسبعين وأربع مئة ، يقدم فيه المستنصر التهانى
بالعيد ، ويذكر أنه صلى صلاة العيد بصحبة الوزير بدر الجمالي ، ويسأل المكرم أن
ينشر التهنئة في أنحاء اليمن .

التهنئة بالمواليد

وأما النوع الثالث من أنواع المجاملة فهو التهنئة بالمواليد . ولما رزقت الملكة
الحرية بابنها محمد أرسل المستنصر إلى الملك المكرم سنة إحدى وستين
وأربع مئة سجلا^(٢) أظهر فيه سروره بسماعه عن المولود الذ ذكر الذى أنعم
الله به عليه ، ومنح المولود لقب الأمير نجيب النجباء ، وكتب بخط يده شبه
العودة ليشد بها عضده ، داعيا له أن يجعله الله مبارك الناصية ، ويتولاه بالعيشة
الراضية بمنه .

وهكذا بعث المستنصر عند ولادة ابنه أحمد القاسم في المحرم سنة سبع وستين
وأربع مئة والذى لقب باسم الستعلى بالله فيما بعد إلى الملك المكرم سجلا^(٣) ،
يزف له فيه البشرى ، ويحتصه بهذا الخبر لما للملك المكرم من المنزلة الممتازة عند
الخلافة ، ولأنه يرى إدخال السرور عليه بهذه المناسبة ، ثم يعرفه أن هذا الابن

(١) السجلات رقم ١ ، ١٣ ، ١٨ ، ١٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٦٤ .

(٢) السجلات رقم ٦١ .

(٣) عيون ٧ / ١٥٢ — ١٥٣ ؛ انظر الملحق رقم ٧ .

هو الذى سيتولى أمر الإمامة والخلافة من بعده . وقد جاء فى السجل : « وقد وهب الله غلاما زكيا شديدا أزر الإمامة ودل على بقاء كلمته فى عقبه إلى يوم القيامة ... » الخ

وقد أرسل الخليفة الأمر بأحكام الله عندما رزق بابنه الطيب أبى القاسم فى الليلة المصباحة باليوم الرابع من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وخمس مئة إلى الملكة الحرة سجلا^(١) ، ينقل فيه هذه البشرى ، لتأخذ « من المسرة بها بأوفى نصيب » ، ويكلفها أن تدبغ هذا الخبر « إذاعة يتساوى بالمعرفة بها كل بعيد منهم (أى المؤمنين) وقريب » .

الهدايا

ويعتبر تبادل الهدايا بين الدولتين مظهرا من مظاهر العلاقات الودية بينهما ، إلا أن الملك على بن محمد الصليحي والسيدة الحرة الملكة كانا يتهاقتان فى تقديم الهدايا الثمينة والمتنوعة ، ولم يأت من مصر إلا السجلات المنمقة والتشريفات والكساوى المحلاة بأسماء « الأئمة الطاهرين وآبائهم الأكرمين » ، مع ما كان الخلفاء الفاطميون يتمتعون به من ثروة لا تعد ولا تحصى .

ولما استقر أمر الملك على بن محمد الصليحي فى اليمن بعد وفاة نجاح ، وجه إلى صاحب مصر المستنصر بالله فى سنة أربع وخمسين وأربع مئة « هدية جليلة منها سبعون سيفا قوائمها من عقيق » الخ^(٢) . وعنها يقول إدريس^(٣) : « هدية ... عظيمة القدر ، لم يسمع بمثلا ، كما ذكر أهل السير ، فيها فنون كثيرة من الذهب والفضة والسلاح والوشى والمسك والعنبر والكافور والعود الهندى الرطب والأستاذين والجوازي وكثير من الأمتعة ، يبعد حصرها ، ويعظم أمرها » . فلما انتهت الهدية إلى أسوان أخذ سلطان العرب أخوان حمدان ناصر الدولة فى شحن

(١) عمارة / كلى ١٠٠ — ١٠٢ : عيون ١٩٢/٧ — ١٩٣ : انظر الملحق رقم ٨ .

(٢) كشف ٤٣ : كفاية ٤٨ .

(٣) عيون ٧ / ٦٦ — ٧٢

الهدية في المراكب ثلاثين يوما ، يظل راكبا فيها من الصباح إلى المساء »
ونقلت الهدية إلى القاهرة ثم إلى قصر المستنصر بالله بعد كثير من التنافر
والتكالب والفن التي حدثت بين الأتراك والعبيد والكتامين . وكان الصليحي
بعث بالهدية ، كما رواه الخزرجي ^(١) ، « رجلين من قومه أحمد بن محمد ، والد
السيدة الصليحية ... وهو الذي أنهدم عليه الدار بعدن ، والثاني أحمد بن المظفر ،
والد السلطان سبأ بن أحمد » . فأُنزل الخليفة السفيرين منازل الإكرام ، وأُخرجت
إليهما الكُسا والتشريفات ، وأمر للصليحي برايات ، وكتب له الألقاب ، وعقد
له الولاية على جميع اليمن ^(٢) .

وفي سنة تسع وخمسين وأربع مئة لما عزم الملك على بن محمد الصليحي على
الحج وزيارة الخليفة في القاهرة استعد لذلك الأمر وعول على أن يقدم للإمام
هدية تليق بالمقام . وفي ذلك يقول إدريس ^(٣) : « فجعل يضم إليه الأموال ، ويقدم
في ذلك الأحمال ، من خالص الورق والنصار ، والطرف الحسنة التي ترهى في أعين
النظار ، ويرتفع خطرهما على الأخطار » .

وكان الخليفة الفاطمي قد يرسل الكساوى إلى سلاطين اليمن وأمرأها .
وقد أرسل المستنصر إلى الأمير أحمد المكرم ولي عهد الدولة الصليحية بعد موت أخيه
الأمير الأعز في عهد الملك الصليحي تشريفا ، وكجااء في السجل الخاص بذلك المؤرخ
ربيع الأول سنة ٤٥٨ إلى الملك على بن محمد الصليحي : « ... وقد أمر أمير
المؤمنين بالرجوع إلى ولدك الأوسط كان ، وهو اليوم الأكبر حفظه الله ...
وأنشأ من التقليد ما يكون لفؤادك مثبتا ... وعزز بإنفاذ تشريف من ملابسه
يظهر عليه بين الأولياء رونق جماله .. » الخ ^(٤) .

(١) كفاية ٤٨ .

(٢) عيون ٧ / ٦٨ (ولم يذكر صاحب العيون أسماء الرسل) ؛ كفاية ٤٨ ؛ الكسبي :
اللطائف السنية ١١ .

(٣) عيون ٧ / ٦٨ .

(٤) نفسه ٨٠ / ٨ ؛ انظر الملحق رقم ٣ .

وهذه السكساوى كانت تحمل عادة عبارات كهذه : « بسم الله الرحمن الرحيم نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبى تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الأئمة الطاهرين » الخ^(١).

وبلاحظ أن ما يتم بالإيحاء والتأليح أبعد أثرا مما يتم بالطرق الصريحة المباشرة . ولا ريب أن الخلافة الفاطمية ما كانت لتنفق نحو ست مئة ألف دينار سنويا^(٢) فى هذه الفاحية إلا إذا كانت ترجو من وراء ذلك كسبا أدبيا وماديا كبيرا من حيث استمالة الناس واجتذاب قلوبهم بمظاهر الإنعام والعطف ، إذ أن المادة والمظاهر والمناصب ذات أثر كبير فى حياة أغلب الناس ، تفعل فى نفوسهم أكثر مما تفعل المثل العليا أو تواضع طلبة العلم وتقشف المثاليين . ثم إن هذا الإنعام يجعلنا نميل إلى اعتبار ذلك العمل ضربا من الإنعام بالأوسمة والأوشحة التى يمنحها رؤساء الدول فى العصر الحديث .

وقبل خروج الصليحي للحج ، يقول صاحب الأنباء^(٣) : « ... برز جهازه ، وما أعد من الأموال والذخائر إلى المسجد الجامع بصنعاء ، وجعله كالخزانة . ولقد كان ملء جانب المسجد الذى كان عليه السقف ، غريبه ، صناديق مملوءة من الذهب والفضة » .

وتعتبر وصية الملكة أروى ، التى تركت بمقتضاها كل ما تملكه من جواهر وحلى ، بل كل ما تملكه من ثروة منقولة ، إلى الإمام الطيب ، لتكون « لها قربانا وشفيعا يوم الفزع الأكبر » ، تعتبر هذه نوعا من الهدايا ودليلا واضحا على مقدار إخلاصها وولائها لإمامها المستور .

وكانت هذه الهدايا تقابل من خلفاء الفاطميين بالرضا التام ومنح الألقاب على أبناء الدولة الصليحية .

(١) Repertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe ج ٧ / رقم القطعة ٢٥٠٦ / سنة ٤٤٦ . وراجع أيضاً المرجع نفسه ج ٧ / القطع : ٢٦٠٨ / سنة ٤٥٠ و ٢٦١١ / سنة ٤٥٠ و ٢٦٨٤ / سنة ٤٦٥ و ٢٧٥٣ / سنة ٤٧٨ .

(٢) القرزى : خطط ١ / ١٢٦ .

(٣) أنباء / دار ٤٠ .

أثر العلاقات داخل اليمن

وقد يلاحظ أن السبب الرئيسى فى سرعة انتشار نفوذ الصليحيين فى اليمن ، فضلا عن سيرتهم الفاضلة واتحاد معظم قبائل همدان وحير تحت لوأهم ، يرجع إلى الفوائد التى كسبها دولتهم بفضل اتصالهم بالخلافة الفاطمية ومنظمة الدعوة بمصر ، لأن الدعاة أنفسهم كانوا يعترفون بأن المستجيبين لم يدخلوا حظيرة الدعوة إلا رغبة فى تكوين دولة أهل بيت النبى . فرى أن ولاءه للأئمة الفاطميين واتصاله بالخلافة الفاطمية بمصر ساعد الملك على بن محمد الصليحي عند ما قام بتأسيس دولته . فقد ساعدته الدعوة فى امتداد نفوذه وتقوية مركزه حتى تمكن بهذه الطريقة وبقوة عزيمته وبمعظم همته أن يكون سيد اليمن الكبرى . وكان هذا الاتصال بالخلافة المصرية فى نفس الوقت نقطة ضعف لكيان الدولة وبقائها . وهذا سنذكره فى فصل عن سقوط الدولة الصليحية .

نفوذ اليمن خارج حدودها

(الحجاز) أما عن امتداد نفوذ الصليحيين فى خارج بلاد اليمن ، فقد ذكرنا فيما سبق^(١) ما حدث بعد دخول الملك على بن محمد الصليحي مكة سنة أربع وخمسين وأربع مئة من إقامة الخطبة للخليفة الفاطمى المستنصر ، ورد بنى شيبه عن قبيل أعمالهم ، وتأديب الشريف ، وإصلاح ما أفسده بنو الطيب الحسنيون فى الحجاز ، وترخيص الأسعار ، ونشر الأمن والطمانينة فى البلاد المقدسة ، ثم ترك البلاد للأشراف بعد ذلك ، وعودته إلى اليمن ظافرا غائما رضا المسلمين .

(عمان والبحرين والأحساء) فقد كان انتصاره فى الحجاز وسياسته الرشيدة وحاسته للدعوة جملة ومن تولى رئاسة الدولة بعده موضع الثقة عند الخلفاء الفاطميين الذين كفهم الإشراف على شئون الدعوة فى البحرين والأحساء والهند والسند .

(١) انظر الباب الرابع ص ٨٨ — ٩٣ .

ففي عهد الملك أحمد المكرم ، لما علمت الدوائر الحكومية بضعف حكام عمان ، نتيجة لثورات التي قامت فيها على حكوماتها الموالية للخلفاء العباسيين ، وأن هذه البلاد كانت منذ أيام أبي طاهر الجنابي واقعة تحت تأثير القرامطة ، وأن حكم القرامطة لم ينته فيها إلا تحت تأثير ضغط العباسيين ، عولت على مد نفوذ الخلافة الفاطمية عليها . فمنح الملك المكرم رياسة بلاد عمان الدينية والسياسية معا ، على الرغم من أنها كانت خارجة عن نطاق حكمه ، كما عهد إليه بالإشراف على الدعوة في الأحساء والبحرين . ويتبين ذلك من السجل المستنصرى الموجه إلى الملك المكرم المؤرخ في شهر ربيع الآخر من سنة تسع وستين وأربع مئة^(١) ، فيجعل فيه المستنصر « ولاية تلك الأعمال (الأحساء وعمان) جميعها ، دانيها وقاصيها . مطيعها وعاصيها » مردودة إلى المكرم ؛ ويأمره أن يكون الأمير عبد الله بن علي العلوي الملقب بمستخلص الدولة العلوية أمير الأحساء نائباعنه فيها وأن يعمده من جهته . وذلك لأن له مواقف حميدة في إقامة الدعوة العلوية وتصرّتها على أعدائها من الخوارج وانتزاع جل تلك الأعمال منهم .

ولما انصرف الداعي إسماعيل بن إبراهيم عن الدعوة في عمان في عهد الملكة الحرة باحترافه التجارة ، أخبرت الحرة المقام الإمامي بذلك ، واقترحت تعيين حمزة سبط حميد الدين المتوفى ، بأمر الدعوة في هذه البلاد ، فجاء سجل الإمام^(٢) إلى الملكة بتقرير وجهة نظرها ، وشكرها على حسن رعايتها لما تحت يدها من أقطار . (السند وشمال الهند) أما الدعوة في الهند ، فنظرا لأن هذه البلاد ستصبح بعد اليمن وارثة لهذا التراث الديني الأدبي ، وجب علينا الرجوع إلى الوراء قليلا ، لكي نعرف متى وصلت الدعوة إلى تلك البلاد .

سبق أن عرفنا أنه في نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) أي قبيل

(١) السجلات رقم ٥٤ .

(٢) عيون ٧ / ١٢٣ — ١٢٥ : السجلات رقم ٥٠ .

قيام الطولة الفاطمية في شمال إفريقيا بقليل ، كان الأئمة الفاطميون يرسلون دعايتهم إلى كثير من البلاد ، ومن بينها الهند . فقد رأينا أبا القاسم منصور اليمن يرسل ابن أخيه الهيثم داعيا إلى بلاد السند ، حيث استجاب له كثير من أهلها^(١) .

يقول عباس الهمداني ما معناه^(٢) : بدأت الدعوة في السند ، وأخذت من هذا الوقت تنمو تدريجيا حتى انضم إليها أهل ملتان وكجرات (البنجاب) ، وفي عهد الخليفة المعز كثرت دخول المستجيبين في الدعوة ، كما يتضح ذلك من قول القاضي أبي حنيفة النعمان^(٣) حيث قال : « ودعوة اليمن فاشية في السند » . وكرر هذا القول ابن حوقل^(٤) ، وزاد عليه دى خويه^(٥) قائلا : « إن النفوذ الفاطمي وصل إلى بلوخستان (بلاد مكران) . وقال إدريس^(٦) : « إن الخليفة المعز أرسل إلى الهند داعيا تمكن من تحويل عدد كبير من الجوسية ، ولكنه سمح لهم بإبقاء بعض معتقداتهم الغير الإسلامية » ، ثم تولى داعيا آخر وهو حلم بن شيبان^(٧) ، ولقد أرسل إليه الخليفة المعز رسالة في رمضان سنة أربع وخمسين وأربع مئة^(٨) ، وقد تمكن هذا الداعي من قتل حاكم السند وهدم معبد هناك وبناء مسجد في مكانه^(٩) . وقد ذكر هذا الحادث البيروني في كتابه الهند^(١٠) حيث قال : إن حلم بن شيبان هجم على ملتان ، ثم على حدود السند ، وخرَّب بلاده ، وحطَّم معبدا هناك ، وبني مسجدا مكانه .

ولما غزا محمود الغزنوي الهند لأول مرة سنة ٣٩٢ اتجه نحو ولاية ملتان

(١) راجع الباب الثاني ص ٣٨ ؛ افتتاح ١٨ ؛ عيون ٦ / ٣٨ .

(٢) وقد استعطينا محتويات هذا الفصل من رسالة الدكتور عباس الهمداني (جامعة لندن سنة ١٩٥٠) ببعض التصرف وتركنا التفاصيل والمراجع الواردة فيها .

(٣) افتتاح ١٨ . (٤) المسالك ٢ / ٤١٠ .

(٥) De Goeje : Memoires, 176

(٦) عيون ٦ / ١١٧ .

(٧) نفسه ٦ / ١٠٠ .

(٨) نفسه ٦ / ١١٤ — ١١٧ .

(٩) نفسه ٦ / ١١٧ .

(١٠) البيروني : الهند ٥٦ .

حيث كان يحكمها أبو الفتح داؤود بن ناصر الذى قام بالدعوة الفاطمية فى أوائل القرن الرابع الهجرى . ولما اقترب محمود الغزنوى هرب الأمير داؤود بجواهره إلى سيلان ، وقضى الغزنوى على الدولة الفاطمية هناك . وقد انتقم الغزنوى من أولى الدعوة شرّاً انتقام ، فقتل منهم آلافاً^(١) . وما لبث أبو الفتح داؤود أن رجع إلى بلاده ، فمزّ به جانب الدعوة ، وانتمشت الفاطمية فى ملتان بعد وفاة الغزنوى . ولما تولى السلطان معز الدين الغزنوى عاد إلى اضطهاد الفاطمة مرة ثانية . مالبت أن حدث فى سنة ٦٣٤ فى عهد السلطنة رضىّة أن تجمع الفاطميون من جهات الهند مثل كجرات والسند وغيرها فى عدد كبير جداً ، ولكنهم فشلوا فى محاولتهم لإعادة دولتهم .

(غربى الهند) هذا فيما يتعلق بانتشار الدعوة فى الجهات الشمالية من شبه قارة الهند . وأما عن انتشارها فى كجرات والدكن على الساحل الغربى ، فإن ذلك يرجع من غير شك إلى نشاط الدعوة اليمنية فى عهد الصليحيين .

يرى عباس الهمدانى أن داعى الدعاة المؤيد فى الدين الشيرازى (المتوفى فى شوال سنة ٤٧٥) باب الإمام المستنصر هو الذى أمدّ القاضى ملك بن مالك الحمادى الهمدانى مدة إقامته بمصر (٤٥٥ — ٤٦٠) بالتعليمات التى تتعلق بضرورة نشر الدعوة فى الهند تحت إشراف الدعوة اليمنية ، وأنه من أثر هذه التعليمات أن أرسل ملك داعيه عبد الله إلى الهند فى سنة ستين وأربع مئة . وقد ذكر خوج بن ملك فى مجموع الرسائل^(٢) ما معناه : إن وصوله (يعنى

(١) البغدادى: القرن ٢٧٧

(٢) والشيخ خوج من كبار حدود الدعوة بالهند توفى فى سنة ١٠٠٣ . وقد ألف بما ألف رسائل ست وهى سرور الأولياء ، وبذر المحبة والشفاء ، وحديقة النعم المشهية ، وبذر البداية ، وحديقة الجنان ، ورسالة فى خصائل داؤود بن قطب شاه . فجمعها وخلصها وربّها سيدى عبد العلى بن عبد القادر فى كتاب سماه مجموع الرسائل الست لسيدى خوج بن ملك ، وترجم الكتاب الأخير باللغة السكجراتية بعنوان كوكب الفلك .

عبد الله (كان بأمر من درّس عليه وأخذ عنه واقتبس منه ، وهو بعض علماء اليمن المسمى ملك بن مالك الحمّادى . وروى خوج بن ملك أن مولاي عبد الله العربى (أغلب الظن كان يمنية) وزميليه الهنديين بالم نات^(١) (مولاي أحمد) وروب نات (مولاي نور الدين) كانوا بمصر أيام إقامة القاضى ملك فى القاهرة ، وأسلم الأخيران بيد داعى الدعاة المؤيد . ثم وجّه المؤيد هؤلاء الدعاة إلى اليمن تحت قيادة ملك ، وسيرهم ملك بعد وصولهم إلى اليمن لنشر الدعوة فى الهند فى السنة المذكورة .

ويروى^(٢) أن الدعاة الثلاثة وصلوا إلى الساحل الغربى من كجرات الهند بميناء كبايت . وتسرب عبد الله العربى فى المزارع والبساتين والقرى فى تسرّ شديد ، وتعلّم اللغة المحليّة السمة بالكجراتى ، حتى تمكّن أن يقنع مضيفه الفلاح كاكا أكيلا (العم وحيد) وامرأته كاكى أكيلى (العمة وحيدة) ، ثم كاهن المعبد ذا النفوذ الكبير ، ثم الوزير تارمل ، ثم عاهل ولاية فتن الملك سدھراج جيسنغ بن بهارمل ، بيطان عبادة الأوثان . وقبل هؤلاء دعوته إلى الإسلام . فانتشرت الدعوة فى كثير من بلدان كجرات .

وتوجّه مولاي أحمد (بالم نات) ومولاي نور الدين (روب نات) إلى دهن كام ، وهى بلدتهم فى الدكن بمقتضى التعليمات التى أصدرها لهما رئيس الدعوة اليمنية وقاضى قضاة اليمن لملك الحمّادى . « فانتشر الإيمان من هذه القرية حتى عمّ

(١) وفى رواية : لام نات . ويظهر أنه اسم مولاي أحمد الهندوكى .

(٢) ولم نعتز على هذه الرواية فى كتب إدريس التاريخية ولا فى المصادر اليمنية إلا أن المصادر الهندية أوردتها نقلا عن رسائل خوج بن ملك بتفاصيل كثيرة يخالف بعضها بعضا وأدخلت فيها عناصر الأسطورة . وإننا لانشك فى صحة هذه الرواية عامة ، ومن الممكن أن إدريس لم يكن يعرف تفاصيل هذه القصة ، فاعتمد على ما وجد فى الوثائق الموجودة فى اليمن وأهمها السجلات من معلومات ومن تعيين مرزبان بن إسحاق للدعوة بالهند حوالى سنة ٤٧٦ . ويرى عباس الهمدان أن كتاب عيون الأخبار لم ترد فيه تفاصيل كثيرة . ويرى أيضا أن « عدة من الدعاة بعثهم الصليحيون ورؤساء الدعوة اليمنية إلى الهند حتما ، ولكن ليست عندنا مصادر وردت فيها أسماءهم ، إلى أن نقل فى سنة ٩٤٤ مركز الدعوة من اليمن إلى الهند » .

الحى ، كما حكاه خوج بن ملك ، فقد دخلت الدعوة فى الدكن (الهند) سنة ستين وأربع مئة^(١) .

وكانت الدعوة الهندية متصلة اتصالا مستمرا بمرکزها فى اليمن ، ورؤساء الدعوة باليمن كانوا متصلين ، كما يظهر من رسالة الملك المكرم أحمد الصليحي الموجه إلى إمامه المستنصر ، يطلب من الإمام السماح والإذن لدعاة الهند بإظهار الدعوة جهرا . قال فيها^(٢) :

« . . . فالملوك ينهى أن رسل داعى الهند عنده مقيمون . كانوا فى هذه الفتنة قد عادوا من بلادهم بالأجوبة عن التشریف الصادر إليهم من الحضرة قدسها الله ، عن يد الأجل الأوحد . فأخذت [يا] لأجوبة والزكوات من أيديهم . وكان مضمون الأجوبة لسؤال فى الإذن بالقيام وإظهار الدعوة بالقهر . وأما باللسان فقد سبق لهم الإذن [من] الملوك لرغبته فى انتشار أمر مولاه وعلو دعوته يسأل [فى] تشریفهم بكتاب يتضمن ما طالع به والإذن لهم فى القيام [يا] إظهار الدعوة جهرا . والله سبحانه يؤيدهم بتأييد وليهم [و] ينصرهم على عدوهم . والسلام على مولانا وسيدنا [مع] دأبى تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين عليه وعلى [آبا] نه الطيبين الطاهرين وأبنائه الأكرمين المنتجبين [أف] ضل الصلوة والتسليم . صدر غرة ذى الحجة سنة ستين [وأر] بمائة . . . » .

وقد أجاب المستنصر عن إحدى رسائل الملك المكرم الصليحي فى سجله المؤرخ فى ربيع الأول سنة ثمان وستين وأربع مئة بقوله^(٣) :

« . . . وأما ما أوردته من شأن الداعى القيم بالهند ومضيئه لسبيله ، فالله تعالى يرحمه ويتجاوز عنه ، وقولك فى دعاء الحاجة إلى من يسد مسده ، ويحفظ نظام المؤمنين بتلك الديار جاهدا جهده ، فأت أقرب الناس من ذلك الخط ،

(١) عباس الهمداني : بحث ١٧٤ .

(٢) رسائل القمى ٧١ .

(٣) عيون ٧ / ١٢٣ ؛ السجلات رقم ٤١ .

وأولاهم بالقبض فيه والبسط ، فافسح في ذلك وفي سواء غاية الأمل واللحظ ،
ولك من سكون أمير المؤمنين إليك أوفر الخط . فدبر من يسد مسدّه ، وكتب
بذكر من يقع الاعتماد عليه لنعضده بالمكاتبة ونشدّه . . . » .

ولما وقع اختيار السكرم على تعيين مرزبان بن إسحاق بن مرزبان للدعوة
بالهند ، سنّت القوانين بالقاهرة ، وأرسلت إلى اليمن ، على يد الأمير معز الدولة
طوق بن ناسك في سنة ست وسبعين وأربع مئة^(١) .

وتوفى مرزبان بن إسحاق . فأرسلت الملكة الحرة تخبر الإمام بذلك ، فأجابها
المستنصر في سنة إحدى وثمانين وأربع مئة بالموافقة على تعيين أحمد الابن الأكبر
للداعي المتوفى بدلا من أبيه للقيام بالدعوة في بلاد الهند^(٢) .

ثم أخذت الدعوة في الهند تنتشر وتكسب أرضا وأعوانا ، وظلت تابعة
للدعوة اليمنية ، حتى انتقلت في سنة أربع وأربعين وتسع مئة إلى الهند .

فالدولة الصليحية في اليمن وما انضاف إليها من بلاد أخرى صارت أداة
فعالة لنشر نفوذ الخلافة الفاطمية ؛ أو بعبارة أخرى : إن هذه العلاقة التي قامت
بين الدولتين كانت ذات فائدة مزدوجة لهما . فبينما كانت من جهة سببا في مدّ
نفوذ الفاطميين إلى كل هذه الجهات ، كانت من جهة سببا في توسع رقعة نشاط
الدولة الصليحية في داخل اليمن وخارجها ، وفي نفس الوقت كانت سببا من
أسباب ضعف دولتهم ، كما سنذكره في باب سقوط الدولة الصليحية .

العلاقات الاقتصادية

بدأت علاقة مصر التجارية ببلاد اليمن منذ أيام الفراعنة لحاجة هؤلاء إلى
حاصلاتها وخاصة البخور اللازم للمعابد ولتحنيط الموتى . وكان لهذه السلع سوق
ناقة في ثغر ظفار على الساحل الجنوبي من جزيرة العرب . وزاد اتصال المصريين
ببلاد بُنت^(٣) ، وبالتالي ببلاد اليمن ، في عهد تسلط دولة معين عليها أيام الأسرة

(١) السجلات رقم ٦٣ .

(٢) نفس المرجع رقم ٥٠ ؛ عيون ٧ / ١٢٣ — ١٢٥ .

(٣) بنت ، هي بلاد الصومال والجهات القابلة لها من بلاد الحبشة .

الثامنة عشرة الفرعونية . ولما انتقلت السيادة في بلاد اليمن إلى دولة سبأ ، أصبحت اليمن جسرا بين الشرق والغرب ، وكان لها مع بطليموس الثاني (٢٨٣ — ٢٤٥ ق . م .) علاقات تجارية خطيرة .

ولما سقطت مصر في يد الرومان سنة ٣٠ ق . م . حاول هؤلاء القضاء على تجارة حمير ، فأعاد الإمبراطور تراجان حفر قناة سيزوستريس ^(١) التي كانت قد طمت بالطمى في أواخر عهد البطالسة ، كما تحالف مع الأحباش ، وأصلح ثغور البحر الأحمر ، وحاولت حمير المقاومة ولكن بدون جدوى ، فتدهورت العلاقات التجارية واضمحلت ، كما حدث لسبأ ومعين من قبل .

هذا ما كان من أمر علاقة مصر التجارية باليمن في العصور القديمة . أما في العصور الوسطى فإن العلاقات بين الدولتين العباسية والفاطمية كانت دائما علاقات عداائية ، لأن الفاطميين لم يستطيعوا تأسيس سلطنتهم السياسية والدينية إلا على حساب العباسيين . وقد نجح الفاطميون بالدعاية تارة ، وبقوة السيف ، وبذلل المال ، واستغلال مطامع الأفراد تارة أخرى ، في بسط نفوذهم على شمال إفريقيا وصقلية ومصر والشام وآسيا الصغرى وعلى سواحل البحر الأحمر ، كما اعترف بسلطانهم حكام اليمن وأمرء الموصل وبلاد ما وراء النهر ومكة والمدينة ، بل وبغداد حاضرة العباسيين .

ولقد أخذ النزاع بين الدولتين مظاهر مختلفة ، تخص منها المنافسة التجارية ، لأن الدولة العباسية كان يهمها دائما أن تعمل على عرقلة سياسة الدولة الفاطمية في جميع نواحيها . ولكن نظرا لأن النزاع بين الدولتين لم يحدث في الفترة التي سبق حكم الخليفة المستنصر الفاطمي فقد اعتمد كل من الدولتين في تجارتها الخارجية على ناحية معينة من غير التعرض لتجارة الدولة الأخرى . فكان اعتماد

(١) وسميت هذه القناة باسم قناة أمير المؤمنين عند فتح العرب بقيادة عمرو بن العاص ، وهي تصل النيل بالبحر الأحمر .

الفاطميين على التجارة مع دول البحر المتوسط ، لأن الدول الغربية فضلت الطريق من الشرق إلى الغرب عبر مصر على الطريق المنافس له عبر بلاد الجزيرة والشام ، لأنه يستغرق وقتا أقل . ولذلك كانت تكاليف النقل أقل بكثير ، مما أدى إلى رخص أسعار السلع بالنسبة إلى السلع التي كانت تنقل عن طريق بلاد الشام . ومهما يكن من شيء ، فإن تجارة الفاطميين قبل القرن الخامس الهجرى كانت رائجة مع المدن الإيطالية وفرنسا وأسبانيا وصقلية بل مع الدولة البيزنطية في حالة استقرار السلام بينهما . وقد أدى الاتصال التجارى بدول البحر الأوسط إلى إهمال طريق الجنوب ، بل إلى إهمال بلاد اليمن والهند .

ويمكننا أن نعلل عدم اهتمام الفاطميين باليمن والهند بعد قيام دولتهم تعليلا اقتصاديا . ذلك لأنهم لم يهتموا بالتجارة في هذه البلاد اهتماما كافيا ، وقد دفعهم إلى ذلك أن الدولة العباسية لم تكن قد بدأت تنافس الفاطميين بصورة جدية في هذه الناحية ، لأن تولى البويهيين السلطة في بغداد أوجد بينهم وبين الفاطميين تفاهما يقوم على أساس اتفاقهم في المذهب الدينى . ومع ذلك فإن التجارة بين مصر والهند والصين كانت قائمة في أيام ابن خرداذبه ، وذلك عن طريق البحر الأحمر ، إلا أنه لم تكن هناك عناية كافية بهذه التجارة . وكان هذا الطريق على ما ذكره ابن خرداذبه معروفا من قديم الزمن إلا أنه لم يكن حيويا ولم يكن مركزا مفرعا عن الأهمية كما هو الآن .

ولما استولى السلاجقة على بغداد تغيرت الأوضاع في الشرق إزاء الفاطميين ، فقتل السلاجقة عددا من الموالين للفاطميين في بلادهم ، كما قتل محمود الغزنوى عددا كبيرا منهم في السند ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تحالف المسلمون مع الدولة البيزنطية ضد الفاطميين ، ومنع البيزنطيون القمح عن مصر .

وإذ قيل لنا إن الخليفة المستنصر الفاطمى « قد نظر إلى بلاد اليمن في عهد الصليبيين نظرا كليا ، وأظهر فيها البرهان جليا » لاعتبارات سياسية ودينية وأدبية ، فإننا نرى أن الناحية التجارية لم تكن في مقدمة هذه الاعتبارات ، مع كونها ناحية حيوية تتصل بصميم الحياة .

وأما المصادر والوثائق التي عثرنا عليها فلا تذكر شيئا عن النشاط التجاري أو التعامل المالى أو التعاون الاقتصادى بين مصر واليمن فى عهد الصليحيين . بل كل ما نجد فى السجلات ومصادر أخرى يمنية ومصرية هو اهتمام الفاطميين بنشر دعوتهم فى اليمن والمناطق التابعة لها . وكانت مصر قد اجتازت أزمة اقتصادية شديدة فى عهد المستنصر ، فترعزت أركان الدولة ؛ ولكن المياه رجعت إلى مجاريها بعد أن تولى بدر الجالى منصب الوزارة ، وانبعثت اقتصاديات مصر مرة أخرى ، واستقرت الأمور ، وتوثقت الروابط السياسية والدينية بين مصر واليمن كما تظهر من هذه الوثائق ، إلا أننا نتفقد فيها بدون جدوى ذكر مسائل اقتصادية ومساعدات مالية بين الدولتين المواليتين . وقد رأينا فيما سبق أن الملك على بن محمد الصليحي كان يبعث إلى إمامه بمصر « هدايا جلية القدر لم يسمع بمثلا » ، ورأينا أن الملكة الحرة الصليحية تركت بمقتضى وصيتها كل ما تملكه من المجوهرات والمصوغات بل كل ما تملكه من ثروة ، منقولة إلى إمامها المستور أبى القاسم الطيب . وقد رأينا أيضا أن مصر لم تمنح على الصليحيين إلا ألقابا رتابة وجلايب فضفاضة من النوع الديقى ، ولم تبعث إليهم إلا تشریفات ونهائى وتعازى وغيرها من المجاملات ، بل لم تساعد الدولة الصليحية فى أشد أزماتها وأنكد أزماتها بالمال ولا بالحيش ؛ وترك أعباء الحروب فى داخل اليمن وخارجها على عاتق حلفائها المخلصين . ولما طلبت الملكة فى أواخر عهدها حينما تدهورت الحالة باليمن من إمامها مساعدات بعثت مصر إليها فى سنة ٥١٣ الأمير الموفق على بن إبراهيم بن نجيب الدولة مستشارا يصحبه عشرون فارسا إلى اليمن ليقوم بهذه المساعدة . وأمد الوزير مأمون البطائحي ابن نجيب الدولة مندوب مصر باليمن « ببعض المال وأربع مئة قوس أرمنى وسبع مئة أسود » . فهذا كل ما عرفناه من عون عسكري لليمن . وأغلب الظن أن هؤلاء الأرمن والسود كانوا مرتزقة أو عبيدا أراد الوزير أن يتخلص منهم . وإذا وجدنا أن الملك المكرم أحمد الصليحي سلك الدينار الملىكى أو أن الأمير الخطاب بن الحسن الحجورى ضرب سكة باسم الخليفة المنصور أبى على الأمر بأحكام الله فهذا يدل على أمرين : أولا مدى ولاء الصليحيين للفاطميين ، وثانيا

فوائد محققة لرواج التجارة المحلية والنهوض بالحالة الاقتصادية بدون علاقة بالمعاملات المالية بين البلدين .

ولقد أفادت اليمن في هذا العصر لو تحولت طريق التجارة إلى جنوب جزيرة العرب . ولكن الخلافة الفاطمية لم تبذل باليمن عناية تامة ، لتكون علاوة على الاعتبارات السابقة قاعدة تجارية تقع على الطريق بين مصر والشرق ، مع أنها اهتمت بأمر الهند لغرض ديني بحث ونشر نفوذ الدعوة الفاطمية في أقصى البلاد ، لا لإنعاش التجارة بطريق اليمن .

فيمكننا أن نقول إن إهمال الدولتين في إيجاد التعاون الاقتصادي والتعامل التجاري الذي يربط البلاد اقتصاديا ويقوّيها ويفدّيها كان سببا من أسباب ضعف الدولة الصليحية .

الباب الثامن

أسباب ومظاهر سقوط الدولة الصليحية

أسباب سقوط الدولة الصليحية

لقد أصبح للدولة الصليحية بفضل مؤسسها على بن محمد الصليحي مركز ممتاز في العالم الإسلامي . فقد تمكن الصليحي من جمع اليمن كله تحت لواء دولته ، كما مد نفوذها إلى البلاد المقدسة في الحجاز شمالا وحضرموت جنوبا . وفي عهد خلفه أحمد الكرم صارت عمان والأحساء والبحرين والهند والسند تحت النفوذ الروحي للدولة الصليحية ؛ فبلغ هذا النفوذ أبعد غاياته في عهد الملك المكرم . وهذه الدولة التي حاولت أن تسعد رعيها ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ، ما لبثت أن أخذت في الضعف ، شأنها في ذلك شأن كل كائن حي .

وإذا أردنا أن نعرف أسباب هذا الضعف ، وجب أن نرجع ذلك إلى أصول بعيدة ، لا يمكن أن نتغاضى عنها .

نظام التقاطع

ولقد استفادت هذه الدولة من غير شك من الحالة التي سبقتها . وكانت اليمن ، كما ذكرناه فيما سبق ، تسود فيها الفوضى والانحلال قبل ظهور الملك على بن الصليحي ، ويحكم عليها الأمراء والسلاطين وبخاصة أقوام بنو النجاش العبيد في تهامة اليمن ، فباستيلاءهم على حكم تهامة وما جاورها وجدروح التمرد والتدمير بين القبائل العربية التي عبرت عن عدم ارتياحها لهذه الحالة بالانضواء تحت راية ملك عربي ينتمي إلى صميم قحطان ، وقبول بعض القبائل الدخول في الدعوة الفاطمية مع كونها تخالف إلى حد ما عقيدتهم ، بعد أن رأوا من علو همة الصليحي وانتصاراته

وحسن سياسته وحرصه على مصالح رعيته . ولعل انتشار نفوذ الصليحي في البلاد يرجع إلى رغبة تلك القبائل في التخلص من حكم العبيد ، بل من الحكم مطلقا . ولكن هل ارتاحت العرب واطمأنت بعد هذا ؟ وقد صير الصليحي شتات أمرهم وحدة يمنية جامعة ، وقضى على الدويلات وأطاع سلاطينها ، وأدخل نظاما من نوع آخر بدل الفوضى والانفرادية واستقلال النظام القبلي . بقدر ما ترتب على هذه الوحدة (وحدة اليمن) من منافع محققة للشعب ، وما بذله الصليحيون من جهد لإسعاد شعبهم طوال مدة حكمهم ، وما فعلته هذه السياسة من تثبيت مركز دولتهم ، فإن عوامل الانحلال والتدمير أخذت في الظهور مرة أخرى ، بعد أن وجدت هذه القبائل وزعمائها أنها فقدت ما كانت تتمتع به في ظل النظام القبلي المستقل ، الذي كان منتشرا في الجهات المختلفة وحل محله نظام الإقطاع في عهد الدولة الصليحية ، لتستعاض به عن الحكومة المركزية ابتغاء الحصول على قسط من الأمن . أضف إلى ذلك ما ذكرنا فيما سبق من إهمال الدولة الصليحية والخلافة الفاطمية في تحقيق التعاون الاقتصادي والتبادل التجاري بينهما ، بل استنزفت الدولة قسما كبيرا من مالية الدولة في الحروب الداخلية والخارجية بسبب العداء القائم بين هذه الدولة وأصحاب المذاهب الأخرى .

ومما لا شك فيه أن الزراعة والفلاحة هما قوام هذا المجتمع ، وأن جمهور ذلك المجتمع يتكون من الفلاحين . وبذلك تكونت طبقة من المستأجرين ضخمة العدد ، ولم تكن هذه الطبقة إلا من القبائل الفقيرة التي لم ترض بحكم الصليحيين . ولما كانت ثروة الدولة تعتمد الاعتماد السكلي على المتحصل من هؤلاء المستأجرين ، فإن عدالة سلطان الصليحيين كانت تقتضيه أن يسهر على مصلحتها ويضرب على أيدي الولاة المخالفين لتعاليمه ، ليحول بذلك دون انتشار روح التدمير بينهم . وقد رأينا أن الملك عليا الصليحي وعد عماله بالتنكيل إذا رفع إليه شيء مما نهام عنه ، كما أمر جميع الرعية أن يرفعوا إليه ما يكون من العمال من فعل القبيح والحسن ، حتى ينزل بهم من إنعامه وعقوبته بحسب أفعالهم ^(١) .

(١) عبون ١١/٢ : ٤١١ انظر ص ٨١ من الباب الرابع .

وقد دعاه إلى ذلك خوفه من أن ظلم الولاة قد يثير حنق الرعية، وتعلم ذلك ممن سبقه حكم التين ، فعرف أنه بسياسة اللين المقرونة بالحزم يمكنه أن يحفظ دولته من أعاصير الفتن والثورات . وكان الصليحي قد وزع السلطة في البلاد بين من يثق فيهم من الصليحيين والزواحين ، فأصبح كل حصن يحكمه أحد أعوانه ، غير أننا نرى أن هؤلاء الولاة كانوا مقيدين بسياسة خاصة ، رسمها لهم الصليحي ليسيروا على نهجها ، ولكن على الرغم مما يبدو في هذه السياسة من المنافع لمصالح الرعية ، ولحرص الصليحي على استقرار الأمن في ربوع دولته ، مالم يثبت الأمور أن تغيرت بعد قتله في الهجوم سنة تسع وخمسين وأربع مئة ، وذلك لأن مدة حكم المسكرم استنفدت كلها في الحروب ، فلم يقدر أن يلتفت كثيرا لمصالح الرعية . فأخذ نفوذ حكام الحصون يزداد ، وأخذ روح التدمير والاستياء من هذا النظام يزداد تبعا لذلك . هذا إلى ما استتبعه ذلك من الأعباء الثقيلة التي كان يقع غرمها على طبقات الشعب الفقيرة وحدها . ولم يكن هذا التدمير يرجع إلى عدم تعودهم هذا النظام الجديد ، وحده ، بل كان يرجع إلى حرمانهم الامتيازات والمنافع التي كانت تتمتع بها طبقة رؤساء الإقطاع الذين كانوا يختارون من قبائل أرسطقراطية معينة كالصليحيين أو الزواحين أو اليامين ، لتضمن الدولة الصليحية تنفيذ سياستها . ولعل كثرة الحروب التي قام بها الملك المسكرم ترجع إلى الاستياء الذي جعل حكمه غير مستقر ، مما استنفد كثيرا من الجهد والمال . وقد تمكن مع ذلك من حفظ دولته من هذه الأعاصير المضطربة ، بفضل ما أوتي من شجاعة وعزم .

ولما توفي الملك المسكرم سنة سبع وسبعين وأربع مئة ، وانفردت زوجته الملكة الحرة بالحكم ، وأنس حكام القلاع ضعفها ، تأقت نفوسهم إلى الاستقلال بما تحت أيديهم . وعلى الرغم من أنها استعملت الحكمة والدهاء ، وسيرت الأمور في الصدر الأول من حكمها ، باعتمادها على رجال ذوي كفاية وعلى معاضدة الخلافة الفاطمية لها ، كانت عوامل الانحلال والضعف أقوى من هذه السياسة . فأخذت مظاهر الضعف تظهر بوضوح كلما تقدمت الملكة في السن ، واستفحل أمر الولاة الطامعين .

عداء أهل المذهب

أضف إلى ذلك أن الصليحيين استطاعوا أن يكونوا دولتهم وسط بحر خضم من السنين، وأن هذه الدولة كانت تحكم مجتمعا يدين معظمه — ما عدا الزيدية — برئاسة الخلافة العباسية على العالم الإسلامي، وكان يحق على نفوذ الخلافة الفاطمية ودعوة الفاطميين في اليمن، وأن الفقهاء والعلماء بالخصوص تهادوا بدون هوادة أن يثيروا الجماهير إلى تكفير أهل الدعوة، ونسبوا إليهم ظلما وعدوانا تحليل الحرام وتحريم الحلال^(١). فالتفت الجماهير بفضل مسمى الفقهاء حول بني النجاشي الذين صاروا في نظرهم رمزا للمذهب السنّي، وفضلت حكم العبيد الحبشة على وحدة اليمن تحت ظل دولة الصليحيين العربية. وقد ساعد بني النجاشي وجود آلاف مؤلفة من الحبشة الذين استعمروا تهامة اليمن وبعض الجزائر الواقعة على الساحل الغربي من اليمن، والذين كانوا يتكثرون لمعاودة دولتهم في تهامة. وقد أهل الصليحيون اتخاذ إجراءات حاسمة للقضاء على هذا الاستعمار الأجنبي، بعد تجارب عديدة من تسكتلهم ضد العرب. ولا يمكننا أن نغزو هذا العداء كله إلى النظام الإقطاعي، الذي أوجده الدولة الصليحية وحده، بل إن رغبة النجاشيين في إعادة سلطتهم، ورغبة الأهالي في حكمهم، لأنهم يمثلون مذهب أهل السنة، كان سببا جوهريا في إثارة الحروب بين الفريقين وإضعاف الدولة الصليحية. وكان النصر في النهاية لبني النجاشي،

(١) راجع كتاب كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة تأليف الفقيه محمد بن مالك الحمادي من فقهاء أهل السنة باليمن في أواسط المئة الخامسة، وما نسب إليه إلى أبي القاسم منصور اليمن وعلي بن محمد الصليحي وإلى الدعوة من الأكاذيب والأباطيل، من غير أصل ولا أساس، بعد أن ادعى أنه دخلها، وعرف أسرارها، وأطلع على كتبها، وتصنع جميع ما فيها. وقد وقفنا على ما بلغ من حقد هؤلاء الأفاضل الفقهاء الذين تاروا على الأمير الفضل الحميري بالتعكير، حتى أخرجوا حظاياه من السرايى وجعلوا بأيديهم طارات وأطلعوهن على سقوف قصوره بحيث يشاهدن ويسمع أصواتهن، لكي يموت من الغيرة والغضب، ووقفنا أيضا على ذهاب الملكة إلى باب التعكير للمفاوضة، وعلى إيفائها شروطا اشترطوا عليها. والمعروف إلى الآن أن الملكة وقفت أوقافا جلييلة القدر تصرف منها على تدريس صحيح البخارى مع كونها فاطمية المذهب، وذلك لكي يرضى بهذا العمل الفقهاء ورعاياها السنيون. فكافأها الفقهاء بمطالبة إخراج جثتها بعد وفاتها.

تخلص لهم حكم تهامة . ولم يتمكن الأمير المفضل ابن أبي البركات الحميري ، وبعده الأمير الموفق علي بن إبراهيم بن نجيب الدولة من فتحها ، واستمرت الدولة النجاشية في تهامة حتى سنة أربع وخمسين وأربع مئة ، حين استولى عليها علي ابن مهدي الحميري ^(١) وبقي بها حتى أزال ملك بني مهدي السلطان توران شاه الأيوبي سنة تسع وستين وخمس مئة .

وكان أئمة الزيدية ورؤسائهم ، كما كان الحبشة ، مثار اضطراب شديد في عهد الدولة الصليحية . فقد ظلوا في حالة حرب معهم طوال مدة حكمهم لليمن . وذلك يرجع إلى العاملين الديني والسياسي معا . وكان الأئمة الزيدية ينافسون الخلفاء الفاطميين في الإمامة والحكم . وأيد الصليحيون دعوى الفاطميين برياسة المسلمين . فاحتكوا بالصليحيين برغم اشتراكهم في التشيع وحب أهل بيت النبي الذي كان يجمع الفريقين . وكان العامل السياسي أقوى من الاختلاف الديني ، لأن الدعوة الفاطمية وقفت من يوم حضور الإمام الهادي إلى الله يحيي ابن الحسين باليمن حجر عثرة إزاء توسع الدعوة الزيدية باليمن . فما استطاع الأئمة نشر دعوتهم بالتالي هي أحسن . وذلك لأن الدعوة الفاطمية رمت إلى نفس الهدف ، وهو إنشاء دولة موالية لأهل بيت النبي باليمن بعد ما كابدوا من ظلم واعتساف بأيدي الأمويين والعباسيين ، وأدركت مطالبها في أيام منصور اليمن ^(٢) ، ثم في عهد الصليحيين بصورة أوسع وأقوى من المجهود الزيدي . فاشتبك الفريقان أو الدعوتان في صراع دموي ، للوصول إلى نفس الغاية . وإننا نرى أن هذه الغاية كانت سياسية أكثر من أن تكون دينية بحتة ؛ والدليل على ذلك ما رأينا من انضمام رؤساء الزيدية لدولة الحبشة العبيد السنيين والتحالف معهم ضد الصليحيين ، كما فعل الإمام أبو الفتح الديلمي حين استولى الملك علي بن محمد الصليحي على صنعاء أو كما فعل أشرف الخلفاء المسلمين حينما دعوا الغز الذين احتلوا مصر أن يحتلوا اليمن .

(١) كان من حمير من قرية العنبرة في قرب زيد . وكان ظهوره سنة ٥٣١ . قضى على الدولة النجاشية في تهامة سنة ٥٥٤ حتى قضى على ملكه توران شاه الأيوبي سنة ٥٦٩ (عمارة / كاي ٩٢ — ٣٠) .

(٢) الباب الثاني من هذا الكتاب .

وقد وقفنا على الحوادث التي حدثت بسبب احتكاكهم بالدولة الصليحية في عهد الملك علي بن الصليحي وفي عهد ابنه الملك المكرم ؛ وذكرنا ما كان من انضمام الشريف يحيى بن حمزة السليمانى إلى النجاشيين في موقعة الكظائم وما كان من هزيمة العرب تحت راية الصليحيين^(١) . وظلت صعدة نتيجة لهذا النزاع منطقة للتجاذب بين القوتين ، حتى عهد الملكة الحرة سنة ٥١١ ، حيث ثار الأمير المحسن ابن الحسن^(٢) داعى الإمام أبى طالب يحيى بن أحمد بن الحسين الهارونى الديلى^(٣) واستولى على نجران والجوفين والظاهر وحسن ثلا ، وقتل الصليحيين حتى قتل السلطان سليمان بن عامر بن سليمان الزواحى في وقعة نشبت بين ثلا وكوكبان في سنة ٥١١ . ولم يقو الصليحيون بعد ذلك على إعادة نفوذهم في اليمن الأعلى .

وهذا العداء الذى رسخ في قلوب أهل المذاهب يفسر لنا الأسباب التى جعلت حكم هذه الدولة لليمن حكما غير مستقر ، بل جعلت حكمهم كأنه قائم على فوهة بركان ، لا يستقر له قرار ، كما يفسر لنا الحروب المستمرة التى قامت بها الدولة الصليحية . وكانت الدولة النجاشية من جهة ، والفقهاء من جهة ، والأشراف من جهة ، من أهم العوامل التى أضعفت الدولة الصليحية ، لأنهم ظلوا طوال حكم الصليحيين (٤٣٩ — ٥٣٢) في حالة حرب معهم ، مما جعل الدولة تستنفد الكثير من جهودها في سبيل مقاومتهم .

عدم التعاون بين الحاكم والمحكوم

فإذا كانت الحكومات التى تمثل الأغلبية في الشعوب لم تتمكن من تحقيق العدل السياسى والاجتماعى في مجتمعاتها من أقدم العصور إلى الآن ، فإنه لا ينتظر من أقلية فاطمية المذهب تحكم أكثرية سنية أن يتحقق هذا العدل على يديها .

(١) س ١٥٢ — ١٥٤ .

(٢) هو المحسن بن الحسن بن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن القاسم المختار ابن الناصر أحمد بن الهادى يحيى بن الحسين بن القاسم الرسمى ، قام بدعوة الإمام أبى طالب باليمن . ولم يزل على إمارته حتى قتله العداون بصعدة .

(٣) هو أبو طالب الصغير يحيى بن أحمد بن الحسين بن الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهارونى من بلاد الجبل والديلم .

ولكن يمكن أن نقول إن بلاد اليمن كانت أحسن حالا تحت حكم الصليحيين مما كانت عليه قبل ذلك الحكم ، وذلك نتيجة للوحدة التي أوجدتها الدولة الصليحية ؛ بل إن الصليحيين عملوا إلى حد كبير على إسعاد شعبهم طوال مدة حكمهم ، بما خولتهم الظروف المحيطة بهم . ولكن إذا كانت هذه الدولة لم توفق إلى ما قصدته ، فذلك يرجع إلى أن معظم الرعية كانوا يمتقدون في كفر رؤسائهم . وليس من السهل أن ينزع هذا الاعتقاد من صدورهم مهما قدم لهم الصليحيون من خدمات .

كما ينبغي ألا يفوتنا أن أمور الحكم إنما تستقيم حينما يكون التعاون والتضامن بين الحاكمين والمحكومين في الأصول التي يقوم عليها النظام . فليس يكفي أن يكون الحاكم نقي الضمير ، مؤثرا للعدل ، مصطنعا للمعروف ، حريصا على رضا الله ، كافيا بعد ذلك لمشكلات السياسة ، خراجا منها إذا ادهمت ؛ وإنما يجب أن يكون لرعيته حظ من هذا الضمير الحلي اليقظ ، ومن حب العدل ، وإيثار المعروف . وهذه المشكلة واجهتها الدولة الصليحية في اليمن ، فلم يكن هناك تضامن صحيح بين ملوك هذه الأسرة والكتلة الضخمة من رعاياهم .

مظاهر سقوط الدولة

على الرغم من أن هذا التضامن كان قائما بين السلاطين من آل الصليحي وبين الطبقة الأرستقراطية التي أوجدها النظام الإقطاعي في عهد الصليحيين من الزواحين واليامين وغيرهم ، وعلى الرغم من أن الملكية الحرة قد استعانت ببعض الشخصيات في إدارة شئون دولتها ، إلا أن الحالة أخذت في الضعف والانحلال لأسباب ذكرناها آنفا .

فقد استقل النجاشيون كما رأينا بتهامة وزبيد بعد موقعة الكظالم سنة تسع وسبعين وأربع مئة . ثم استولى عليها علي بن مهدي الحميري الرعيني^(١) سنة أربع وخمسين

(١) من حمير من أهل قرية العنبرة من سواحل زبيد وحاصر ابن مهدي زبيد ، واستنجد أهل زبيد الشريف الرسي أحمد بن سليمان صاحب صعدة ، فأنجدهم طمعا في الملك ، واشترط عليهم أن يملكوه عليهم وأن يقتلوا مولاهم فأنكأ فقتلوه . ثم عجز الإمام الشريف عن نصرهم وهرب . كما رواه عمارة / كلى ٩٦ .

وخمس مئة ، وقام بعده ابنه مهدي بن علي وعبد النبي بن علي حتى انتهت دولة بني مهدي بتهامة بزحف السلطان توران شاه الأيوبي سنة تسع وستين وخمس مئة . وبعد وفاة السلطان أبي حمير سبا بن أحمد الصليحي سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة خرجت صنعاء من الدولة الصليحية . واستولى عليها السلطان حاتم ابن الغشم الملقب بالهمداني ^(١) وناصرته قبائل همدان ، وصارت بعده إلى ابنه عبد الله بن حاتم ، ثم إلى أخيه معين بن حاتم . ثم خلعت همدان وولت مكانه كلا من هشام وحامس ابني القُبيب الهمداني . ثم اختارت همدان السلطان حاتم بن أحمد (المجدي) بن عمران بن الفضل اليامي الهمداني ^(٢) بأمر صنعاء وأعمالها في سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة . وملكها بعده ابنه السلطان علي بن حاتم . وضربت باسمهما السكة وأقيمت لهما الخطبة ^(٣) . وانتصر علي بن حاتم اليامي في وقعة ذي عُدينه على جيوش عبد النبي بن علي بن مهدي الحميري نصر اعظيمة وفرَّ عبد النبي إلى زبيد . فانتصرت وقعة دولة الهمدانيين على معظم اليمن الأعلى في عهد السلطان علي بن حاتم ، حتى أزاله وأخاه السلطان بشر بن حاتم اليامي الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين بن أيوب عن صنعاء وذمرمر وغيرها من الحصون والمعقل ^(٤) .

وصارت عدن ونواحيها إلى تعز والجند وجبله وما يليها في ملك بني زريع ابن العباس بن السكرم الجشمي الهمداني إلى أن استولى عبد النبي بن علي ابن مهدي على التعكر والجند وتعز وجبله وغير ذلك من المعقل والمدن . فبقيت عدن في أيديهم حتى أزالهم عنها الملك المعظم توران شاه بن أيوب ، وتسلم بعده الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين بن أيوب الدملوة وحج بعد أن حاصرها أربعة عشر شهرا . وخرج منهما جوهر المعظمي وإلى بني زريع ، وكان معه فيها ابنا عمران ابن محمد بن سبا الزريعي الصغيران .

(١) من بني القلس ثم من مذكر ثم من يام (عيون ٧ / ٢٣١) .

(٢) كان القاضي عمران بن الفضل اليامي جد السلطان حاتم بن أحمد واليا على صنعاء فغزاه الملك المسكرم الصليحي ؟ ثم قتل في وقعة الكظائم في عهد الملكة .

(٣) عيون ٧ / ٢٣١ . (٤) نفس المرجع ٧ / ٢٣٢ .

وكان سليمان وعمران ابني الزر من خولان قد استقلا بحصني خدد والتعكر سنة أربع وعشرين وخمس مئة ، وذلك بعد أن غادر ابن نجيب الدولة سواحل اليمن . ثم استولى عليهما بنو زريع ، ثم ابن مهدي إلى أن طوى الغز بلاد اليمن . وقد انتهت معارضة الصليحيين للدولة الزيدية بصعدة بعد وقعة ثلا في سنة إحدى عشرة وخمس مئة . وبعد أن قتل الحدادون الأمير المحسن بن الحسن بصعدة قام بأمر الحسبة الأمير علي بن زيد بن إبراهيم ^(١) في سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة . وفي السنة التالية قام المتوكل على الله أحمد بن سليمان ^(٢) بأمر الإمام فصارت صعدة وما يليها لبني الهادي ، وشهارة وما يليها لبني القاسم العياني ، وتهامة الشام إلى وادي عين للأشراف من بني سليمان ^(٣) . ولما صار أمر الخلاف السلياني بيد الشريف غانم بن يحيى بن حمزة قامت بينه وبين عبد النبي بن علي بن مهدي حروب كثيرة قتل فيها غانم بن يحيى سنة ستين وخمس مئة ^(٤) .

مصر منصور آل الصليحي وأموالهم

وكان منصور بن الفضل بن أبي البركات الحميري مستوليا على ذي جبلة ومملك بني الظفر في أشيخ وحصونهم بعد وفاة أبيه الفضل سنة أربع وخمس مئة . وكان يدين بالطاعة إلى الملكة الحرة حتى وفاتها سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة . وبعد ذلك استولى على ما كان تحت يدها من حصون وذخائر وأموال . ولما تقدمت به السن وصار لا يقدر على حماية هذه الحصون من الطامعين ، وأعيته الشيخوخة عن التحرك ، باع حصون بني الصليحي ومدنهم سنة سبع وأربعين وخمس مئة ^(٥) ، وهي ثمانية وعشرون حصنا ومدائن ، منها مدينة ذي جبلة وحصن

(١) هو علي بن زيد بن إبراهيم الملقب بالمنتصر محمد بن القاسم المختار بن الناصر أحمد بن الهادي يحيى بن الحسين .

(٢) هو أحمد بن سليمان بن المطهر بن محمد بن المطهر بن علي بن الناصر أحمد بن الهادي يحيى بن الحسين .

(٣) أنباء / دار ٥٢ .

(٤) المتقطف ٧٣ .

(٥) عيون ٢٠٧/٧ . وذكر صاحب العيون (٢٣٢/٧) أن بقي في أيدي بني الصليحي حصن أشيخ وحصن قبضان أي أن أزالهم عنها سيف الإسلام طغتكين .

التمكر وذى أشرق وإب . وقد ابتاعها المتوج محمد بن سبا بن أبي السمود الزريعي بمئة ألف دينار . وطلّق منصور زوجته الصليحية الأميرة أروى بنت علي بن عبد الله بن محمد الصليحي . فتزوجها الملك محمد بن سبا^(١) ، فانتقلت حصون آل الصليحي وذخائرهم وماورثت الأميرة أروى الصليحية من الثروة إلى محمد بن سبا الزريعي ، ثم إلى ابنه عمران ابن محمد بعد وفاة أبيه في سنة ستين وخمس مئة . فقوى نفوذ الملك محمد بن سبا الزريعي تبعاً لذلك ، وطاش فرحاً لما صار إليه من المال والقوة والمعاقل والعقائل^(٢) . ونزل منصور بن الفضل إلى حصن تعز وصير ، ولم تزل صحته تتدهور حتى وافاه الموت سنة اثنتين وخمسين وخمس مئة . خلفه ابنه أحمد ، واستمر هذا مالكا لتعز وصبر حتى سنة ثمان وخمسين وخمس مئة ، حيث اشتراها منه علي بن مهدي^(٣) . وانتقل أحمد إلى الجند فسكنها إلى أن توفي سنة ثلاث وستين وخمس مئة^(٤) . وبقيت هذه الحصون والمدن في أيدي ملوك بني زريع إلى أن استولى علي بلادهم عبد النبي بن علي بن مهدي وتملك بلادهم غير عدن ، فإنهم صالحوه في تركها في أيديهم^(٥) حتى أزالهم عنها توران شاه بن أيوب .

فتح الأيوبيين لليمن

وقد كان فتح الملك المعظم توران شاه الأيوبي لليمن سنة تسع وستين وخمس مئة بدعوة من الشريف قاسم بن يحيى بن حمزة بعد أن قتل صنوه الشريف غانم ابن يحيى وهزيمته في حروبه مع الملك عبد النبي بن علي بن مهدي الحميري « وقد استنجد الشريف قاسم صاحب بغداد الخليفة الناصر بن أحمد المستضيء العباسي علي عبد النبي . فأمر الخليفة السلطان صلاح الدين بن أيوب بنصرته »^(٥) . فامتثلًا

(١) عمارة / كاي ٥٦ .

(٢) نفسه ٥٦ .

(٣) قرة ٢٧ .

(٤) عيون ٢٠٧/٧ .

(٥) المقنط ٨٣ .

لأمر الخليفة أرسل صلاح الدين أخاه توران شاه إلى اليمن ومعه ثلاثة آلاف مقاتل ،
وعند ما وصل توران شاه إلى ناحية صبيا من بلاد تهامة انضم إليه الأشراف (١) .
وبعدئذ قصد زبيد وأخذها عنوة وقضى على دولة بني مهدي ، وقضى على دولة
بني زريع ، وقضى على دولة الهمدانيين ، وقضى على الفوضى التي كانت باليمن بعد
انقراض أمر الدولة الصليحية . فلم يبق لآل الصليحي ولا للأشراف ولا لغيرهم
نفوذ ولا سلطان . وبقضائه على ملك بني مهدي الحميري انقرض ملك العرب في اليمن ،
وصار للغز ومواليهم . وخطب للخليفة العباسي في جميع البلاد التي فتحها . وولى
سيف الدولة مبارك بن منقذ على زبيد ، وعز الدين عثمان بن الزنجبيلي على عدن ،
كما عين في كل قلعة من قلاع اليمن التي دخلت في حوزته نائبا من أصحابه .
وعكذا انتقلت السيادة في اليمن من أيدي اليمنيين إلى الأيوبيين ، الذين حرصوا
على إظهار ولائهم للخلفاء العباسيين ، وأقاموا الخطبة لهم في جميع أنحاء اليمن التي
دخلت تحت رايته .

الباب التاسع

آداب الدعوة الفاطمية وتحولها إلى الدين

مميزات الحياة العلمية في القرنين الثالث والرابع

يمتاز القرنان الثالث والرابع بناحيتين متباينتين في تاريخ العالم الإسلامي ؛ فبينما كانت الحالة السياسية من جهة مضطربة جدا ، لإزدحام الأهواء والشهوات ، صلحت من جهة أخرى حياة الناس العقلية صلاحا لم يعرف له مثيل من قبل . ولعل ذلك يرجع إلى أن المجتمع الإسلامي لم يكن في حقيقة الأمر وحدة سياسية . وإنما كان شعوبا مختلفة أشد الاختلاف ، متباينة أشد التباين ، جمعها الإسلام تحت لواء واحد ، وحاول أن يمزجها ويلغى ما بينها من الفروق . فوفق إلى تكوين حضارة إسلامية شاملة ؛ ولم يتيسر له العمل على إنشاء مجتمع له منهج سياسي "اقتصادي ثقافي" واحد في جميع تفاصيلها وفي جميع أنحاء العالم الإسلامي . وكانت الحياة السياسية تتحسن بتحقيق العدل ونشر الطمأنينة بين الناس . وقد يحمل الظلم والحروب كثيرا من عظماء الرجال وذوى العقول الراجحة أن يفرّوا من العمل السياسي إلى العمل العلمي ، لأنهم كانوا يجدون أن العمل السياسي يعرضهم إلى إزهاق أرواحهم ، وإلى أخطار مادية جسيمة ، على حين يحوطهم العمل العلمي بجو خاص هادئ .

والخلاصة أن الحالة العلمية في القرنين الثالث والرابع كانت في العالم الإسلامي أنضج منها في العصر الذي قبله ، فأخذ علماء هذا العصر مانق له المترجمون من قبلهم من علوم اليونان والفرس والهند ، فشرحوها وهضموها ، وأخذوا النظريات المبعثرة فرتّبوها ، وورثوا ثروة من جاء قبلهم في كثير من فروع العلم ، ثم حاولوا أن يطبقوا معارفهم بالديانة الإسلامية ، وأن يدافعوا عنها بطريق العلم والتجربة

والعقل لا بطريق النقل فقط ؛ فنشأ فيهم علماء سمّوا بالمعتزلة والفلاسفة والمتكلمين . وإخوان الصفا ، وأهل التصوف وغيرهم من أصحاب المدارس العلمية والمذاهب الدينية .

تمسك علماء الدعوة بظاهر الشريعة

وقد دخل الأئمة الفاطميون ودعاتهم العلماء في هذا المضمار ؛ وذلك لأن الدعوة الفاطمية تقوم كثيرا على مباحث العلم والجدل والمناظرات ؛ وبها استطاعت الدعوة أن تنتشر في كثير من أنحاء العالم . وقد سبقهم المعتزلة في استخدام العلم في تفسير القرآن ، واستخدام بعض النظم الفكرية اليونانية في تكوين نظام فكري خاص ، يتفق مع آرائهم الدينية وعقائدهم الإسلامية . وقد اختلفت الأسباب والطرق التي أدت إلى هذا العمل ، من مزج الفلسفة بالدين وتطبيق العلم على العقيدة ، كما اختلفت نتائج محاولاتهم . وقد اختلفت العلماء المعتزلة أنفسهم أمثال النظام وأبي الهذيل والجبائي في مطابقة المحسوس بالمعقول . وكان المعتزلة يعملون هذا لا مجرد المتعة العلمية ، بل دفاعا عن حوزة الإسلام . وكذلك ما استطاع الفلاسفة أن ينسوا العقيدة الإسلامية ، فأتوا كثيرا في مباحثهم بكلام فلفسي ديني . وقد سلك العلماء الصوفية المسلك نفسه للوصول إلى غايتهم ، بل بالغوا في السير حتى اضطر المحافظون أن يفهمهم في حدود العقيدة . ويزى أن الصوفية والفاطميين اتفقا بوجه خاص على تقسيم المعرفة في الظاهر والباطن ، ففيه اعتراف منهم أن الظاهر هو الإسلام ، وهو الأساس الثابت . فلذلك رى أن الدعوة الفاطمية تتمسك كل التمسك بالشريعة وتكاليدها ، ولا تترك أى مجال للهوادة فيها ، وتعتبر الاشتغال بعلم الباطن عبادة علمية ، لا وجوب لها إلا على من أرادها واستحقها بالطاعات ، وتقدم في العلوم الظاهرة . وأثبت الشيخ يعقوب السجستاني في الإقليد الثالث والستين من كتاب المقاليد أن « الوقوف على الحقائق في الشرائع لا يسقط الأعمال ؛ إذ أن الأعمال الشرعية من الدين ، وتاركها تارك الدين والدين عند الله الإسلام » . وقد ذهب علماء الدعوة إلى تكفير القرامطة وغيرهم من الجماعات التي حادت عن الدعوة الرسمية ، وفضّلت الباطن على الظاهر ، وقالت بتعطيل التكليف الشرعية . ومما يدل على أن الباطن لا يحل محل الشريعة ، إذ لا خلاف فيها ، اختلاف علمائهم أمثال أبي حاتم

أحمد بن حمدان الرازي ، والشيخ محمد بن أحمد النسفي ، والشيخ أبي يعقوب السجستاني ، في تقديم القدر على القضاء ، وفي بعض نظرياتهم فيما وراء الطبيعة ، ومحاولات الشيخ أحمد حميد الدين الكرمانى ، ومن أتى بعده من علماء اليمن الذين سند كرم ومؤلفاتهم فيما بعد^(١) في التوفيق بين الآراء المتصادمة المتباينة .

ومع هذا فقد اشتهر الفاطميون باسم الباطنية ، واتهموا بتعطيل الشريعة ؛ وذلك يرجع إلى نشأة القرامطة أولا ، ثم الدروز ، ثم الزارية ؛ وخروجهم جميعا في أول الأمر على الدعوة الفاطمية الرسمية ؛ واتخاذ الناقضين مبدأ الباطن أساسا لمذهبهم ، وتعطيلهم الشريعة وتكليفها ، وغلوهم في أشخاص الأئمة الذين قاطعوا حاربوا . فنسب التعطيل إلى أهل الدعوة كآتهم ، وسموا بالباطنية ، إما جهلا أو ظلاما . وقد رأينا أن الملكة الحرة حجة الإمام في الجزيرة اليمينية ، ورؤساء الدعوة اليمينية ، تمسكوا بأصول الدعوة الفاطمية القديمة الرسمية . ومن مبدأ هذه الدعوة القديمة احترام الظاهر قبل كل شيء ، وتأدية الأعمال الشرعية بأسرها ، واعتبار الحياد عنه كفرا وخروجا عن الدعوة ، بل عن الدين الحنيف . وبالرغم من أنها أرادت قلب النظام السياسى المسيطر على الإسلام في أواخر القرن الثالث ، وبالرغم من أنها شجعت الجمعيات السرية ، وأيدت الحركات الانقلابية ، كما بيناه في مقالنا عن مؤلفي الدعوة ومؤلفاتهم^(٢) ، أصبحت الدعوة بعد قيام الخلافة الفاطمية بالمغرب في سنة سبع وتسعين ومئتين تحمى حتى الإسلام ، وتتحصن في حصن الشريعة ، كما يتضح في كتب الشيخين أبي حاتم الرازي وأبي يعقوب السجستاني ، وتقوم بدعائم الإسلام ، كما فعل القاضي أبو حنيفة النعمان في عهدي المنصور بالله ، والمز لدين الله ، والشيخ أحمد حميد الدين الكرمانى في عهد الحاكم بأمر الله ، والمؤيد في الدين الشيرازى في عهد المستنصر بالله ؛ فرى أن رؤساء الدعوة صاروا ، بطبيعة الحال ، محافظين أشد المحافظ على ظاهر الشريعة ، بعد أن كانوا دعاة إلى قلب النظام السيامى والفكرى ، وحاربوا الناقضين والخارجين عن حوزة الشريعة من القرامطة والدروز والزارية .

(١) انظر الباب العاشر . (٢) راجع JRAS (١٩٣٣) ص ٣٦٧ .

رأى عالم سنى عن عقائد الصليبيين

وقد أيدنا في هذا رأى الدكتور محمد كامل حسين بمقال قيّم عن عقيدة الفاطميين والصليبيين^(١) تقتطف منه بعض الفقرات . قال : « إن دعاة الفاطميين نادوا بالتوحيد ، وتوحيد الله عندهم ينفي جميع ما يليق بمبدعاته عنه ، فهم يزعمون الله سبحانه وتعالى عن جميع ما يوصف به خلقه من الصفات والنعموت ، فهم يقرّبون في التنزيه من آراء المعتزلة ، وكما أن المعتزلة أوّلوا الآيات القرآنية التي يشبه فيها التجسيم والتشبيه تأويلا يتفق والتنزيه ، كذلك أوّل دعاة الفاطميين هذه الآيات لنفي التشبيه عن الله . وبذلك قال دعاة الدعوة الطيبية اليمنية أيضا ، وإبراهيم ابن الحسين الحامدى يقول : « أوّل الديانة لله تعالى معرفته ، وكال معرفته توحيده ، ونظام توحيده نفي الصفات عنه »^(٢) . ويقول على بن الوليد في رسالة جلاء العقول : « وصفه تشبيه ، ونعته تمويه ، والإشارة إليه تمثيل ، والسكوت عنه تعطيل ، والتوهم له تقدير ، والإخبار عنه تحديد »^(٣) . وهكذا لا يقول دعاة التشبيه ، ولا بالتجسيم ، ولا بالتعطيل . وهم في ذلك على نحو ما قال المؤيد في الدين :

نوحّد الله ولا نشبّه
قد انتفت في ذاك عنا الشبّه

« فالاعتراف بوجود الله تعالى ووحدانيته وتنزيهه أصل الدعوتين الفاطمية والطيبية ، وهم في ذلك يشتركون مع أكثر المسلمين من أصحاب الفرق الأخرى » .
« وهم يعترفون بالأنبياء والرسل ، وسمّوا الأنبياء بالنطقاء ، والأنبياء عندهم معصومون في كل قول وعمل ، لأن الله اجتباهم فظهرهم ، حتى يقتدى بهم غيرهم من البشر وإمعانهم في القول بعصمة الأنبياء جعلهم يؤولون قصص الأنبياء التي وردت في القرآن الكريم تأويلا يتفق مع العظمة التامة الذاتية ، التي خصهم الله تعالى بها . ولهم الفصول الطوال في إثبات النبوة وفضل الأنبياء والرد على من ينكر الأنبياء من أمثال الراوندى وغيره ، وهم في حديثهم عن النبوة والأنبياء لا يغفلون

(١) من مقال أرسله لنا صديقنا الكريم في هذا الموضوع .

(٢) الحامدى : كنز الودودة ١٥٩ (مخطوط بمكتبة الدكتور محمد كامل حسين) .

(٣) مخطوط بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن رقم ١٥٤٣٣ .

فهم غلو أصحاب بعض الفرق والمذاهب ، بل الأنبياء من البشر ، خصهم الله بهذه المرتبة لهداية البشر إلى الصراط المستقيم ، فهم في ذلك أيضا يشتركون مع غيرهم من المسلمين . وفي اتباع الفاطميين للأنبياء يقول المؤيد في الدين :

فكيف شرع الأنبياء ندفعُ وما لنا إلا النبي مَرَجُ
بنوره في الدرجات رتقُ وبالكرام الكتاتين نلتقُ
فالن إلهي جاحدي الشرائع وارمهم بِالْعَيْنِ الفواجع
فإننا لأهل علم وعمل لله دُناهما عز وجل (١)

« فكل ما جاء به الأولياء والمرسلون هو الحق والصدق ، والتصديق بالكتب السماوية ، وأنها منزلة من الله على أنبيائه ، كل ذلك قال به الفاطميون والصليحيون . وها هو أحد دعاة الصليحيين ، وهو شرف الإسلام الخطاب بن الحسن بن أبي الحفاظ (٢) المتوفى سنة ٥٣٣ يقول في إحدى مناجياته :

يا عالم الغيب منّا والشهادة يا باري البرية تركبنا وتصويرا
شهدت أنك فرد واحد صمد شهادة لم تكن مِنّا ولا زورا
وجهت وجهي في سرّي وفي عكّتي
إليك حمدا وتهليلا وتكبيرا
عبادة هي عين الحق خالصة وكان ذلك في القرآن مسطورا (٣)

« فإذا كان رأيهم في الأنبياء بهذه الثابة ، فلا شك أنهم يؤدون الفرائض التي جاء بها الرسول الكريم ، وسَمَّوْا القيام بهذه الفرائض بالعبادة الظاهرة ، يميزوا لها عن العبادة العلمية أو التأويل الباطن ، الذي تقول به الإسماعيلية على اختلاف فرقها وأحوالها . فالعبادتان الظاهرة والباطنة هما أسس المذهب الفاطمي ، وعنهم

(١) د المؤيد ، القصيدة الأولى .

(٢) انظر الباب السادس ص ١٩٣ — ٢٠٤ .

(٣) د الخطاب ص ١٧ (م.م.هـ) .

أخذ الصليحيون هذه الأسس ولم يغيروا منها شيئا إلا ما نراه من بعض اختلاف في التأويل. والذي يهمننا الآن هو أنهم كانوا يقولون بالعمل معا، أى بالباطن والظاهر .

« وإذا نظرنا إلى آرائهم في العبادة الظاهرة ، رأينا أنهم لا يختلفون عن غيرهم من المسلمين من أهل السنة والجماعة في القول بأن الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد في سبيل الله هي أركان هذه العبادة ، وعلى المسلم أن يؤديها حسب ما جاء في الكتاب والسنة ، ولا خلاف بين دعائهم وعلماهم في ذلك ؛ فالقيام بأمر هذه القواعد فرض واجب ، لا يجوز إهماله بأي حال من الأحوال ، ويجب أن تؤدي هذه الفرائض في أوقاتها المعلومة التي رسمت لها ، ولعنوا كل من طرح الشرائع أو جحدھا .

« ويقول صاحب كتاب تاج العقائد^(١) : « الإسلام محمول على القول والنطق بالشهادة وترك العصية ، وهو الباب المدخول منه إلى تطلب حقائق ما جاء به الرسول ، ومنه التعلق بجميع الطاعات ، وانطلاق النفس إلى الفكرة في أوامر الله ، والزام ما جاء به شريعة الخالق » .

« وهكذا رى الصليحيين ومن ورثهم من أتباع الدعوة الطيبية يقومون بجميع الفرائض الإسلامية التي فرضها الله على عباده ، وينهجون نهج السنة الحمديدية ، مثل غيرهم من المسلمين في كل البقاء . ولكن الشيء الذي خالفوا فيه أهل السنة ، وخالفوا فيه الشيعة ، على اختلاف فرقها ، هو القول بولاية الإمام من نسل محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وأن ولاية هذا الإمام هو محور الديانة عندهم ، فلا دين لمن لا يوالى إمامهم .

« والتقارب شديد جدا بين الزيدية والدعوة الفاطمية والصليحية في كل ما يتعلق بالتوحيد والعبادات الظاهرة ؛ ولكن الفرق شديد جدا في ما جاء به الفاطميون من تأويلات باطنية لم يقل بها سواهم ، فالتأويل الباطن وهو أخص

(١) الاعتقاد الثاني والسبعون .

ما يتميز به الفاطميون ومن تبع مذهبهم من الصليحيين وغيرهم ، يختلف تمام الاختلاف عما قال به مفسرو فرق الشيعة الأخرى وعما قال به جمهور أهل السنة ، على أن بعض فرق الإسماعيلية ذهبت في التأويل الباطني مذاهب أبعدتهم عن الإسلام وعن الخلق الاجتماعي العام ، وهذه الفرق أحلت المحارم بدعوى التأويل ، ولذلك ترى السلطان الصليحي الخطاطب ابن الحسن يتبرأ من هذه الفرق ، فيقول :

دِينِي كَعْنُ الْبَاطِنِيِّ الَّذِي يَصُدُّ عَنْ نَهْجِ الْمَهْدِيِّ الْوَاضِحِ
وَكُلُّ مَنْ دَانَ بِمَنْ دَانَهُ أَهْلُ جَارِي دَمِهِ السَّامِحِ
قَوْمُ فُرُوضِ الشَّرْعِ قَدْ عَطَلُوا وَصَيَّرُوا هَذَا الْمَزَاحِ

« من ذلك نستطيع أن نقول أن ما جاء في كتاب كشف أسرار الباطنية لابن مالك الحمّادي اليماني ولصق بالصليحيين هذه البدع إنما هي عن فرق أخرى غير الصليحيين » . وانتهى ما ذكره الدكتور محمد كامل حسين عن عقائد الصليحيين .

لماذا التجأت الدعوة إلى التستر

وسموا مع هذا باسم الباطنية ، ولعل ذلك يرجع أيضا إلى التستر الشديد الذي فرضته الدعوة على آرائها وعلومها وأهدافها وأعمالها ، خوفا من اضطهاد المضطهدين ونقض الناقضين . وقيل إن حركة قد قامت في التركستان لاستئصال شأفة الدعوة كان بين ضحاياها العلمان الشيخ محمد بن أحمد النسفي والشيخ أبو يعقوب السجستاني . وقد قتل العابد العالم الصوفي حسين بن منصور الحلاج ، متهما بمزج الفلسفة بالدين وبالزندقة . وكان القرامطة في هذا الوقت يقومون بنشاط كبير في العراق والبحرين^(١) . ثم أعلن علي بن الفضل الجيشاني اليماني خروجه على تعاليم الدعوة ، ومال إلى اتجاه القرامطة في تعطيل الشريعة ، فخاربه ، كما ذكرنا فيما سبق^(٢) ، أبو القاسم منصور اليماني ، فخرج المهدي عبدالله بن الحسين ، الذي أراد أن ينشئ دولته باليمن ، بعد أن سمع بخروج علي بن الفضل على منصور اليماني ، واتجه إلى المغرب حيث

(١) ابن الأثير: الكامل/ حوادث سنة ٣٠٤ إلى ٣٤٣؛ البغدادي: فرق ٢٦٧ — ٢٧٧ .

(٢) انظر الباب الثاني من ٣٩ — ٤٦ .

هياً أبو عبد الله الشيعي الصنعاني سبيله لذلك الغرض . وقد شدّدت الدعوة هذا التستر ، بعد أن رأت العداء المستمر ، وتضييق الخناق على التفكير الحر ، ومقتل المفكرين العلماء من المعتزلة والزيدية والإمامية والصوفية والفاطمية ، وبعد أن رأت خروج القرامطة والدروز والنزارية الحشاشين ، واستعمالهم مبادئ علم الباطن للبروق عن الدين ، وللتعطيل والقوضى الخلقية ، وبعد أن رأت تطرف بعض المتصوفين ، وغلب بعض فرق الشيعة .

فلما انتقل أمر الدعوة إلى اليمن في أواخر عهد الملكة الحرة وبعد مقتل الإمام الخليفة الأمر بالله ، التجأت الدعوة بمرور الزمن إلى التستر أكثر فأكثر . وذلك أنها فقدت تأييد الدولة ، وعاشت طوال هذه القرون تكافح بين الحياة والموت . ولقد كانت الدعوة تصير نسيا منسيا لو لم يلتجئ أهلها إلى التستر بمعاقلهم المنيعه في جبال حراز ونجران واليمن الأسفل ، وأخيرا وليس آخرا بمعاقل عقيدتهم الراسخة وسيرتهم الفاضلة .

وقد استخدم العلماء الفاطميون — كما فعل المعتزلة والصوفية والمتكلمون والفلاسفة مع بعض الاختلاف — ما وجدوا من نظم فكرية كثيرة في الفلاطونية الحديثة ، وفي مباحث أنصار هذه المدرسة من المسلمين ، وفي كلام المانوية ، وفي نظريات الهند ، وأنشئوا نظاما خاصا يتفق مع آرائهم في التوحيد والإبداع والخلق والكون والبشر والنبوة والإمامة والقيامة والبعث ، وفسروا التنزيل تفسيراً يتفق مع عقيدتهم في إمامة سيدنا علي بن أبي طالب وإمامة أهل بيت النبوة ، فأطلقوا على هذا النظام الخاص اسم علم الحقائق ، أو علم الابتداء والانتها ، أو علم المبدأ والمعاد ، وعلى تفسير التنزيل وقصص الأنبياء وأركان الشريعة اسم علم التأويل ، وسموا الاثنين علم الباطن وعلوم أولياء الله .

علماء الدعوة المؤلفون

ونظر لأن الدعوة اليمنية ونشاطها العلمي ليست إلا استمرار مجهود الدعوة الفاطمية في تكوين علومها ونشرها يحسن بنا أن نذكر لحة عن بعض العلماء الذين كوّنوا هذه الثروة الأدبية مع ذكر مؤلفاتهم :

وقد حمل لواء العلوم المتداولة في القرنين الثالث والرابع علماء أجلاء من دعاة الفاطميين أمثال الشيخ أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي^(١) والشيخ أبي عبد الله النسفي^(٢) والشيخ أبي يعقوب السجستاني^(٣) وغيرهم ممن اتخذ الفلسفة وسيلة إلى الإقناع . فقد بلغ نشاط الدعوة في نشر مبادئهم وعلومهم في بلاد فارس وما وراء النهر مبلغ التفوق على منافسيهم حتى طلب أهل طبرستان النجدة العلمية من بغداد^(٤) . وقتل الشيخ محمد بن أحمد النسفي صاحب كتاب المحصول وتلميذه الشيخ أبو يعقوب السجستاني في سنة إحدى وثلاثين وثلاث مئة ، وقد انتشرت علوم الدعوة الفاطمية على أيديهما في خراسان وبخارى .

أبو حاتم الرازي

فأبو حاتم الرازي كان من أعلام النهضة العلمية الإسلامية في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع . وكان يلجأ إلى الناحية العلمية الكلامية والفلسفية ، ويعمل حيناً لنشر العلوم العربية . ومن أقدم آداب الدعوة التي احتفظت الدعوة النيسابورية بها ، مؤلفات الشيخ أبي حاتم ، ومن أهمها كتاب الزينة في الأحرف ومعانيها^(٥) وهو كتاب جليل في الكلمات العربية والدخيلة التي نطق بها القرآن ومنها المسلمون والتي صارت المصطلحات الإسلامية . وله أيضاً كتاب أعلام النبوة^(٦) ويحتوى على ما جرى بينه

(١) هو أبو حاتم أحمد بن حمدان البثي الورستاني الرازي المتوفى سنة ٣٢٣ من علماء الدعوة في بلاد الري ، ثم انتقل إلى بغداد (ترجمه الحافظ في لسان الميزان رقم ٥٢٣) ، وأتبعه البعض بالباطنية والزندقة والثنوية والدهرية ، ولا نرى شيئاً من هذا في مؤلفاته . وذكره صاحب الروضات من الإمامية ، ودعا له الإمام المتوكل على الله يحيى حميد الدين برضوان الله ، وينقل عنه السيوطي والعيني من علماء السنة في تفاسيرهما . وكان على صلة وثيقة مع البرد وتعلب .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد النسفي أو النخشي البردعي ، قتل سنة ٢٣١ .

(٣) هو أبو يعقوب إسحاق بن أحمد السجزي أو السجستاني ويلقب بدندان ، قتل سنة

٢٣١ .

(٤) نظام الملك : سياست نامه ٢/٢٧٤ .

(٥) فهرست ابن النديم ١٨٩ م . م . هـ ٤ ؛ ولستعد الآن لنشر هذا الكتاب .

(٦) نشر جزءاً منه كراوس (Kraus) في Raziana II, Orient. V على أساس

النسخة المخطوطة الموجودة في م . م . هـ .

وبين الفيلسوف الشهير محمد بن زكريا الرازي من مناظرة في مسألة النبوة وأمر الدين^(١) . ويعتبر كتابه المسمى بالإصلاح تهذيباً لكتاب المحصول للشيخ محمد بن أحمد النسفي ويقصد به إصلاح ما جاء في المحصول .

أبو يعقوب السجستاني

وقد نصر الشيخ أبو يعقوب إسحاق بن أحمد السجزي في كتاب النصر^(٢) أستاذه المفيد صاحب المحصول، وصار بصحة قوله وسلامة آرائه شاهداً . فقد اتخذ من الفلسفة سلاحاً شهراً على أقرانه، فكان علماً من أعلام العلماء الفاطميين ، وأحد المفكرين الذين نهضوا بتوفيق المسائل الفلسفية بالديانة الإسلامية . وقتل لذلك السبب هو وأستاذه النسفي بعد اضطهاد مؤلم بتركستان كما ذكرناه آنفاً . وكان كثير التأليف ، ونذكر منها كتابه الينابيع^(٣) ويحتوى على خطوط أساسية اتبعتها العلماء بعده في مؤلفاتهم في تكوين النظام الفكرى الخاص بالدعوة الفاطمية ، وهو أربعون ينبوعاً ، يتضمن معنى ينبوع وهوية البدع وبينان عالم العقل والنفس وأن العقل قائم بالقوة والفعل ومخاطبة العقل للنفس وكيفية اتصال فؤاد العقل بالنفس وأن الأيس لا يصير ليساً وأن الأيسيات كلها ذات غايات وأن السؤال لم خلق الله العالم محال ممتنع وإثبات النفس الكلية وأن ما فى البشر جوهره من النفس الكلية وأن الأفلاك ونجومها وحركاتها فى أفق النفس وبيان كيفية ابتداء الإنسان وأن القوى الطبيعية لا قدر لها عند القوى الروحانية وأن الثواب هو العلم ومعنى الجنة والنار وكيفية التفاضل بين المثابين وبيان الشهادة ومعنى الصليب واتفاق الصليب مع الشهادة ورتبة صاحب القيامة وكيفية اتصال التأييد بالمؤيدين ... الخ .

(١) ولم يذكر أبو حاتم اسم الملحق فى كتابه هذا ، فقد عرفنا من كتاب الأتوال الذهبية للسكرماني أن الذى ناظره أبو حاتم كان معاصره ومواطنه الفيلسوف الرازي (راجع مقالة حسين الهمداني عن كتاب الرياض للسكرماني ، حيدرآباد الدكن ١٣٥٨) .

(٢) وكتاب المحصول وكتاب النصر مفقودان لا أثر لهما .

(٣) فهرست لإسماعيل ١٩٧ — ٢٠٠ م . م . هـ .

ومن أهم مؤلفاته كتاب إثبات النبوة ، وكتاب الموازين ، وكتاب الافتخار وكتاب المقاليد ، وكتاب مسيلة الأحزان ، وكتاب سلم النجاة ، وكتاب سرائر المعاد والمعاش ، وكتاب كشف المحجوب . وهذه الكتب حفظتها الدعوة اليمنية^(١) ، وورد ذكر بعضها في فهرست الشيخ إسماعيل بن عبد الرسول .

القاضي النعمان

ويعد القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حبيون التيمي المغربي المتوفى سنة ثلاث وستين وثلاث مئة من أشهر أساطين الخلافة الفاطمية الذين خدموا الدعوة والدولة ، وشهرته قد عمّت العالم الإسلامي في جميع العصور ، وله مؤلفات كثيرة يقصر عن إحصائها الإلمام هنا^(٢) . والفضل يرجع إلى الدعوة اليمنية لبقاء كثير من أهم مؤلفاته . وقد كتب القاضي النعمان في الفقه الفاطمي كثير من الكتب والأبحاث ، نذكر منها : كتاب دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام^(٣) ألفه بأمر من الخليفة الإمام المعز لدين الله . وسبب تأليفه كما ورد في السبع السادس من العيون أنه حضر القاضي النعمان وجماعة من

(١) ومخطوطات معظم هذه الكتب موجودة في مكتبتنا الحميدية الهمدانية . وقد شرح الداعي علي بن حاتم بن إبراهيم الحامدي في رسالته روضة الحكم الصافية بعض أقوال أبي يعقوب السجستاني من كتابه المسمى بالبشارات . ولم نعتبر على كتاب البشارات . وقال الشيخ إسماعيل في الفهرست ٢٧ إن كتاب سرائر المعاد والمعاش يشتمل على سبعة فصول غامضة التصور جدا . وينسب إليه رسالة خزائن الأدلة من مجموعة الرسائل الثلاث عشرة تأليف الشيخ أحمد حميد الدين السكرماني ، وقد ذكر الشيخ إسماعيل (فهرست ٢٠٤) أنها تأليف بعض الحدود في وقت الحاكم بأمر الله .

(٢) وردت في عيون ٣٦/٦ — ٣٩ أسماء مؤلفاته ، عددها يبلغ اثنين وأربعين . وأضف إلى هذا كتابين له ذكرهما الشيخ إسماعيل في الفهرست . وترجم له ابن خلكان في الوفيات ١٦٦/٢ ، والحافظ في رفع الإصر ورقة ١٣٦ ، والداعي لإدريس عماد الدين الأتفي في الجزء السادس من العيون . وراجع ملحق Guest على كتاب الولاية والقضاء للسكندري ٥٨٦ ، ومقال Gottheil في JAOS ٢٧/٢١٧ ، ومقال حسين الهمداني في JRAS (١٩٣٣) ٣٦٨ — ٣٧٠ ، وتقدمة محمد كامل حسين لكتاب المهمة ٥ — ١٤ ، ومقال آصف فيضي في JRAS (١٩٣٤) ١ — ٣٢ ، وإبوانوف ٣٧ — ٤٠ .

(٣) فهرست إسماعيل ٢٥ — ٣٩ م.م. ٤٥٠ وقد نشر أخيرا آصف فيضي النصف

الأول من الكتاب .

العلماء الدعاة عند المعز . فذكر اختلاف المذاهب في الفقه وافتراق الفرق في مسائله وذكر قول النبي « إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه » الخ . ونظر إلى القاضي فقال : أنت المعنى بذلك في هذا الأوان ، يانعمان ! ثم أمره بتأليف كتاب دعائم الإسلام ، وأصل له أصوله وفرع فروع ، فأمره ، فابتدأ ببيان ولاية مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وولاية الأئمة ، وأن الإمامة لا تكون إلا بالنص والتوقيف ، والبيان ببراءة الأئمة ممن غلا فيهم ، ثم ذكر فرائض الإسلام من طهارة وصلاة وزكاة وصوم وحج وجهاد ، وهي سبع دعائم الإسلام . ويلي ذلك في النصف الثاني من الكتاب ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام والأشربة والبياعات والمأكولات والمشروبات والطلاق والمناكحات والمواريث والشهادات وسائر أبواب الفقه . وكان القاضي كما رواه صاحب العيون يعرض على الإمام الخليفة المعز « فصلا فصلا وبابا بابا ، فيثبت الثابت منه ويقيم الأود ويسد الخلل حتى أتمه ؛ فجاء كتابا جامعا مختصرا على غاية الأحكام » . إذا كان التشريع من أساس الدين اعتبرت الدعوة هذا الكتاب أساسا لحياة الأفراد والجماعة . ولا يقل من الدعائم أهمية كتابه المسمى بالنبوع^(١) . وكتاب مختصر الآثار^(٢) وكتاب الإخبار^(٣) ، وهي تشرح وتكمل بعض المسائل الفقهية الواردة في الدعائم . وله أيضا في الفقه كتاب الاختصار^(٤) سماه بهذا الاسم لاختصاره « على الثابت مما أجمعوا عليه واختلفوا فيه بمحل من القول لتقريره وتخفيفه » ، وقصيدة في رجز مزدوج سماها المنتخبة^(٥) « التي أنتجها لمن أراد حفظها » ، والمدار والمرجع هو كتاب دعائم الإسلام في الفقه^(٦) ، كما ترى من أمر الخليفة الحاكم بأمر الله للقائم بالدعوة في اليمن الداعي هارون بن محمد بن قيس في قوله :

(١) فهرست لإسماعيل ٤٢ — ٤٤٤ م . هـ .

(٢) نفسه ٣٩٩ م . هـ .

(٣) نفسه ٤٤٠ م . هـ .

(٤) نفسه ٣٩٩ م . هـ .

(٥) فهرست لإسماعيل ٤١ م . هـ .

(٦) وفي الفقه أيضا له كتاب سماه الإيضاح بسط فيه أبواب الفقه حتى بلغ زهاء ثلاثة آلاف ورقة . وهذا الكتاب الذي ذكره المؤلف في كتاب الاختصار غير موجود في خزائن أهل الدعوة .

« ويكن فتواك في الحلال والحرام من كتاب دعائم الإسلام دون ماسواه من الكتب المفتعلة ^(١) » .

وله كتب في التاريخ والآثار والأخبار والسير . منها كتاب افتتاح الدعوة وابتداء الدولة ^(٢) . وقد أمره الخليفة المعز بجمع أخبار الدولة ليبقى ذكرها في الباقين ، فألف هذا الكتاب بدأ فيه بذكر ابتداء الدعوة باليمن والقائم بها وهو أبو القاسم منصور اليمن الكوفي وظهوره فيها حتى نفذ إليه الداعي أبو عبد الله الشيعي الصنعاني وخرج منه إلى المغرب بعد ما أخذ عنه وما الذي كان من أمره بعد وصوله إليها إلى أن هاجر إليها المهدي عبد الله بن الحسين وابنه القائم بأمر الله . ومن مؤلفاته في التاريخ كتاب شرح الأخبار ^(٣) في أربعة مجلدات وستة عشر جزءا عرضه على الخليفة المعز وأثبت فيه مما أثبت ، وصح عنده ، ويتضمن تفسير الحديث « أنا مدينة العلم على بابها » وعلى فضائل علي ومناقبه وجهاده الناكثين والقاسطين والمارقين ، ووفاة النبي ، وفضائل سيدتنا خديجة بنت خويلد وسيدتنا فاطمة الزهراء والإمامين الحسن والحسين ومن قتل مع الحسين من أهل بيته ، ثم ذكر فضائل الأئمة من ولد الحسين بن علي إلى جعفر الصادق ، وذكر إسماعيل بن جعفر ومحمد بن إسماعيل والأئمة المستورين ، وذكر معالم المهدي وصفات شيعة علي .

ومن مؤلفاته في العقائد : كتاب الهمة في آداب الأئمة ^(٤) ، وكتاب مفاتيح النعمة ^(٥) ، وفي علم التأويل : كتاب أساس التأويل ^(٦) وكتاب تأويل الدعائم ^(٧) ، وفي علم الحقائق : كتاب التوحيد ^(٨) ، وفي الوعظ والإرشاد : كتاب المجالس والسيارات ^(٩) ، وفي المناظرة : الرسالة المصرية في الرد على الشافعي ^(١٠) ، وكتاب

(١) فهرست لإسماعيل ٤١ . انظر سجل الخليفة الأمر (الملاحق رقم ١) .

(٢) فهرست لإسماعيل ٨٦ — ٨٩ : م.م.هـ .

(٣) نفسه ٨٩ — ٩٦ : م.م.هـ .

(٤) نفسه ٦٣ — ٩٤ : م.م.هـ ؛ نشره محمد كامل حسين (٥) نفسه ٢٥٧ : م.م.هـ .

(٦) نفسه ١٨٧ — ١٨٨ : م.م.هـ .

(٧) نفسه ١٨٨ — ١٩٠ : م.م.هـ .

(٨) نفسه ١٥٤ — ١٥٦ : م.م.هـ .

(٩) نفسه ٦٥ — ٦٦ : م.م.هـ .

(١٠) لم نعثر عليها .

في الردّ على أحمد بن شريح البغدادي^(١) ، ورسالة ذات البيان في الردّ على ابن قتيبة^(٢) ، وكتاب اختلاف أصول المذاهب^(٣) ، وكتاب المناقب والثالث^(٤) ، وغيرها من الكتب والرسائل التي توجد في خزائن الدعوة اليمنية .

جعفر بن منصور البصرة

وكان عهد الإمام الخليفة المعز لدين الله يمتاز بوجود الشخصيات البارزة أمثال قائده الأستاذ جوهر الصقلي^(٥) ، والشاعرين النابغتين الأمير تميم^(٦) وابن هاني^(٧) ، والعالمين الخبرين الشيخ جعفر بن منصور اليمن والقاضي أبي حنيفة النعمان التميمي المغربي . وقد ذكرنا فيما سبق في باب الدعاة بعد وفاة أبي القاسم منصور اليمن نبذة عن تاريخ ابنه الخبر جعفر^(٨) ، وسموّ درجته عند الخلفاء الفاطميين القائم والمنصور والمعز . ولم يصل جعفر إلى هذه الدرجة إلا بأجماعه العميقة في الدعوة التأويلية ، كما يتضح ذلك من مؤلفاته . ومنها : كتاب الفرائض وحدود الدين^(٩) ، يبدأ بتفسير الآية : وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ وَالْجَنَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ، ثم يورد ملخص الكتاب الوارد إلى ناحية باليمن من الإمام عبد الله المهدي بعد زواله في المهديّة ، ذكر فيه المهدي أسماء أسلافه الأئمة المستورين الحقيقية ، والسبب الذي جعلهم يأخذون لأنفسهم أسماء غير أسمائهم ، ثم شرح قصة يوسف وتأويل سورة يوسف وتأويل سورة الكهف . ومنها : كتاب الشواهد والبيان^(١٠) وسرائر النطقاء^(١١) وأسرار

(١) لم نعتز عليها . (٢) ذكرها فيضى في IRAS (١٩٣٤) ٢٧ : ٢٧ . م . م . م .

(٣) فهرست إسماعيل ١٣٢ — ١٣٤ : م . م . م .

(٤) نفسه ٨٤ — ٨٦ : م . م . م .

(٥) في الكتب المحفوظة بخزائن أهل الدعوة اليمنية كتاب سيرة الأستاذ جوهر ، يقال أملاها الأستاذ أمين سره الجوهرى .

(٦) نسخ ديوانه الخطية متداولة في مكاتب أولى الدعوة ، وتستعد دار الكتب المصرية الديوان قريباً .

(٧) وقد حقق الدكتور زاهد على نس ديوان ابن هاني بمقارنة عدة مخطوطات الديوان التي حفظتها الدعوة ، ونشره بشرح واف بالقاهرة .

(٨) انظر الباب الثالث ص ٥٢ — ٥٤ . (٩) فهرست إسماعيل ٢٥٧ : م . م . م .

(١٠) نسخة خطية بالمكتبة التيمورية بالقاهرة (عقائد ١٨٤) . (١١) م . م . م .

النطقاء^(١) في بيان تأويل قصص الأنبياء ، كما تعتبر مؤلفاته الأخرى مثل كتاب تأويل الزكاة^(٢) ، وكتاب الكشف^(٣) ، وكتاب الفترات والقرانات^(٤) ، وكتاب العالم والغلام^(٥) ، ورسالة في تأويل سورة النساء^(٦) ، وكتاب المراتب والمحيط^(٧) ، ورسالة في معنى الاسم الأعظم^(٨) ، ورسالة الرضاع في الباطن^(٩) من أهم كتب الدعوة في علم التأويل .

أحمد النيسابورى

ويوجد أيضا في خزائن الدعوة كتاب إثبات الإمامة^(١٠) ، ورسائل استتار الإمام^(١١) ، والموجزة الكافية في آداب الدعاة والحدود^(١٢) ، والظاهرة في معرفة الدار الآخرة من تأليف الشيخ أحمد بن إبراهيم النيسابورى الذى عاش في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس في عهدى العزيز والحاكم .

رسائل إخوانه الصفا

وقد أصبحت الفلسفة الكلامية بفضل أبحاث العلماء المتقدمين أمثال أبى حاتم الرازى وأبى عبد الله النسفى وأبى يعقوب السجستانى أساس النظام الفسكرى الخاص بالدعوة . وظهرت رسائل إخوان الصفا و خلاص الوفا بفلسفتها الكلامية ، ولا ندرى متى وأين ظهرت ومن ألفها ، إلا أن العلماء قد أثبتوا علاقتها بالدعوة

-
- (١) لم يذكر الشيخ إسماعيل هذا الكتاب في فهرست ؛ مخطوط في م . م . ه .
 (٢) م . م . ه . ؛ مخطوط بمكتبة الجامعة بليدن (دى خويه : Leiden (De Goeje
 (cod. 1971) ؛ راجع مقال حسين الهمدانى في JRAS (١٩٣٣) ٧١٢ .
 (٣) وقد نشره ستروثمان (Strothmann) في سلسلة منشورات جمعية البحوث الإسلامية ببومباى .

- (٤) فهرست لإسماعيل ٣٩٤ م . م . ه . (٥) نفسه ١٨٨ .
 (٦) نفسه ٢٦١ م . م . ه . (٧) نفسه ٢٥٨ .
 (٨) نفسه ٢١١ م . م . ه . (٩) نفسه ١٩٣ م . م . ه .
 (١٠) فهرست لإسماعيل ١٦٨ — ١٧٠ م . م . ه .
 (١١) نفسه ١٢٢ ؛ نشرها إيوانوف (القاهرة ١٩٣٩) .
 (١٢) نقلها حاتم بن إبراهيم الحامدى الهمدانى في كتابه تحفة القلوب (انظر ص ٢٧٩) .

الفاطمية^(١) . وبالرغم من أنها لم تذكر ولو مرة في الكتب التي ألقت في عهد الفاطميين — لأسباب ذكرناها في بحثنا عن مؤلفي الرسائل^(٢) — ، اهتمت الدعوة اليمينية بهذه الرسائل اهتماماً بالغاً ، ابتداء من عهد الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي المتوفى سنة ٥٥٧ ، فهو أول من ذكرها والرسالة الجامعة من مؤلفي الدعوة في كتابه المسمى بكنز الولد^(٣) . ويلاحظ أن الرسالة الجامعة اعتبرها أهل الدعوة اليمينية جزءاً من رسائل إخوان الصفا على حين ينسبها غيرهم إلى مسلمة الجريطي^(٤) . وشرعت الدعوة اليمينية تدرس هذه الرسائل الإحدى والحسين والرسالة الجامعة المشار إليها في الرسائل ، وحاولت أن توفق بين نظرياتها وأهدافها الكلامية وبين النظام الفسكري الذي قدمه المؤلفون في عهد ظهور الأئمة .

أحمد حميد الدين الكرماني

ظهر في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله عالم فيلسوف في أفق الدعوة وهو الشيخ أحمد حميد الدين الكرماني الملقب بحجة العراقيين . وكان مقامه في العراق في مرتبة حجة الجزيرة من قبل الإمام الحاكم بأمر الله . واستخدم الحاكم الشيخ أحمد الكرماني وجعله رئيساً لدار الحكمة التي كانت مغلقة منذ زمن . وقد استدعاه ختكتين الضيف الملقب بالصديق المأمون داعي الدعاة إلى مصر ، عندما اشتدت الفتن الدينية وتمد النشاط العلمي ونسب الغالون الألوهية إلى الحاكم . فألف في سنة ٤٠٨ رسالته المسماة بالواعظة^(٥) في الرد على الحسن الفرغاني الذي قال بتأليه الحاكم

(١) راجع مقال كزانوفا في JA (١٨٩٨) ص ١٥١ وبعبدها ؛ الطيباوي : جماعة إخوان الصفا ٧١ ؛ ديور : تاريخ الفلسفة في الإسلام ٩٦ ؛ عبد الكريم خليفة : إخوان الصفا ٢٤ — ٢٩ ؛ عمر الدسوقي : إخوان الصفا ٨٨ — ١٢٢ . وقد أنكر عمر فروخ (إخوان الصفا ١٢ — ١٣) علاقة الرسائل بالشيعة .

(٢) راجع مقال حسين الهمداني عن رسائل إخوان الصفا في Der Islam (١٩٣٢) . (٣) انظر الباب العاشر ص ٢٧١ .

(٤) بحث تاريخي لحسين الهمداني ٧ — ١١ . والجزءان من الجامعة في خزائن دعوة اليمن وفي م. م. م. ونشر جميل صليبا الجزء الأول منها بدمشق سنة ١٩٤٨ .

(٥) وهي من مجموعة الرسائل الثلاث عشرة من تأليف الكرماني إلا الرسلتين الأخيرتين ؛ فهرست لإساعيل ٢٠٠ — ٢٠٥ ؛ ومقال حسين الهمداني في JRAS (١٩٣٣) ٣٧٣ ؛ إيوانوف ١٣٤ .

وأبرأ فيها الحاكم من دعوى الألوهية قائلًا إن الحاكم إنما هو عبد الله ، له يسجد . ولم تنفع هذه المحاولة والاحتجاج ، لأن حمزة الدُرْزِيّ قاد الدروز في السنة التالية ، وانفصل عن الدعوة الرسمية وتمسك بمبدأ ألوهية الحاكم . والكرماني في رسالته مباسم البشارة^(١) وكتابه المصابيح^(٢) تمكن أن يثبت وجوب الإمامة وبالمخصوص إمامة الحاكم بيراهين عدة حتى من الكتب المقدسة^(٣) ، واستعمل آراء الفلاطونية الحديثة وأنظارها بمهارة لم يسبقه فيها أحد من الدعاة في توطيد صرح النظام الفكري الذي اشترك في بنائه علماء الدعوة السابقون ، بل حاول أن يرفع هذا الصرح الديني الفلسفي إلى قته القصوى حتى لا يترك مجالاً للخلاف والنقاش . فلذلك نراه في كتابه المسمى بالرياض^(٤) يوجه عنايته إلى الحكم بين الصادقين ، صاحب الإصلاح (أبي حاتم الرازي) وصاحب النصرة (أبي يعقوب السجستاني) ، بشأن كتاب النسف المتنازع فيه المسمى بالحصول ، لأن الذي تنازعا فيه لم يكن من « الفروع التي يجوز أن يختلف فيها مع سلامة أصولها » ، ولأن الذي تنازعا فيه « أمر كان مؤدياً في توحيد الله ومعرفة حدوده إلى نظام اعتقاد الموقنين » . ولذلك أبصنا شاهده في كتابه المسمى بالأقوال الذهبية في الطب النفساني^(٥) يتوجه إلى ما أهمل الشيخ أبو حاتم الرازي في مناظرته الفيلسوف الشهير محمد بن زكريا الرازي فيما يتعلق بوجوب أمر النبوة ، وأراد أن يكمل ما نقص في أعلام النبوة للشيخ أبي حاتم ويدافع عنه ، وجعل الكرماني كتابه على بابين ، أحدهما في إبانة « الخطأ المستمر » على ابن زكريا في طبه الروحاني ، وفيما جرى بين الرازيين ، وفيما أهمل الشيخ أبو حاتم ، وثانيهما في إبانة « الحق المستمر » فيما هو حق الطب النفساني .

(١) وردت في مجموعة الرسائل الثلاث عشرة .

(٢) فهرست إسماعيل ١٧٠ — ١٧٢ هـ . م . م .

(٣) راجع مقال بول كراوس (Kraus) عن العبارات العربية والسريانية في

مؤلفات الكرماني في مجلة Der Islam (١٩٣١) ٩ / ٢٦١ .

(٤) فهرست إسماعيل ٣٨١ — ٣٨٣ هـ . م . م . ومقالة حسين الهمداني في المؤتمر

الثاني لدائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن سنة ١٣٥٨ هـ ؛ مقال حسين الهمداني في

JRAS (١٩٣٣) ٣٧٤ .

(٥) فهرست إسماعيل ٢٤٠ — ٢٤٤ هـ ؛ JRA8 (١٩٣٣) ٣٧٤ هـ . م . م .

وكان الشيخ أحمد رجعيًا إلى حدٍّ ما ، واستعمل نظم الفلاطونية الحديثة وآراء
الشيخين الصادين السكلامية لتوطيد بناء الإمامة الفاطمية ، وبذل كل جهد في جميع
مصنفاته لإثبات أمر النبوة والإمامة من الوجهتين الفلسفية والدينية . وفي
هذا نستطيع أن نقرن الكرماني بحجة الإسلام الغزالي في استخدامه نظم الفلاسفة
لتأييد التصوف والباطن . فأيد الشيخين بكل ما يملك من مهارة فلسفية فائقة
في مبدأ التمسك بظاهر الشريعة والعبادة العلمية ، واقتصر العبادة العلمية
والاشتغال بالتأويل والكلام الفلسفي على الحدود المأذونين . فهذه الظاهرة
نشاهدها في مصنفاته الموسومة بالوضعية^(١) ، والمصاييح في إثبات الإمامة ، وتنبية
المهادي والمستهدي^(٢) ، وراحة العقل^(٣) . وللشيخ أحمد الكرماني فضل كبير
في تطور النظام الفكري والسكلام النظري الخاص بالدعوة ، لأنه أثبت في كتابه
راحة العقل — وهو من الكتب الكبار في الأدب الفاطمي ألفه سنة إحدى
عشرة وأربع مئة — هذا النظام الفلسفي الديني الذي قدم أصوله علماء الدعوة السابقون .
يدل على ذلك إشارة الكرماني ، في المشرع الثالث من السور الأول فيما يجب
أن يقرأ قبل قراءة هذا الكتاب ، إلى قراءة كتب القاضي النعمان بمسند كتاب الله
وكتب جعفر بن منصور اليمن وكتب أبي حاتم الرازي ومحمد بن أحمد النسفي
وأبي يعقوب السجستاني وقراءة كتبه التي ذكرناها آنفا . «فدل بأنه ما آتى بكتابه
راحة العقل إلا بحقائق ما آتى به هؤلاء الدعاة»^(٤) . ثم أضاف إليه عناصر جديدة ،
ووسع بعض موضوعاته ، وحدد ما كان مطاطا أو سائلا أو قابلا للتفسير والتناقض
والتشابه . فلذلك صار كتاب راحة العقل في الأدب الفاطمي بمثابة كتاب إحياء علوم
الدين للغزالي الذي قرر فيه وحدد الأسس والأصول للتصوف الإسلامي . فيستند
عليه علماء الدعوة اليمينية في أبحاثهم عن مسائل علم الحقائق استنادهم على كتاب
دعائم الإسلام للقاضي النعمان في المسائل الفقهية . وفيه قدم الكرماني مذهبه

(١) فهرست إسماعيل ١٧٩ — ١٨١ هـ . م . م . (٢) نفسه ٦١ هـ . م . م .

(٣) هـ . م . م . والكتاب حققه محمد كامل حسين ومحمد مصطفى حلبي في سلسلة
مخطوطات الفاطميين رقم ٩ (القاهرة ١٩٥٢) .

(٤) من الشومس (على هامش مخطوط راحة العقل ١/٢٤٤) .

وهو مذهب الدعوة في الوجود ، وأيد علماء الدعوة السابقين في نفى الأيسية والليسية عن الله ، ومذهب الدعوة في التوحيد ونفى الصفات عن الله نفياً مطلقاً ، ومذهب الدعوة في الأصلين الإبداع والانبعاث . لقد تأثر في هذا كله تأثراً شديداً بما أتى به الشيخ أبو حاتم الرازي والشيخ أبو يعقوب السجستاني وغيرهما من علماء الدعوة ، وقدّم نظم الدعوة وأنظاريها في أسلوب منطقيٍّ بحت . ولم يقف الكرمانى عند هذا الحد ، بل جمع لأوّل وهلة الأصلين الأوّلين العقل والفعال والنفس الكلية مع نظام العقول العشرة الفلوطينية التي عرضها العلم الثاني الفارابي ببعض الاختلاف ، وأبان المقابلة والمطابقة بين عالم الإبداع (وهو عالم العقول أو العالم الروحاني اللطيف) ، وبين العالم الجرماني (وهو عالم الأفلاك والكواكب) ، وبين العالم الجسماني (وهو ما دون فلك القمر) ، وبين عالم الدين (وهو معرفة مراتب حدود الدين) ، لأنّ العوالم كلها مرتبة تحت سياسة قانون « الميزان » حذو النعل بالنعل . فآخذ علماء الدعوة اليمنية هذا الكتاب الجليل القدر وكتب علماء الدعوة السابقين ورسائل إخوان الصفا أساساً تدور عليها مباحثهم ودراساتهم .

المؤيد في الدين الشيرازي

وكانت اليمن تواصل اتصاليها بمركز الخلافة والدعوة الفاطمية بالقيروان والمهدية ثم مصر من أيام ظهور المهدي، حتى في أيام الحاكم نرى أن سجلاته كانت ترد إلى رئاسة الدعوة باليمن على الرغم من زوال الدولة الفاطمية الأولى ؛ وقد ازدادت هذه العلاقات بين اليمن ومصر في عهد الخليفة المستنصر حينما ظهر الملك علي بن محمد الصليحي على مسرح اليمن . وقد ذكرنا فيما سبق وفي مقالنا في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية البريطانية^(١) أن الملك علي بن محمد الصليحي أرسل قاضي قضاة اليمن ملك في وفد من أوليائه إلى مصر مع رسالة خطيرة وأنّ ملك أقام بمصر خمس سنوات . وفي مدة إقامته كان القاضي متصلاً اتصالاً وثيقاً بداعي الدعوة وباب الأبواب المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي

المتوفى سنة ٤٧٠ هـ ؛ وكان يحضر مجالسه بدار العلم ويأخذ عنه علوم الدعوة حتى استوعب ما عنده . وذكرنا أيضاً أن المؤيد وجد أن نفوذ الوزراء يزداد بضعف الخليفة ، فلذلك رأى أن مصير الدولة بهذا الوضع ينحدر إلى الضعف والزوال ؛ فقرر تحويل تراث الدعوة العلمي الديني إلى جزيرة اليمن ، لأنها هي الوحيدة التي ظلت متمسكة بمبادئ الدعوة الفاطمية الرسمية بعد أن فقدت نفوذها في كل من شمال إفريقيا ومصر والشام والعراق وفارس ، وفوض إلى مركز اليمن أمور الدعوة في الأحساء والبحرين وما جاورها من البلاد وفي الهند والسند .

وكان المؤيد عالماً من أعلام الدعوة العلماء ، نابغة من نوابع عصره ، شاعراً فيلسوفاً سياسياً مغامراً غازياً ، وقد سرد في كتاب السيرة حوادث أيامه وحياته ومغامراته ومفاوضاته وعلاقاته بالوزراء والقواد والحكام بين سنة ٤٢٩ وسنة ٤٥٠ هـ . وتعد سيرة المؤيد وثيقة من أهم الوثائق التاريخية^(١) .

وقد احتفظت الدعوة بمجموعة محاضراته التي بلغ عددها ثمان مئة محاضرة ، كل مئة منها في مجلد ، وتسمى هذه المجموعة بالمجالس المؤيدية^(٢) . وقد قسم الداعي السلطان حاتم بن إبراهيم الحامدي الهمداني هذه المجالس ورتبها على حسب الموضوعات في ثمانية عشر باباً في كتابه المسمى بجامع الحقائق^(٣) ، وقد وردت في المجالس رسائل المؤيد وأب العلاء المعري في تحريم اللحوم والألبان الذي فرضه المعري نفسه^(٤) .

وأما ما قاله من الشعر في مدح الأئمة وبالخصوص الخليفة المستنصر وفيما جرى عليه بمصر من حوادث الأيام وما ناله من أذى الناس وكابده من امتحان إمامه

-
- (١) فهرست إسماعيل ١٢١ هـ . م . هـ . نشرها محمد كامل حسين بالقاهرة سنة ١٩٤٩ .
 (٢) فهرست إسماعيل ٢٣٦ هـ . م . هـ .
 (٣) نفسه ٢٣٦ هـ . م . هـ . ؛ انظر ص ٢٧٨ من هذا البحث ؛ ذكر أبو انوف
 (٤٧ — ٤٩) مؤلفات المؤيد وأخطأ في تسمية الكتاب بجامع الحقائق في تحريم اللحوم والألبان ونقلها منه محمد كامل حسين (د المؤيد ٥٨) .
 (٤) ذكرها ياقوت في معجم الأدباء ، ونشرها مارجليوث (Margoliouth) في JRAS (١٩٠٢) — ٢٨٠ — ٢٩٠ .

وغير ذلك من افتخاره بطاعته أئمة ومناجاته لله فمحفوظ في ديوانه^(١). وأغلب الظن أن يكون القاضي مالك بن مالك الحمادي جمع قصائده وأتى بها إلى اليمن .

واحتفظت الدعوة اليمنية أيضا ببعض مؤلفاته ، ومنها مجموعة الأدعية والخطب التي قرأها المؤيد في الجمعات^(٢) يضمها كتاب يسمى بالصحيفة اليمانية^(٣) . وهذه الأدعية بحاجة إلى التحقيق والتمحيص ، لأن بعضها قد تكون نسبت إليه ، كما يظهر من الإشارة فيها إلى أسماء الأئمة حتى الطيب بن الأمر ، وربما أضيفت إليها أسماء الأئمة بعد المسنصر .

ومنها كتاب نهج الهداية للمهتدين^(٤) ويتضمن إحدى عشر بابا ، الأول في إثبات التوحيد وما يمكن أن يقال فيه وإن عظم ذلك إلا بمقدار الإثبات المنزه عن التشبيه والتعطيل ؛ والثاني في معرفة الإبداع والكلمة والوحدة والعقل والأمر ما يرجع هذه الأسماء مع اختلافها من معنى واحد ؛ والثالث في معرفة البدع الأول وما يخصه من الأسماء مثل العقل الأول والعلم والسابق والمعقول والمعلول الأول والشئ^١ والوجه والعرش وغير ذلك ؛ والرابع في معرفة المخلوق الثاني والمنبعث من الأول وما يخصه من الأسماء مثل النفس والنوح والثاني والثالث والكرسى وغير ذلك ؛ والخامس في معرفة الهيولى والصورة والطبائع المفردة ؛ والسادس في معرفة الطبيعة السككية والجزئية ؛ والسابع في معرفة الرسول والرسالة وكيف مجراها في الحكمة وما الموجب لهما ؛ والثامن في معرفة الوصي والوصاية وما الموجب لهما في الحكمة ؛ والتاسع في معرفة الإمام والإمامة وكيف مجراها وما الموجب في الحكمة ؛ والعاشر في معرفة مبدأ البشر ومعاده وما الغرض في وجوده وعدمه ؛ والحادي عشر في معرفة الثواب والعقاب . والظاهر من هذه العناوين أن الكتاب يحتوي على مصطلحات علم الحقائق التي اتبعها علماء اليمن في مؤلفاتهم .

(١) فهرست إسماعيل ٣٩ م . م . هـ . ؛ وحققه محمد كامل حسين وله تصدير مفيد (القاهرة ١٩٤٩) .

(٢) م . م . هـ .

(٣) إيوانوف ٥٨٥ م . م . هـ .

(٤) م . م . هـ .

وله كتاب الابتداء والانتهاء^(١)، وجملة فصول الكتاب ثلاثة وأربعون فصلا، ويشتمل على ذكر الإبداع والعلّة والوحدة والكلمة والفعل والفاعل والمفعول والواحد والأحد والأمر والخلق وكن فيكون والعقل والنفس والحركة والسكون والهيولى والفرق بين جميع ذلك، وذكر القائم وما يكون منه وما يفعله، وذكر الأنبياء عليهم السلام، وذكر الأئمة وعددهم من دور سيدنا محمد صلى الله عليه، وذكر حجة القيامة وغلق باب التوبة وانقطاع الدعوة، وذكر شهر رمضان وليلة القدر وعيد الأنصبي والنحر والضحايا، وذكر الولد التام الذى يقوم مقام والده إذا تم، وذكر خروج النفس من حد القوة إلى حد الفعل، وذكر النفس الناطقة وما كسبت من العلم والعمل، وذكر الثواب والعقاب، وذكر الملائكة بالفعل وبالقوة، وذكر المعاد ورجوع النفس الناطقة إلى مأمنها، وذكر النفخة والصور وكيفيتهما، وذكر مزدلفة والصلاة فيها، وذكر الثلاثة الأيام التشرىق بعد العيد فى النحر، وغير ذلك من موضوعات الدعوة الحقيقية أو علم المبدأ والمعاد.

وربما أخذ علماء اليمن اسم هذا النوع من البحوث من اسم هذا الكتاب مع أن البحث يدور حول نفس الموضوعات التى قدمها العلماء السابقون. والغالب أن اليمنيين أطلقوا على هذا البحث اسم علم المبدأ أو المعاد أو الابتداء والانتهاء نقلا عن المؤيد فى تسميته كتاب الابتداء والانتهاء وفى شرحه لمعرفة مبدء البشر ومعاده من كتاب نهج الهداية الذى ذكرناه آنفا. وأشار المؤيد فى هذا الكتاب إلى كتابه المسمى «بإثبات الإمامة من بعد جعفر» وفى اختلاف الشيعة بعد موت إسماعيل فى حياة جعفر»، واستطرد قائلا: «وقد ذكرنا حالة الأئمة المستورين الثلاثة ومواضعهم واختلاف الدعاة وقد ذكرنا أساميهم وكيف كان حالهم والكتاب خاص موجود لمن طلبه». ولم يذكره الشيخ إسماعيل فى فهرست ولم نعر عليه أو على ذكره فى فهرس كتب الدعوة. وأشار فيه أيضا إلى كتاب

تأويل الدعائم وكتاب أساس التأويل وكتاب تأويل الشريعة وكتاب حدود المعرفة وكتاب المعاد في خلاص النفوس وكتاب افتتاح [الدعوة] من تصنيف القاضي النعمان ، والظاهر أن المؤيد تأثر كثيرا بآراء القاضي في الدعوة التأويلية . ومن مؤلفاته في التأويل المسائل السبعون^(١) ويتضمن تفسير الآيات القرآنية والمسائل الدينية ، وكتاب المسألة والجواب^(٢) ، كتاب بنیاد تأویل^(٣) وهي ترجمة فارسية لكتاب أساس التأويل^(٤) للقاضي النعمان .

وكان المؤيد كثير التأليف ووصلت مؤلفاته كلها أو معظمها إلى اليمن ، واهتم علماء اليمن بها اهتماما بالغا ، لأنها ذكرت كثيرا واعتمد عليها في مباحث اليمنيين . وقد ذكر صاحب كنز الولد المؤيد أكثر من أربعين مرة مقتبسا من بحاله ومناجاة وشعره ، وصاحب كتاب الأنوار اللطيفة ذكر المؤيد ثلاثين مرة^(٥) . وكان اليمنيون قريبي العهد بالمؤيد ، واتصل به شيخهم القاضي لك اتصالا مباشرا وأخذ عنه ، بالرغم من اهتمامهم بدراسة مباحث الدعاة أجمعين .

ومما يدل على مكانة المؤيد عند علماء اليمن واستفادتهم من علومه ومعارفه ما جاء في سجل الإمام الخليفة المستنصر المؤرخ في شهر رمضان سنة إحدى وستين وأربع مئة الوجه إلى الملك المكرم أحمد : « وأما ما سألت فيه مما يتعلق بالوفي شهريار بن حسن فإن الشيخ الأجل داعي الدعاة المؤيد في الدين عصمة المؤمنين ، صفي أمير المؤمنين ووليه أبا نصر هبة الله بن موسى — سلمه الله وأحسن توفيقه وتسديده — بفعل في ذلك ما يوجب حكمه ويقتضيه »^(٦) .

(١) م.م.م .

(٢) فهرست إسماعيل ٤٠٥ — ٤٠٦ م.م.م .

(٣) م.م.م .

(٤) انظر ص ٢٥٥ .

(٥) كما حكاه محمد كامل حسين (د المؤيد ١٨٦) .

(٦) السجلات رقم ٦١ .

شهریار بن حسن

وكان الشيخ شهریار بن حسن من علماء فارس وكرمان، فالتحق بالدولة الصليحية. وأوفده الملك المكرم الصليحي إلى مصر فأخذ عن المؤيد علوم الدعوة حتى عاد إلى اليمن . وهو صاحب الرسالة في رد من ينكر العالم الروحاني، وهي تضمها مجموعة رسائل الكرمانى الثلاثة عشر ومجموع التربية للشيخ محمد بن طاهر الحارثى^(١). وله أيضا رسالة في معنى قول الله إنا فتحنا لك فتحا مبينا صنفها جوا باعلى مسألة السلطان عامر ابن سليمان الزواحى^(٢)، وقصيدة أوردتها الداعى سليمان بن حسن في كتاب النخب^(٣).

مصنفات أخرى

وتوجد أيضا في خزائن كتب الدعوة اليمنية :
مجموعة السجلات المستنصرية، وقد ذكرناها في مقدمة هذا الكتاب^(٤). وأثرنا إلى أهمية هذه الوثائق التاريخية التي حفظتها اليمن في جبالها وخزائنها، واستفدنا منها كثيرا في هذا البحث.

وكتاب المجالس المستنصرية^(٥) وهي خمس وثلاثون مجلسا أقيمت باسم الإمام الخليفة المستنصر عن المسائل الفقهية والتأويلية، ونسب الشيخ إسماعيل تأليفها إلى الوزير بدر الجمالى.

وديون حسن بن محبوب في مدح الإمام المستنصر والمواعظ^(٦).
ورسالة الهداية الآمرية^(٧) تأليف الإمام الخليفة الأمر بأحكام الله في تثبيت إمامة أبيه المستعلى والرد على النزارية.

(١) انظر ص ٢٥٨ (هامش ٦) وص ٢٧٢.

(٢) إيوانوف رقم ١٦٧.

(٣) نفسه رقم ١٦٩.

(٤) انظر ص ٦.

(٥) فهرست إسماعيل ١٩٠ — ١٩٢ م.م.هـ؛ وحقها محمد كامل حسين ونشرها

(مصر بدون تاريخ).

(٦) فهرست إسماعيل ٥٦.

(٧) فهرست ١٦٠ م.م.هـ؛ ونشرها آصف فيضى (بومباي ١٩٣٨).

وكتاب المجالس للشيخ أبي البركات بن بشر الحلبي^(١) صاحب الرتبة البايية
في عهد الإمام الخليفة الأمر ، وهي ستون مجلسا في المواعظ والتفسير والعقائد .
وقد ذكرنا في هذا الباب مشاهير علماء الدعوة وأهم مصنفاتهم ، ولا
يستغرق البحث جميع ما حفظت اليمن من التراث العلمي الفاطمي أو ما ذكر من
مؤلفاتهم الموجودة والمفقودة . وهذه اللمحة تكفي أن نأخذ فكرة عن الثروة
العلمية التي انتقلت إلى اليمن ، ومدى مركزها في تاريخ تطور آراء المسلمين ونظمهم
الفكرية .

(١) فهرست إسماعيل ٣٩١ : م . م . م . هـ .

الباب العاشر

دعوة اليمن ونشاطها العلمي

من أواخر عهد الملكة الحرة إلى ظهور دولة آل رسول

الرابعي الذؤيب بن موسى الوادعي الهمداني (٥٢٠ - ٥٣٦)

وقد سبق أن ذكرنا^(١) أن اليمن هي الوحيدة التي ظلت موالية لدعوة الفاطميين القديمة الرسمية ، وأن القاضي ملك بن مالك الحمادي عند عودته إلى اليمن كان مكلفاً من قبل الإمام الخليفة المستنصر وباب أبوابه المؤيد تنفيذ سياسة معينة بالنسبة إلى إقامة الدعوة ، ونقل آدابها وعلومها إلى اليمن ، وأنه لقب بلقب داعي القلم في عهد الملك المسكرم أحمد الصليحي وبلقب داعي البلاغ في عهد الملكة الحرة . وقد اختار ملك منجبة من التلامذة الأفذاذ البعيدين عن أمور الملك أمثال ابنه يحيى ابن ملك والذؤيب بن موسى الوادعي وإبراهيم بن الحسين الحامدي ، وسلم إليهم كل ما كان أخذه من علوم الدعوة أيام إقامته بمصر . ويقول صاحب العيون^(٢) ، نقلاً عن الشيخ حاتم بن إبراهيم الحامدي : ولم يسمح من حقائق علمه إلا بالشيء القريب للداعي المسكرم والحرة الملكة وأحمد بن قاسم بن دلي لا غيرهم ؛ وذلك لاستغاثهم بشئون الملك والإدارة والحروب المستمرة . فتحوّلت آداب الدعوة الفاطمية وعلومها بيد ملك إلى شيوخ اليمن العلماء الذين تفرّغوا لدراسة هذا التراث العلمي الديني .

وظل الشيخ يحيى بن ملك^(٣) يعمل بعد وفاة أبيه في نشر علوم الدعوة وإيضاح

(١) انظر ص ١٧٧ ، ١٧٨ - ١٨٢ ، ١٩٢ - ١٩٣ .

(٢) عيون ١٠٤/٧ .

(٣) انظر ص ١٨١ .

معالم الدين وإحياء مراسمه حتى توفي في سنة عشرين وخمس مئة . وله كتاب يسمى بفصل في بيان الأرض وما عليها من المعادن ^(١) .

فأقامت الملكة الحرة في رئاسة الدعوة بعده الشيخ الذؤيب بن موسى الوادعي ، ثم قررت الملكة — في فترة شعور بعد اغتيال الإمام الخليفة الأمر واختفاء ابنه الصغير الطيب من عدوان الوزير أبي علي بن الأفضل — إعلان استقلال اليمن من سيطرة مصر وانفصال هيئة الدعوة من مركزها بالقاهرة انفصالا باتا . ولما رأت الملكة في أواخر عهدها أن دولتها أصبحت غير قادرة على حماية هذه الهيئة الدينية ، وازدادت مؤامرات الخليفة الحافظ عبد المجيد في شئون بلادها ، فصلتها أيضا عن شئون ملكها وإدارة حكومتها فصلا نهائيا . فعينت الشيخ الذؤيب بن موسى الوادعي داعيا مطلقا للإمام المستور . وذلك لأنها كانت حجة الإمام ، ومن حقها أن تعين من يقوم بأمر الدعوة في جزيرتها — اليمن . وكان بقاء الدعوة بهما أكثر من بقائها أو بقاء أسرتهما في الحكم . فكان الذؤيب أول الدعاة المطلقين في دور السر الذي ابتدأ باختفاء الإمام الطيب بن الأمر ؛ فالشيخ الذؤيب لذلك يعتبر من الدعاة المخضرمين الذين أدرکوا عهدي الظهور والسر . وكان الذؤيب علما من أعلام اليمن العلماء ، وسمى « فراص الكتب » لاستخراجه دفائنها وفكته رموزها ، كما حكاها صاحب النزهة ^(٢) . وله رسالة تسمى برسالة النفس ^(٣) ، وتتضمن بعض آراء إسكندر الأفروديسي التي تتفق مع مسائل الدعوة الحقيقية ومع الأساس أن لا يوصل إلى معرفة النفس إلا بعد معرفة الجسم ، ورسالة في معرفة الموجودات أوردها الشيخ محمد بن طاهر في كتاب مجموع الترية ^(٤) .

وعاضده وآزره تلميذه السلطان الخطاب بن الحسن بن أبي الحفاظ الحجوري الحمداني ^(٥) في إقامة الدعوة ، وبعد وفاة الخطاب آزره السلطان إبراهيم بن الحسين

(١) إيوانوف رقم ٣٢ و ٣٤ .

(٢) نزهة ١ / ٨٦ .

(٣) ٥٠٣٠٣ .

(٤) فهرست إسماعيل ١٨١ — ١٨٧ ؛ م.م. ؛ انظر ص ٢٧٢ .

(٥) انظر الباب السادس ص ١٩٣ وما بعدها .

الحامدى . ومن تصانيف الخطاب كتاب غاية المواليد^(١) ، ورسالة النفس^(٢) ،
وكتاب منيرة البصائر^(٣) ، ورسالة فى بيان إعجاز القرآن^(٤) ، ورسالة النعيم^(٥) ،
وديون شعره^(٦) .

الداعى إبراهيم بن الحسين الحامدى (٥٣٦ - ٥٥٧)

ولما توفى الدؤيب خلفه السلطان إبراهيم بن الحسين بن أبى السعود
الحامدى الهمدانى^(٧) داعيا مطلقا للإمام المستور فى اليمن وما جاورها من البلاد
والهند والسند^(٨) فى سنة ست وثلاثين وخمس مئة . وكان مقره صنعاء ، وذلك
لأن رئاسة الدعوة لم تجد بعد وفاة الملكة الحرة حلفاء أقوياء يحمونها من اعتداء
المتعدين إلا الدولة الهمدانية بصنعاء يرأسها الملك حاتم بن أحمد الهمدانى الياشى
حفيد القاضى عمران بن الفضل الياشى وكان للقاضى سوابق حميدة وجهاد فى تأييد
الملك على بن محمد الصليحي والملكة الحرة ، كما ذكرنا سابقا^(٩) . وقد مضت
على الدعوة وأهلها أيام عصيبة ، لأن ملوك آل زريع الهمدانيين فى عدن قد مالوا
إلى الدعوة المجيدية التى انتشرت فى أنحاء اليمن حتى فى معاقل الدعوة — حراز
ونجران واليمن الأسفل ، ولأن ملوك همدان الياشيين فى صنعاء وبلاد همدان
قد تحرروا من جميع هذه المذاهب والدعوات ، وأرادوا تكوين دولة شعب همدان
واليمن ، ولم يتمكن لهم هذا بظهور الغز على مسرح اليمن . فاتبع الشيخ إبراهيم

(١) م.م.م .

(٢) م.م.م .

(٣) م.م.م .

(٤) يضمها كتاب مجموع الترية (انظر ص ٢٧٢) .

(٥) النصف منها موجود فى م.م.م .

(٦) فهرست إسماعيل ٥٠ : م . م . م . ؛ وصورة شمسية من المخطوط المحفوظ

بمكتبتنا المحمدية الهمدانية موجودة فى مكتبة الأستاذ كونس (kuentz) بالقاهرة .

(٧) الحامدى نسبة إلى بى حامد ، وحامد وحامد أخوان من همدان (انظر ص ١٧٥ هامش ١) .

(٨) تطلق على هذه المناطق فى مصطلح الدعوة كلمة « جزيرة اليمن » .

(٩) انظر ص ٩٥ — ٩٦ ، ١١٥ ، ١٣٧ — ١٣٨ ، ١٥٢ — ١٥٤ .

ابن الحسين الحامدي سياسة عدم التدخل والمواظبة على دراسة علوم الدعوة ونشرها، تلك السياسة التي رسمتها الملكة الحرة ورؤساء الدعوة في أواخر عهدها وبعد وفاتها . وقد جعل الحامدي الشيخ علي بن الحسين بن جعفر^(١) الأنف القرشي العبشمي من آل الوليد مأذونا له ، فكان له معاضدا على أمره ، قائما بنشر الدعوة في سره وجهره ، كما حكاه صاحب النزهة^(٢) . ولم يعمر علي بن الحسين القرشي طويلا ، فقد وافته المنية في سنة أربع وخمسين وخمس مئة . فاستعان الداعي إبراهيم الحامدي بابنه حاتم حيث جعله مأذونا ، كما استعان بالشيخ محمد بن طاهر بن إبراهيم الحارثي^(٣) . وفي الشيخ علي بن الحسين القرشي قال الشيخ محمد بن طاهر الحارثي قصيدة جاء فيها^(٤) :

أبا حسن أنقذت بالمعلم أنفسا وآمنها من طارق الحدَثانِ
فجوزيت بالحسنى وكوفيت بالمُنَى ودمت سعيدا في أعزِّ مكانِ
نمَّرتُ بصنعا دعوة طيِّبَةً جعلت لها أسا وشدت مباني

وكان الدعاة الأربعة من علماء اليمن الأعلام ، واشترك القرشي والحارثي وحاتم الحامدي مع أستاذهم إبراهيم الحامدي في نشاطه العلمي وجمع التراث العلمي والديني من عهد الفاطميين وفي بحوثه الكلامية والدينية . فترك كل منهم كتباً ومؤلفات لها شأن خطير في تطور آداب الدعوة اليمنية .

وقد ألف إبراهيم الحامدي كتابه الجليل في علم الحقائق الموسوم بكنز الولد^(٥) ، وذكر فيه لأول مرة في آداب الدعوة رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا والرسالة الأخيرة الجامعة منها ، وأشار إلى نظرية الشخص الفاضل

(١) ورد اسم جد الشيخ علي بن الحسين باختلاف : أحمد وجعفر (نزهة ١/٩١ و ٩٢) .

(٢) نزهة ١/٩١ . وكان الشيخ علي القرشي ابن عم الداعي علي بن محمد بن الوليد

القرشي .

(٣) من بني الحارث بن كعب ، وهو من بني محرز بيت رياستهم (نزهة ١/١٠٤) .

(٤) نزهة ١/٩١ .

(٥) م.م. هـ .

مؤلف الرسائل والجامعة ، فأخذ علماء اليمن بعد ذلك اتجاه الحامدي في درس الرسائل والجامعة وفي اعتبارهم إياها بمثابة القرآن بعد القرآن^(١) . وله أيضا كتاب الابتداء والانتها^(٢) ، وكتاب تسع وتسعين مسألة في الحقائق^(٣) .

وأما رسائل الشيخ علي بن الحسين القرشي فقد وردت في كتاب مجموع التربية^(٤) ، وهو كتاب جامع ألفه الشيخ العلامة محمد بن طاهر الحارثي وقد أورد فيه مقالاته ورسائله وبحوثه ورسائل العلماء الدعاة من دورى ظهور الأئمة واختفائهم والمقتبسات من كتبهم ، نحو فصل في الفرق بين الملائكة بالقوة والملائكة بالفعل للنسفي^(٥) ، وفصلا في تأويل الصلاة من كتاب الشواهد والبيان^(٦) لجعفر بن منصور اليمن ، ورسالة في وجوب الإمامة للشيخ أبي الفوارس أحمد بن يعقوب^(٧) ، ورسالتين في المبادئ العقلية والحدود والرسوم من رسائل إخوان الصفا ، ومجلسا في بيان علة التكليف من مجالس المؤيد في الدين الشيرازي ، ورسالة في إثبات العالم الروحاني لشهريار بن حسن^(٨) ، ورسالة المطيع في المبدأ والمعاد للشيخ محمد ابن علي بن أبي يزيد^(٩) . ورسالة في معرفة الموجودات للداعي ذؤيب بن موسى الوداعي ، ورسالة في إعجاز القرآن والأعمال الشرعية للسلطان الخطّاب بن الحسن الحجوري ، ورسالة الداعي الحسن بن محمد المهدي^(١٠) إلى أهل الرى ، ورسائل معاصره والمأذون

(١) حسين الهمداني : بحث تاريخي في رسائل إخوان الصفا ١٤ .

(٢) إيوانوف ١٨٩ .

(٣) فهرست إسماعيل ٣٥٥ — ٣٥٧ : م.م.م .

(٤) نفسه ١٨١ — ١٨٧ : م.م.م .

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد النسفي (انظر ص ٢٥١ ، هامش ٢) .

(٦) انظر ص ٢٥٦ .

(٧) هو الشيخ أبو الفوارس أحمد بن يعقوب الداعي بمجزة الشام في عهد الحاكم

بأمر الله .

(٨) انظر ص ٢٦٦ .

(٩) من علماء الدعوة في عهد الأمر بأحكام الله الفاطمي .

(١٠) قال إيوانوف ٤١ : لعنه المبيد من مبيد المدينة الواقعة بين يزد وكرمان .

الشيخ على بن الحسين بن الوليد الأنف القرشي في البسملة وفي البحث على الفرقة
النزارية وفي المبدأ والمعاد وفي إثبات إمامة الطيب بن الأمر ، ورسالة تحفة الطالب
وأمنية الباحث الراغب (وتسمى رسالة الضلع) ، وقصيدة للشيخ على بن الحسين
ابن الوليد في مدح الإمام الحادي والعشرين الطيب ، والرسالة الموسومة بملقحة
الأذهان تأليف الشيخ على بن محمد بن الوليد القرشي . ويتضمن الكتاب
أقوال أرسطاطاليس وسيدنا علي بن أبي طالب ، والسجل الوارد إلى اليمن بالبشارة
بالمولود الطيب بن الأمر . ونولا هذا الكتاب لما عرفنا بعض هذه الرسائل والمقالات .
ومن مؤلفات الشيخ محمد بن طاهر الرسالة الحاتمية في الرد على بعض المارقين^(١) ،
وكتاب حدائق الألباب^(٢) ، ورسالة في أربع عشرة مسألة^(٣) .

وظل الشيخ محمد بن طاهر الحارثي والشيخ حاتم بن إبراهيم الحامدي
على ولائهما للدعوة ونشاطهما العلمي تحت إشراف الداعي إبراهيم الحامدي حتى
توفي الداعي إبراهيم بصنعاء في شهر شعبان سنة سبع وخمسين وخمس مئة .

الداعي حاتم بن إبراهيم بن الحسين الحامدي الرمهماني (٥٥٧ - ٥٩٦)

قام بالدعوة في جزيرة اليمن بعد وفاة أبيه . وكان عالما فقيها كثير الاطلاع
وكثير التأليف والإنتاج الأدبي . وقد عرف الناس فضله وبيان حجته فقال إليه
كثير منهم . والتفت حوله بعض قبائل حمير وهمدان ، وملكوه حصن
كوكبان^(٤) . ولما رأى السلطان علي بن حاتم اليامي صاحب صنعاء وما يليها
ميل الناس إلى الداعي حاتم بن إبراهيم ، وإقبالهم عليه ، داخلته المنافسة ،
وخاف منه على ملكه ، وأخذ يستميل همدان ببذل المال ، وضاعف إليهم المعطاء ،

(١) ٨٠٠م .

(٢) فهرست إسماعيل ٣٦٩ : ٨٠٠م .

(٣) نفسه ٢٧٣ — ٢٧٨ .

(٤) نزهة ٩٣/١ .

حتى دخل في طاعته أحمد بن الحبيب الهبيري^(١) . وكان ممن يثق فيهم الداعي حاتم ،
ومن أخذ عليه أكيد أيمانه وعهده . فطلب هذا إلى السلطان أن يقدمه على
همدان . وتمكن السلطان على بن حاتم من جلب الكثيرين ممن كان مع الداعي
حاتم في كوكبان . فخرج عن الحصن وانصل بمشايخ هبرة في لولة وريمان .
فقصدهم الملك على بن حاتم الياصم لمحاربة الداعي وأنصاره من بني هبرة ، وكتب
في نفس الوقت إلى الداعي حاتم « يعاتبه ويلطفه ويقول له : أظهر دينك ، واجمع
أهل دعوتك ؛ ولا تفرق همدان وتحملهم على العداوة والشتان . وضمن ذلك
شعرا »^(٢) . فأجابه الداعي حاتم بقصيدة جاء فيها^(٣) :

أتاني من أبي زيد كتاب	تضمنه من العُتبي فنون ^(٤)
فكن في أمرنا حكما وعدلا	فأنت لكل مكرمة خدين
مقالك فيم تصدع عود يام	وأنت بلم شعنهم قين
أما والمصطفى إني ليام	بإلى والذي أحوى أصون
وأنتم يا غطارف شتم يام	مكانكم من العليا مكين
لكم في الدعوة الغراء قدما	سوابق كلها نشرت زين
ولكن حلتهم عنها فنكم	لها الضد المعاند والقرين
فإن أنتم رجعت واستقلتم	فقد لاح الصباح المستبين
وواليتم إمام العصر صدقا	صفا ما بيننا الاء المعين
وإن ينتم وعانتم كما قد	فعلتم آل عمران فيبنوا ^(٥)

ووجد الداعي حاتم أن همدان بعضها معه وبعضها عليه ، فخشى أن يكون افتراقهم

(١) آل هبرة من همدان (نزهة ١ / ٩٤) .

(٢) وكان الملك على بن حاتم الياصم كأييه الملك حاتم وعمه القاضي محمد وجده القاضي
عمران شاعرا مجيدا فصيحاً . ومع الأسف لم يأت لإدريس في النزهة بكتابه المنظوم شعرا ،

(٣) نزهة ١ / ٩٤ — ٩٦ .

(٤) العتي والاعتاب : رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضى العاتب (ل / عتب)

(٥) عمران هو القاضي عمران بن الفضل الياصم .

على يديه ، وقصد صاحب بيت ردم وهو من بني شهاب وزوج ابنته ، واستقرَّ عنده بعض الوقت ، ثم أتجه الداعي إلى حراز . فوصل إلى موضع يسمى شعاف ، ووجد الناس هناك قد مالوا إلى الحافظ عبد المجيد ، فأخذ يدعوهم إلى ما يدعو إليه . ولما رأوا فضله وزهده وفصاحته وحسن موعظته وعدوِّية قوله ، وما نشر عليهم من فضائل على بن أبي طالب ، دخلوا تحت لواء الدعوة . وطلع من شعاف إلى الظَّهْرَة ، ثم تسلَّم حصن الحُطَّيْب ، وهو من معاقل حراز الرِّفِيعَة ، وحصونها النَّمِيعَة . وهناك توالى عليه أهل دعوته ، وكان زعيمهم السلطان سبا بن يوسف اليَسْعَبْرِي ، الذي ساعد الداعي حاتماً على فتح حصن شبام^(١) .

وفي ذلك يقول القائل^(٢) :

أنصار مولانا الإمام الطيّب	من كلِّ ليت شمّرى أغلب
فتحت شباما بالمواضي جهرة	وسمت لذروته بكلِّ مشطّيب
لله درّ عصاة يمينية	فيها اليعابر كلّ على النصب
قوم لهم في الكرمات أوائل	مشهورة وشجاعة لم تغلب
فاستبشروا يا مؤمنين وثمرّوا	من فتح مولاكم بأيسر مطلب
ثم أتجه سبا بعد ذلك إلى حصن لهاب ففتحه . وفي ذلك قال الشاعر ^(٣) :	
حلت بسوْحك رحمةُ الفقار	فاستخدمت لك ناقد الأقدار
النهت نارا في لهاب فأحرقت	عُصب الضلال معا بتلك النار
وبعث نحوهم بجيش أغليب	ترجى المنون وجحفل جرار
من سيد همدان بن زيد خير من	يرجى لشيد عِلا ومنع دِمار

(١) أحكم الداعي حاتم الحامدي بعد هذا الفتح عمارة حصن شبام اليعابر وبني في القفلة السفلى وحصنها لأنها كانت القفلة العليا التي بنيت في أيام الملك علي بن محمد الصليحي . وأما الجوْج فكانت عمارته بعد (نزهة ١/١٠٣) .

(٢) نفسه ٩٧/١ .

(٣) نفسه ٩٨/١ — ٩٩ .

الطائمين لأحمد ووصيه
والناصرين دعاة آل محمد
والشم من جنب وعنس والذرا
من يعبير ومجسج وكرار
ثم حارب حصن حمضة حتى ملكه عنوة وهو أرفع طود في لهاب . وفي ذلك
قال حنظلة بن علي قصيدة جاء فيها^(١) :

أبا طيبي يا داعي اليمن الذي به أمنت من كل خوف ومن دعر
حراز بفضل من أياديك أحرزت حظوظا فقد صارت على ثمة النسر
وحصن شبام قد سما بك طوده فأسفله يسمو علوا عن القدر
بسمدك قام اليعبري ابن يوسف وأقوام صدق لا تميل إلى القدر

وما زال سبا اليعبري يرى أعداء الداعي حاتم بالموت حتى فتك به بنو حكم
وقتلوه . وفي ذلك قال الشيخ علي بن محمد بن الوليد الأنف قصيدة يحرض فيها
على وجوب الأخذ بثأره جاء فيها^(٢) :

فيا أيها الغادي تحمّل الوكة إلى يعرب طرا وبلغ مقاليا
وخُصّ أباة الضميم أبناء يعبر وصيد حراز الفر أسمع ندايا
أجندوا طلابا للمدوّ فإنهم على غدرهم لا يظفرون معاليا
وشقوا عليهم غارة يعبريّة تصيرهم بالرهفات أضحيا

فتحمّس اليعابر وقاموا واحتشدوا لأخذ الثأر من بني حكم . وانضم إليهم
الداعي حاتم ، فأخذ يحرضهم ، وأوصاهم بالصبر لينالوا ثأرهم . وقصدوا أكمة
العلو^(٣) بهوزن حيث كان بنو حكم ، ووقع القتال بين الطرفين واشتد ، وتأسّد

(١) ترمة ١/٩٩ — ١٠٠ .

(٢) نفسه ١/١٠٠ — ١٠١ .

(٣) في ترمة ١/١٠٢ قال: أكمة العلو مي إلى اليوم خراب يباب .

اليعار حتى دخلوا على الأعداء دورهم قهرا ، وأحصوهم قتلا وأمرأ .
وفي ذلك النصر قال الشيخ على بن محمد بن الوليد قصيدة جاء فيها ^(١) :
أجل هكذا تقى العسلا والفاخر
وتنقم أوتار ويثأر ثائر
فلا شرف إلا أدي حيناً بالظبا ولا مجند إلا ما حوته اليعار

وكان مقر الداعي حاتم في الخطيب ، وكان يعاضده في إقامة الدعوة الشيخ محمد بن طاهر الحارثي ، فعينه رئيسا للدعوة في صنعاء ، وجعل في كل صقع من أصقاع اليمن مأذونا . فواضله أهل الدعوة من السند والهند وأقطار اليمن . وكان يجتمع بأهل دعوة في كهف كبير يقع تحت حصن الخطيب يزودهم بعلمه .

وكان الشيخ محمد بن طاهر الحارثي قد توفي في شهر شوال سنة أربع وثمانين وخمس مئة . فأقام الداعي حاتم بعده الشيخ على بن محمد بن الوليد الأنف القرشي مأذونا وصير إليه أمر أهل الدعوة في صنعاء . وكان يسافر إلى الداعي حاتم بحراز وإليه يرجع الفضل في تعليم ابن الداعي حاتم على بن حاتم حتى يبلغه مرتبة أهله لأن يوليه داعيا مطلقا من بعده ^(٢) .

وقد رأينا أن الداعي حاتم بن إبراهيم حاول بدون نجاح أن ينشئ مملكة في بلاد همدان ثم في حرار ، وأراد أن يحمي الدعوة بالدولة كما كان الحال في أيام الصليحيين . فقد وجد الداعي حاتم نفسه أمام عقبات ما استطاع أن يذللها . والأهم منها انقسام همدان بين تأييد السلطان علي بن حاتم اليامي الهمداني ملك صنعاء وما يليها وبين مناصرة الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي الهمداني فترك الداعي منافسة الملك علي بن حاتم اليامي نظراً للأخطار التي واجهتها الدعوة من كل صوب وبالأخص من تهامة حيث استولى الملك عبد النبي بن علي ابن مهدي الحميري على معظم الحصون والمعاقل التي كان يملكها أهل الدعوة . ثم انسحب الداعي حاتم عن الميدان تماما ، واكتفى بنشر علوم الدعوة من كهفه

(١) نفسه ١٠٢/١ — ١٠٣ .

(٢) نزهة ١٠٤/١ .

الواقع تحت حصن الخطيب بعد أن مات قائده السلطان سبا بن يوسف اليعبري وبعد دخول بني أيوب اليمن تحت قيادة توران شاه ثم طغتكين ، فتغلبوا على اليمن وقضوا على جميع الممالك والدويلات والقبائل .

فتفرغ الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي للتأليف ، « ونقل الروايات على صحتها من المحدثين ، وله في الدعوة السهم المعلى ، وكتبه وتآلفه مشهورة »^(١) . ومن أهم مؤلفاته التي ورد ذكرها :

كتاب تنبيه الغافلين^(٢) في الأخلاق وذم الرذيلتين ، التحاسد والتباغض ، وضمن الكتاب رسالتين من رسائل إخوان الصفا في آداب الإخوان وحسن المعاشرة ، وفصلا من مجلس العزيز بالله الفاطمي .

ورسالة النقد على أهل المخاط فيما ارتكبوا من الفسق والخطايا^(٣) في ذم المنكرات واتباع الشهوات وقد اقتبس فيها المؤلف من الرسالة الموسومة بالواعظ لأبي يعقوب السجستاني ومن أقاويل سيدنا علي بن أبي طالب وألفاظ المؤيد في الدين الشيرازي داعي الدعوة وقصيدة الخطاب بن الحسن الحجوري مطلعها « إن صح ما قالوا وما شعروا »^(٤) .

وكتاب المجالس^(٥) والموجود منه اثنان وخمسون مجلسا من المجلس السابع والسمعين في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب وشيء من قضاياها وغزواته . وكتاب جامع الحقائق^(٦) وهو تلخيص للمجالس المؤيدية وهي ثمان مئة مجلس وجعل كتابه هذا في ثمانية عشر بابا في مجلدين .

وخمسة عشر مجلسا^(٧) تعالج مسائل مختلفة مثل الحنة والامتحان وشأن

(١) نزهة ١/٩٣ .

(٢) فهرست لإسماعيل ٥٩ — ٦٠ م.م.هـ .

(٣) فهرست لإسماعيل ٦٧ .

(٤) لم ترد هذه القصيدة في نسخة الخطاب الموجودة في مكتبتنا المحمدية الهمدانية .

(٥) فهرست لإسماعيل ٨٩ .

(٦) فهرست لإسماعيل ٢٤٦ م.م.هـ ؛ انظر ص ٢٦٢ .

(٧) نفسه ٢٦٢ م.م.هـ .

العلماء ومعنى النفس وحقيقتها ووجوب الإمامة في كل زمان والولادة الدينية وامتثال أمر أولياء الله والنصائح وتفسير بعض الآيات والأحاديث وغيرها .
ورسالة التذكرة^(١) تشتمل على آراء المؤلف وأفكاره عن المبدأ والمعاد والثواب والعقاب والوصول إلى ولاية أولياء الله ، ثم يتلو ذلك فصول ومقتبسات من مؤلفات الدعاة السابقين . ومنها فصل للداعي يحيى بن مالك في بيان الأرض وما فيها من طيب وخبيث .

ورسالة زهر بنذر الحقائق^(٢) ، وتشتمل على ثمان عشرة مسألة في علم الحقائق . وكتاب تحفة القلوب وفرجة المكروب^(٣) في الحقائق ، وهو كتاب جليل ، وفيه فصل « في بيان جزيرة البين حرسها الله تعالى وكيف كان قيام الدعاة فيها من أول الزمان إلى وقته بمختصر من القول » ، وفصل في أسماء حدود وقته الذين ألف لأجلهم الكتاب .

وكتاب مفاتيح السكنوز^(٤) ألفه جوابا على المسائل التي وردت عليه من بعض الإخوان ، مثل دور الكشف ، والرد على من قال إن المهدي عبد الله من ولد الحسن ابن علي بن أبي طالب ، والتوحيد جوابا على قول السائل « أجزلى يامولاي عن الله هل هو في الدار أم الدار فيه » ، وتسمية العقل عقلا وما شابهها من المسائل .

هذه الكتب ورد ذكرها في فهرست الشيخ إسماعيل بن عبد الرسول . وله مؤلفات أخرى لم يذكرها الشيخ إسماعيل ، ومنها كتاب الشموس الظاهرة^(٥) في الحقائق ذكره الشيخ حسن بن نوح البهروزي الهندي في كتابه الأزهار .

وظل هذا العلامة الباحث حاتم الحامدي تتقدم به السن حتى توفي في حصن الخطيب في يوم السبت السادس عشر من شهر المحرم سنة ست وتسعين وخمسة مئة^(٦) ؛ وكان قبره تحت حصن الخطيب بحراز من بلاد اليعابر يزوره الناس إلى وقت قريب ثم هدم — فلا أثر له الآن .

(٢) نفسه ٧٨ : م.م.هـ .

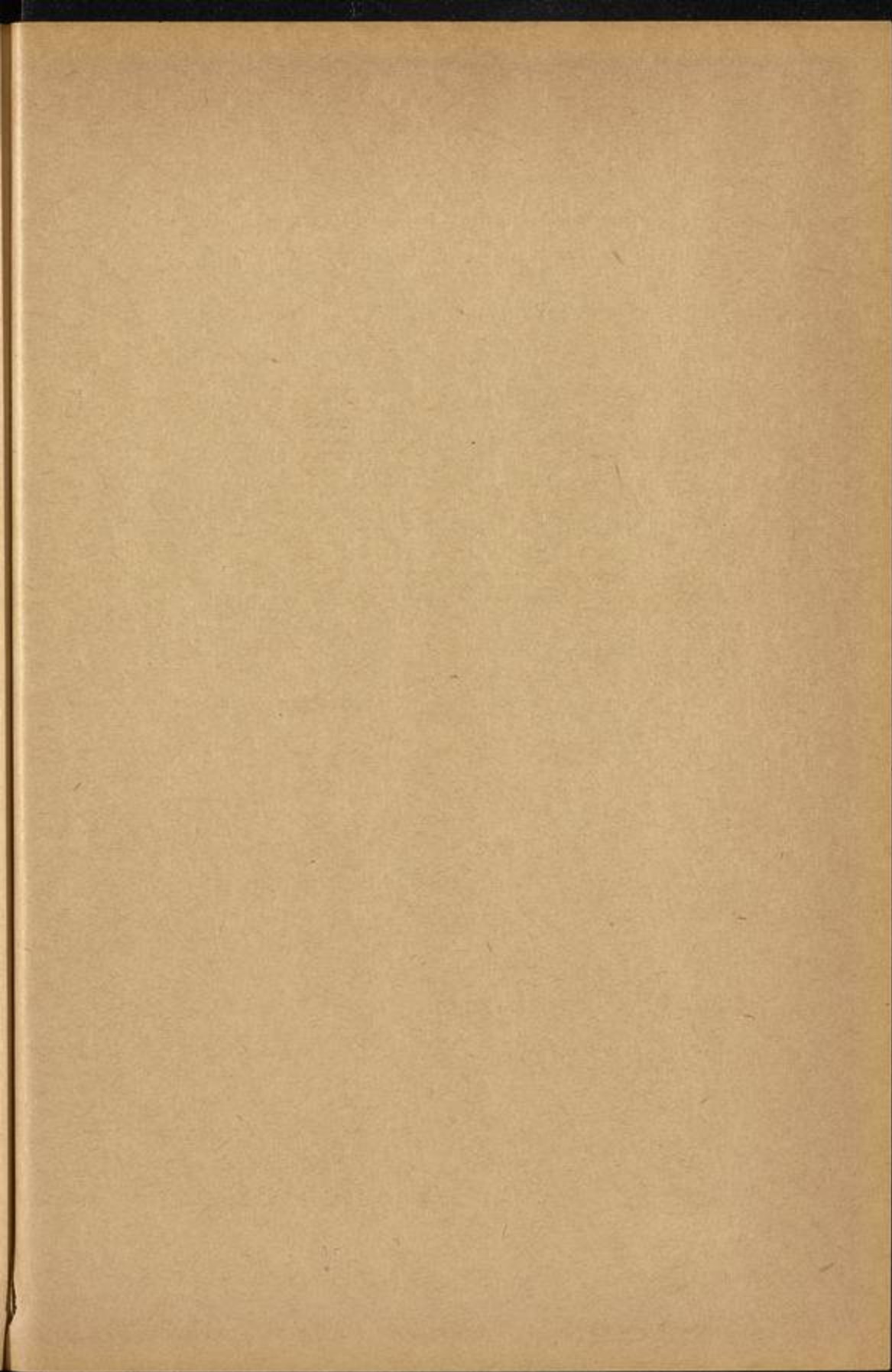
(١) نفسه ٢٧٦ : م.م.هـ .

(٣) نفسه ٣٨٨ : م.م.هـ .

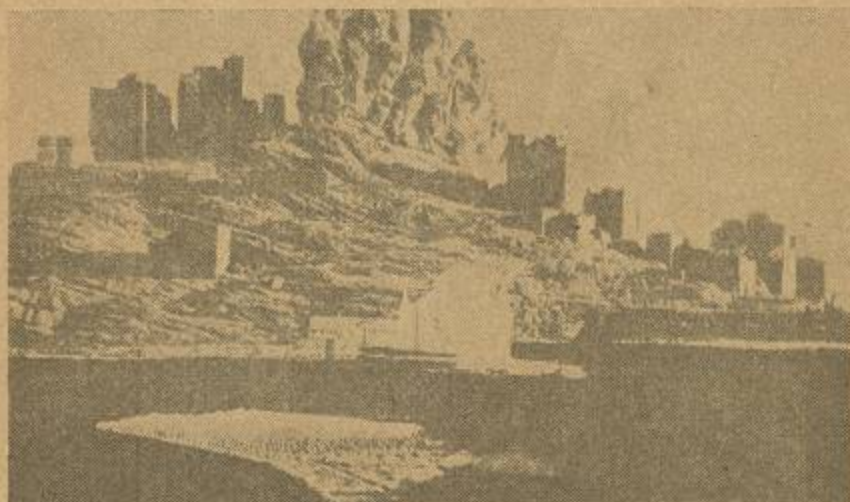
(٥) م.م.هـ .

(٤) نفسه ٤٠١ : م.م.هـ .

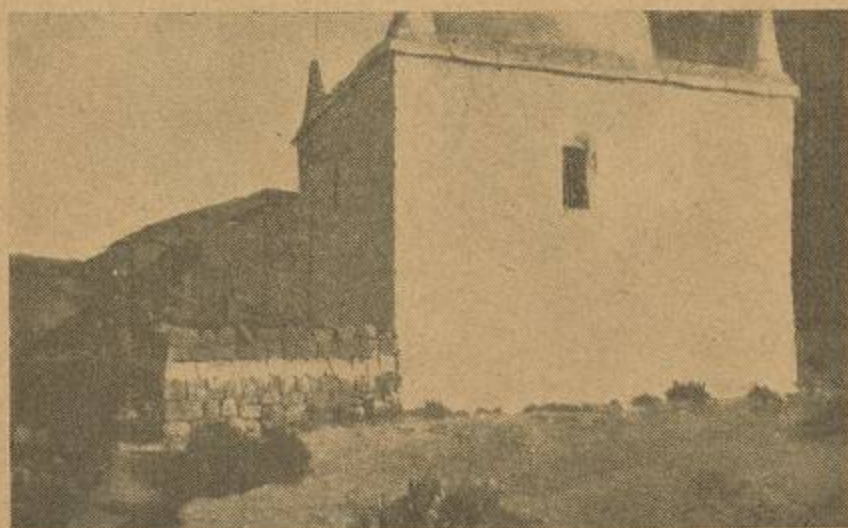
(٦) نزهة ١٠٦/١ .



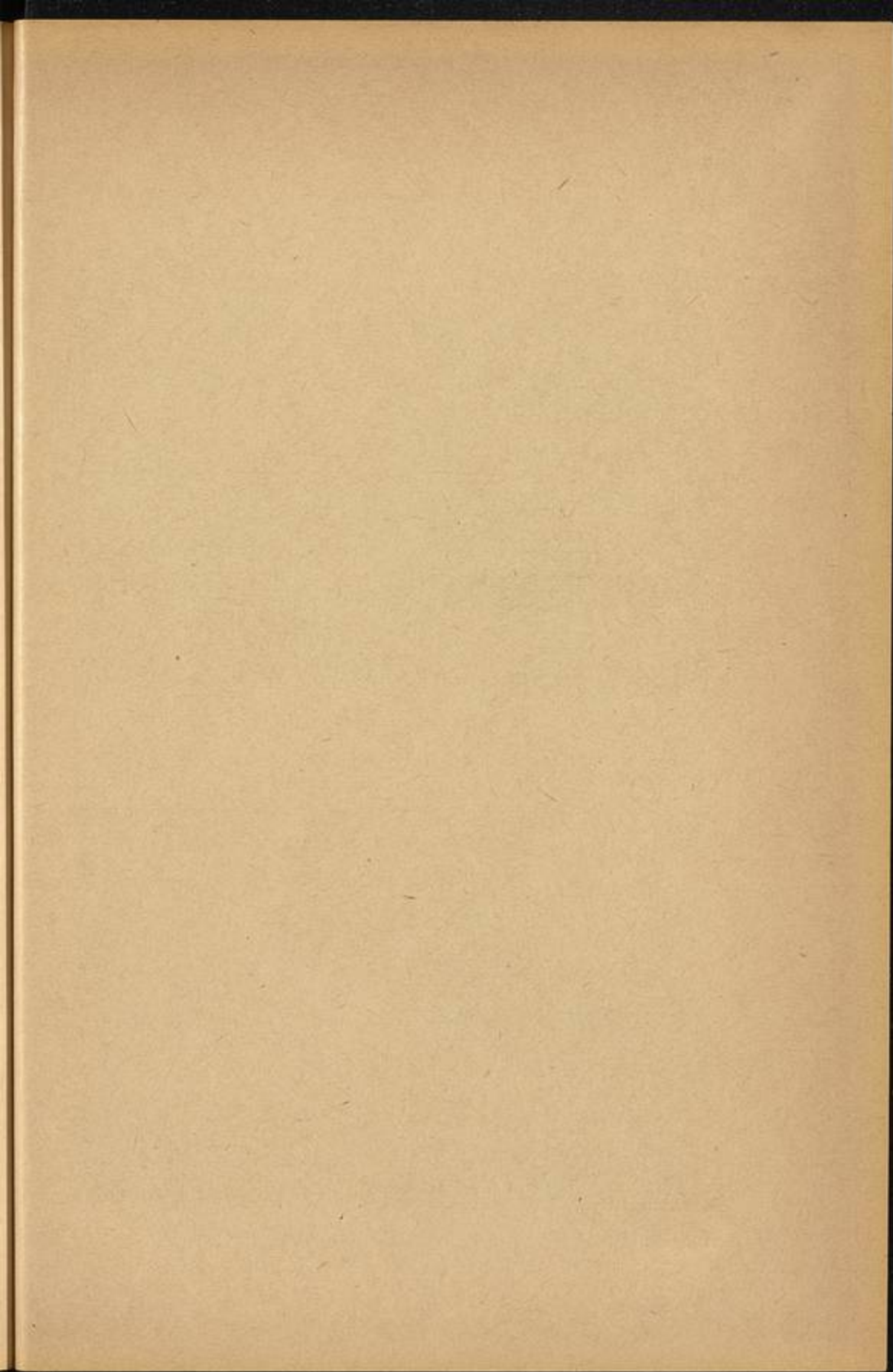
صورنا ضريح حاتم بن إبراهيم الحمدي بالخطيب أخذناهما في سنة ١٩٣١ .
وأما الآن فالبالغ أن عامل حراز سابقاً نقل التابوت إلى صنعاء ، ثم وضع التابوت
في الجناح الشرقي من جامع صنعاء :



[تصوير : حسين الهمداني]



[تصوير : حسين الهمداني]



الراعى على بن حاتم بن إبراهيم الحامري (٥٩٦ - ٦٠٥)

قام بأمر الدعوة بعد أبيه وأخذ يرسل دعائه لنشر الدعوة في الأصقاع .
وافترقت عليه أمور أهل دعوته بحراز من اليعابر وسواهم وخالفوا أمره مما دعاه
إلى ترك حراز والذهاب إلى صنعاء . وبينما كان سلاطين همدان من بني حاتم مقيمين
على حمايته والدفاع عنه وأهل دعوته كان أهل حراز قد عصوا نائبه وزعيم اليعابر
السلطان حاتم بن سبا بن يوسف وخالفوه وحالفوا أعداءه . وما زال الشيخ على
ابن محمد بن الوليد يرسل إليهم رسله ويعرفهم سوء العواقب ويناشدهم الائتلاف .
فكتب إليهم شعرا ينههم عن الاختلاف جاء فيه ^(١) :

نسيم الصبا ألمهم بسُوح اليعابر	ليوث الشرى البانين أعلى المفاخر
ذؤابة قحطان بن هود ولبّتها	وأسرة ذى العلياء عمرو بن عامر
وقل يا أباة الضيم يا صيد يعبر	أفى الحزم أن ترضوا بهذا التشاجر
وإن تهملوا إصلاح ما أن غفلتم	عن إصلاحه أبتم بصفقة خامر

ولكن لم ينفعهم الوعظ والتذكير ، ووقع بينهم الخلاف ، وأعرضوا عن
حراسة الحصون ، حتى قتل السلطان حاتم بن سبا بن يوسف اليعبرى .

وظل الداعي على مقيما للدعوة في صنعاء وأعمالها غير مكترث بملوك الفرس
وما يطرأ من أهوالهم مصادقا لملوك همدان . ثم طلع حصن ذمرمر إلى سلاطين
بني حاتم مفتقدا لأحوالهم . ثم أدركته العلة فأُتزل محمولا إلى صنعاء ، وتوفي
في يوم السبت ٢٥ من ذى القعدة سنة خمس وست مئة . ويقال إنه مات
مسموما ^(٢) .

وله رسالة روضة الحكم الصافية وبستان العلوم الشافية ^(٣) ، وهي تتضمن سبع

(١) نزهة ١/١٠٨ - ١٠٩ .

(٢) نفسه ١/١٩١ .

(٣) فهرست إسماعيل ٣٦٤ : ٤ م . م . هـ .

عشرة مسألة في الحقائق . وفيها شرح بعض أقوال أبي يعقوب السجستاني
من كتابه المسمى بالبشارات وشرح بعض مناجاة المؤيد في الدين الشيرازي .

الداعي علي بن محمد بن الوليد الأنف العبشمي القرشي (٦٠٥-٦١٢)

تقلد مراسم الدعوة في بلاد اليمن وما انضاف إليها ، بعد وفاة الداعي علي
ابن حاتم الحامدي . وكان له مع الداعي حاتم وابنه الداعي علي الرتبة السامية واليد
الطولى . وقال عنه حاتم الحامدي ^(١) : « ... أمّا شرف النسب فإنه من أشرف
أهل الوقت نسبا ، وأعلام حسبا ، وأقدمهم في الدعوة الهادية ، وأسبقهم إلى
الأفعال المرضية ، وذلك أن جدّه إبراهيم بن أبي سلمة لسبقه وشرفه سقّره
علي بن محمد الصليحيّ إلى الحضرة الشريفة المستنصرية . . وإنهم من أشرف قريش
وأعلى العرب من بني عبد مناف ، بن قصي . وأما الطهارة والورع والعبادة والعفة
والنسك والولاية والآداب ، فلا يقاس أحده به من أهل زمانه . . ولذلك أضفت
أمر الدعوة الهادية سلام الله على صاحبها في الجزيرة اليمنية إليه . . وكان جده إبراهيم
يلقب بالأنف « لتقدمه على أضراجه تقدم المارن على الوجه » ^(٢) وهو جدير بما
وصف الخطيئة قومه من قبل :

قومٌ هم الأنف والأذنان غيرهم

ومن يُساوى بأنف الناقة الذنبا

وكان الشيخ إبراهيم بن أبي سلمة بن الوليد العبشمي القرشي الأنف من كبار
رجال الدولة الصليحية ، فمدحه الشاعر الحسين بن علي القمي بقصيدة ، جاء فيها ^(٣) :

فيأشبهه الخليل ندى وتقوى خلّقه وحلما واعتزاما

(١) نزّهة ١/١١٢ .

(٢) نفسه ١/١١٣ .

(٣) نفسه ١/١١٣-١١٤ .

فإبراهيم إبراهيم أَصَحَّتْ به صنعاءُ أبلد الحراما
 قيا نجل الوليد ورثت مجدا من الآباء يتسقى انتظاما
 فإب يكُن الخليل أتاه وحى فقد أَصْبَحَتْ في العليا إماما
 وقال أيضا بمدحه (١) :

وأغرف من اليمّ لا ماءً كما زعموا لكن درّا ومرجانا وياقوتا
 جُبدُ بالسلام عسى نارُ الغرام به تعود برّدا إذا حَسِيتَ حَسِيتًا
 أنت الخليل وصنمك الحرامُ ووا م ديك السرار بها لو كنت بُيْتًا
 يا سيّدا مانسينا عهد صحبته أنسيت في أجل هل كمت أنسيتا

ولم يزل الداعي على بن محمد بن الوليد قائما بأمر الدعوة ، فانسقت به أمورها
 وتحسنت أحوال أهلها ، واجتمعت على تأييده ونصرة دعوته بعض السلاطين
 والزعماء من همدان . وكان الخبر العالم على بن حفظة بن أبي سالم المحفوظي الوداعي
 الهمداني من المعاضدين للداعي والمؤازرين له ، بل كان النائب منابه في كثير من
 الأحيان ، وأقام الداعي الشيخ عبد الله بن عبد الله أبي منصور بن أبي الفتح
 على أهل الدعوة في الحقل حقل يحصب وذمار وأصاب وما ينضاف إليها
 ومخلاف جعفر والجند وأعمالها وبلاد دخر والمافر ولحج وأبين وعدن ونهامة
 وما يليها بعد أن عزل الشيخ محمد بن أحمد الأحوري (٢) من ولاية هذه البلاد .
 وقد ساسهم الداعي جميعها سياسة حاسمة حازمة لها شأن ، مع ما نالوا من قوة
 الغز . وظل الداعي مقبلا بصنعاء ، ويتردد إلى ذممر والعروس وبهما السلاطين
 من آل حاتم الهمدانيين .

وكان الملك المعز إسماعيل بن طغتكين قد قتله مماليكه من الأتراك في سنة ثمان

(١) نزعة ١/١١٣ .

(٢) وكان الأحوري من كان له باع في الدعوة وقت الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي
 وولده علي بن حاتم الحامدي . فحينما أفضيت الدعوة إلى الشيخ علي بن محمد بن الوليد داخلته
 المنافسة والحسد ، وكانت صنيها موضع استقراره .

وتسعين وخمس مئة بمدينة زبيد . وقام بعده الأتابك سنقر نيابة عن الملك الطفل الناصر بن طغتكين . ولما توفى سنقر سنة عشر وست مئة قام الملك الناصر بأمر الملك ، وطلع إلى صنعاء ، وسكنه توفى فيها مسموما سنة إحدى عشر وست مئة . وبقي أمر اليمن على غير نظام .

فقوى موقف الإمام عبد الله بن حمزة المنصور ^(١) ، ورام كل مرام ، كما يظهر في قوله من قصيدة :

لا تحسبوا أن صنعنا كل ما ربى

ولا تَعْمَرُ ، ولا أشجيتُ حُسَّادى ^(٢)

واذْ كَرِهْ إذا شئت نلهمنى وتطربنى ^(٣)

كرى الجياد على أبواب بغداد

فاستولى على صنعاء وما يليها . وحارب فرقة من الزيدية تدعى بالمُطَرِّفِيَّة وكفّرهم وعمّر مسجدا بظفار ^(٤) ، وكتب فيه :

لا يدخلنك ما بقيتُ مطرّفى

(١) قال ياقوت في معجم البلدان / ورور : هو عبد الله بن حمزة بن سليمان ، زعم أنه من ولد أحمد بن الحسين بن القاسم بن إسماعيل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . ورواة الأنساب يقولون إن أحمد بن الحسين لم يعقبه . وذكر القاضي عبد الله الجرافى في المقطف ١١٦ النسب الصحيح للإمام وهو : المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . وكان الإمام المنصور شاعرا فصيحاً ذا لسان عالماً لا يسمع باختلاف الرأى قائداً طموحاً ذا شخصية جارية دعا في بلاد الجوف وسكن بها ، وفتح صنعاء ، ثم انحاز إلى حصن كوكبان عند طلوع ابن فليت إلى اليمن الأعلى ، ودفن بظفار .

(٢) في رواية ياقوت : جل ما ربى ولا ذمار ولا شمت حسادى .

(٣) في رواية ياقوت : تشجيتى وتطربنى .

(٤) وفي تهة ١٢٠/١ قال : أظنه بظفار . والظاهر هو حصن ظفلر ذى بين ويقال له ظفار داود في شمال صنعاء على نحو ثلاث مراحل .

فأجابهم بعضهم بشعر يقول فيه :

أَوْ مَا عَلِمْتَ بَأَنَّ كَذْلَ مَطَرَفِي عَمَّا عَمِلْتَ مِنَ الْكُنَائِسِ مَكْتَفِي
أَنْتُمْ وَقَبْلَتَكُمْ وَمَسْجِدَكُمْ مَعَا كَذِبَالَةٍ فِي وَسْطِ مَصْبِيحِ طَفِي
فَلَمَّا حَارِبَهُمْ وَاتَّبَعَهُمْ^(١) خَرَجَ ابْنُ النَّسَائِخِ^(٢) إِلَى بَغْدَادٍ وَخَاطَبَ الْخَلِيفَةَ
الْعَبَّاسِيَّ بِقَصِيدَةٍ مَشْهُورَةٍ مَطْلَعُهَا :

لِنَشَى الْمَلِكَ ذِي الْمَلَكُوتِ حَمْدِي رَدَاءَ الْحَمْدِ أَفْضَلَ مَا تُرْدِي
وَمِنْهَا قَوْلُهُ :

نِيَامُ يَا بَنِي الْعَبَّاسِ أَنْتُمْ وَهَذَا ثَوْبٌ أَسْرَتَكَ تُرْدِي
وَيَرْمِيكُمْ بِبَغْدَادٍ بِجَيْشٍ أَجَشٍّ مَتْبِعًا بِرَقًا بِرْعَدٍ
يَنَادِي يَا لثَارَاتِ بَفِخْ وَبَاخْتَرَا وَوَقَعَةَ يَوْمٍ مَهْدِي
وَيَدْعُو أَيْنَ إِدْرِيسَ وَيَحْيَى وَعَبْدَ اللَّهِ أَيْنَ أَبِي وَجْدِي
فَكَتَبَ الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيَّ إِلَى الْمَلِكِ الْكَامِلِ الْأَيُّوبِيِّ صَاحِبِ مِصْرَ يَحْرُضُهُ
عَلَى حِفْظِ الْيَمَنِ ، وَأَنْ لَا يَتَهَاوَنَ بِأَمْرِهِ . فَأَرْسَلَ الْمَلِكُ الْكَامِلُ وَلَدَهُ الْمُسْعُودَ وَأَتَابَكَ
جَمَالَ الدِّينِ ابْنَ فَلَيْتٍ إِلَى الْيَمَنِ . فَوَصَلَ الْأَخِيرُ زَيْدٌ فِي مَسْتَهْلِ سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَسِتِّ
مِائَةٍ . وَقَبِضَ عَلَى الْمَلِكِ الْأَعْظَمِ سُلَيْمَانَ الْأَيُّوبِيَّ الَّذِي تَوَلَّى الْحُكْمَ بَعْدَ وَفَاةِ الْمَلِكِ
النَّاصِرِ الْأَيُّوبِيِّ^(٣) وَرَجَعَ بِهِ أَسِيرًا ، فَأَرْسَلَهُ الْمُسْعُودَ إِلَى مِصْرَ ، وَسَلَّمَتْ إِلَيْهِ الْحَصُونُ

(١) يُقَالُ إِنَّ عِدَّةً ضَخْمًا مِنَ الْمَطْرِفِيَّةِ قَتَلَهُمُ الْإِمَامُ الْمَنْصُورُ بِاللَّهِ حَتَّى أُيِّدَتِ الْفَرْقَةُ
جَمِيعًا وَدُورُهُمْ وَبِلَدَانَهُمْ وَهِيَ خَرِبَةٌ إِلَى الْآنَ .

(٢) هُوَ حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ النَّسَائِخِ مِنَ الْمَطْرِفِيَّةِ مِنْ بِلَادِ آفَسَ . وَقَامَ الْأَمِيرُ مُحَمَّدُ بْنُ
مَنْصُورِ بْنِ الْمُفَضَّلِ الشَّرِيفِيِّ أَخُو الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ الْعَفِيفِ الْوَزِيرِ بِنَصْرَةِ الْمَطْرِفِيَّةِ ضِدَّ الْإِمَامِ الْمَنْصُورِ .
هَذَا مَا رَوَاهُ صَاحِبُ الْمُقْتَطَفِ ١١٨ .

(٣) وَكَانَ قَدْ تَزَوَّجَ سُلَيْمَانُ هَذَا وَالِدَةُ الْمَلِكَيْنِ الْأَيُّوبِيِّينَ الْمُغْزِيَّيْنِ إِسْمَاعِيلَ وَالنَّاصِرَ ابْنِي
الْمَلِكِ الْعَزِيزِ مُنْكَحَيْنِ بَعْدَ وَفَاتِهِمَا ، وَلَقِبَ بِالْمَلِكِ الْأَعْظَمِ .

والمدن باليمن الأسفل ، وابن فليت مقدم عسكريه . ثم طلع ابن فليت إلى ذمار . وكان الإمام المنصور أخرب دور الغز في صنعاء ، ثم انحاز إلى حصن كوكبان . ووصل ابن فليت صنعاء في عساكر جمّة فدخلها في جمادى الأخرى من السنة المذكورة . وكانت تلقّته بنو حاتم في همدان . فتلقّاهم بالإجلال والإحسان . وأقام ابن فليت بصنعاء يجهز العساكر حتى اجتمع له من أهل اليمن البادية والحاضر .

وكانت وفاة الداعي علي بن محمد بن الوليد القرشي بعد دخول الغز صنعاء بشهرين في شهر شعبان سنة اثنتى عشرة وست مئة . وكان عمره قد أوفى على التسعين عاما وهو صحيح الجوارح يؤلف الكتب ويقوم بالعبادة ويشغل بالدرس والتدريس . وكان الداعي علي من أنشط الدعاة يذبّ عن حمى الدعوة ويكافح عنها بقلمه ولسانه في ظروف غير ملائمة . وكان الكفاح مريرا منذ سقوط الدولة الصليحية ، ولم تجد الدعوة معينا ولا ناصرا من سلاطين اليمن يحمّوها من وطأة الحروب القائمة بين ملوك الغزو السادة الأشراف . فتمسك الداعي بسلاطين آل حاتم الياميني الهمدانيين الذين كانوا يعطفون على أهل الدعوة ، لامن أجل عقيدتهم ، بل احتراما لاتصال جدهم القاضي عمران بن الفضل الياى بالصليحيين وبالدعوة واحتراما لحقوق الجوار . وفي هذه الظروف القلقة استطاع رؤساء الدعوة جمع شمل أهل الدعوة باليمن . وذلك بفضل عدم تدخلهم في سياسة البلاد ، وتحصنهم بالمعاقل والحصون أحيانا ، والتجأهم إلى التستر الشديد أحيانا عند عدوان المعتدين ، وأخيرا وليس آخرا بفضل نشاطهم العلمى وحفظ التراث الأدبى والدينى السابق وضبطه . وهكذا وضعت أسس متينة لمؤسسة الدعوة ، فاستطاعوا أن يوطدوا بها مكانهم وموقفهم في المجتمع اليمنى . وكان الداعي علي بن محمد ابن الوليد القرشى قد شارك الدعاة السابقين أمثال الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدى والشيخ محمد بن طاهر الحارثى والداعي حاتم بن إبراهيم الحامدى ، فاضطلع بقسط وافر في وضع الأسس للحركة العلمية داخل منظمة الدعوة . ويدل على ذلك مؤلفاته العديدة التى نذكر منها :

كتاب تحفة المرتاد وغصّة الأضداد^(١) في الرد على الفرقة المجيدية وإثبات إمامة الطيب بن الأمر وذكر تسلسل الإمامة . وفيه نذ من علم الحقائق .

رسالة جلاء العقول وزبدة المحصول^(٢) ، وهي تنقسم ثلاثة أبواب تحتوى على ثمانية وعشرين فصلا . الباب الأول في التوحيد والخلقة الجسمانية وكيفيتها ، والباب الثاني في الخلقة النفسانية وكيفية تربيتها ، والباب الثالث في تسلسل الولادة الدينية وتأويل بعض الآيات من القرآن يتضمن ذكر الثواب والعقاب . الرسالة المفيدة في إيضاح ملغز القصيدة^(٣) . وهي شرح القصيدة التي يروى أن قالها الحكيم أبو علي سينا مطلعها :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تمرّز وتمنّع
وأورد فيها من رسائل إخوان الصفا فصلا في علة كراهية الجميع الموت ومحبتهم البقاء بتمامه وكلامه .

كتاب ضياء الألباب المحتوى على المسائل والجواب^(٤) ويشتمل على اثنين وثلاثين مسألة والجواب عنها . وهذه المسائل أثارها الفقيه محمد ابن إبراهيم بن أبي عمر من أهل الدعوة المخلصين في عهد الحرة الملكية الصليحية . وقد ذكر الداعي يحيى بن ملك بن مالك الحمادى « هذا الفقيه ذات يوم وفود عدة المؤمنين بصنعاء شاهدا بفضل ورغبته السامية في الدعوة »^(٥) . ويتضمن الكتاب على بيان التوحيد والإبداع والسابق والتالى ومعرفة الابتداء والانهاء ودورى الكشف والستر وما شاكلها من مسائل علم الحقائق الخاصة بالدعوة . وقد عالج فيه بعض المسائل التي ردها الشيخ أحمد حميد الدين الكرماني على صاحب المحصول ، وشرح فيه ما أورد الشيخ أبو تمام^(٦) من المسائل في أرجوزته المسماة بالشجرات .

(١) نفسه ٢١٠ : م . م . م . : نشره ستروطمان (Strothmann) تحت عنوان « أربعة

كتب لإسماعيلية » . (٢) نفسه ٢٧٧ : م . م . م .

(٣) فهرست لإسماعيل ٢٧٨ : م . م . م .

(٤) نفسه ٣٤١ : م . م . م . (٥) نفسه ٣٤١ .

(٦) من الدعاة المعاصرين للداعي على بن محمد بن الوليد .

ديوان شعره^(١) في مدائح الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي وأستاذه الشيخ محمد بن طاهر الحارثي . وفيه أشعار في الرد على الفرقة المجيدية وفي عتاب المشايخ اليهوديين لما وقع بينهم من التنافر وفي مدح الأئمة وإمام زمانه الطيب بن الأمر وفي أجوبة الكتب المرسلة من أهل الدعوة وفي المرائي وغيرها .

كتاب دافع الباطل وحتف المناضل^(٢) في الرد على الغزالي في كتابه المستظهر^(٣) .

كتاب مختصر الأصول^(٤) ، ويشمل شرح المقالات وكيفية انقسامها ، والرد على فرق الحشوية والجبرية والمعتزلة والفلاسفة .

كتاب تاج العقائد ومعدن الفوائد^(٥) يتضمن مئة مسألة في معتقدات مذهب الدعوة ، « فإنها قواعد الدين ، وما وجد خارجاً عن هذه العقيدة فإلغاه هو اختلاف على هذا المذهب » . هذا قوله .

كتاب مجالس النصح والبيان^(٦) ، والموجود منه أربعون مجلساً من المجلس الأول والمئة إلى الأربعين والمئة ، وسمى به لأنه ابتداء في كل مجلس منها أولاً بالنصائح ثم بالبيان وهو صميم الموضوع . وتشمل الابتداء والانتهاء وغيرها من مسائل علم الحقيقة والدعاء والمناجيات إلى الله وتأويل الآيات من التزويل الكريم . رسالة الإيضاح والتعيين في كيفية تسلسل ولادى الجسم والدين^(٧) في علم المبدأ والمعاد وإثبات إمامة الطيب بن الأمر .

(١) فهرست إسماعيل ٥٠ : م . م . هـ .

(٢) نفسه ١٢٩ : م . م . هـ .

(٣) نشره غولد نصير (Goldziher) في كتابه Streitschrift des Gazali (١٩٦ gegen die Batinija - Sekte) .

(٤) فهرست إسماعيل ١٧٣ — ١٧٩ : م . م . هـ .

(٥) نفسه ١٩٥ : م . م . هـ .

(٦) نفسه ١٠ : م . م . هـ . ؛ نشرها ستروتمان (Strothmann) في مجموعة « أربعة

كتب إسماعيلية » .

رسالة لب المعارف^(١)، وهي سبعة مسائل: الأولى عن القائم وعن الشريعة في دوره، والثانية عن الميولى والصورة، والثالثة عن قول الله تعالى يخرجون من الأجدات الآية، والرابعة عن قول الإمام المعز إذا كانت هذه السموات والأرض فانية فما ظنك بما دونها، والخامسة عن قول الإمام المستنصر في القائم بأنه سابع النطق، والسادسة عن الإمام وحدوده الداعين إليه، والسابعة عن قول القاضي النعمان في كتاب أمرار التأويل إن النطق يأخذون عن الحدود وعن قول الشيخ أحمد حميد الدين الكرماني في كتاب راحة العقل إن النطق يأخذون من حد جسماني، فكيف المخلص من كلامهما.

رسالة لباب الفوائد وصفو العقائد^(٢) في المبدأ والمعاد. كتاب الذخيرة^(٣) يتضمن بحوثاً عن التوحيد والإبداع والانبعاث والنبوة والإمامة والقائم والانتفاء والمعاد وغيرها من المسائل في عقائد الدعوة. ويعتبر هذا الكتاب من أمتهات الكتب في هذا الفن.

وله بحوث ورسائل أخرى مثل رسالة ملحقة الأذهان أوردتها أستاذه الشيخ محمد بن طاهر في كتاب مجموع التربية، ونظام الوجود في ترتيب الحدود في أسماء حدود الدعوة باليمن في عهده. وقد تنسب إليه رسالة في معنى الاسم الأعظم. ووصلت الدعوة اليمنية إلى أوجهها في النشاط العلمي في مؤلفات الشيخ علي ابن محمد بن الوليد القرشي، وتمتاز بسعة الاطلاع، والتحقيق الذي لا يخلو من الجدة والابتكار.

الراعي علي بن منظر بن أبي سالم المحفوظي الوارعي (٦١٢ - ٦٢٦)

قام بالدعوة بعد الداعي علي بن محمد بن الوليد، وله في الدعوة الاجتهاد القديم. وكان يقصده القصاد طلباً للعلم المشهور. ولا يختلف في تقدمه من همدان اثنان.

(١) فهرست إسماعيل ٣٦٥ م.م. هـ.

(٢) فقه ٣٨٣ م.م. هـ.

(٣) لم يذكره الشيخ إسماعيل بن عبد الرسول في الفهرست؛ م.م. هـ.

وكان مقامه في صنعاء أو في ذممر . وكان على المنزلة عند بني أيوب وبني حاتم
اليامين . وقد بعث إلى أصقاع اليمن والهند والسند الدعاة وأقام فيهم شريعة
الإسلام^(١) . واتبع في عهده السياسة الرسومة وهي عدم تدخل الدعاة في شئون
البلاد السياسية .

وكان الأتابك ابن فليت تمسكن من عقد الصلح في سنة ثلاث عشرة بين الملك
المسعود الأيوبي والإمام عبد الله بن حمزة المنصور على أن يقدم الإمام للسلطان
عشرين حصانا وعشرين جملا . وقد توفي الإمام بعد ذلك في سنة أربع عشرة
في حصن كوكبان ودفن في ظفار . فقام ولده محمد عز الدين بن عبد الله
ابن حمزة فخارب ابن فليت أياما لأن ابن فليت مات في السنة المذكورة . ثم إن
الملك المسعود تقلد إمرة الجيوش وطلع بعد وفاة قائد قواته ابن فليت إلى حصن
كوكبان وتسلمه وصالح الأشراف ثم عاد إلى اليمن الأسفل . وكان تارة يحارب
الأشراف وطورا يصالحهم . وخرج الملك المسعود إلى مصر لزيارة والده الملك
الكامل في سنة ثمان عشرة وست مئة وولى على البلاد رجلا يدعى الحسام لؤلؤ
أقامه في زبيد ، وفي صنعاء الأمير الحسن بن علي بن رسول . وقد قامت الحرب بين
قوات ابن رسول والأشراف مدة حتى حط الأشراف في صنعاء ، فخرج الحسن
ابن علي بن رسول إليهم من باب السَّبْجَة^(٢) ، ووقع القتال وغشيه المالك بالدبابيس ،
وانهزم عسكر الأشراف وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأصيب عز الدين محمد بن الإمام
عبد الله في علية وعقر حصان أخيه شمس الدين أحمد بن الإمام ، فعاد الأشراف مهزومين .
وكان الغز إذا ملكوا صنعاء ، كما ذكر الداعي إدريس^(٣) ، شملوا أهل الدعوة
بالأمان . وكان لهم لديهم المرتبة والمكان . ووصل عز الدين إلى ثلا واقترق عسكره .
وفي ذلك يقول عز الدين (ع)^(٤) وأخوه شمس الدين (ش) ارتجالا وقد تعارضا:

(١) ترهة ١٢٣/١ .

(٢) نفسه ١٢٤/١ . وكان الباب في الجانب الغربي من صنعاء وتسمى هذه المنطقة السبجة
والتداول على الألسن الآن باب السبج الموصل بين صنعاء وبئر العزب .

(٣) ترهة ١٢٦/١ .

(٤) نفسه ١٢٧/١ .

ع : فلو نظر تناريا بنة العم أعين

ونحن بيوم ابن الرسول استهلّت

ش : عشية أرى جمعهم بلبانة

ونفسى قد وطنتها فاطمأنت

ع : فقل لأمير الدين صبيرا فإنها

صروف الردى مهما اذلهمت تجلّت

ش : وما دام عز الدين فينا فإننا

على ذروة فى المجد أشرف ذروة

وسأل الأمير الحسن بن على بن رسول السلطان مدرك بن بشر بن حاتم
اليامى الحمدانى شعرا فى هذه الواقعة . فقال مدرك على لسانه ، فكتب بها إلى الملك
المسعود فى مصر ^(١) :

سلا ذات سمط الدر والمارن الأقى

لدى عصير من أصدق الضرب والطعن ^(٢)

ومن شهدت صنعاء لولا بلاؤه لما فارقت رعبا ولا رافقت أمانا
إلى قوله :

فلا زالت الأخبار عنكم تسرنا كما سرّكم فى مصر مخبركم عنا

فقال السلطان الكامل لابنه الملك المسعود : يا يوسف ! من هذا الذى
يخاطبك بنون العظمة ؟ فقال : هذا أمير لى . قال أبوه : ما هو أمير ، بل هو
نظير ، إن لم تثب عليه وثب عليك . فأسرّها الملك المسعود فى نفسه حتى دخل
اليمن فى سنة أربع وعشرين وست مئة . فنزل الأمير بدر الدين الحسن بن على

(١) ترهة ١/١٢٨ .

(٢) عصر بفتح العين وضم الصاد ، اسم قرية وجبل غربى صنعاء على مسافة أربعة
كيلو مترات تقريبا .

ابن رسول للقاء الملك ومعه أخواه شرف الدين موسى بن علي وفخر الدين أبوبكر ابن علي فقبض عليهم الملك وأرسلهم إلى مصر^(١). وقرر خاطر أخيه نور الدين عمر ابن علي وطمأنه قائلا: لا بد بعد أن يصلوا مصر من إطلاقهم والإحسان إليهم. ورفع قدر نور الدين عمر. ثم عزم على السفر إلى مصر في سنة ست وعشرين وست مئة وولّى، بعد أن اعتذر الحسام لؤلؤ، نور الدين عمر بن علي على اليمن. وقال الملك السعود لنور الدين، كما روى الخزرجي^(٢): «إني قد عزمت على السفر، وقد جعلتك نائبي في اليمن. فإن مت فأنت أولى بملك اليمن من إخواني لأنك خدمتني وعرفت منك النصيحة والاجتهاد، وإن عشت فأنت على حالك. وإياك أن تترك أحدا يدخل اليمن من أهلي ولو جاء الملك الكامل والذي مطويا في كتاب». وقال إدريس^(٣): «وقال (الملك السعود) لعمر بن علي بن رسول: «قف في اليمن عاملا حتى يأتيك أمرنا». فأجابه عمر بن علي بالقبول. وروى أنه عاد إلى مصر، لأن عمه الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبي بكر أيوب توفي، وكان يومئذ صاحب دمشق، فكتب الملك الكامل إلى ابنه الملك السعود يوسف يستدعيه إليه ليعطيه دمشق. ففرح فرحا شديدا حتى أنه سافر وقد ابتدأ به المرض^(٤).

فلما انتهى الملك السعود إلى مكة وافقه المنية بها في يوم الاثنين من جمادى الأولى من سنة ست وعشرين وست مئة. ووصل العلم بوفاته إلى أبيه الملك الكامل وهو خارج الديار المصرية. فأعلن الأمير نور الدين عمر بن علي ابن رسول استقلال اليمن لما أتاه خبر السعود، وعيّن لدولته الأمراء والرؤساء والجنود، وأخذ مدينة تعز عاصمة له، وتلقّب بالملك المنصور. وابتداء مملكته

(١) جاء في ترجمة ١٢٨/١ شمس الدين الحسن بن علي. وقد ذكر الخزرجي (عقود ١/٣٩) أن السعود تقدم من تعز إلى الجند وأنه وثب على بني رسول وقبض على بدر الدين بن علي وفخر الدين أبي بكر بن علي وشرف الدين موسى بن علي، فقيدهم وأودعهم السجن. ولا يذكر الخزرجي أن الإخوة أرسلوا إلى الديار المصرية.

(٢) عقود ١/٤٠ — ٤١.

(٣) ترجمة ١/١. أرى أن رواية إدريس أقرب إلى المنطق من تعجيد الخزرجي

لآل رسول.

(٤) عقود ١/٤٠.

من جمادى الآخرة من سنة ست وعشرين وست مئة ، فكان هذا ابتداء دولة
بني رسول . فلا غرو أنهم كانوا أحق بملك بلادهم من غيرهم ^(١) .

وكان الداعي على بن حنظلة المحفوظى الوادعى فى أثناء هذه الأحوال المضطربة
قائماً بأمر دعوته ، وأقام الشيخ أحمد بن المبارك بن الوليد القرشى والشيخ
الحسين بن على بن محمد بن الوليد القرشى لمعاضدته فى نشر مبادئ الدعوة
وعلموها وإصلاح أمور أهلها ، وكان قد وجد فى أثناء مدة دعوته مجالا لتأدية واجبات
منصبه وتشجيعاً وأماناً من قبل الأمراء الأيوبيين وبالأخص من أمراء آل على
ابن رسول . وكان سلاطين بني حاتم اليامين ومشائخ همدان يحمون أهل الدعوة
من عدوان المخالفين . واتبع الداعي على بن حنظلة وأعوانه سياسة عدم
التدخل فى الخلاف القائم بين الملك المسعود وأعوانه آل على بن رسول وبين
الأشراف ، وعلى الرغم من هذا لم ينجح الداعي وأهل دعوته من مخالفة الأشراف .
فكان الداعي مثل من سبقه من رؤساء الدعوة مضطراً أن يلجأ إلى حماية السلطان
وأمراء آل رسول طبقاً لقانون المحافظة على البقاء .

ونذكر من مؤلفات الداعي على بن حنظلة المحفوظى الوادعى :

قصيدته الموسومة بسمط الحقائق ^(٢) وهى تحتوى على ست مئة وثلاثة وستين

بيتاً تبدأ بقوله :

الحمد لله العلى السامى	عن صفة الكمال والتمام
إذ التمام والكمال صنعته	سبحانه تقدمت هويته
فوصفه كما أتى تشبيهه	وحده ونعته تنويه
والعجز عن إدراكه إدراكه	والنقى تعطيل به الهلاك

(١) آل رسول ينتهى نسبهم إلى الملك جفنة بن عمرو الغساني الذى رحل من اليمن
إلى بلاد الشام بعد خراب سد مأرب . وكان جدهم رسول واسمه محمد بن هارون من أعوان
الدولة الأيوبية وأعيانها . وقد وفد أولاد على بن رسول من مصر إلى اليمن مع بني أيوب .
(٢) فهرست إسماعيل ٢٧٢ : م . م . هـ : وقد حققها الحامى عباس عزراوى ونشرها
المعهد العلمى الفرنسى بدمشق سنة ١٩٥٣ .

جَلَّ عن البحث بهلْ وَمَنْ وَلَمْ وَعَزَّ أَنْ يَحْصُرَهُ لَفْظُ الْكَلِمِ

ويتلو الحمد أبيات في التوحيد والصلوات والنصيحة في محاسبة النفس بالنفس وإطاعة أولى الأمر والحدود وذكر مفيديه السابقين الداعي السلطان حاتم ابن إبراهيم الحامدي الهمداني وابنه الداعي علي بن حاتم والداعي علي بن محمد ابن الوليد القرشي وفيهم يقول :

مستسلما لطاعة الحدود

في عصره كحاتم في عصرنا
داعي الإمام الطيب الزكي
طوَّره الفخار الشامخ المنيف
عالي ذي الفضل الشريف المحتد
وإنجله من بعده علي
وابن الوليد الطاهر العفيف
نجم الهدى نجل الرضى محمد

ثم أني بسؤال السائل حيث يقول :

سألتَ وَفَقَّتَ إِلَى الرِّشَادِ
وكيف كان الأمر في البداية
وما الذي أوجب للنفسوس
حتى اغتدتْ لابسَةً بالجسم
وما الذي يزرع ماعراها
محلَّها بالعالم الروحاني
حتى تنفي إلى جوار ربِّها
راضية إذ ذاك مطمئنة
عن أصل بدء الكون والإيجاد
وما إليه ينتهي في الغاية
رباطها في العالم المعكوس
مبلوَّة فيه بطول الهم
من ظلمة الجهل الذي أنساها
فاستغرقت في العالم الظلماني
راجعة تائبة من ذنبها
مسرورة فائزة بالجنَّة

ثم يرد السؤال بالكلام عن التوحيد ، وعالم الإبداع ، والأفلاك ، والأركان ، والزجاج والتمزج ، وأدوار الكواكب السبعة ، وأهل الجنة الإبداعية ، ودور الكشف وأهله ، ودور الستر وأهله ، والمعابد المحمود ، والناسوت واتحاده

باللاهوت ، والمعاد المذموم ، والبعث والحساب ، والخلود في الثواب والعقاب .
وكان هذه الأرجوزة تقدم في نظم سلس مستساغ خلاصة ما أورده المؤلفون الدعاة
في علم المبدأ والمعاد .

وله رسالة تسمى بضياء العلوم ومصباح العلوم^(١) ، وقد ذكرها الشيخ إسماعيل
في الفهرست من الكتب الكبيرة في علم المبدأ والمعاد . وهي مبوبة على أربعة
أبواب : الباب الأول في التوحيد ، ومعنى التنزيه والتجريد ؛ والباب الثاني
في مسائل المبدأ مثل إبداع العالم الروحاني لا من شيء ، ووجود العالم الجسماني
من الهيولى والصورة ، ووجود المواليد الثلاثة ، ووجود القامة الألفية ، وقيام
الدعوة الزكية ، وتسلسل الذرية الإمامية ، ودور الكشف ، ودور الجرم ، ودور
الستر ؛ والباب الثالث في المعاد المحمود ، واجتماع المقامات بالأفق المبين ، وظهور
قائم القيامة ؛ والباب الرابع في معاد الصور النافرة المضرة المستكبرة ، وكيفية
العذاب الأدنى والعذاب الأكبر وما شاكلها من مسائل المعاد المذموم . وهذه
الرسالة لا تختلف في موضوعاتها عن محتويات أرجوزته سمط الحقائق إلا أنها
أكثر شرحاً وإيضاحاً من المنظوم .

وتوفي الداعي علي بن حفظة المحفوظي الوادعي في يوم السبت الثاني
والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة ست وعشرين وست مئة . وذلك قبل أن
يستقل اليمن عن حكم الغز تحت قيادة الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول بشهر .

الرؤى العلمية الفاطمية في اليمن

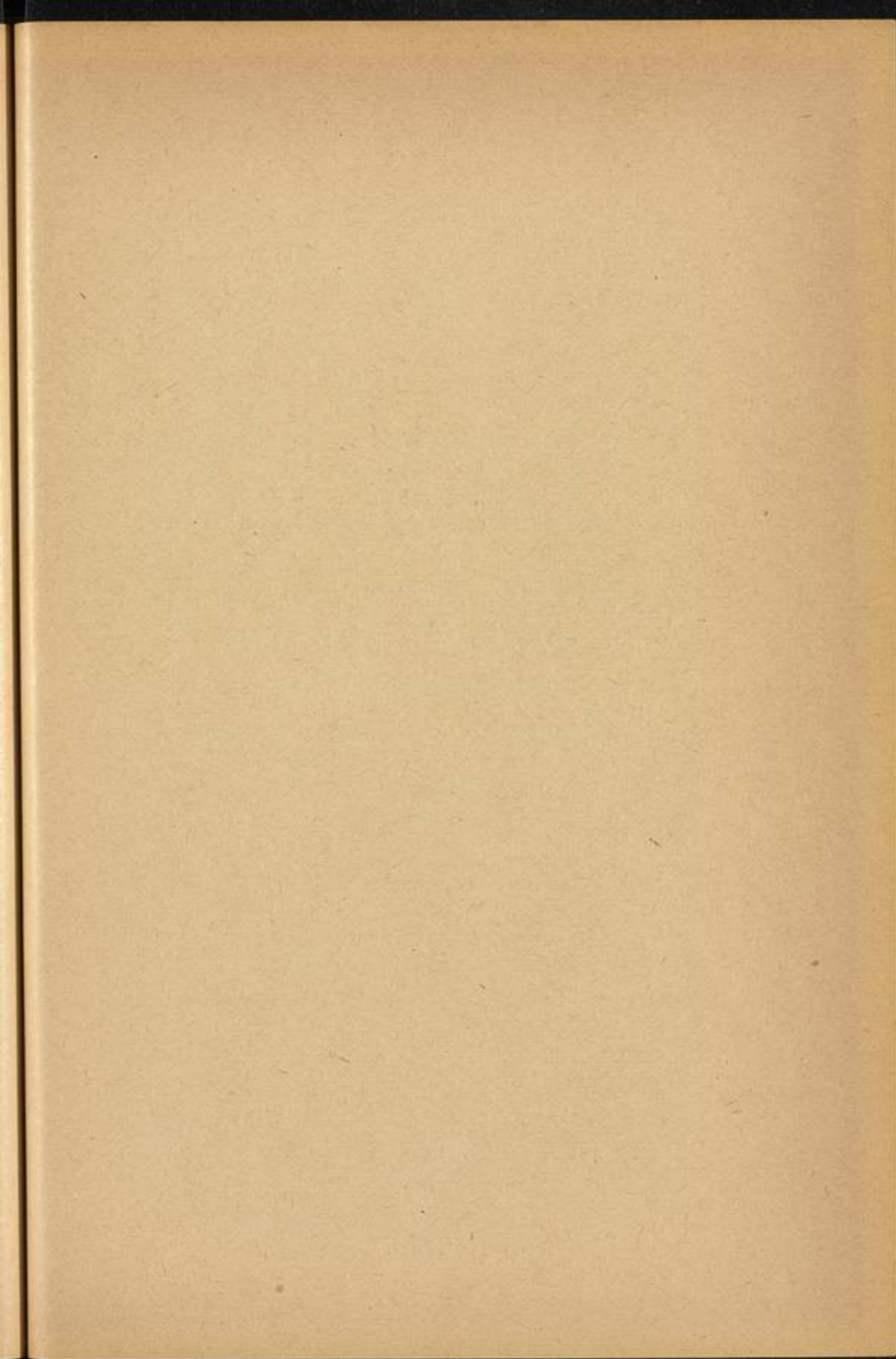
نرى أن دعوة اليمن مضت من يوم وفاة السيدة الحرة الملكة الصليحية إلى
انتهاء الدولة الأيوبية في اليمن في مرحلة تمتاز بنشاط علمي وجمع شتات التراث
الفكري وتسجيلها في كتب ومؤلفات وحفظ مآثره المؤلفون الدعاة في عهد
الخلفاء الفاطميين . وقد بدأت هذه الحركة العلمية في حياة الملك المكرم
والملكة الحرة بعد عودة قاضي قضاء اليمن ملك بن مالك الحمادي من الديار

(١) فهرست إسماعيل ٣٩٩ : ٥٠٠ م .

المصرية إلى مقر الدولة الصليحية . وقد سبق أن ذكرنا أن داعي الدعوة المؤيد في الدين الشيرازي قرّر في أواخر عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي خطوط برنامج الدعوة العلمي ، وكلف القاضي لك تنفيذ هذا البرنامج ؛ ونقل القاضي كتب الدعوة وما احتوته من العلوم إلى اليمن . ثم قرّرت السيدة الملكة الحرة بعد وصول القاضي إلى اليمن فصل الدعوة من شؤون الملك ، وعينت الملكة ويحيى بن لك الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي للإشراف على تنفيذ هذا المشروع العلمي البعيد عن التيارات السياسية . فابتدأت الدعوة تعمل لهذا الغرض في عهد الداعي الذؤيب ابن موسى الوادعي ومأذونه السلطان الخطاب بن الحسن الحجوزي ، ثم أظهر الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي ومأذونه الشيخ علي بن الحسين بن جعفر ابن الوليد القرشي والشيخ محمد بن طاهر الحارثي نشاطا بليغا في هذا الصدد ، وبلغ الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي والداعي علي بن محمد بن الوليد من إنتاجهما الأدبي مبلغا لا يستهان به . وأثبت الداعي علي بن حنظلة خلاصة بعض علوم الدعوة في رسالته وأرجوزته . وقد واصل علماء اليمن هذا النشاط العلمي في القرون التالية إلى عهد الداعي إدريس عماد الدين الأنف القرشي المتوفي سنة اثنتين وسبعين وثمان مئة ، بل إلى أيامنا هذه . ومن هذا العرض السريع نأخذ فكرة عما يوجد من الثروة الأدبية والعلمية في خزائن كتب الدعوة اليمنية .

قسم الملاحق

تضم هذه الملاحق سجلات تاريخية ووثائق ذات قيمة ، ولذلك
آثرنا أن نثبتها في هذا الكتاب ، بعد أن بذلنا الجهد في
تحقيقها ، وإن لم نصل إلى القراءة الصحيحة لبعض عباراتها ،
لغلبة التصحيف عليها ، واعتمادنا في أكثرها على مخطوطة واحدة .



ملحق رقم ١

سجل الخليفة الحاكم بأمر الله إلى هارون بن محمد القائم بالدعوة باليمن
(عيون الأخبار ٦ / ٢٧١ - ٢٧٣).

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . من عبد الله ووليه الإمام المتصور بالله أبي على
الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين إلى هارون بن محمد . سلام الله عليك ، فإن أمير المؤمنين محمد
إليك الله الذي لا إله إلا هو ويسأله أن يصلي على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله
وعلى آله الطاهرين وسلم تسليما .

أما بعد ، فالحمد لله الذي نعمه لا تحصى على من أطاع وعصى ، فذو الطاعة لما به من
نعمة مالا ، وذو المعصية إلى حد ماله مالا . يستفيد هذا بشكره رحمة ورضوانا ، كما يستفيد
ذلك بكفره إثمًا وعدوانا ، وكل سوف يؤتى كتابه ثم لا شك يؤتى حسابه . فأما من أوتى
كتابته يمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ، وأما من أوتى كتابته وراء ظهره فسوف يدعو
نبورا ويصلي سعيرا .

وإن الذي كتبت به يهاارون بن محمد عنك وعن المؤمنين بأرض اليمن على يد المعروف بأبي
الخير بن محمد بن يوسف بتاريخ يوم الاثنين لثمان ليال خلون من شهر شوال سنة تسعين وثلاثمائة
قد وصل ، فأما ما شرحت من خبر من طلبت ما لم يكتب له ويقسم فأمره لا بد أن ينقم وذكره
بعار له سوف يوتهم .

وأما ما ذكرت إنفاذه على يد رسولك من قرايين المؤمنين فهو من الذهب وزن سبعين
درهما ومن الورق ألفا درهم . فإله يتقبل لمن عمل ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران
لسعيه ولنا له كاتبون . وعليك أن تسلك بالمستجيبين الواجب ، وتجنب بهم كل طريق محابب ،
لكتاب الله وسنة نبيه جدنا محمد ، والمأخوذ عن آياتنا الأئمة المهديين صلوات الله على النبي ووصيه
وعليهم أجمعين ، والمسموع من أفواه المحققين ، لا المأخوذ عن ألسن المتخرصين ، وليكن فتواك
للمستفيدين في الحلال والحرام من كتاب الدعائم دون ما سواه من الكتب المفتعلة .

وأما ما سألت إنفاذه إليك من الدواء المبارك فسيأتيك منه ما يجب في وقته على يد من
يؤتى بتأديته وأمانته . وقد كتب إلى الحضرة مظفر بن زياد كتابا ذكر حامله أنه ضاع منه
في طريقه . وسئل عما تضمنه فحكى أن الذي يحفظه منه استدعاء من يأخذ عليه من الحضرة ،
فأجيب إلى الرجوع إليك في هذا إذ كنت منه قريبا ، ولما هذه سبيله منصوبا . فأعرف ذلك ،
واطلع ما عند مظفر وفقه الله ، وطالع الحضرة إن شاء الله . والسلام عليك ورحمة الله .

وكتب لعشر ليال خلون من ذي القعدة من إحدى وتسعين وثلاثمائة . والحمد لله رب العالمين .
وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلم عليه وعليهم أجمعين .

ملحق رقم ٢

سجل الخليفة المستنصر إلى الملك على بن محمد الصليحي
(عيون الأخبار ٨٦/٧) .

ولما بلغ الأمير محمد بن علي الصليحي مبلغ الرجال ، ورأى فيه والده دلائل الفضل والكمال ، أقامه لينوب عنه في جميع دعوته ، وجعله الخلف له ، واستبدأ به في وصيته ، وكتب بذلك إلى الإمام المستنصر بالله عليه السلام ، واستورد أمره فيه ، وبركة رأيه ، والإذن له في ما يرتجيه ، فورد إليه سجل من أمير المؤمنين المستنصر بالله عليه السلام يقول فيه :

« ومما نظر إليك أمير المؤمنين نظر مثله ، ممن ينظر بنور الله لمثلك ، ممن بإخلاص ولائه يستظهر ، أن يتخذ ولدك منجب الدولة وصفوتها ، ذا المجددين ، خليفة لك ، يخلفك في حياتك ، ويكون خلفا صالحا عند حضور وفاتك ، وأن يصطلعه لنفسه ، ويلبسه من لباس الأكرامة ما يرتقى إلى ذروة الشرف بلبسه ، ويقبض عليه من خاص الملابس ما يفيض عليه الأقدار بإذن الله سعودها ، وتتنجز له أقاصي الأمنى وعودها ، ويسميه بالأمير الأعز شمس المعالي مضافا إلى قديم ألقابه ، ويأذن أن يدعو في تراجم كتبه ويدعى به ، ويغسح أن يذكر به على فرق منابر بلادك في أعجاز ذكرك وأعقابها ، وأن يلقب أخويه بلقبين زائدين في ألقابهما المتقدمة ، ليتالا بهما مزيدا من الاصطناع والكرامة . فالأوسط منهما الأمير المكرم ، والأصغر الأمير الموفق ، والله تعالى يسدد كلا منهما ويوفق » .

فكان وصول هذا السجل إلى الداعي على بن محمد الصليحي وهو في مدينة صنعاء في رجب سنة ست وخمسين وأربعمائة .

ملحق رقم ٣

سجل الخليفة المستنصر بالله إلى الملك على بن محمد الصليحي يعزیه فی وفاة
ابنه الأكبر محمد الأعز وتولية ابنه الأوسط أحمد السكرم ولی عهد لآبیه .

(عیون الأخبار ٧٩/٧ — ٨٠) .

« إن أمير المؤمنين يعزبك في ولدك الأكبر الأمير الأعز شمس المعالي منتخب الدولة
وصفوتها ذي الجدين رحمه الله ، الذي اخترت له خير الأولى ، واختار الله له خير الأخرى ، وألحقه
بالملا الأعلى ، سوى أن أمير المؤمنين يألم بما ألم بك ، وما اعترى قلبك من الحرقه بسببه ،
وحكم الله سبحانه الذي لا يغالب ، والحتم الذي لا ينجو منه هارب ، وأنت ربط الله على قلبك
بالصبر ، وأجزلك حظك من الثواب والأجر ، أرجح في ميزان العقل وزناً ، أن يدخل عليكم
الهم فيما لا ينفع الهم به وهنا ، فالتق سلاح البلى بجنة المالكين للصبر القادرين ، وانتظم
في سلك من غنم الله بقوله : « فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا
والله يحب الصابرين » . وقد أمر أمير المؤمنين بالرجوع إلى ولدك الأوسط كان وهو اليوم
الأكبر ، حفظه الله تعالى لكسر في أخيه رحمه الله عليه ، يجر في ولاية عهدك ، وسد مسدك
ميتا ، وأنشأ من التقليد ما يكون لقوادك مثبثا ، فليشمر في الحافل والمحاضر ، وليقرأ على
فروق المنابر ، ليكون لداء الناكبة دواء ، أو للهيب نار الحزن إطفاء ، وعزز بإفاد تشريف
من ملابسه يظهر عليه بين الأولياء رونق جماله ، ويكون له جنة يوم حشره ومآله . فاعلم ذلك
من رأى أمير المؤمنين ورسمه ، واعمل عليه بحكمه ، وطالع حضرته بذكر ثبوت مراسي صبرك ،
بما تعرب به عن مكاتك من الخلد ومقررك ، ويسرى عن نفس أمير المؤمنين فكركها بتقسيم
فكرك ، إن شاء الله تعالى ، وكتب في شهر ربيع الأول سنة ٤٥٨ » .

ملحق رقم ٤

سجل الخليفة المستنصر إلى الأمير أحمد المسكرم بن علي الصليحي .

(عيون الأخبار ٧ / ٨٠ - ٨١) .

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . من عبد الله ووليه الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى الأمير المسكرم شرف الأمراء منتخب الدولة وغرسها ذي السيفين أحمد بن الأمير الأوحى أمير الأمراء عمدة الخلافة تاج الدولة سيف الإمام المظفر في الدين نظام المؤمنين علي بن محمد الصليحي .

أما بعد ، فالحمد لله البعيد من حيث تناول به الأوهام ، وهو بيدائع قدرته دان ، الباقي وجهه الكريم سبحانه ، وكل من عليها فان ، لا إله إلا هو كل يوم هو في شأن . وصلى الله على من رفع في النبوة مكانه على كل مكان ، محمد المبعوث إلى الإنس والجان ، وعلى وصيه أشرف برهان ، على بن أبي طالب خير صاحب تأويل وبيان ، وعلى الأئمة القائم منهم إمام في كل زمان ، هداة يبشرهم بهم برحمة منه ورضوان . وقد كان رأى أمير المؤمنين وبالله توفيقه أن ينصب أخاك رحمة الله عليه ولي عهد لوالده نصره الله ، وأظفرك في حياته ، وارثا له بعد مماته ، جعاه لشمسك ، ووصلاته لجلبك ، وحفظا لبشرك المبارك ، المتبرج بزينة الإيمان ، المنتهج منهاج بيت أسس على التقوى من الله ورضوان . وكان من قضاء الله السابق في الاستئثار به ما ليس عليه معترض ، ونزل به نازلة ما كل جسم له عرض . فقام أمير المؤمنين ما لم به ، وضاق ذروعا بسببه ، ونزع في التسليم لمن بيده ملكة البسط والقبض ، ذلكم الله سبحانه فاطر السموات والأرض . ولما كانت الصورة هذه ، أجمع هذه الرتبة إليك ، وطرح شعاع شمس الاصطناعة فيها عليك . فائق الله فيما قلدك من هذه الأمانة حق ثقافته ، وشمر لا يتفاه مرضاته ، وقم بالحفاظ على سائر أركان الشريعة ، وتحصن بحصونها المنفعة ، وابسط بساط العدل والإنصاف ، واقصص جناح الجور والاعتساف ، واسهر لترقد رعيتك رقاد الأمن ، وانزل عليهم من سماء عدلك شبه السلاوى والمن ، وكن من أبر الناس بالوالدين ، واحمل الكلف عن قلوبهما بكتلتا اليدين ، وارقب من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وانل قول الله تعالى : يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الفرور ، والبس ما شرفك من ملابس التي تحوز بها في الدارين المنى والسرور . هذا عهد أمير المؤمنين إليك فاقبله (١) بقبول حسن ، وأقبل عليه لإقبال أمين على شرائطه مؤتمن . والله يوفقك ويسعدك ، وإلى صالح الدارين يرشدك ، برحمته إن شاء الله تعالى . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب في شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وأربع مئة . والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على جدنا محمد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، وعلى آله الطاهرين ، الأئمة المهديين . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(١) في الأصل : فقبله .

ملحق رقم ٥

سجل الخليفة المستنصر إلى الملك علي بن محمد الصليحي

(عيون الأخبار ٧ / ٨٢ - ٨٦)

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . من عبد الله ووليه مع أبي نعيم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى الأمير الأجل الأوحى أمير الأمراء عمدة الخلافة شرف المعالي تاج الدولة سيف الإمام المظفر في الدين نظام المؤمنين أبي الحسن علي بن محمد الصليحي نصره الله وأظهره واحسن توفيقه ومعوته .

سلام عليك . فإن أمير المؤمنين محمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلى على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديين وسلم تسلياً .

أما بعد ، فالحمد لله المقصود جناح الفكر دونه في هبوطه وإصعاده ، جاعل عالم كونه وفساده ، سلماً إلى محل رضوانه ودار معاده ، يحمده أمير المؤمنين أن مهله من مجد الإمامة في خير مهاده ؛ ويسأله أن يصلى على غوث عبادته وغيث بلاده ، محمد جده المقلد من شرف النبوة أشرف نجاهه ، المصطفى الهادي صفوة أغواره وأنجاهه ، وعلى أخيه وأبي أولاده ، الخضر به روضة الحكمة اخضرار الروض بصوب عهاده ، علي بن أبي طالب مفترس القرسان يوم الضراب والطلعان تحت سنابك جواده ، وعلى الأئمة من ذريته أكارم الدهر وأجواده ، الذين من اقتدى بهم فقد هدى لرشاده .

وكان عرض بمحضرة أمير المؤمنين كتابك الوارد على أيدي رسلك ، وهم عبد الأعلى ابن عبد المجيد ومحمد بن علي وعبد الواحد بن بشارة ، وكتاب جماعة المؤمنين قبلك ، كثرهم الله ، بذكر استئثار الله تعالى بولديك الأمير الأعز شمس المعالي وأخته ، رحمهما الله ، وأن الفجعة بهما وهنت منك العظم ، وأنحلت الجسم ، قال أمير المؤمنين ما آلمك ، ونلم في جسم نشاطه مائلك ، وترحم على الماضين ترهما يفضي بهما الله معه إلى الروح والريحان ، ويرفعهما إلى غرف الجنان ، ودعا يلهامك حسن الصبر والاحتساب ، ربا يوفى الصابر أجرهم بغير حساب ، ولي أمير المؤمنين فيك لنداء دعوتك ودعوة المؤمنين قبلك في رد ولاية عهدك والخلافة لك في حياتك ومن بعدك إلى أخيه الملك المسكرم ، شرف الأمراء ، عز الملك ، منتجب الدولة وغرسها ، ذى السيفين ، أحمد . ولاشك في وصول ما أصدره أمير المؤمنين من سجله ، ووقوع الإجماع لمسابقة السؤال بفعله . وبلى ذلك وصول كتابك على يد القاضي عمران بن الفضل ، ونجيب بن غير ، ويوسف بن محمد ، وعنت بن غشم ، العرب عن ديانتك التي تسفر إسفار الضبح ، وتقضى بمواجهتك في مساعيك لنصر الله والفتح ، وانتدابك لما يرفع الله به راياتنا أهل بيت النبوة إلى منطقة الجوزاء ، ويسمع منطق سكاك السماء ، ووقف عليه أمير المؤمنين وقوف ملتفت إليك بقلبه ، ملتف عليك بحبه ودعا بحسن التوفيق لك ربا يسمع دعاءه ويحجب نداءه ، ودعا لولدك ومن في جملتك بالإسعاد والإرشاد ، والتوفيق لك بصلاح المبدأ والمعاد ، وهو ولي الإجابة بعتة . وأما ما أنهت من ظهور

الفساد في الحرم العظيم والمقام المكرم ، بالخلف والتعارب بين الفريقين والتنازع ، حتى صارت الدماء فيه تسفك ، وأستأثر قول الله تعالى : « أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم » تهتك ، إذ صارت الأرواح فيه تتخطف ، وعاصفات النهب والظلم تعصف ، وما سألت فيه من إذن أمير المؤمنين أن تصالح فساد ، وتقوم مناديه ، وتقيم للعدل محامده ، وتعتبر طرقه للسفار ، وتطهرها من دنس المفسدين والزعار ، فقد عرف . وعزير على أمير المؤمنين ما يجري في ذلك البلد الأمين ، وهو منك من مناسك الدين ، لاجرم أن الأرض راجفة كلها برجفاته وهو قلبها ، ومتألمة بألمه وهو صفوتها ولها . وحقيق أن يقبض الله صلاحه — وهو خير البقاع — على يديك ، وأنت خير من لحظه عين الإمامة بالاصطناع ، سوى أن أمير المؤمنين يشفق من وقوع جرح على جرح ، وفرح على فرح ، يتصدى قوم لقتلك ، إذا رأوك عليه مطلا ، فيحدث حادث فساد ، قتالا وقتلا ، وما يؤثر أمير المؤمنين أن يوجد من ذلك مثقال ذرة ، ولا أن ينال طاليلها خاصة وخزيرة . وإن أمكنك ذلك السكان ، بتأليف القلوب ، وتجنب سورة الحروب ، فوارد ذلك على الكباد ، إنه الآية المراد ، وغاية قصد القصد . فتأمل أحسن الله توفيقك هذه الحالة تأملا شافيا ، واعمل فيها بما يكون للثقة في دينك ودينك موافيا .

وأما ما أتميته من حال رسل غرس الدين يوسف بن حسين الصمري ، وحصولهم عندك منذ سنة ، متوسلا بك إلى حضرة أمير المؤمنين ، باستخدامه في الدعوة الهادية ، أدامها الله في بلاده ، واعتماده في الاصطناع مكانية وتلقيا وتشريفا ، بما يكون مقيا لعباده ، فقد أجاب أمير المؤمنين سؤالك ، وحمد فيه أقوالك وأفعالك ، وبركانك في أقاصي البلاد وأدانيتها منتشرة ، ووجوه سعادتك ضاحكة مستبشرة ، وعناية أمير المؤمنين فيك بتواليها وتتابعها بمشيرة بمشيئة الله تعالى وعونه . أما إزعامك — قرن الله الخير بعزمايك ، ونفاك النجح في تصرفاتك — التوجه إلى حضرموت لفتح أغلاقها ، ونشر دعوتنا في أفاقها ، فالله يدك بالمعونة واردا وصادرا ، ويحدد لك من سيف نصرته ما يكون لأعدائك قاهرا ، بهمه . وأما تجديدك السؤال في الإلمام بنا ، إذا قضيت من أمن الحرم الشريف وطرا ، وانفسج لك فيه بما يكون لغرس قديم عنايتك مثمرا ، فلا شيء أحب إلى أمير المؤمنين من أن يشجع إلى أوليائه مثلك نظرا ، لكن الشقة بعيدة ، ومتاعب النافذ فيها شاقة شديدة . وأمير المؤمنين يرجح ما يراه من الصلاح في مقامك ، على ما يهواه من قدومك وإلمامك ، لإجماع لنفسك أن تكدر وتعب ، وإشفاقا على ما تخلفه وراءك أن يضطرب وينذهب . وسوى هذا فأنت بين أن ترد في كثير لا تحملهم الطريق ، أو قل يمنعك عن التعرض للقرقر فيه إمامك البر الشفيق . والذي تأمل بلوغه برأى العين ، فإنك بالغة بحمد الله برؤية القلب ، ونائله من إمام زمانك على ظهر القيب . فاحمد الله على ما قدره في ذلك لك من الخير وقضائه ، وقل : « رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي ، وأن أعمل صالحا ترضاه » .

وأما تسكري رسؤالك في معنى ولدك ، حفظه الله ، وأن تسدبه مسد أخيه ، رحمه الله ، فقد تقدم القول بأنه سابق فعل ذلك من أمير المؤمنين سؤالك ، وإنه كتب في الكتاب بما ينعم بالاك ، وأصدر ذلك على أيدي رسلك مقرونا بالتشريف والتقليد له بالسجل الذي يرقبه إلى المحل الشامخ المنيف ، لتعلم أن اهتمام أمير المؤمنين بشأنك مثل اهتمامك ، واعتزامه على ما تنال به سعادة الدنيا والدين موف على طلبتك ومرامك . وإن أمير المؤمنين ، لمكانتك من نفسه ، ووقوع

ما يرفعك ويعليك في أهم موقع منه وأمه ، رأى تشريفك بالتكنية في المكاتبة ، تاليا لنعوتك
وألقابك الزائفة ، وأن يزيد في نعوت ولدك الأكبر شرف الأمراء عز الملك ، مقرونا بملابس
تحدد ملابس الفخر ، وتشيد مناقب عزه باقى الدهر ، وفي نعوت أخيه الأصغر شرف الملك ،
وفي نعوت عقيلتك الصالحة أم الأمراء المنتجبين . والذي يعتقد أمير المؤمنين فيك فهو على
ما ظهر زائد ، وسائق إليك خير الدارين وقائد ، غشية الله . فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين
ورسمه ، واعمل عليه بحكمه ، وطالع حضرته بأنباتك ، وما يتشوقه من تلقائك . والسلام
عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب في شهر ربيع الأول من تسع وخمسين وأربع مئة .
والحمد لله وحده ، وصلواته على جدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله
الطاهرين الأئمة المهديين وسلامه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

وقال صاحب العيون :
فوصل إليه الرسل بهذا السجل وهو في قرية من قرى حراز ، تعرف ببیت جميع ، وذلك
في جمادى الآخرة من تسع وخمسين وأربع مئة ، وما زالوا معه حتى وصل صنعاء ، لست بقين من رجب
من هذه السنة .

ملحق رقم ٦

رسالة من مجموعة رسائل الشاعر المنشي . حسن بن علي القمي ، على لسان الملك
المكرم أحمد بن علي الصليحي ، وهي موجهة إلى الخليفة المستنصر الفاطمي
(رسائل القمي ٣٦ — ٧٢)

بسم الله الرحمن الرحيم . سلام الله وصلواته ، وبركاته الطيبات ومحباته ، على ينبوع العلم
والحكمة ، وونى الإحسان والنعمة ، ووارث الأنبياء والأئمة ، المفترض طاعتهم على الأمة ، باب
العصمة المقصود ، ومنهل الرحمة المورود ، ومطلب الفوز الموجود ، ومعدن الفضل والجود ،
وحبل النجاة الممدود ، وسدر الهداية المخضود ، وبيتة الذي أوحى فيه إلى والده ومولود ، « وأن
ظهر بيني للطائفتين والعاكفين والركع السجود » ، سماء الله الواكفة على العالمين ، وبهذه البساطة
ليرته أجمعين ، وسلسيله المعين ، لسان الصدق في الآخرين ، ووارث أصحاب اليمين ، الثمرة المحببة
من شجرة النبيلين ، المكى عنه بحجة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، مولانا
وسيدنا معدن أبي نعيم المستنصر بالله أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين ،
معالم الإيمان ، ومعادن البيان ، ومناهي البرهان ، وأسباب الرضوان ، وأمناء الرحمن ، وقرناء
القرآن ، وسادة الأنفس والجنان ، وعلى أبنائه الأكرمين الذين جعلهم لأفاق النبوة ضوئاً مضيئاً ،
ووهب لهم لسان صدق عليا ، وعناهم بجنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده
مأثياً ، ما أورد غصن ، [و] وكف وزن (١) .

والحمد لله القدير القديم ، الرحمن الرحيم ، المبدى البديع ، القوى الرفيع ، الفرد الأحد ،
العزيز الصمد ، الذي جل أن تدركه الظنون ، وعلا أن تبلغ أدنى صفاته الواصفون ، (٢)
بالإلهية لنفسه وملائكته المقربون ، واحتج باستحالة ما ادعاه المشركون ، بقوله
الذي عجز عن الإتيان بمثله القائلون : « لو كان فيهما آفة إلا الله لفسدنا فسبحان الله رب
العرش عما يصفون » ، قاصم كل جبار عنيد ، وقامع كل شيطان مرید ، وبألف كل ذي أيد شديد ،
الذي (٣) لم يتبل أوليائه بما ابتلاهم نعمتنا ولاهضنا ، بل اختاروا وإن كان قد أحاط بكل شيء
علما ، ووسع أعداء دينه أناة وحلما (٤) ، ليحقيقوا بالاستدراج حوبا وإعما ، كما قال جل جلاله
تباركت أسماؤه : « ولا يحسبن الذين كفروا أنما على لهم خيرا لأنفسهم إنما على لهم ليزدادوا إعما » .
وصلى الله على محمد نبيه سيد المرسلين ، وحاتم النبيين ، ورسوله إلى الجن والإنس أجمعين ،
وشعيرة الشفيع يوم الدين ، هادي المهتدين ، ومردي المعتدين ، الذي قرن بقرض طاعته (٥)
فرض حبه ، وحتم لأوليائه الطيبين به ، وغفر له ما تقدم وما تأخر من ذنبه ، وأنزل الفرقان

(١) في الأصل : وكف مربيا . ولعلها محرفة عما أثبتناه .

(٢) كلمة مكشوفة .

(٣) في الأصل : الذين .

(٤) في الأصل : وحدا .

(٥) بطاعته في الأصل .

على قلبه ، وأسكن من اتبعه جنات عدن ، وجعله بيتاً أخض بأمنه ، وداعباً إلى الله بإذنه ، وأوجب ولاءه على نفسه وجته ، وعلى أخيه ووصيه على بن أبي طالب أمير المؤمنين وسيد الوصيين ، وأسعد الدين وزيره وخليفته ، ووصيه [و] يحيى شريعته ، وأمينه ومأمونه ، وصهره (١) وهارونه ، ابن عمه الذي [قام] في أمره ، ووزيره الذي شد به عن أزره ، قمر الشريعة وشمسها ، وعماد الإمامة وأسماءها ، وذروة الملة ورأسها ، ساق شيعته من حوض عترة (٢) بكأسها ، « يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها » ، وعلى عرسه فاطمة الزهراء المتصلة ببحر الوصائل ، معقد رحمة الله الذي يعتقد به كل عاقل ، وسدة كل حاف (٣) وناعل ، والحبة التي أنبتت سبع سنابل ، وعلى ابنيها الحسن والحسين فلذتي كبد المصطفى ، وثمرة شجرة طوى ، اللذين أوجب الله لهما المودة في القربى ، وعلى الأئمة من ذرية الحسين المنقولين إلى محل الرضوان ، والنازلين في غرف الجنان ، سدة التزليل وخزنة التأويل ، وسلام عليهم أجمعين إلى يوم الدين .

المملوك يناجي حضرة الإمامة ، وينتهي سدة الخلافة ، جعل الله عزها باقياً على الأيام ، ومعدماً غير منقطع الدوام ، علماً أنه ليس بذلك شرف الدارين ، ويستولى به على الحسين ، شاتماً من مولاة برقاً مضياً ، ومستظلاً من سحب الإكرام ودقاروا ، ومتبوثاً من زنبال الاختصاص مكاناً علياً ، ومتعرضاً لمثلة من أدناه وقربه نجياً ، إنه قد كان قدم خدمة يطالع بها بآناء جزيرته ، وينتهي أخبار دعوته وما جرى عليه أمرها من الفس ودارت فيها من دوائر الخن التي ملأت (٤) قلوب أعداء الدين سرورا ، وازداد بها الكافر طغياناً وكفورا ، وأظهر كل منافق ما كان من غد [ر] كما منا مستورا ، « وقال الدين في قلوبهم مرض ما وعد الله ورسوله إلا غورا » ، حين سطر الأجل الأوحى أبو الأمراء عمدة الخلافة شرف العالي تاج الدولة سيف الإمامة المظفر في الدين نظام المؤمنين ، كان قدس الله روحه ونور برضامولاه صريحه ، إلى مكة حرسها الله قاصدا الحج [إلى] البيت (٥) الحرام ، راضياً بعشاعره العظام ، وتسهيل الحج لاطالي قصده في كل عام ، « ليشهدوا منافع لهم ويدكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام » ، وعجالة ما درس من آثاره ، وإبانة ما عفا من مناره ، وأمان قاصديه وزواره ، وإجراء مارفاً من أنهاره ، وحط المؤن عن سفاره ، ومواساة من قطن في قطن (٦) من مال مولاة ، التي أكسبه إياه وأتماه ، بسعادة دولته وأثره ، طالبا بذلك رضاه ، وسالكاً سبيل هداه ، راغباً أن يتجرف به بأربع المتاجر ، ويحوز في الدنيا شكر الوارد الصادر ، ويستولى في الآخرة على الأجر الكامل الوافر ، ويكون من الداخلين بقوله سبحانه : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » . ونهوضه في يوم الاثنين السادس من ذي القعدة ، لا يقطع علماً ولا يجاوز جدداً ، ولا يطوى بلداً ، ولا يجوب سهلاً ولا جلداً ، ولا يقبض ولا يمد يداً ، إلا وعليه من خوف مولاة شعار لا يترع ، وييده من طاعته جبل لا تنثني الأيام ولا تقطع (٧) ، وأما (٨) من رضاه غصنا مورقا ، وشاتماً من نهام نوى مغدقا ، ورائداً من رحمة روضا موقعا ، طامعاً أن يكون من الذين استقاموا على الطريقة « أسقيناهم ماء غدقا » ، فترل بقرية العمدة في منقطع السهل من نهامة على جناح الدعة ، وكنتف السلامة ، يوم الخميس تاسعه . وكان قد ورد إليه قبل نهوضه من دار دعوته ومستقر حوزته (٩) أن جماعة من العبيد كانوا بمحاضرة زيد قد جانبوا

(١) في الأصل : صهرته . (٢) بغير نقط في الأصل . (٣) في الأصل : حافل .
(٤) في الأصل : ملئت . (٥) في الأصل : البيت . (٦) كذا في الأصل . ولعلها في قطره . (٧) في الأصل : تقطعه . (٨) في الأصل : والماء . (٩) في الأصل : حوزتهم .

الائتلاف ، وتعرضوا للخلاف ، فأقاموا فيه عبدا من بقايا دعاة الدولة الطاغوتية ، وأسأوا [إلى] السيوف المستنصرية ، فأعطوا صفقة إيمانهم المبايعة سرا ، وأضربوا سببة من أموالهم ومكرا ، ودسوا دسائس الفساد ، إلى من كان معهم بصنعاء منهم من القواد ، والحرابة والأجناد ، وحلّوهم على كاهل الغناد ، فصادفوا منهم أين مقاد ، وسرعة انقياد . فلما تمت إليه نواحي أخبارهم ، واتصلت به قبائح آثارهم ، أحسن الظن فيمن كان منهم بخضرته ، وبعث منهم عبدا كان مختصا بخدمته ، ليقبض على ابن نجاح وجبايته ، وكل من دخل بيئته ، فدخل العبد مدخلهم ، وصافقهم في الضلال وعاملهم ، فظهر لمن كان يزيد من المؤمنين ، وأوقفوه تقييدا (١) ، وحلّوهم إلى العمدة مصفودا ، فأمر الأجل قدس الله روحه بقتله ، وأحله محل مثله ممن ساءت (٢) محافظته على عهده ، وقبحت آثاره في تقص عهده .

وسار من العبد يوم الخميس ونزل سررد يوم الجمعة العاشر من ذي القعدة ، بما معهم غيرهم إلا جماعة من بني عمه وذويه [معه] (٣) الأمير الموفق رحمه الله برحمته ومواليه ثقتهم بهم أنهم أحب الناس لدولته ، وأرغبهم في بقاء دعوتهم (٤) ، وأشدّهم ذبا عن هيجته ، لما قدم لهم من نعمته ، وطوقهم من إحسانه ومبرته . وقد كان قدم أمامه قبل نهضته طوائف شيعته وأنصار ملته ، وأنجاد أسرته ، وبني عمه وعشيرته ، الباذلين (٥) أنفسهم في محبته ، والمتمسكين (٦) بعهد أئمتهم ، من رجال الدعوة ذوي البأس والشدة ، والقتال والنجدة .

واختص عبيده دونهم لصحبته . فكلمهم عليه بالغش مدغول ، وصدره بالغل مدحجول ، وزندولائه بالحسد والبغض مغلول ، يقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيتت طائفة منهم غير الذي تقول . فلما اتصل بالعبد ابن نجاح ، لابل الله رسمه ، ولا رحم نفسه ، أن الله عز وجل قد أبان فضيحتهم ، وكشف سريرتهم ، عزم على الفرار ، وسار معارضا للبحر ، خائفا أن تظفر به أظفار الدين ، وأن تنشب به أنياب المؤمنين ، فخرج مع من ألف إليه من عصابة الغدر ، وأوباش الشر ، بعد أن عملوا على جماعة من المؤمنين يزيد حيلة ، فقتلوا خدعة وغيلة . فلما اتصل بالأجل الأوحى فراره ، وارتعاجه من قراره ، أخرج له من كان بخضرته من عبيده ، وأعلمهم بمقصوده ، فحادوا عن طريق العبد عمدا ، وجازوا عن مواجهته قصدا ، إذ كانت أهواؤهم مائلة [إلى] هواه ، جارية في الغدر بحراه . فلما صار يلزام سررد خرج لاستقباله ، وتخلف العبد عن الخروج لقتاله ، فوافوه عنها معرضا بجنبها ، ولنازل القضاء متخوفا متربعا ، فثنوا عن الهرب همه ، وردوا إلى قصد سررد عزمه ، وأعلموه بالفراد الأجل الأوحى ، قدس الله لطيفه ، من أعوانه ، واتحاده عن المؤمنين من إخوانه ، وأنها فرصة إن فاتته وقع في أشراك الندامة ، وعدموا أسباب السلامة ،

(١) في الأصل : تقييد .

(٢) في الأصل : بمن سارت .

(٣) مكشوفة في الأصل .

(٤) في الأصل : دعوتهم .

(٥) في الأصل : الباذلون .

(٦) في الأصل : والمتمسكون .

فقدم على الإقدام ، وقادوه إلى الاشتهار والاعتنام ، ووع [بده عند قيا] (١) أهم وعدا جيلا ، وأوسعوه ترحيبا وتأهيبا ، وجاءوا به على ظهر التجشم والتهور محولا ، ليقتضى الله أمرا كان مفعولا . فلما سبق الخبر إلى الأجل الأوحى بقى أن يصول بيد عز قوية ، أو يتعجز فينسب إلى الخوف من المنية ، فبسط [إلى] الله عز وجل يده ، وسأله أن ينصره بنصر مولاه ويؤيده ماضيا على يقينه الذى اعتقده ، نالوا قوله عز وجل : « أئنا تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة » ، فبرز مجاهدا عن حريمه ودينه ، طالبا الرضا من ربه ، مستبشرا بوفاء بيعته عند قضاء نحبه ، آخذا بقوله سبحانه : « فاستبشروا ببيعكم الذى يبيعكم به » ، راجيا أن ينال بجهاده أفضل ما ناله المجاهدون ، ويدرك ببذل روحه فى طاعة وليه ما أدركه البالدون ، مقدما على بصيرته حيث يحجم المبطلون ، ليفوز بالحياة الأبدية التى فاز بها الطيبون ، ويسعى إليها الطالبون ، ووعد بها أولياء الله المتقون ، إذ يقول تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين » . فاستشهد رحمة الله عليه ومن معه من المؤمنين ، فلما أخذ من الأرض مضجعه ، ونبوا فائزا بالرحمة مصرعه ، عاد الأمير الموفق رحمه الله تعالى ومن اتبعه ، ممن لم يرزق الشهادة معه ، إلى سردد لحماية والدته ، أمة مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، الحرة الثقة الزكية الفاضلة السكاملة الصالحة ، كافة المؤمنين ، الساعية فى مصالح الدين ، أم الأمراء المنتجين ، ومن معها من بنات عمها الصليحيات ، وقراباتهما من المؤمنات ، فلبث يجاهد فيهن ويمانع ، ويحامى ويدافع ، إلى يوم الأربعاء الخامس عشر من ذى القعدة ، ثم قضى الله سبحانه باقتضاء المدة ، وحكم له بالشهادة بالفرج بعد الشدة ، فاستشهدوا أجمعين .

حينئذ أسر الحريم ، واتهب المال الجسيم ، وتزل البلاء العظيم ، وطارت طوائف الأخبار ، فى جميع الأقطار ، ونمت نوائى الأنباء ، إلى كافة الأحياء ، فثاروا جليين ، وقاموا متألين ، وهاجوا متعزين ، ونفروا مستكبين ، يشنون نيران الفساد ، ويشيرون كوامن الأحقاد ، ويخفون أمن البلاد ، ويمدون أعناق العناد ، يرقون على أولياء الله ويرعدون ، ويقومون بالمناذرة ويقعدون ، وينددون ما كانوا يخفون ويكتمون ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . وخرج أمر الدعوة كله من اليمن حزونه وسهوله ، وأجلب الشيطان برجاله وخبيله ، وظنوا أن الأمر غائب لا أوبة لفقوله ، وأذن كل منافق بنقض عهده وببديله ، وكيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله ؟ ولم يبق غير التعكر ، وقد حصره العبد بمجموع كثيرة من العبيد والعشيرة (فيهم أخواه) لا يرجمهم الله ؟ وحصن مسور (وفيه عم المملوك) قد أحاطت الأعداء عليه ، وتجمعت العربان حوالبه ؛ وكعلان وهران وحواليهما جمع كثير من العربان ، وهى عسى وزيد ويحبب ورعين (٢) ؛ وحصن مسار ، وهو معقل استطارته شر الدعوة ، وانتشر فيه ضياء الدولة ، وقد مالت الأعداء إلى [حصره] (٣) ، واجتمعوا على اغتصابه وقسره . وبلغ الخلاف إلى مدينة صنعاء والمملوك بها مقيم ، ولما يقضى الله سبحانه مستسلم مقيم ، فى غصابة قليلة العدد من خالص المؤمنين ، وحفقاء المعاهدين ، يتبتهم على الدين ، ويندكرهم ما وعد الله به عباده الصابرين ، ويتبتهم بمالبتى به مواليمهم الطيبين الظاهرين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، وتبلى عليهم ما أنزل الله فى كتابه المبين : « أستم » ، أحسب الناس أن يدركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون .

(١) الأصل ممزق فى هذا الموضع .

(٢) فى الأصل : رعيس . (٣) ناقصة فى الأصل .

ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين». وجعل الملوك ينزولهم شرقا وغربا، شأما ومننا، والله تعالى يعطيه النصر على إعلاء الدين (١)، ويبسط يده على الجاحدين، لما علم من نيته، وأطلعنا من سريرة، في المضي على سنة والده في اتباع أمته، والذب عن دين وليه ودعوته. فأوقع في بلاد حضور وقعة، تولاها الملوك سبأ بن أحمد ابن المغفر الصليحي، سلم فيها منازعتهم، وألزم الطاعة بها خا[له]مهم، واستقام حائدهم، وفاء شاردهم، وبسلاد خولان أخرى ركب جموعهم فرقا، وملائت أكبادهم فرقا، وبناحية كلان وهران أخرى تولاها إسماعيل بن أبي يعفر، تولى الله رحمته، وأأناله برضا مولاه مفرته. وبينما الملوك على مثل حاله من قلة الأنصار، وتبوء الفرار، وانتظار الفرج واستبطائه، وارتقاب العون واستتبابه، إذ ورد إليه البشير بسلامة عامر بن سليمان الزواحي، ومدافع بن حسن الجني، وموسى بن أبي حذيفة الجني، ويوسف بن زائد السنجاني، وجماعة من معه من المؤمنين، الذين كانوا متقدمين أمام الأجل الأوحى قدس الله روحه. وقصد أوقفوا في طريقهم سبع عشرة وقعة، في كلها ينجون النصر، على من عاداهم والظفر، ببركة مولا، فخر الملوك به ساجدا، وشكروه ووليه صلوات الله عليه قائما وقاعدا، وأثنى عليه بادئا وعائدا، وقام في طاعة ولي أمره مجاهدا، وحمد من كان عنده من المؤمنين عنصرهم، وشكروا الله عز وجل على حسن عاقبة أمرهم إذ عاد لهم إخوانهم ونصرهم، وثبتهم على دينه ووقرهم، وشد أزركم، وكانوا قليلا فكثركم، وشكروه عز وجل إذ كف عنهم كربا، وجعل بلاده إلى مرضاته لهم سببا، وتبوأ من أخبارهم عجا، وقالوا: «لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا».

فسير الملوك عامر بن سليمان الزواحي إلى بلاد حمر، فاستصلح بعضهما سلما، واقترس الباقين عضبا، وعاد ناججا أملا، كاملا عملا. فحين أسفر توارثت الأخبار ونمت (٢)، وتواصلت عن محبة وتواترت وتناصرت أن رجلا يسمى خزيمة بن هاشم ادعى النسب إلى ولد الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام والإمامة على رأيه، ورأى من التف إليه من الطعام، الذين يبيعوه على القيام، وتابعوه على هدم شريعة الإسلام، واستحلال الحرام، وارتكاب الآثام، فقام متحليا بالتحديد، وهو معتقد لتعطيل ومدح للإمامة، وليس هو من أهل بيت الرسول. لما أراد الله به من حلول عذابه الويل، وزحف إلى مدينة صنعاء في خمس مئة فارس وخمسة عشر ألف رجل من همدان وغيرها من العربان حتى إذا كانوا بالملوى (٣) في سواد المدينة، برز إليهم جند الله، وظهرت لهم أنصاره كالأسود الضاربة والذئاب العادية، وهم دون ثلثهم في العدد، وأكثر من ضعفهم في البأس والشدة، فما كان أسرع من لمح العين حتى ولوا مدبرين، وأنزل الله سكينة على المؤمنين. وعثر بعض الأولياء بالمدعى بما ليس له واحتازه وقتله ووافى به صنعاء. وقتل ولده، وتفرق عنه عده. وأحل الله به ما أحل بسواه من المعتدين، الذين ادعوا مراتب الخلفاء المهتدين، وهموا بما لم ينالوا من ميراث التبيين، وازداد المؤمنون بذلك يقينا وتبصيرا، وثلجت قلوبهم فرحا وسرورا، «وكان يوما على الكافرين عسرا»، وكانت أفئدة الطاعة له متوقفة، ونفوس الغواة لا يكون متطلعة، ولما يحدث متوفرة معتدة، وأعناقهم إلى استشرافهم ممتدة. فلما أحل به ما استوجبه، وأحاط به ما احتقبه، انجذع أتب الضلال وسكن شيطاناه، وهذا ضلال الباطل ومحدث نيرانه، وانقسم فقار البقي وانبتت أقرانه، وانقطع (٤) شره وتفرقت

(١) في الأصل: يميناً... من على إعلاء الدين. (٢) في الأصل: تمت.

(٣) في الأصل: النوى. (٤) في الأصل: انقطعت.

أعوانه ، وثلت عروشه وانهدت أركانها .

وسير (١) الملوك حده أحمد بن المظفر الصليحي وعامر بن سليمان الزواحي إلى حصن مسار ، فقلوا من فيه من الحصار ، وحلوا إليه عدد المعاقل ، واستصلحوا من حوله من القبائل . وساروا على وجهتهم تلك إلى ناحية بكيل ، وكانت شوكتهم تلك على المناذرة حديدة ، وصولتهم على الحاربة شديدة ، وشدهم على الجلال عتيدة ، وآمالهم في الضلال بعيدة . فأوقعوا فيهم رقعة اعتبر بها من شايهم من المخالفين ، وتكلم بسببها من كان بعيد الإنابة من المعادين . وانصل بين عم الملوك في التعكر نأ هذه الوقائع المشهورة ، وعلو رايات المنصورة ، فقويت على قتال من تحت حصنه منته ، وأجعت لزلهم عزيمته . فواقعهم بنى أشرف (قرية من قرى الخلاف) ، وهم في جوع كثيرة ، وكراديس خيل كبيرة ، وأعداد جمة غفيرة ، من عبيد وفوارس وعشيرة ؛ فولوا عنه منهزمين ، واقلبوا خائبين ، بنصر الله عز وجل ووليّه أمير المؤمنين . ونجا أخوا العبد اللعين ، واقلبوا مطرودين ، لا يلويان على أحد ولا يعرجان على حال ولا مال (٢) وقد عاد عزيزهم بقدره الله ذليلاً ، وكثيرهم (٣) بنصر العزيز قليلاً ، وجمعهم بعد القوة مهزوماً مغلولاً ، وأينما تقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً . وانصل بالملوك وبالمؤمنين نأ هذا الفتح العظيم الذى يضع ركن الشرك وهذه ، وأعز دين الحق وأذل منده ، فأكبر المؤمنون شكراً لله سبحانه وحده ، وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده .

جد عزم الملوك بعد خيرة الله تعالى وخيرة وليه صلوات الله عليه على السير للعبيد إلى مدينة زيد ، حين علم أنه قد أصلح صنعاء وحاط أكنافها ، وحسن من الفساد مخلافها ، وهذب أشباحها وأطرافها ، وأزم الطاعة من ارتسكب خلافها . واتفق عند مسيره وصول عمر [أن] بن الفضل البامى وحسين بن عمرو السنجاني ومنصور بن محمد (٤) البامى بإجماع كثيرة من العرب استصرخوا بهم للملوك . فسار منها يوم الجمعة التاسع عشر من شهر صفر سنة ستين وأربع مئة ، وسار معه المؤمنون أجمعون غير من استخلفه (٥) على صنعاء مع إسمايل بن أبي يعفر (٦) رحمه الله تعالى . فورد مدينة زيد يوم الاثنين التاسع والعشرين منه . وقد سبق النذير إلى العبد ، وألقاه الملوك صافاً على باب الشارق (٧) أحد أبواب المدينة ، قد نفخ الشيطان ريح الطغيان في أفاقه ، وأراه الحياة في حتفه ، قد عصب برأسه من السكر تاجاً ، ظن أن الله لا يستطيع له نزاعاً ، وتجلب من الجبروت بثوب لا يروم له ، ما عاش ، خلعا ، فقطع بالدابة لنفسه على الله قطعاً ، ولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكبر جمعا ، فدفع (٨) إليه الملوك في جماعة من المؤمنين قاموا لله أنصاراً ، واتخذوا الصبر شعاراً . والله عز وجل جار المتسكين بسبب الله الذى لا يتقطع من تمسك بسببه ، جائدين بأنفسهم في ابتغاء رضاه وطلبه ، وخوف سخطه وغضبه ، خفاء لله غير مشركين . فلما ترائى الجمعان ، وندانى الفريقان ، ماجت الصفوف ، وسالت الزخوف ، ولعت السيوف ، ووكفت الخوف ، وتزلزلت الأقدام ، وصال الحمام ، واغبر القتام ، وجثا القيام ، ونداعت الأبطال ، وندانت الآجال ، وكثبت الرجال ، وانقطعت الآمال ، واخر الحلق ، وفاض العرق ، وشخصت الأبصار ، وألحمت الشفار ، وطلبت الأوتار ، وقم الثار ، وأعوز

(١) في الأصل : وميز (٢) الأصل مضطرب . (٣) في الأصل : كثير .

(٤) في الأصل : عمر . (٥) مكشوفة في الأصل . (٦) بن جعفر في الأصل .

(٧) في الأصل : الشارق . (٨) في الأصل : فرأف .

الفرار ، فاطعن بالرمح ، واضطربنا بالصفاح ، وتجاودنا بالأرواح ، وتدافعنا بالراح ، ودعونا
نزال ، فأترل الله سكينته على المؤمنين ، وأوقع الرعب في قلوب الكافرين ، « وجعل كلمة
الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم » . وعلقت سيوف الحق تلثمهم ،
وأيدى المؤمنين تقسمهم ، فتركهم بين ضريح بدمه ، وهاو يديه وفه ، وشارد لم ينجه سمي
قده . ونادم لم ينتفع بدمه ، وطريح قد أنقضته الرماح المعدي ، وجريح قد خذله [الـ] سيوف
المستصرية ، ومغفور نطخ ، ومطعون جريح . قد عادوا فرصة لكل وائب ، وأكل كلمة لكل
ناهب ، مصرعين مصارع أمثالهم الكافرين ، وواردين موارد أعمالهم حاسرين ، قد قطع
الله أوصالهم ، وبث من حبلة (١) حبلمهم ، وسلط عليهم أوليائه ليبيد بنيادهم ، وحل بهم
نكالهم « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم » . وفلت العين بمن معه
وقد أذن الله قعه ، ورد كيده ودفعه ، وألبسه الخزي والعار ومن اتبعه بشلو مأكول ، وجسم
مذلول ، وجمع مفلول (٢) ، وعسكر مخذول . وكان سبب نجاته ، والموجب في ذلك حياته ، أت
المملوك جعل أكثر محته ، من كان في الدار من حرمة والدته [١٠] ، فمعمولاً أمير المؤمنين صلوات الله عليه
عبدته ، فلم يتبع العبد أحدا ، ولا أزع له طردا ، ولا أقام له في ذلك صدا ، فطلع المملوك
إلى والدته بركة مولانا أمير المؤمنين وسعادة دعوته ، ونصر رايته ، وإقبال دولته . وعاد المملوك
شاكر الله ولوليه ، صلوات الله عليه ، على ما أهداه من النصر إياه ، وفتح له من الظفر على يديه ،
حامدا له عز وجل على نصر أوليائه الأبرار ، وقتل أعدائه الفجار ، « والله يؤيد بنصره من
يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار » . وبرز المملوك من الدار بوالدته والمؤمنات .
لأنه قد كان أحرقها بالنار ، على جماعة من الكفار ، لجأوا فيه إلى الحصار ، وغنم المملوك من
الغنائم ما لا يمكن نعت ولا تأن وصفه . وجعل العبد لا رحمه الله يدنو بمن بقي معه من المدينة
وبعيد ، ويرق بغير قوة بأس وبرعد ، ويقوم في غير عائدة ولا تأثير ويقعد ، يوم أنه انهزم عن
المملوك قصدا ، وحاد عن لقاءه محمدا ، وأنه قد أحل المملوك بحيلته سجننا ، وبظهر أنه قد امتلأ
بذلك فرحا وقد ملأه الله حزنا ، ويركب في الإجلاب سهلا وحزنا ، والمملوك يسمع جمعة
ولا يرى طعنا . وأقام المملوك رسم الدعوة الهادية ، بمدسة زيد على العادة الحارثية . وسار إلى
العبد وهو على مسافة يوم والعساكر بالغنائم موقرة مثقلة ، وطريقهم بالأفال والأفياء منتظمة
متصلة ، فحين دأ منه المملوك راغ منه بمنة ، وقصده حيث هو فراغ يسرة .

وورد إلى المملوك كتاب وهو في تلك الحال من تخلفه بصنعاء ، يذكر أن إسماعيل بن أبي يعفر
رحمه الله برحمة مولاه أمير المؤمنين قد أشق على ضريحه ، وأنس من سلامة روحه ، وأن رجلا آخر
ادعى النسب إلى ولد الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام والإمامة على رأيه ورأى من التف إليه
من يعتقد اعتقاد الحشوية ويتجمل بحلة الزيدية ، ويدعى موالاة أهل البيت عليهم السلام وهو
لهم حرب ، ويعتزى إلى شيعتهم وهو عليهم أب ، اسمه قاسم بن جعفر قد جمع جموعا من
أتباعه ودعائه ، واعتزى بحلم الله وأمانته ، وادعى مراتب كشته وآياته ، والله أعلم [حيث يجعل
رسالته ، فيرى المملوك بعد خيرة الله تعالى وخيرة وليه صلوات الله عليه أن يصرف وجهه
إلى أشدهما عادية ، وأسرعهما بادية ، وترك تغرا قد أذن بإصلاحه إلى ثغر يخاف من افتتاحه .
فصار إلى صنعاء قاصدا ، وخالفه العبد إلى زيد شاوردا ، فقدم المملوك صنعاء أول يوم في شهر

ربيع الآخر سنة ستين وأربع مئة ، حين استقر بها توفي إسماعيل بن أبي يعفر ، رحمه الله عليه
برحمة مولاه ، ورزقه برضا وليه رضاه ، وخلف المملوك بها عامر بن سليمان الزواحي ، وسار
لقاسم بن جعفر الرسي ومن معه وهم يسيره لا يشعرون ، فدنا منهم المؤمنون ، فلما أحسوا بأسنا
إذا هم منها يركضون ، فأقام المملوك بتأخيه أياما يصلح منها ما أفسده ، ويجمع من سبل الطاعة
ما بدده ، حتى استقام المائل ، وارتدع الجاهل ، وأطاع الخالع ، وسلم المانع . وعاد المملوك من هنالك
إلى جبل خلان ، وهو معقل للعرب قديم ، وحصن بلجأون إليه عظيم ، فوجد أهل المغرب
جميعا معتمدين فيه ، لازمين لصياصيه ، خل المملوك لجوارهم ، وقصد إلى عقر دارهم ، فأوقع
فيهم وقعة كانت قطعاً لأديبارهم ، وحسماً لأنارهم . وعاد المملوك إلى مدينة صنعاء ، وقد أكمد الأعداء ،
وسر الأولياء ، وسكن الدماء ، وحقق سفك الدماء ، فأقام بها ونهش أول يوم من جمادى الآخر
إلى بلاد غنس وزيد ويحصب ورعين ليصلحها إصلاحاً يأمن بعده الخلاف ، ويثقف أمرها
تتقيفاً يبعد بعده الاختلاف ، فأقام بين متحصن في ذروة جبل صعب ، ومتوطن في واد ضيق
المسلك أو شعب ، فأوقع فيهم وقعات عظيمة اشتدت بها النكابة فيهم ، وفاء من كان من
أقاصيهم إلى الصاعة وأدانهم . وأسر المملوك التبعي والسخطي والكلالي والحوالي واستوثق
منهم بالأيمان العاضمة ، على الطاعة اللازمة ، وأقر من آمن بتأخيه ، ولم يخش من نكبته ،
وتابعيه على مثل حالته ، وهرب التبعي بعد عهوده وأذمته ، وإعطائه أكيد صفقته ، فاجق
بالعبد وشيعته ، وتقدم المملوك إلى مخاليف جند . فلقبه ابن عمه بالتعكر فقوى المملوك عضده ،
وشد يده ، وكثر عدده ، وأصلح له بلده . وعاد إلى صنعاء فدخلها في اليوم الخامس من شعبان ،
والعبد في هذه الأشغال يستصرخ في السهول والجبال ، ويجمع حشود الحبل والرجال ، ويعد من معه
من الأباويل والمحال . فكان [في] يوم من هذه الأيام من أبي السعود بن أسعد بن شهاب الصليحي ،
وهو ابن خال المملوك ، غارة على العبد المخاذيل (١) ، فقتل منهم رجالا ، وصرع منهم أبطالا .
فلم ير المملوك بعد خيرة الله وخيرة وليه صلوات الله عليه إلا أنه جد عزمه ، وأجمع
همه ، على قصد العبد المخذول حيث استقر ، وأتباعه والضلال من أشياعه أينما مروا ومر ،
حين لم يبق وراء المملوك تغر ينفيه ، ولا أمر يخاف العقوبة فيه . فلما كان في يوم الخميس أول
يوم من شهر رمضان ، نهش المملوك بأعين طائر رآه ، ونهش عند إطاعته مولاه ، وشمر تشميرا
رجاء أن يقبله وليه منه ورضاه ، ويرفعه به إلى رتبة من اختاره واصطفاه ، ومحجوب بأثرة
بمن (٢) اختصه واجتباها ، فسار المملوك إلى زيد قاصدا العبيد . وقد سبق النذير إليه قبل
نهش المملوك بأن المملوك عازم عليه ، فخرج اللعين من زيد عن معه لصنعاء بزعمه ، وأخذ طريق
الجبل مغترا بسخيف وهمه ، قد غره التبعي بغروره ، ووعدته بمواعيد زوره ، وأن العرب كلها (٣)
تقبل بالطاعة والنصرة إليه ، وتسير إلى صنعاء لديه . وصح عند المملوك ذلك وهو بقرب مدينة
زيد ، فطوى المراحل ، وطبق المناهل ، سالكاً طريق الخلاف ، راكباً ظهر الإعناق والإنياف ،
يصل الأصيل بالغروب ، وينظم التهجير بالدروب . لما أراد الله عز وجل ووليه صلوات الله
عليه من لطف الصنع لأولياته ، ومن الهلاك لأعدائه ، يطوى الأخبار دونهم طيا ، ويلوى أعناق
الأنبياء عنهم ليا ، حتى كان يوم السبت السابع عشر من شهر رمضان ، ووقع أول العسكر
المقصود على قلوبهم فغنموه واشتهبوه ، ومن وجدوا مع الأتقال من الرجال قتلوه وسلبوه . وجاء

(١) في الأصل: للمخاذيل . (٢) في الأصل: من . (٣) في الأصل: كلها .

إلى العبد اللعين الخبر، فظن أنه عسكر ابن عم المملوك من التعكر، فلم يش إلى وجهه استقلالاً، ولا رد إليه عزمه استخفافاً واستزدالاً. وتواترت الأخبار إلى المملوك من غير أصل أنه مضى هارباً بطريق (١) صيد، غير الطريق إلى صنعاء، يريد تهامة، فأمر المملوك عامر ابن سلمان الزواحي وسبا بن أحمد الصليحي ومقدمات رجال الدعوة من جنب، عليهم مدافع ابن حسن الجنى، وسنحان وعليهم حسين بن عمر [و] السنحاني، وخير وهمدان بالمسير إليه في ليلة السبت من طريق أخرى ليقطعوا عليه. فلما أصبح المملوك بكرة يوم الأحد إذا وهو في جماعة دون ألي راجل أو يزيدون ووراءهم خمسمائة فارس ينددون، ما يرى منهم غير العيون، صفوفهم زاحفة، وعقبانهم عاكفة، والأرض بهم راجفة، فجمع المملوك من بقى معه من المؤمنين وحرصهم على الجهاد، وأمرهم بالصبر والجلاد وحرصهم على الاستظهار والاستعداد، وأعلمهم أن الله سبحانه قد وفى لهم بالميعاد، وأوتق أعداءهم في موارط للهلاك والفقاد، «ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد» حين بصروا بالمملوك زحفوا زحفة الجلاد، وزأروا زئير الأسد، وجالوا على ظهور الحيات، فكانوا أطواداً على أطواد، فلم يكن إلا رشاً دعى المملوك باسم مولاه مستعينا مستنجداً، متضرعاً إلى وليه سلوات الله عليه مستنصراً مستعداً، حتى لحق أولنا بأخيراً، فولوا شذو منذر (٢) عباديد طير، قد [ازدحمت] بهم الشعاب، وامتلاّت منهم الرحاب، والتجتمعت سيوف الحق، واقتسمتهم أنصار الصدق، ومثلت منهم بطون الأودية، وموتون الأصفية، وظهرت المغارب، ونحوذت المقارب. وتناولتهم أيدي الخوف بمواضى السيوف، فمنهاو من قبة جبل وعر، ومغشى عليه من شدة دعر، ومنطوحاً على صخرة صماء، يرتكس في حرة رجلاء، قد عادوا للسيوف جزراً، ولأولياء الله عبراً، دماؤهم جارية، وأجسادهم عارية، وديارهم خاوية، وأرواحهم في الحميم هاوية، قد ذاقوا عاقبة مكرهم وخاعة غدريهم، ذلك بما قدمت أيديهم، «وأن [الله] ليس بظلام للعبيد». وولى العبد اللعين يروم سلامة نفسه بسعيه، وما علم أنه موقوف عليه بحيال بغيه، يروم الهجاة والله طالبه، ويحاول القلت والله غاليه، قد أسلمه أعوانه، وأزله شيطانه. وأحاط به طفنيانه، وأوثقه بهتانته. فلما أدركته سيوف الدين، وتناولته أيدي المؤمنين، وأحاطت عليه محيطات ضلاله، فأوبقته في مهاوى أعماله، استكان ضارعا، واستخرج خاضعا، وجعل يعتصم بغير عصمة، ويستندم ولات حين دمة، فوفاه الله ما جترمه، وفناه ما قدمه، ونشيتة المنية، وحلت به (٣) وانقضت أنفاسه. واحترأ رأسه، وعاد مقسماً بين أقسام ثلاثة: جثة ماثلة للأبصار، ورأس بطاف به في الأمصار، وروح تهوى به إلى النار، عبرة للسامعين، وآية للناظرين، ونسكالا للظالمين، وخبراً في العاشرين. وقتل ممن معه من إخوانه أربعة. وأمر المملوك بإشاعة هذه الأخبار، وإذاعة هذا البيا السار، في كافة المدن والأمصار، وجميع النواحي والأقطار، وعاد المملوك من هنالك إلى مدينة زيد، فدخلها يوم العيد، بعد أن أقام بها الدعوة الهادية، على العادة الجارية. وسار يوم الثلاثاء رابع العيد إلى الشام ليستأصل شأفة من بقى منهم، فلم يزل يتبعهم ويغزوهم ويطردهم ويتلوهم حتى أخرجهم إلى أقصى البلاد، وأبعدهم عن مطافهم (٤) والبلاد، وشقت الله شعلهم، وفرق جمعهم. وعاد المملوك فدخل زيد يوم الجمعة الثالث عشر

(١) في الأصل: طريق.

(٢) في الأصل: حيدر.

(٣) في الأصل: بهم.

(٤) في الأصل: طافهم.

من ذى القعدة . وقد توطأت الأحوال ، وسكن البال ، وقرت عيون المؤمنين ، وسكنت عيون الملحدين ، فله الحمد أن صار (١) الدين إلى رب العالمين . ومن عجائب صنع الله سبحانه أن جميع من قتل من المؤمنين ، واستشهد من أنصار الدين في هذه الوقائع أحد وثلاثون رجلا ، منهم في وقعة زييد ثلاثون ، وفي وقعة الشعر التي قتل فيها الأحول رجل واحد لا غير ، بسعادة مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، وبمن دعوته ، وعز دولته ، لازالت دأمة السعادة ، باقية الزيادة . وقد كان ورد من الحضرة القدسية أدام الله جلالها ، وحرس سعدتها ، وكبت صدها التشریف بالمطافات ، عن يد الأمير حسام الدولة نادر المستنصرى ، بما شد أزره وقواه ، وجدد عزمه في جهاده عن دين مولاه . وقرأه على المؤمنين أجمعين ، وعلى والدته الساعية في مصالح الدين ، فتسلى بما فيه من المواعظ النافعة السابقة ، والحكم الجليلة البالغة ، وأجاب المؤمنون أمر مولاهم بالسمع والطاعة ، وبذلوا في نصره جهد الاستطاعة . والملوك يشكر موصولها ، وحسن سعيه في أداء أمانته ، وحرصه في الخلوص برسائله ، ومخاطرته بمهجته ، يشق الأعداء شقا ، ويخوض المثالب غربا وشرقا (٢) ، والله عز وجل يضي (٣) عليه بما أطلعه من نيته سيرا ، ويجعل له من كل عسر يسرا ، حتى ورد بما زاد القلوب مسرة ، وأهدى إلى العيون قرة ، والملوك يسأل من مولاه ولى النعم ومعدن الكرم إمداده بدعائه ، المألوف من معروفه المعروف بأن ينصره الله على أعدائه ، ويؤيده تحت ظل لوائه ، فبدعائه صلوات الله عليه كشف الكرب ، وتسهيل كل صعب ، ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات قبله من مضى بالعفو والرضوان ، ومن بقى منهم بالسعادة في ظل دعوة الإيمان ، والنصر على أعداء الرحمن ، وأحزاب الشيطان ، لا أزال الله عن كافة الممالك ما مده عليهم من ظل مولاهم الظليل ، ولا سليمهم ما قسم لهم من فضله العامر الجليل . فلولا علم الملوك تطلع الأولياء إلى ما يرد من جزيرته من الأنباء لاختصر ما شرحه وقبض ما بسطه . ولراى الحضرة ، حرس الله عزها على الأيام ، وجعل علوها مقرونا بالدوام ، في تمهيد عذر الملوك بطويله وإطنايه ، وبسطه وإسهابه ، مزيد العلو . والملوك متطلع إلى ما يرد عليه من تشریفه بإعادة أجوبته ، وإكمال سعادته بها ومسرتة ، ليغبط بجزية جلالها ، وينجز أذبال جلالها . وقد ورد المطلعات إلى الملوك ، عن يدى أبى القاسم بن أبى النور وسجاح بن أبى العسكر ، فثاله من الاعتباط بها والفرح بسببها ، ماجاوز صفته ، وتعدى تحديده ومعرفته . وجمع من قبله من المؤمنات إذا كان يستنجد بها قوة قلب وعصده ، وكثرة عن وعدد . ولم يحدث بعد ورودها أمر يحجب المطالعة به فينبه ، ولا خير ينفى تقديم الإنهاء فيه . وقد كان ورد مملوك مولانا صلوات الله عليه ، الأمير حسام الدولة نادر المستنصرى ، اليمن إلى المملوك وإلى الأجل الأوحى قدس الله لطيفه ، فوجد له خيرة شريفة لترتيبه بالحرم النبوى ، وخدمته بالموقف الأشرف الزكى . وصدرت على يده شفاعة مع مكاتبة . تقتضى السؤال له فى الارتقاء إلى أشرف الرتب وأعلى المحال (٤) ، فشرف لذلك السؤال بالتنقيب والتأخير

(١) فى الأصل : أنصار .

(٢) فى الأصل : شرقا وغربا . والتعديل يقتضيه سياق السجع .

(٣) فى الأصل : يضي .

(٤) فى الأصل : للعال .

والتلقيب ، والمملوك بضرع إلى ولي أمره في أن يزداد مرتبة على ما تقدم من حاله ، ويميز على أمثاله وأشكاله ، ليسكون لسؤال المملوك تأثير ، كما (١) لسؤال المملوك أبيه ، ونباهة تظهر لموضع تشفعه فيه ، ولولي الأمر صلوات الله أسنى (٢) الآراء وأمضاها ، وأعلى الأوامر وأقصاها ؛ والمملوك يرتقب الأجوبة الشريفة عن يده بما ينتهي إليه ، ويستكمل السرور بالوقوف عليه ، وعن أيدي سفرائه المقيمين تحت ظل الحضرة الطاهرة ، ضاعف الله أنوارها ، وأعلى منارها ، مقرونا بمراسمها العالية ، وأحكامها الماضية ، لازالت الأيام جارية بأرسامها ، متصرفة على مقتضى أحكامها. والمملوك ينهى أن رسل الهند عنده مقيمون ، كانوا في هذه الفتنة قد عادوا من بلدهم بالأجوبة عن التشريف الصادر إليهم من الحضرة ، قدسها الله ، عن يد الأجل الأوحى ، فأخذت الأجوبة والزكوات من أيديهم ، وكان مضمون الأجوبة السؤال في الإذن بالقيام بإظهار الدعوة بالقهر ، وأما باللسان فقد سبق لهم الإذن . والمملوك لرغبته في انتشار أمر مولاه وعلو دعوته يسأل تشريفهم بكتاب يتضمن ما طالع به والإذن لهم في القيام بإظهار الدعوة جهرا . والله سبحانه يؤيدهم بتأييد ولهم وينصرهم على عدوهم .

والسلام على مولانا وسيدنا أحمد أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين ، عليه وعلى آبائه الطيبين الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين المنتجين ، أفضل الصلاة والسلام .

صدر غرة ذي الحجة سنة [إحدى و] ستين وأربعائة . والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد النبي وعلى مولانا على بن أبي طالب وليه ووصي نبيه ، وعلى الأئمة من ذريته الطاهرين ، وسلامه عليهم أجمعين . حسبنا الله ونعم الوكيل .

(١) في الأصل : كمال لسؤال .

(٢) في الأصل : استناء .

ملحق رقم ٧

سجل الخليفة المستنصر إلى الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي
(عيون الأخبار ٧/١٥١ - ١٥٣) .

[الظاهر أن هذا السجل يبشر بميلاد أبي القاسم أحمد « الخليفة المستعلي » ، وذلك لأن تاريخ ميلاده أى سنة سبع وستين وأربع مئة يتفق مع التاريخ المعروف للجميع عليه . وأما السجل رقم ٦ الذى ورد فى مجموعة السجلات المستنصرية فيختلف عن هذا السجل فى محتوياته ، وفى اسم المرسل إليه ، وفى تاريخ ولادة المولود « أحمد أبي القاسم » . ولا يبقى لنا بعد هذا السجل ، الوارد فى العيون ، إلا أن نعتبر ما جاء فى السجل رقم ٦ من اسم المولود خطأ من الناسخ . وقد يكون مولودا آخر غير المستعلي ، أراد المستنصر فيه إبلاغ خبر ميلاده إلى الملك على بن محمد الصليحي . ويؤيد ذلك ما ورد فى السجل رقم ٨ من بشرى ميلاد المحسن أبي الفضل فى سنة ٤٥٨ ، وفى السجل رقم ١١ (المقصود به الجزء الأخير) من خبر ولادة ابنة الحسن أبي محمد . لذلك يمكننا أن نعتبر هذا السجل قد أرسله الخليفة ليُعرف إلى الملك المكرم بشرى ميلاد أحمد أبي القاسم (المستعلي بالله) فى سنة سبع وستين وأربع مئة — حسين الهمداني] .

وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . من عبد الله ووليه معد المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى الملك الأجل الأوحى المنصور العادل المكرم عمدة الخلافة تاج الدولة سيف الإيمان المظفر فى الدين نظام المؤمنين عماد الملة وغيث الأمة شرف الإيمان مؤيد الإسلام سلطان أمير المؤمنين وعמיד جيوشه أبى الحسن أحمد بن الأجل الأوحى أمير الأمراء عمدة الخلافة أبى الحسن على بن محمد الصليحي ، أدام الله تمكينه وعلوه ، وكبت حاسده وعدوه .

سلام عليك . فإن أمير المؤمنين يحمداً إليك الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلى على جده محمد خاتم النبیین وسيد المرسلين ، وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديين .

أما بعد ، فالحمد لله موالى نعمه بحضرة أمير المؤمنين وآلائه ، ومظاهرها بالطاهرين النجباء من أبنائه ، ومظهر دينه على الدين كله بتكثير عدد أوليائه ، الذين هم دعائم بيت النبوة والرسالة ، ووسائل من ابتغى إلى ربه سبحانه بهم الوسيلة . يحمده أمير المؤمنين أن زين سماء مجده بزهر النجوم ، فرجم بها الشياطين كل الرجوم ، ويسأله أن يصلى على جده المصطفى ، الشجر الطيب الزكى الذى هم أغصانه ، والجليل الشامخ العلى الذين هم أركانه ، محمد الفاجر به كل مفاخر ، والظاهر من نجس الشرك به كل طاهر ، والظافر منه بقائم النجاة كل ظافر ، وعلى

وصيه على بن أبي طالب ، الذي آتاه الله ما لم يؤت أحدا من العالمين من فضله ، فجعل ذرية الأنبياء من نسلهم وذرية محمد من نسله ، وعلى الأئمة من ذريته ينابيع العلوم والحلوم ، وحملته سر الله المكشوم ، وتحقيق قوله سبحانه : « فلا أقسم بمواقع النجوم » .

وسجل أمير المؤمنين إليك : وقد وهب الله غلاما زكيا شديدا أزر الإمامة ، ودل على بقاء كلمته في عقبه إلى يوم القيامة ، مولودا أصبح بمولده كوكب الهدى مضيئا مسفرا ، وعود المي مورقا مشمرا . أكل الله بطلعه المغائم ، وجل بحلوله المواسم ، سماه أحمد ، وكناه أبا القاسم ، فالمسرة به نعم الدنيا والدين ، وتخص بحضرة أمير المؤمنين . والحمد لله الذي وهب له ذرية طيبة يطول لهم برأفته الأعمار ، ويجعلهم لحرمه العمار . ويقصم بيأسهم الفجار ، ليكونوا « كنز ع أخرج شطأه فأزروه فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » .

وكانت ولادته في المحرم سنة سبع وستين وأربعمائة في أسعد ساعة من ساعات الليل والنهار وأصحها ، ليسرى الخير بمساعدة الأقدار ، وبمضاعفة العز والافتدار . آتجفك أمير المؤمنين بهذه البشرى لتأخذ بمحلك بها من السرور ، وتواصل لله تعالى ذكره الشكر على ما جدد فيها من إحسانه الموفور . والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين .

ملحق رقم ٨

سجل الخليفة الأمر بأحكام الله إلى السيدة الملكة الحرة الصليحية

عيون الأخبار ٧ / ١٩٢ - ١٩٣

عمارة / كلى ١٠٠ - ١٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . من عبد الله ووليه الآمن ، المنصور ، أبي علي الأمر (١) بأحكام الله ، أمير المؤمنين ، إلى الحرة ، الملكة ، الطاهرة (٢) ، الزكية ، وحيدة الزمن ، سيدة ملوك اليمن ، عمدة الإسلام ، خالصة الإمام (٣) ، ذخيرة الدين ، عمدة المؤمنين ، كهف المستجيبين ، عصمة المسترشدين ، ولية أمير المؤمنين ، وكافلة أوليائها المؤمنين (٤) ، أدام الله تمكينها ونعمتها ، وأحسن توفيقها ومعاونتها . سلام عليك . فإن أمير المؤمنين محمد إليك الله (٥) الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلي على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديين (٦) وسلم تسليما .

أما بعد ، فإن نعم الله عند أمير المؤمنين لا تحصى بعد ، ولا تقف عند أمد (٧) ، ولا تنتهي إلى الإحاطة بها الظنون ، لكونها كالسحاب الذي كل ما اقتضى منها سحاب أعقبه (٨) سحاب هتون . فهي كالشمس الساطعة الإشراف ، الدائمة الانتظام والاتساق ، والغيوث المتتابعة الاتصال ، المتوالية في الغدو والآصال ، ومن أشرفها (٩) لذيها قدرا ، وأعظمها صيتا (١٠) ، وأسناها جلالا وفخرا ، الموهبة بما جددته الآن بأن رزقه مولودا ركبا رضا (١١) مرضيا برا تقيا . وذلك في الليلة المصباحية يوم الرابع (١٢) من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وخمس مئة

(١) في رواية عمارة (عم) : وليه المنصور أبي علي الأمر .

(٢) عم : الملكة السيدة الرضية الطاهرة .

(٣) عم : خاصة الإمام .

(٤) عم : أوليائه الميامين .

(٥) عم : محمد الله .

(٦) عم : المهديين .

(٧) عم : لا تحصى لها بعد ، ولا تقف عند أمد ولا حد .

(٨) عم : أعقبها .

(٩) عم : من أشرفها .

(١٠) عم : صلتا وذكرها .

(١١) رضا ناقص في عم .

(١٢) عم : يوم الأحد الرابع .

ارتاحت إلى طيب ذكره المنابر (١) ، وتطلعت إلى مواهبه آمال كل باد وحاضر ، فأضاعت
بأنوار غرته (٢) وبهجته طلعة ظلم الدياجر ، وانتظمت به الدولة (٣) الزاهرة الفاطمية عقود
الفضائل (٤) والمفاخر ، استخرجه من سلالة النبوة كما يستخرج النور من النور ، ومنح أمير
المؤمنين منه ما (٥) قدح به (٦) زناد السرور . وسماه الطيب لطيب عنصره ، وكناه أبا القاسم
كنية جده نبي الهدى المستخرج جوهره من جوهره . وأمير المؤمنين بشكر الله تعالى
على [ما] (٧) من به من اطلاعه كوكبا منيرا في سماء دولته ، وشهابا مضيئا في فلك جلاله (٨)
ورفعته ، شكرا يقضى باستدامة نعمته ، وإحراز سحائب طوله ورأفته ، ويسأله أن يبلغه فيه كنه
الآمال ، ويصل به حل الإمامة ما اتصلت الأيام والليال (٩) ، ويجعله عصمة للمسترشدين ،
وحجة على الجاحدين ، وغوثا للمضطربين (١٠) ، وغيثا (١١) للمتجعين ، ووزرا للخائفين ،
وسعادة للعارفين ، لتتال الدنيا بسعادته أوفى حظوظها وقسمها ، وتصبح الأيام مقفرة عن ناجذ
مبسمها . ولسكانك من حضرة أمير المؤمنين المسكين ، ومهلك عنده الذي ارتفع (١٢) عن
المائل والفرين ، أشعرك هذه البشري الجليل قدرها ، العظم فخرها ، المنتشر صيتها وذكرها ،
لتأخذ من المسرة بها بأوفى نصيب ، وتذيعها فيمن قبلك من الأولياء المؤمنين (١٣) إذاعة
يتساوى (١٤) بالمعرفة (١٥) بها كل بعيد منهم (١٦) وقريب ، لينتظم بها عقد السرور ،
ويتصوع عرفها تصوع المسند الرطب في البادين (١٧) والحضور . فاعلمي هذا وأعلمي
به إن شاء الله .

والسلام عليك ورحمة الله (١٨) . وكتب في اليوم المذكور (١٩) . والحمد لله وحده (٢٠)
وصلى الله على جدنا محمد رسوله وآله الطاهرين وسلم تسليما . حسبنا الله ونعم الوكيل (٢١) .

- | | |
|---|--------------------------------------|
| (١) عم : أسرة المنابر . | (٢) عم : غرته . |
| (٣) عم : للدولة . | (٤) عم : المفاصل . |
| (٥) عم : بما . | (٦) به ناقص في عم . |
| (٧) كذا في عم . | (٨) عم : جلالته . |
| (٩) عم : الأيام بالليالي . | (١٠) عم : غوثا للمضطربين . |
| (١١) عم : غوثا . | (١٢) عم : ومهلك الذي امتنع . |
| (١٣) عم : من الأولياء والمستجيبين | (١٤) كذا في عم ، وفي الأصل : تساوى . |
| (١٥) عم : في المعرفة . | (١٦) عم : منها . |
| (١٧) في البادين : ناقص في عم . | |
| (١٨) ناقصة في عم . | |
| (١٩) عم : كتب بالتاريخ المذكور . | |
| (٢٠) ناقصة في عم . | |
| (٢١) وفي عم : وصل الله على رسوله سيدنا محمد وعلى آله الأئمة الطاهرين وسلم | |

وشرف وكرم إلى يوم الدين .

ملحق رقم ٩

نص وصية الملكة الحرة الصليحية أروى بنت أحمد بن محمد بن القاسم
(عيون الأخبار ٢٠٩/٧ — ٢٢٠)

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين .
هذا ما أوصت به أمة الله تعالى وأمة أوليائه السيدة ابنة أحمد بن محمد بن القاسم ، وعهدت أنها
تحمد الله تعالى على آلائه المتواترة ونعمه الباطنة والظاهرة ، وتشهد أن لا إله إلا الله تعالى
مبدع المبدعات وخالق المخلوقات ، جل وعلا أن تناله صفة أو تدرك معرفة ، وأن الخلاق في قبضته ،
والأشياء صادرة عن أمره وإرادته ، لا معقب لحكمه ، ولا راد لأمره ، وأنه العدل الذي
لا ينجور ، والحكم الذي لا يخفى ، والصادق الذي لا يخلف ، والغفور الذي لا يؤاخذ ، خالق
السموات والأرضين ، وإله الأولين والآخرين ، ذو الأسماء الحسنى والكلمات التامات صدقا
وعدلا ، وتشهد أن له ملائكة انتخبهم من بريته ، وانتخبهم لسفارة بينه وبين المصطفين من
أمته ، يستحون الليل والنهار ولا يفترقون ، ولا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، يعلم ما بين
أيديهم وما خلفهم ، ولا يشفقون إلا لمن ارتضى ، وهم من خشيته مشفقون ، وتشهد أن الجنة حق ،
خلقها الله للمطيعين من بريته ، الخائفين من سطوته ، المؤمنين به المصدقين لوعده ، الموفين بعهده ،
المتبعين لرسله ، العاملين بمقتضى آياته وكتبه ، وتشهد أن النار حق ، أعدها الله لمن جحد أنبياءه
وخالف أوليائه ، وأنكر آياته وتعدى حدوده ، وألحد في سبيله وتعادى في غيه ، وأسرف في أمره
وأصر على كفره ، وأدى معه سبحانه إليها آخر ، لا إله إلا هو ، تبارك وتعالى عما يقول الظالمون
علوا كبيرا ، وتشهد أن البعث حق وأن القيامة حق والحساب حق والصراط حق وأن الله
يبعث من في القبور ، ويحصل ما في الصدور ، وأن كل شيء هالك إلا وجهه ، له الحكم وإليه
ترجعون ، وتشهد أن من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ريك بظلام للعبيد ، وتشهد
أن الله أرسل الأنبياء وبعث الرسل والأصفياء بكتب أنزلها وآيات فصلها رحمة لعباده وأمنا
ليلاده وإقامة للحجة وإيضاحا للمحجة ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا
حكما ، جعلهم أسبابا للتجاة من الضلال ، وعزى وثيقة لمن تمسك بهم في البداء والمآل ، لا تفرق
بين أحد من رسله وأنبيائه ، ولا تجدد واحدا من خلقائه وأوليائه ، وتشهد أن أشرف
الأنبياء عند الله قدرا وأعظمهم خطرا وأجلهم مكانا وأسنأهم شأنًا هو النبي العربي
الهاشمي الأبطحي والسيد الأواه محمد بن عبد الله صلى الله وملائكته عليه وعلى آلائه الطاهرين
وأبنائه الأكرمين صلاة متصلة إلى يوم الدين ، وتشهد أن الله عز وجل اخصه بالاصطفاء
وختم به عدة الرسل والأنبياء ، بعثه إلى أمة قد غلب عليها الجبال ، واستولى عليها الضلال ،
واستحوذ عليها الهوى ، وغاب عنها الهدى ، فصعد بأمر الله جاهدا ، وقام بنصرة الحق
بجاهدا ، غطم الأوثان ، وأخذ بيوت النيران ، وأظهر أمر الله وهم كارهون ، وتشهد أن

أمير المؤمنين عليا بن أبي طالب صلوات الله عليه وصيه والخليفة من بعده ، نصه عن أمر الله سبحانه يوم الغدير ، وأخلاه منه في ذلك المقام محل الظهير والوزير ، وجعله لدينه قاضيا ، وعلى أمته والياء ففضى صلى الله عليه دينه ، وأحسن في الأمة تدبيره ، وحذا حذو رسول الله في سيرته ، وقام مقامه في إحياء سنته ، وتشهد أن فاطمة البتول الزهراء ، الإنسية الخوراء ، خامسة أصحاب الكساء ، والدوحة المباركة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ، لا يتجدد حقها إلا مارق ، ولا ينكر شرفها إلا منافق ، وتشهد أن ولدها الحسين بن علي مفترس الطاعة بالنس الجلي من جده وأبيه ، وأنه مستودع مرتبة الحسين بن علي أخيه ، وأن الحسين بن علي تلوه في نس الإمامة ، وأن الكلمة باقية في عقبه إلى يوم القيامة ، وتشهد أن الأئمة الطاهرين من ذرية الحسين بن علي قرناء القرآن وحجج الرحمن ، وأنهم نجوم أهل الأرض والدين بهم يقتدون ، وعلومهم الواضحة يهتدون ، وأن الأول منهم ينس على الآخر ، والماضي منهم يشر إلى الغابر ، « سنة الله التي قد خلت من قبل وإن تجد لسنة الله تبديلا » ولن تجد لسنة الله تحويلا ، وأن ذلك النص بتأييد الله وأمره لما سبق في سابق علمه اختيارا وانتخابا واصطفاء وانتخابا ، وأن أول الأئمة بعد الحسين بن علي صلوات الله عليه زين العابدين علي بن الحسين ، ثم باقر علم الدين محمد ابن علي ، ثم الصادق الأمين جعفر بن محمد ، ثم الكلمة الباقية في عقبه إلى يوم الدين إسماعيل ابن جعفر ، ثم ذو الشرف الأصيل الإمام الحق محمد بن إسماعيل ، ثم الأئمة الثلاثة المستورون خوف أعداء الله الظالمين ، ثم الإمام المهدي بالله ، ثم الإمام القائم بأمر الله ، ثم الإمام المصور بنصر الله ، ثم الإمام المعز لدين الله ، ثم الإمام العزيز بالله ، ثم الإمام الحاكم بأمر الله ، ثم الإمام الظاهر لإعزاز دين الله ، ثم الإمام المستنصر بالله ، ثم الإمام المستعلي بالله ، ثم الإمام الأمر بأحكام الله ، ثم الإمام الطيب أبو القاسم أمير المؤمنين نجل الإمام الأمر بأحكام الله أمير المؤمنين صلوات الله وبركاته وتحياته وكراماته عليه وعلى آلائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين .

على ذلك عاشت وعليه تموت وعليه تبعث وبه تلقى الله . وأوصت به من بعدها وبتقوى الله تبارك وتعالى وإيثار طاعته وبما أوصى إبراهيم نبيه ويعقوب : « يا بني إن الله اصطفى لك الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون » . وأوصت ، متى حدث بها حدث الموت ، الذي جعله الله حجة على عباده وسأوى بين القوى والضعف والمشروف والشریف ، عدلا في قضيته ، ونفاذا لحكمه في ربه ، أخرج عنها من جميع حركاتها جميع الأشياء المسلمة الموصوفة في هذا الكتاب ، وهي الأشياء التي :

منها عصابة ذهب كبيرة مفصصة واسطتها ياقوتة حمراء ، ويلها من يمين ويسار درتان ، ويلها ياقوتتان زرقاوان ، ويلي هاتين درتان لظيقتان ، ويلي هاتين فصا ياقوت أحمران ، ويلهما في الطرفين أيضا درتان لظيقتان يحيط بالجميع من ذلك خيطا لؤلؤ ، أحدهما لؤلؤه لؤلؤ لطيف عدده مائتا حبة واحدة ، والآخر لؤلؤه لؤلؤ كبار عدده مائتا لؤلؤه ولؤلؤتان ، وزن جميع ذلك سبعون مثقالا .

ومنهما عصابة ذهب بيضاء ، فيها مائة حبة لؤلؤ وست وعشرون حبة لؤلؤ مفصصة ، واسطتها لؤلؤه لطيفة ، ويلها من يمين ويسار فصان أحمران ، ويلي هذين الفصين فصوس حمر وزرق وخضر ، وزن الجميع من ذلك ثلاثة وأربعون مثقالا .

ومنهما عصابة ذهب أيضا متجمة بلؤلؤ ، فيها واسطتها فص ياقوت أزرق ، وثلاثة فصوس

عن يمينه ويساره ، حتى انتهى إلى فصين أخضرين في الضرفين ، عدد لؤلؤة مائة لؤلؤة واحدة
واثنتان وثلاثون لؤلؤة . وزن الجميع من ذلك تسعة وثلاثون مثقالا .

ومنها عصاة ذهب أيضا مفصصة بفصوص منجمة بلؤلؤ قد انقطع من فصوصها فص ، عدد
لؤلؤها مائة لؤلؤة واحدة وست وعشرون لؤلؤة ، وزن الجميع من ذلك ثمانية وثلاثون
مثقالا .

ومنها قلة لؤلؤ ، عدد لؤلؤها مائة لؤلؤة واحدة ، وتسع عشرة لؤلؤة بفرائد ذهب ،
وزن الجميع منها أحد عشر مثقالا .

ومنها ست وتسعون ذرة ، من جملة ذلك عشرون ذرة علامة ، وإحدى وتسعون فريدة
ذهب ، وزن الجميع من ذلك أربعة وثلاثون مثقالا .

ومنها ست عشرة ضبة بفرائد ذهب ، وخبوط ذهب عدد لؤلؤها مائة لؤلؤة وثمان
وأربعون لؤلؤة ، وزن جميع ذلك ثلاثة وثلاثون مثقالا ونصف مثقال .

ومنها اثنان وعشرون لوح ذهب ولاجستان في الجميع من ذلك مائة حبة واحدة ،
وثمان وتسعون حبة لؤلؤ بفرائد ذهب ، وزن جميع ذلك خمسون مثقالا .

ومنها ثلاث وعشرون ضبة أيضا بفرائد ذهب مفككة بخرز أخضر ، عدد اللؤلؤ ثلاثمائة
وثمان وستون لؤلؤة ، وزن جميع ذلك أربعة وعشرون مثقالا .

ومنها أربعة أزواج أقفال ذهب ولؤلؤ ثمان وثمانون لؤلؤة ، وزن جميع ذلك عشرون
مثقالا ونصف مثقال .

ومنها تركيتان لؤلؤ ، فيها ثمان حبات لؤلؤ ، في أحدهما حبة ياقوت حمراء وفي الآخر
حجر بلخس أحمر ، الوزن لجميع ذلك أربعة مثاقيل إلا ربع مثقال .

ومنها زوج مدارى ، فيه عشرة ألواح ذهب ، وهلال ذهب ، ورباعية ذهب ، ولؤلؤ
عدده ألفا لؤلؤة وتسعمائة لؤلؤة وثمان وثمانون لؤلؤة ، وزن الجميع من ذلك مائة مثقال
وواحد وتسعون مثقالا .

ومنها زوج شمارخ لؤلؤ أيضا ، فيه عشرة خبوط لؤلؤ ، وأربعة ألواح ذهب ،
وست رباعيات ذهب ، وخرصا ذهب وثلاثة مناوط ، وزن جميع ذلك اثنان وستون مثقالا
ونصف مثقال .

ومنها زوج شمارخ لؤلؤ أيضا ، عشرة خبوط ذهب مدار عليها لؤلؤ ، وعشرة مناوط ،
وعشرة ألواح ذهب ، في أطراف المناوط حب ياقوت اطراف ما بين أزرق وأصفر ، وزن
جميع ذلك مائة مثقال واحدة ، وأحد عشر مثقالا .

ومنها زوج شمارخ أيضا ، فيه ثمانية خطوط لؤلؤ ، وعشر رباعيات ذهب ، وخرصا ذهب
فيهما خيطا فصن مجدولان ، وزن جميع ذلك خمسة وأربعون مثقالا .

ومنها ذببتان لؤلؤ ، فيهما اثنا عشر منوطا ، وزن الجميع ثمانية وسبعون مثقالا ونصف .
ومنها جديلة فيها عقود ، الأول منها عقد واسطته ياقوتة صفراء ، ويلبسها فريدتا ذهب ،

وفيها أربع بيوت لؤلؤ في كل بيت سبعة خيوط ، وفي طرفيه ياقوتان زرقاوان بفرائد ذهب ،
والثاني خرز لؤلؤ واسطته ياقوتة زرقاء ، والثالث عقد واسطته ياقوتة صفراء ويلبها من يمين
ويسار زمردتان خضراوان وأربع فرائد ذهب ، وفيه أربع بيوت في كل بيت سبعة خيوط
لؤلؤ ، والرابع خرز لؤلؤ واسطته ياقوتة زرقاء ، والخامس عقد واسطته ياقوتة صفراء
ويلبها من يمين ويسار في الطرفين زمردتان خضراوان وفيه أربع بيوت في كل بيت تسعة خيوط
لؤلؤ ، والسادس خرز لؤلؤ واسطته ياقوتة زرقاء بفريدي ذهب . والسابع عقد واسطته
ياقوتة صفراء ، ويلبها من يمين ويسار ياقوتتان صفراوان وفريديتا ذهب ، وفيه واسطة
زمردة خضراء ، وفي جرباني الجديدة ثمانى خيوط لؤلؤ ، في كل طرف أربع خيوط برابعتها ،
وزن الجميع من ذلك مائتا مثقال وخمسة وثلاثون مثقالا .

ومنها خمسة قمارى لؤلؤ مضموم بعضها إلى بعض : الأول منها قرى لؤلؤ واسطته
زمردة خضراء ، ويلبها في الطرفين من يمين ويسار ، ياقوتتان حمراوان ، وفيه سبعة وأربعون
لؤلؤة . والثاني قرى لؤلؤ واسطته ياقوتة حمراء ، ويلبها من الطرفين عن يمين ويسار ياقوتتان
زرقاوان ، وست فرائد ذهب ، وفيه ثلاث وخمسون لؤلؤة . والثالث قرى لؤلؤ واسطته
زمردة خضراء ، ويلبها في الطرفين عن يمين وشمال حجرا بلخش أحمران ، فيه أربع وخمسون
لؤلؤة . والرابع قرى لؤلؤ واسطته ياقوتة حمراء ، ويلبها من يمين ويسار ست فرائد ذهب ،
فيه خمس وخمسون لؤلؤة ، والخامس قرى لؤلؤ واسطته زمردة خضراء ، ويلبها في الطرفين
عن يمين ويسار حجرا بلخش أحمران وست فرائد ذهب ، فيه خمس وخمسون لؤلؤة . وزن
جميع ذلك سبعة عشر مثقالا .

ومنها ست قمارى : الأول قرى لؤلؤ واسطته ياقوتة حمراء ، ويلبها عن يمينها ويسارها
في الطرفين زمردتان خضراوان وست فرائد ذهب ، فيه اثنتان وثلاثون حبة لؤلؤ . الثاني قرى
لؤلؤ واسطته حجر بلخش أحمر ويلبها في الطرفين عن يمين ويسار ياقوتتان زرقاوان وست
فرائد ذهب فيه ثلاث وثلاثون حبة لؤلؤ . والثالث قرى لؤلؤ واسطته ياقوتة صفراء ويلبها
في الطرفين عن يمين ويسار ياقوتتان صفراوان وسبع فرائد ذهب ، وثلاثون حبة لؤلؤ . الرابع
قرى لؤلؤ واسطته ياقوتة صفراء ويلبها في الطرفين عن يمين ويسار زمردتان خضراوان وست
فرائد ذهب فيه اثنتان وثلاثون حبة لؤلؤ . الخامس قرى لؤلؤ واسطته زمردة خضراء
ويلبها في الطرفين عن يمين ويسار حجر بلخش وثمانى فرائد ذهب فيه سبع وثلاثون حبة
لؤلؤ . السادس قرى لؤلؤ واسطته ياقوتة صفراء ويلبها في الطرفين عن يمين ويسار ياقوتتان
صفراوان فيه خمسون حبة لؤلؤ . وزن الجميع من ذلك ستة وعشرون مثقالا وربيع .

ومنها تسعة قمارى لؤلؤ أيضا : الأول واسطته زمردة خضراء بفريدي ذهب . الثاني واسطته
ياقوتة زرقاء بفريدي ذهب . الثالث واسطته حجر بلخش أحمر بفريدي ذهب . الرابع واسطته
زمردة خضراء بفريدي ذهب . الخامس واسطته حجر بلخش بفريدي ذهب . السادس واسطته
زمردة خضراء بفريدي ذهب . السابع واسطته حجر بلخش أحمر بفريدي ذهب . الثامن واسطته
حجر خضراء بفريدي ذهب . التاسع واسطته حجر صفراء بفريدي ذهب . وزن الجميع تسع
عشرة مثقالا .

ومنها لازما لؤلؤ ، في أحدها تسعة ألواح ذهب ، وفي الآخر سبعة ألواح ذهب وزنهما
اثنتان وعشرون مثقالا .

ومنها لازم لؤلؤ أيضا فيه ثمانية عشر لوح ذهب منظمه بلؤلؤ ، وزنه ستة عشر مثقالا .

ومنها دملجا لؤلؤ برأسي ذهب ، وزنها اثنان وخمسون مثقالا .

ومنها اثنا عشر سوار برءوس ذهب ، وزنها مائة مثقال واحدة وستة وخمسون مثقالا .

ومنها خلخال لؤلؤ برأسي ذهب ، وزنها ثمانية وتسعون مثقالا .

ومنها شبكة إريشم منظومة بلؤلؤ مكمللة بأهلة ذهب . وزنها مائة مثقال واحدة وثلاثة مثاقيل .

ومنها لازم لؤلؤ ساذج فيه ياقوتة حمراء صغيرة ، وزنه ثلاثة عشر مثقالا إلا ربع مثقال .

ومنها لازم لؤلؤ أيضا فيه ثمانية ألواح ذهب ، وزنه خمسة مثاقيل .

ومنها شيلا لؤلؤ فيها أربع جدائل ذهب وجديلتا ذهب ، وزن الجميع أربعة وعشرون مثقالا .

ومنها تاج ذهب مرصع ببواقيت ملونة ودرر مختلفة ، وزنه مائة مثقال واحدة وثمانية مثاقيل .

ومنها تسعة أسورة ذهب مزروعة .

ومنها عشرة أسورة ذهب مفتولة ، وزنها مائتا مثقال واثنان وتسعة مثاقيل .

ومنها سوارا ذهب لطيفان مزروعان ، وزنها ثمانية عشر مثقالا ونصف وربع .

ومنها زوجا خوس ذهب ، وفرد سوار ذهب مفصص بفصوص ملونة ، وزن الجميع ثلاثة وسبعون مثقالا .

ومنها خوصتا ذهب ، وزنها ثلاثون مثقالا .

ومنها دملجا ذهب ، وزنها مائتا مثقال .

ومنها أربع عشرة دقة ذهب : الأولى منها فاقلية بفرائد ، الثانية مار ذهب ، الثالثة دقة ذهب مشبكة ، واسطتها ياقوتة حمراء بأربع فرائد ذهب ولؤلؤة فيما بينهما ، الرابعة دقة ذهب سفرجلية ، الخامسة والسادسة دقتا ذهب متداخلتان ، السابعة دقة ذهب حكيمة بفرائد ، الثامنة دقة ذهب فاقلية دقيقة ، التاسعة دقة ذهب حكيمة بفرائد ، العاشرة دقة ذهب عمل الهند في طرفيها خمس عشرة حبة لؤلؤ ، الحادية عشرة دقة ذهب حكيمة بفرائد ذهب أيضا ، الثانية عشرة دقة سفرجلية بفرائد . الثالثة عشرة والرابعة عشرة دقتا ذهب أحريان . وزن الجميع من ذلك ثلاثة وثمانون مثقالا .

ومنها ست عشرة دقة ذهب أيضا يضمها جريان (١) حرير ، في طرفي الجريان أربعة خيوط

(١) جريان القميص والدرع : جبيه ، وقد يقال بالضم ، وهو بالفارسية كريان . وجريان القميص ليقته فارسي معرب . وفي حديث قرة المزني : أتيت النبي (صلى الله عليه وسلم) فأدخلت يدي في جريانه . الجريان بالضم هو جيب القميص (ل/جرب) .

لؤلؤ في طرف كل خيط زباعى ذهب . الأول من ذلك قمرى لؤلؤ بواسطة ياقوتة صفراء وثمان
فرائد ذهب وأربع ياقوت صفراء فيه أربع وعشرون حبة لؤلؤ ، ويتلوها مار ذهب ، ويتلوها
دقة حكيمة ذهب بفرائد ، ويتلوها دقة ذهب فاقلية بفرائد ، ويتلوها دقة ذهب فاقلية أيضا ،
ويتلوها دقة ذهب مشبكة فيها ثمانى عشرة حبة لؤلؤ واسطته ياقوت أحمر وأربع فرائد ذهب ،
ويتلوها مار ذهب ، ويتلوها دقة ذهب فاقلية أيضا . ويتلوها دقة ذهب مشمرة ، ويتلوها دقة
ذهب حكيمة فيها واسطة ياقوتة صفراء وإحدى عشرة حبة لؤلؤ ، ويتلوها دقة ذهب مداخلة
عمل الهند ويتلوها أيضا دقة مداخلة عمل الهند ، ويتلوها دقة ذهب مشبكة بواسطة زمرد ، ويتلوها
دقة ذهب فاقلية ، ويتلوها دقة ذهب مشمته . وزن الجميع من ذلك مائة مثقال وثمانية وأربعون
مثقالا بالجرىان .

ومنها ست دقق أيضا : الأولى منها دقة ذهب مشبكة واسطتها ياقوتة زرقاء ، وفيها ثمان
حيات لؤلؤ وأربع فرائد ذهب وثمان حيات لؤلؤ ، ويتلوها مار ذهب ، ويتلوها دقة ذهب فاقلية
بفرائد ، ويتلوها دقة ذهب حكيمة بفرائد ، ويتلوها لازم ذهب فيه أحد عشر لوح ذهب في كل
لوح حبة لؤلؤ . وزن الجميع من ذلك ثلاثة وخمسون مثقالا .

ومنها ثمان دقق صفراء : الأولى منها دقة ذهب مشبكة بواسطة حجر بلخس حراء وثمان
حيات لؤلؤ وأربع فرائد ذهب . والثانية دقة ذهب مشبكة بواسطة خضراء وثمان حيات لؤلؤ
وأربع فرائد ذهب وفي الطرفين ثمان لآلى . والثالثة دقة ذهب حكيمة بفرائد . والرابعة دقة
ذهب بفرائد ، والخامسة دقة ذهب مشبكة في الطرفين منها سبع حيات لؤلؤ . السادسة مار
ذهب . السابعة دقة ذهب فاقلية في طرفيها حيات لؤلؤ . الثامنة مار ذهب . الوزن من ذلك
تسعة عشر مثقالا .

ومنها ثلاثة لوازم ذهب دخنية . وزنها خمسة وثلاثون مثقالا .

ومنها عشرة خواتيم ذهب : منها أربع بقصوص ياقوت زرق ، ومنها اثنتان بقصى ياقوت
أحمر من إحداها مصراني ، ومنها اثنتان بقصى ياقوت أصفر مصرانيتين ، ومنها اثنتان إحداها
بقص ياقوت أصفر مربع ، والأخرى بقص ياقوت أحمر مربع .

ومنها حلقتا ذهب إحداها بقص ياقوت أحمر بهرمان ، والأخرى بقص ياقوت
أزرق مربع .

ومنها حلقتا ذهب إحداها بقص عين اهر مدور ، والأخرى بقص أزرق .

ومنها ثلاث حلقات صفراء : إحداها بقص ياقوت أحمر لطيف ، والثانية بقص ياقوت أزرق
مربع ، والثالثة بقص بقران .

ومنها خام عمل الهند بقص ياقوت أحمر صغير ويطيف به فصوص ما بين صفراء (١) ، وزن الجميع
من ذلك مائة مثقال واحدة وخمسون مثقالا .

ومنها ثلاث خواتيم ذهب أيضا : إحداها بقص ياقوت مربع أصفر . والثانية بقص أحمر

(١) كذا في الأصل ، ولعلها : ما بين صفراء وكبار .

مربع ، والثالثة بنفس أخضر مربع . وزن الجميع من ذلك اثنان وعشرون مثقالا .
ومنها اثنان وعشرون رباعية ذهب معراة وخمسة مقاتييع ذهب لطاف . وزن الجميع
أربعة وعشرون مثقالا .

ومنها خلخال ذهب ، وزنها خمسمائة مثقال .

ومنها مار ذهب ، وزنه ثلاثة عشر مثقالا .

ومنها فص ياقوت أصفر مصراني ، وزنه ثلاثة مثاقيل وربيع مثقال .

ومنها فص ياقوت أزرق مصراني أيضا ، وزنه مثقال واحد وسدس وثلاث ثمن مثقال .

ومنها حبة ياقوت زرقاء مستديرة ، وزنها مثقالان وربيع .

ومنها حبة ياقوت زرقاء علامة ، وزنها مثقال واحد وسدس مثقال .

ومنها حق صغير فسه فيه علامة شريفة .

ومنها عقد أيضا واسطته ياقوتة صفراء ، ويلبها من جنبها ياقوتتان زرقاوان بست فرائد
ذهب ، وفيه أربع بيوت في كل بيت أربعة خيوط لؤلؤ عدا لؤلؤ مائة واحدة وثمان وعشرون
لؤلؤة ، وفي طرفيه خريزتان مرجان حراوان . وزن الجميع من ذلك تسعة وعشرون مثقالا
ونصف وربيع .

* * *

ويقول صاحب العيون (١٨/٧ — ٢٢٠) نقلا عن مصدر معاصر لم يذكره :
أخرجت الحرة المملكة السيدة الرضية الطاهرة الزكية ، وحيدة الزمن ، سيدة ملوك المؤمنين ،
محمدة الإسلام ، خالصة الإمام ، ذخيرة الدين ، عمدة المؤمنين ، عصمة المسترشدين ، كهف
المستجيبين ، ولية أمير المؤمنين ، وكافلة أوليائه الليامين ، السيدة ابنة أحمد بن محمد بن القاسم
الصليحي ، مد الله في عمرها ، جميع هذه الأشياء المسماة الموصوفة في هذا الكتاب بعد عيناها .
وقد عاينها شهود هذا الكتاب وقت وقوع هذه الشهادة ، عن الحرة المملكة السيدة الرضية
ولية أمير المؤمنين ، السيدة ابنة أحمد بن محمد بن القاسم الصليحي ، أنسأ الله في أجلها ، قربانا
تقربت به إلى ولي الله الإمام العلي بن أبي القاسم أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى آبائه
الطاهرين وأبنائه الأكرمين ، لما ترجوه من ثواب الله ، وتأمله من رضوانه ، والزلفة لديه ، ولأن
تسكون يوم الفرع الأكبر من الأمنين ، « يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم » .
وجعلت الحرة المملكة السيدة ابنة أحمد بن محمد بن القاسم ، أنسأ الله في أجلها ، ولي
وصيتها هذه ، والقائم بها والمفد لها بعد غيبتها ، السلطان الأجل أحمد بن أبي الحسين بن إبراهيم
ابن محمد الصليحي ، أدام الله عمره ، وأسندتها إليه ، وحملته في ذلك عهد الله سبحانه
وعهد رسوله وعهد وليه ، وقدلته فيها أمانة الله عز وجل ، التي عرضها على السموات
والأرض والجبال فأبين أن يحملنها ، أنه إذا حدث فيها حادث الموت واستأثر الله بها ونقلها
من محل الفناء إلى محل البقاء ، أن يتولى إمضاء هذه الوصية والإنفاذ بها صحبة رجل عدل من
المسلمين ثقة مأمون ، يوصلها بحملتها على ما سمت ونعتت ووزنت إلى باب ولي الله المذكور
صلوات الله عليه ، إلى من يخرج الأمر المطاع الإمامي أعلاه الله بقض ذلك منه ، ويأخذ هذا
العدل المأمون بحملتها إلى الباب الطاهر الإمامي صلوات الله عليه ، الخط الشريف الإمامي ، بوصول

جميع ذلك مما هو مذكور في هذا الكتاب، ويستمر الدعاء لها، والترحم عليها. وقبل السلطان الأجل أحمد بن أبي الحسن بن إبراهيم بن محمد الصليحي أدام الله عزه ما أسند إليه في هذا الكتاب. وصار ذلك أمانة في رقبته، وميثاقا في عنقه، لا يفكه منه إلا الإنفاذ بجميع ما ذكر في هذا الكتاب إلى باب ولي الله المذكور صلوات الله عليه.

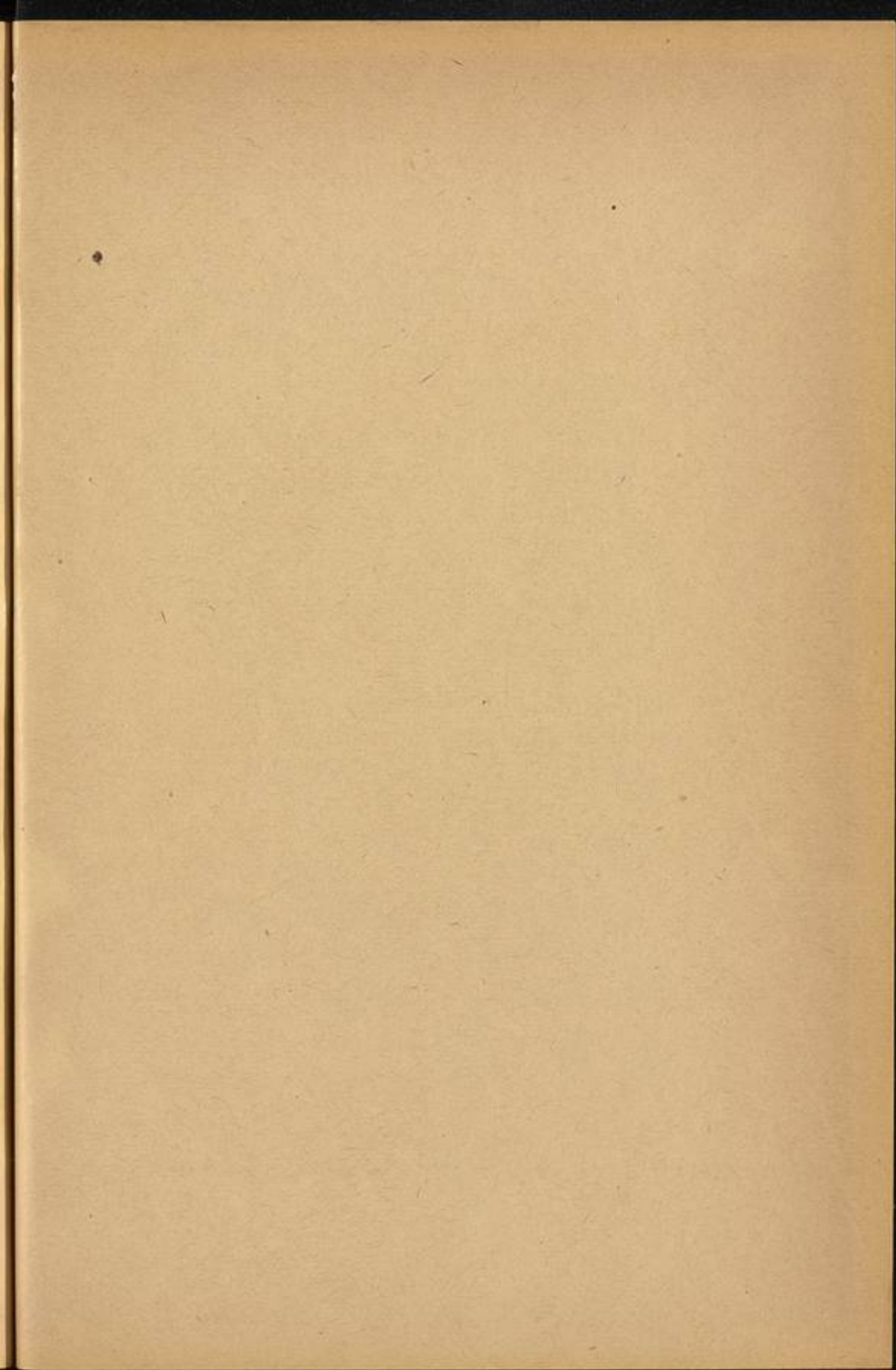
وحرمت الحرة المملوكة السيدة ابنة أحمد بن محمد بن القاسم الصليحي، طول الله في عمرها، وصيتها هذه أن تغير عما ذكرته في كتابها هذا أو تبدل أو تنقص أو تحول عما شرطته في كتابها هذا، بما حرم الله به دماء المسلمين وأموالهم وصدقاتهم، وبما حرم الله به الكعبة البيت الحرام. «فمن بدله بعد ما سمعته فأنا لآثم على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم». ومن سعى في إبطال هذه الوصية أو في شيء منها أو تأول في بعضها أو في شيء منها بغامض علم أو لطيف مدخل أو خفي حيلة، أو عمل في شيء منها بتبدل أو تحويل أو أشار إلى غفلة عنها أو نهاون في التوجيه بها، «فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير».

شهد على إقرار المملوكة الحرة.. بما في هذا الكتاب، على ما كتب فيه ونسب، وعلى إلزامها ذلك نفسها، في صفة منها وجواز أمر، جميع من حضرها من الشهود، وذلك بعد أن قرئ عليها هذا الكتاب من أوله إلى آخره، فأقرت بفهم ذلك جميعه ومعرفته، وإتقانه، وألزمت نفسها ما أقرت به من ذلك.

وقد عاين هذا الكتاب شهود في غرة رجب من سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، وهؤلاء الشهود هم: إسماعيل بن عبد الله بن عمرو الصالحى وكتب عنه بأمره ومخضره، ومحمد بن علي بن عبد الله بن محمد الهندي وكتب بخطه، وسبا بن أحمد بن شهيد بن محمد وكتب بخطه، وحاتم بن علي بن حاتم وكتب بخطه.

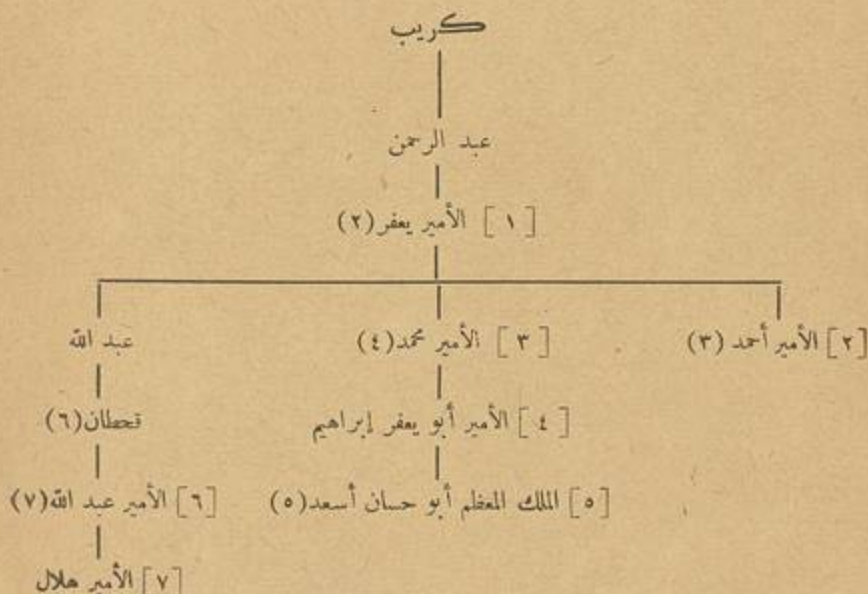
والحمد لله وحده، وصلى الله على رسوله سيدنا محمد نبيه، وعلى أهل بيته الأئمة الطاهرين الهداة المهديين وسلم تسليما.

قسم الجداول



(جدول رقم ١)

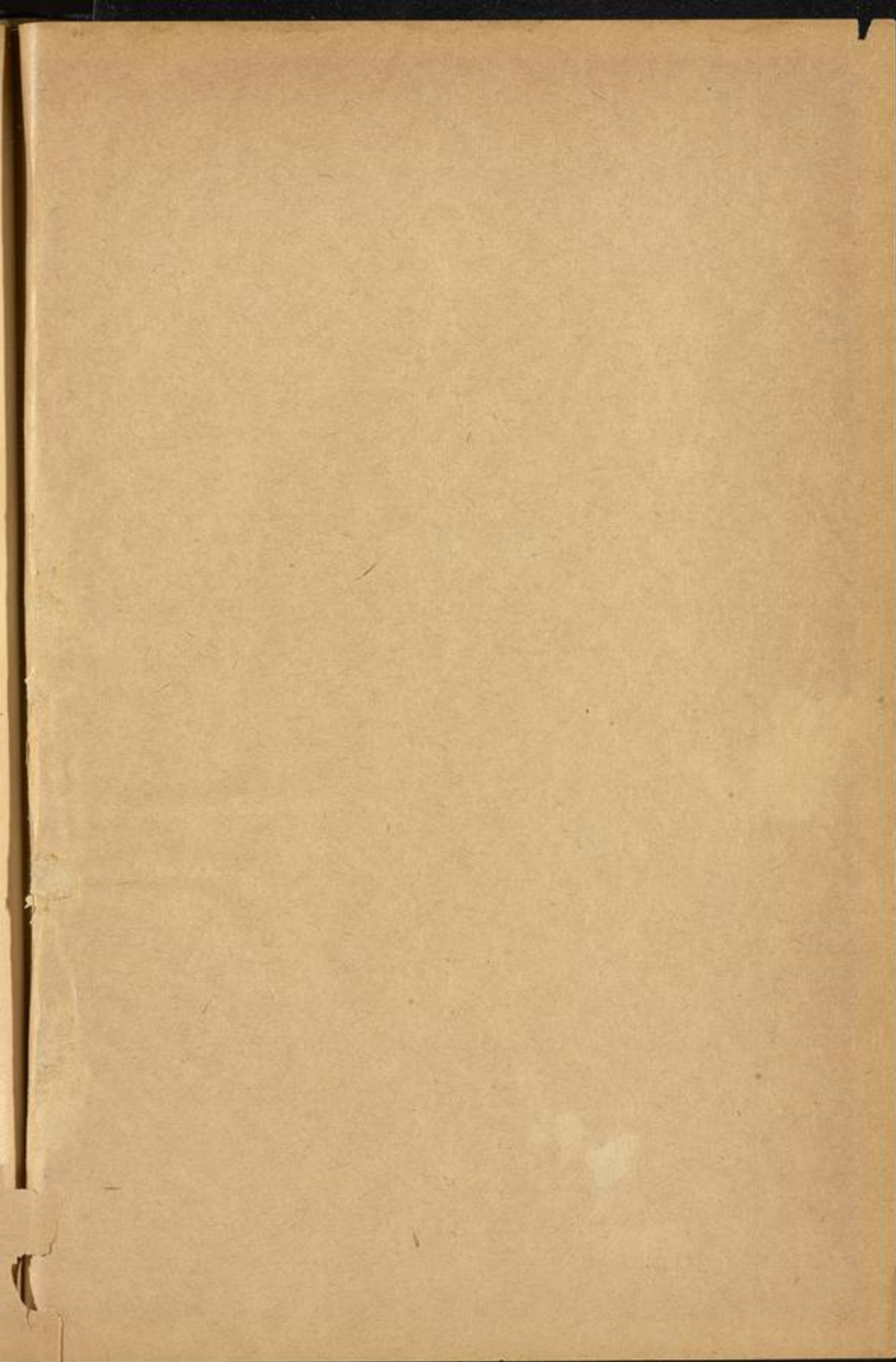
آل يُعْفِر الحوالى الحميري^(١)

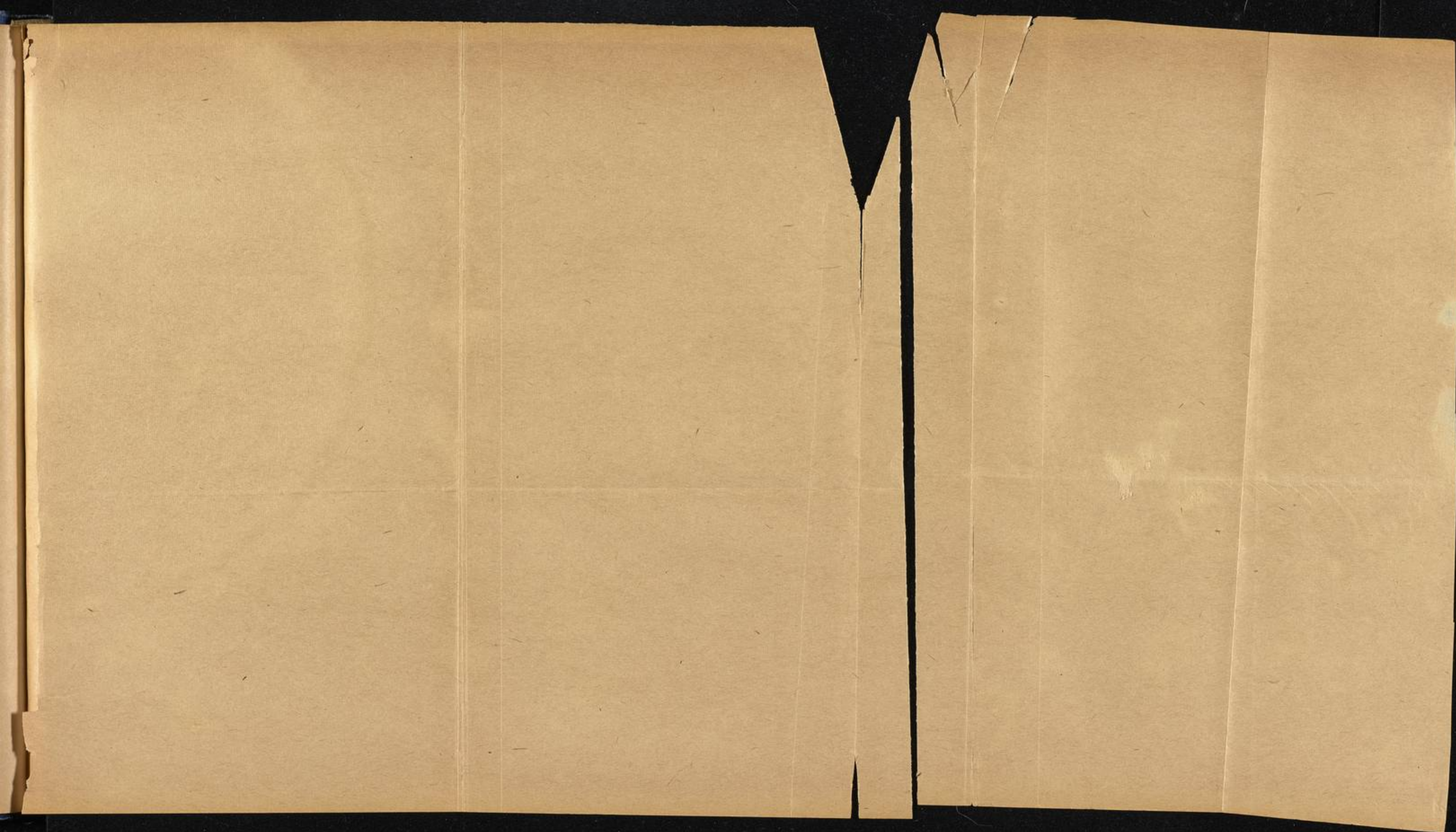


- (١) يعفر بضم الباء وكسر القاء ، وفي غير حمير يعفر بفتح الباء وضم القاء مثل يشكر ، كما رواه أبو محمد الهمداني في باب المشقة من الإكليل ٦٠٧ و ٦٠٨ .
- (٢) أول من تولى الإمارة سنة ٢١٤ (إكليل ج ٢) .
- (٣) تنازل (نفسه) .
- (٤) قتل سنة ٢٧٠ (نفسه) .
- (٥) توفي سنة ٣٣٣ (نفسه) .
- (٦) تزوج بمعاذ بنت علي بن الفضل الجدني الجيثاني .
- (٧) قام بالدعوة الفاطمية ، وغزا زبيد سنة ٣٧٩ ، وتوفي سنة ٣٨٧ .

(ملحوظة) : هذا ما تحقق لدينا من نسب أمراء آل يعفر ، حينما اطلعنا على ما ورد في الجزء الثاني من الإكليل (تحقيق القاضي حسين البيهقي) من أخبار دولة بني يعفر ، بعد أن قلنا كلام عمارة الحكمي في ص ٢٨ (هامش ٣) . والمعتمد هو رواية أبي محمد الهمداني .

(الصليبيون)

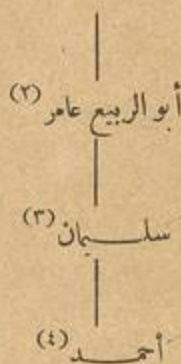




(جدول رقم ٣)

الزواحيون

الشيخ سليمان بن عبد الله بن عامر الزواحي الحميري^(١)



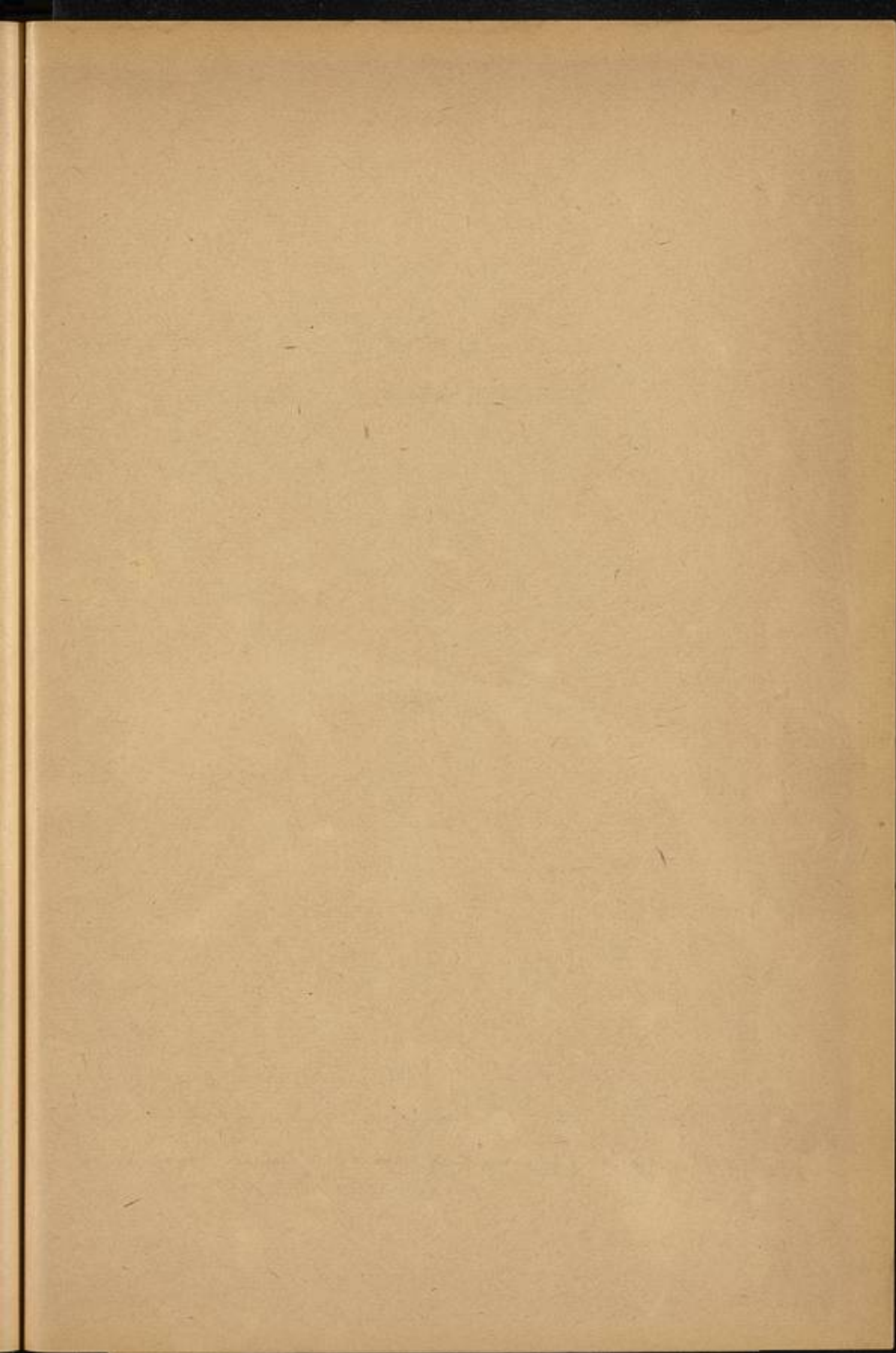
(١) القائم بالدعوة وهو الذي أقام على بن محمد الصليحي في الدعوة .

(٢) أحد قواد الصليحي والمكرم الكبير ، تزوج من الرذاح أم السيدة الملكة الحرة أروى بنت أحمد (ت ٤٩٢) .

(٣) أخو الملكة أروى من جهة أمه ، وهو الذي أشار على السلطان بـأثناء النزاع بينه وبين الملكة بأن يلجأ إلى الخليفة المستنصر في مصر ، وأغلب الظن أنه قتل في موقعة تلا سنة ٥١١ .

(٤) هو زوج أم همدان بنت الملكة أروى من الملك المكرم ، وقد أنجب منها عبد المستعلي .

(الصليحيون)



(جدول رقم ٤)

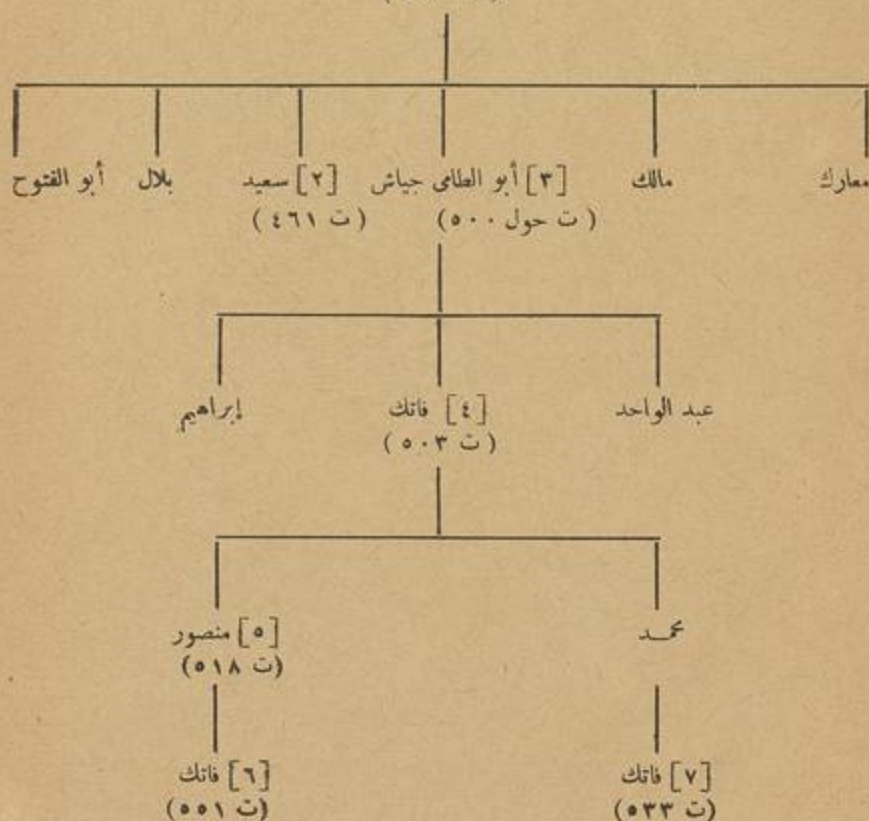
بنو نجاح العبيد

ملوك تهامة وزبيد

(أسس نجاح دولتهم سنة ٤١٢)

[١] نجاح

(ت ٤٥٢)



ملحوظة : وزر منصور [٥] بن فاكرك بن جياش أبامنصور من الله الفاتكى من مواليهم،
وظام من الله بالوزارة في عهد فاكرك [٦] بن منصور بن فاكرك ، ثم قام زريق ، ثم سرور الحبشى .

(الصليحيون)

(م — ٢٢ الصليحيون)

1841

1842

1843

1844

1845

1846

1847

1848

1849

1850

1851

1852

1853

1854

1855

1856

1857

1858

1859

1860

1861

1862

1863

1864

1865

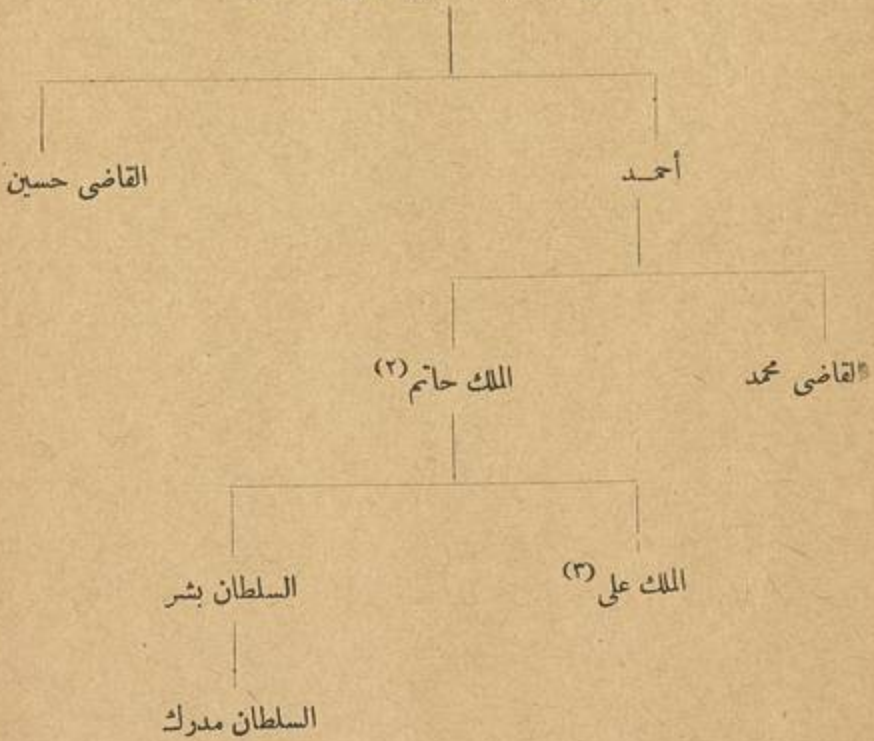
1866

1867

٥ رقم

آل عمران اليامي الهمداني

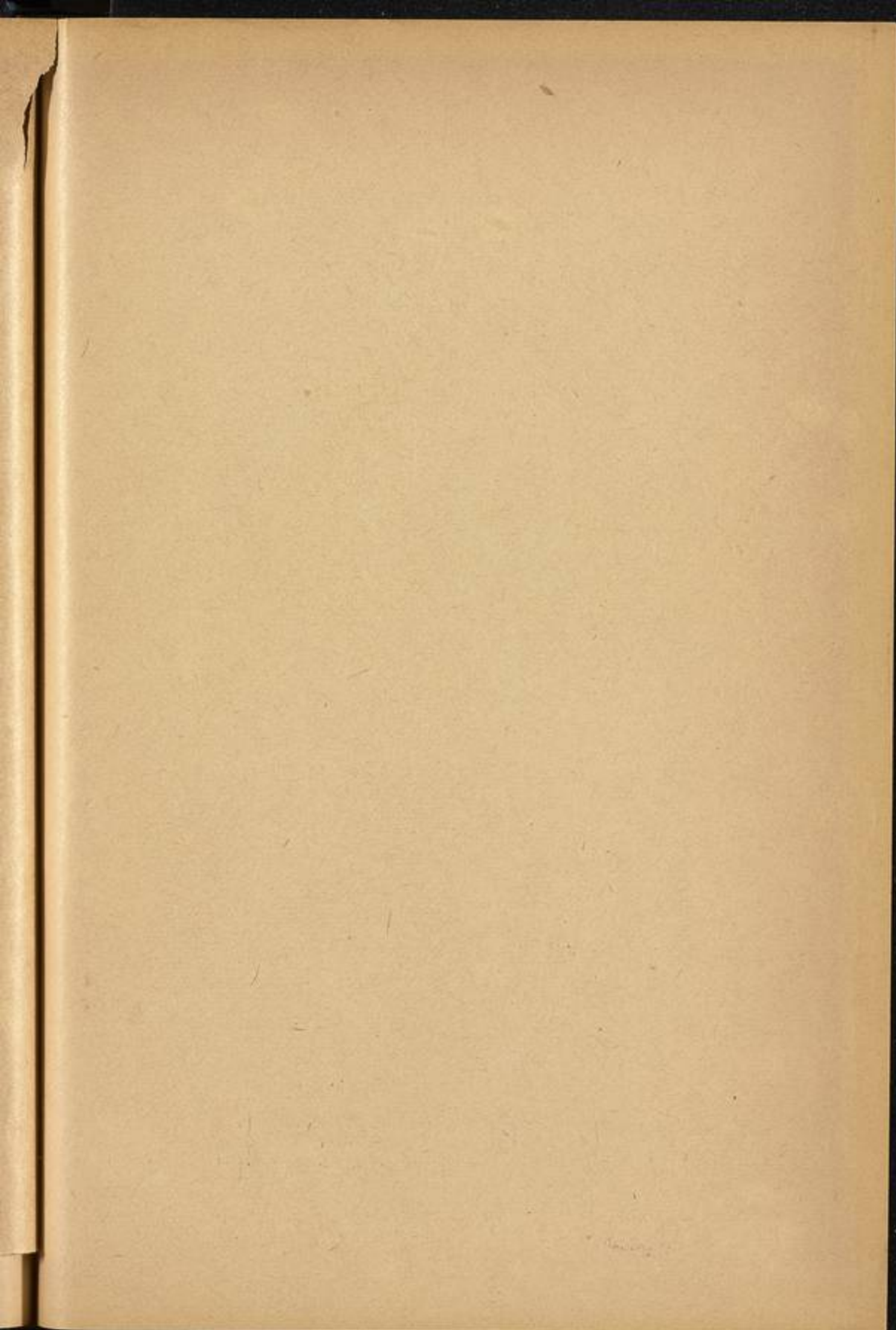
القاضي عمران بن الفضل اليامي الهمداني^(١)



(١) قتل في موقعة الكهائم سنة ٤٧٩ .

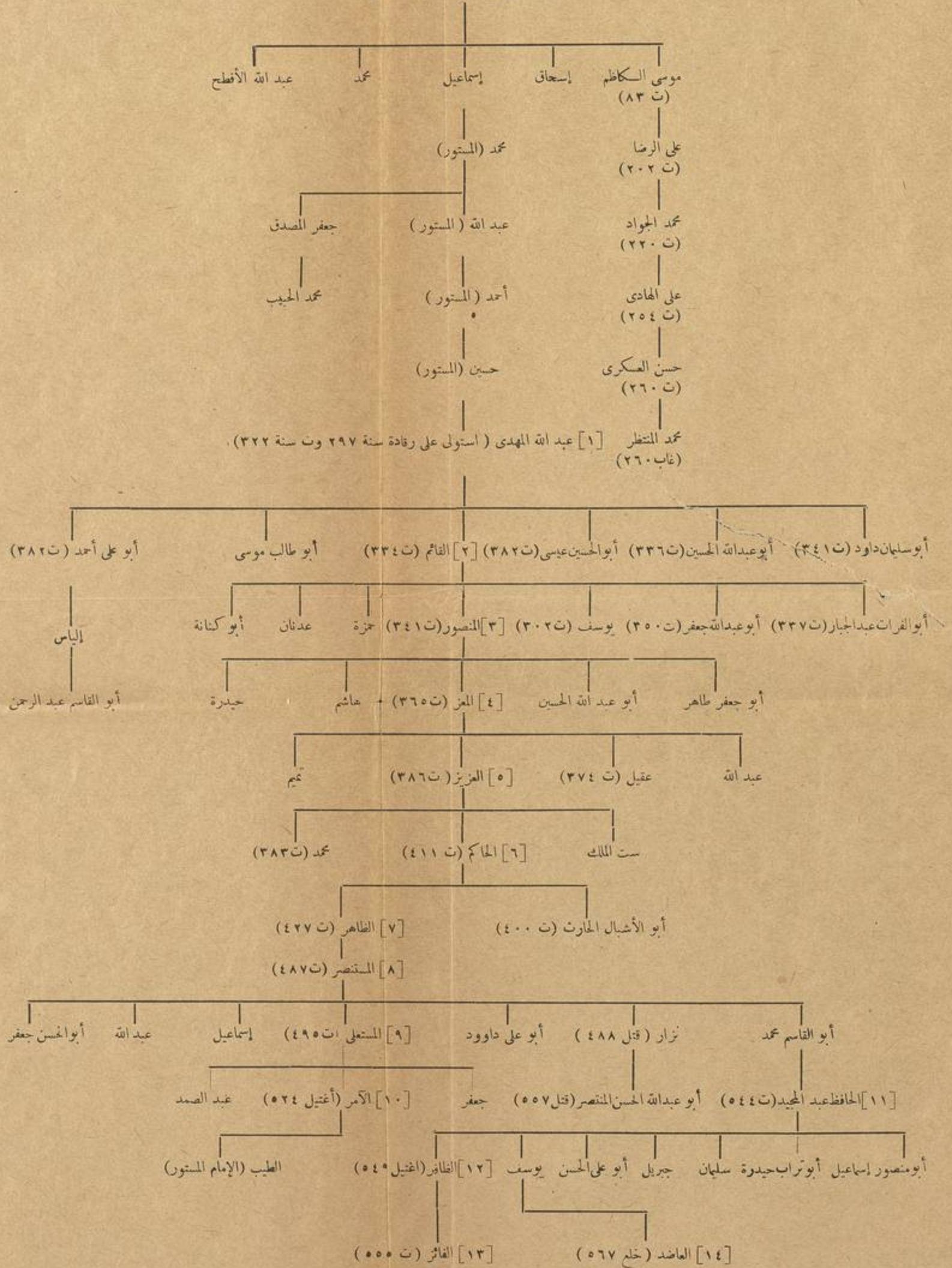
(٢) اختارته همدان بأمر صنعاء سنة ٥٣٣ .

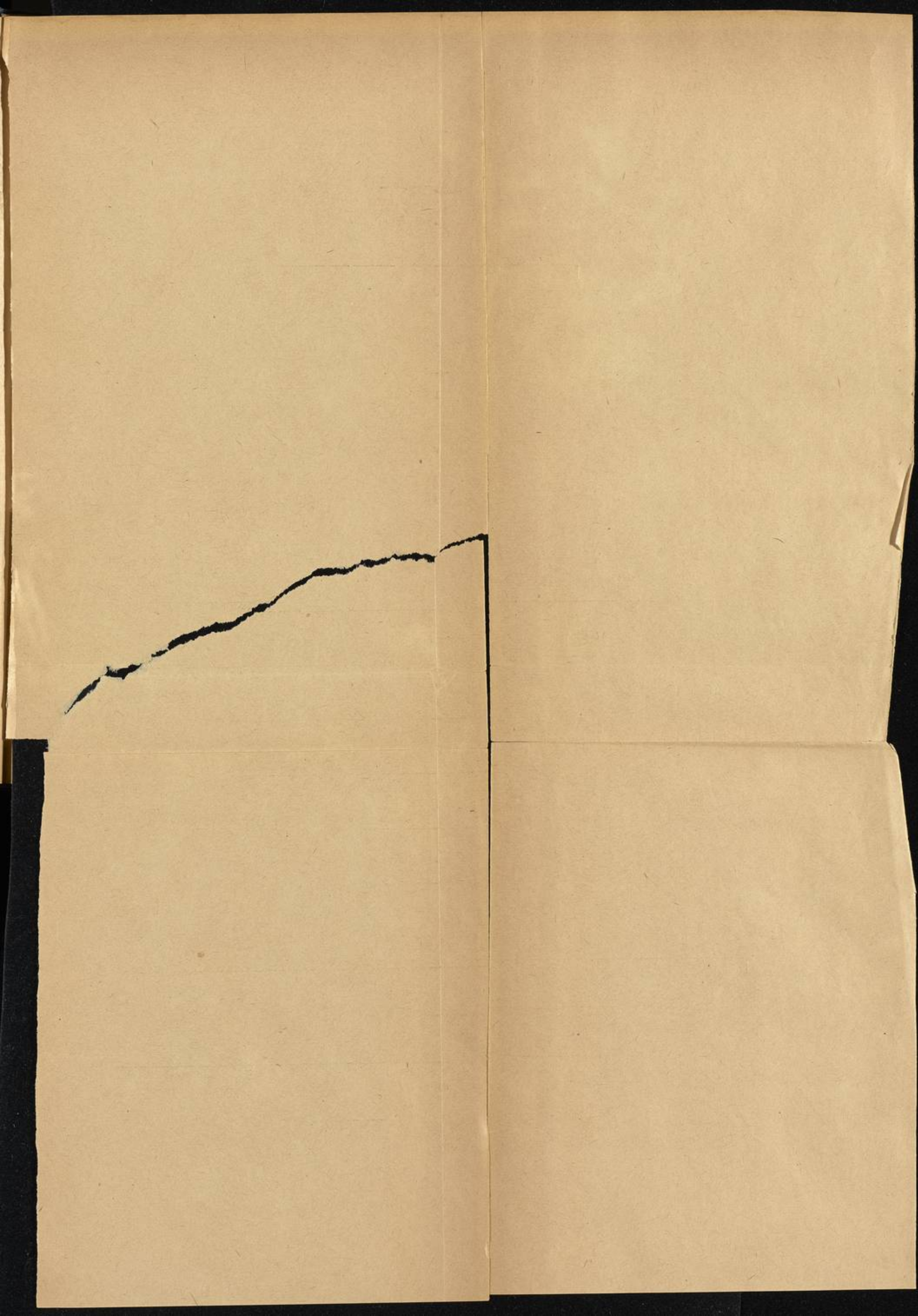
(٣) أزاله عن ملكه ملوك بني أيوب .



الفاطيون

جعفر الصادق (الإمام السادس)



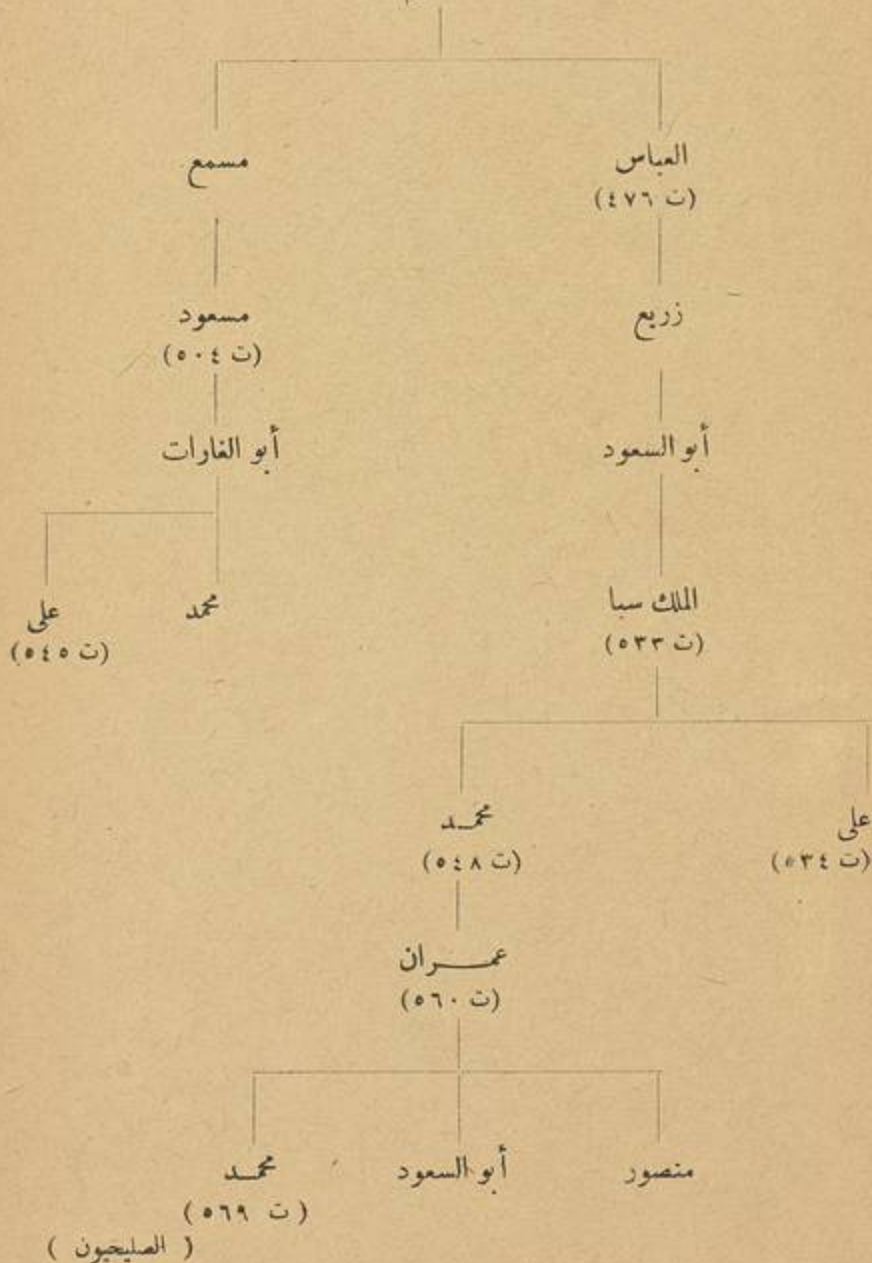


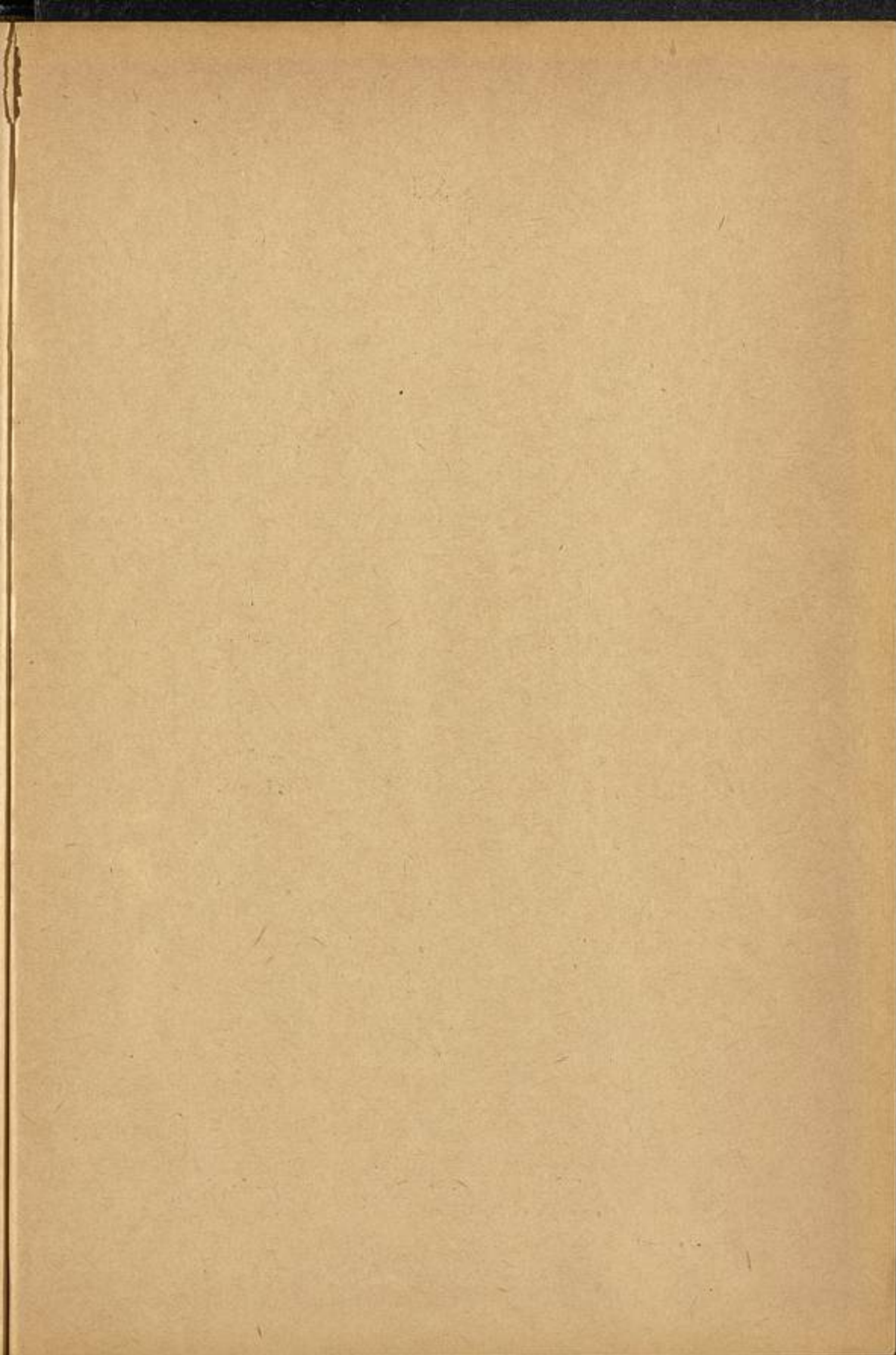
(جدول رقم ٧)

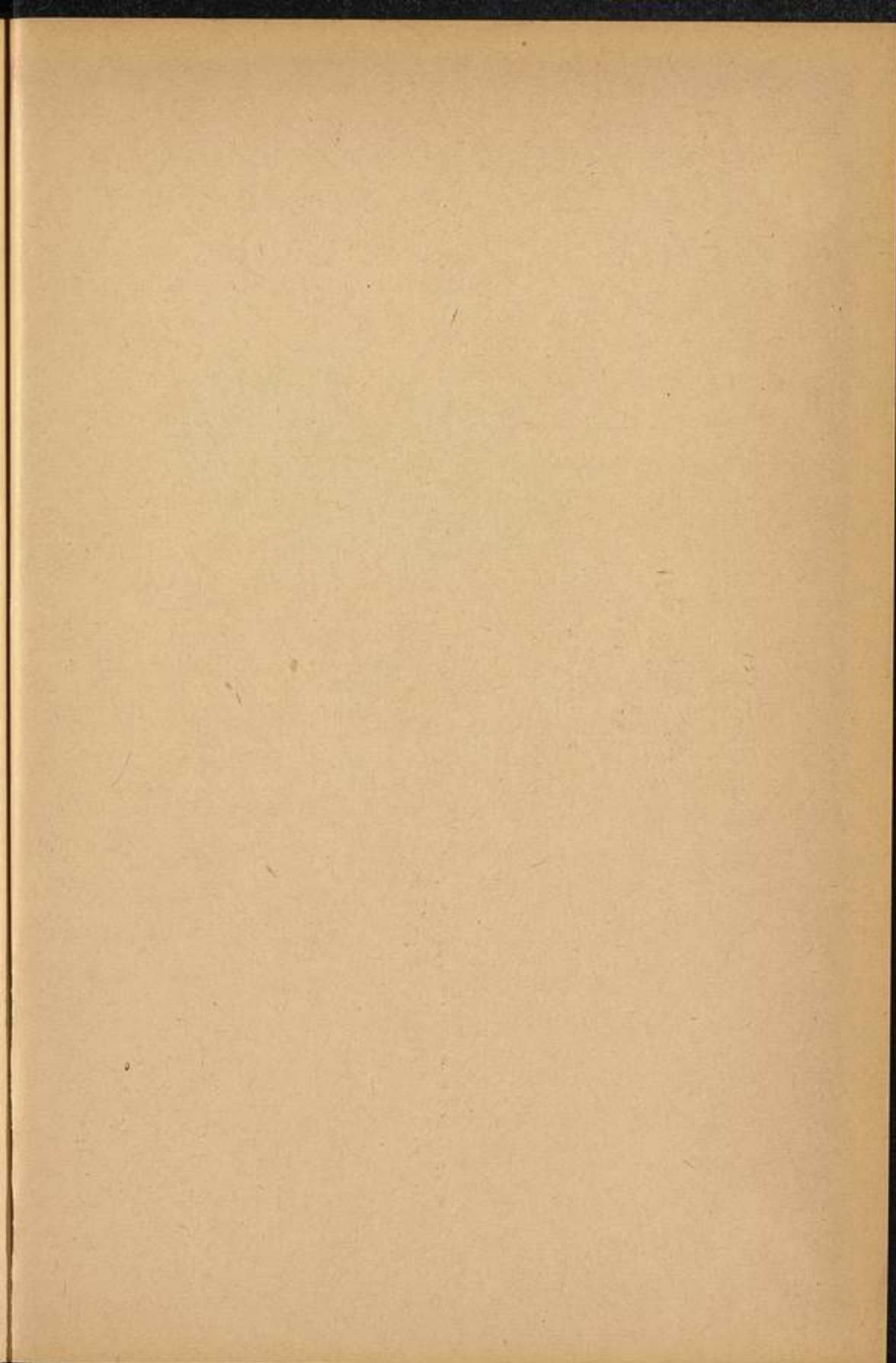
بنو الكرم

(آل زريع وآل مسمود) الياميون الهمدانيون

الكرم







قائمة المصادر

物出

قائمة المصادر

(نورد في هذا التبت أسماء المصادر التي اعتمدنا عليها واستقينا معلوماتنا عنها في هذا البحث مرتبة حسب أحرف الهجاء بالنسبة للمؤلفين - المؤلف) .

الأمر بأحكام الله الخليفة الفاطمي (ت ٥٢٤) :

الهداية الأمرية . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . تحقيق آصف فيضى (بومباي ١٩٣٨) .

إبراهيم بن أبي قيس الحضري الإمام :

ديوان الإمام إبراهيم الحضري المسمى بالسيف النقاد . مخطوط بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية رقم ١٢٧٠ ومطبوع بمصر ١٣١٤ .

ابن الأنثري ، علي بن أحمد بن أبي الكرم (ت ٦٣٠) :

الكامل في التاريخ ١٢ جزء (بولاق ١٢٩٠) .

أحمد بن زيني دحلان (ت ١٣٠٤) :

خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام . مخطوط بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية رقم ٥٨ .

إخوان الصفا :

رسائل إخوان الصفا في أربعة مجلدات . نسخ خطية بالمكتبة المحمدية الهمدانية . وطبع في بمباي والقاهرة .

الرسالة الجامعة . جزءان مخطوطان بالمكتبة المحمدية الهمدانية . الجزء الأول منها تحقيق جميل صليبا (دمشق ١٩٤٨) .

إحريس عماد الدين بن الحسن القرشي (ت ٤٧٢) :

عيون الأخبار . ٧ أجزاء في ٧ مجلدات . نسخ خطية بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

نزهة الأفكار . جزءان في مجلدين . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

روضة الأخبار . مخطوط بمكتبة جامعة ليدن (Leyden) رقم ١٩٧٢ .

زهر المعاني . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

الإدريسي ، الشريف محمد بن محمد الصقلي (ت ٥٦٠) :

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (روما ١٨٨٣) .

الأزدى بن طاهر ، جمال الدين أبي الحسن علي (ت ٦٢٣) :

أخبار الدول المنقطعة . مخطوط مصور عن المتحف البريطاني بدار الكتب المصرية رقم ٨٩٠ تاريخ .

إسماعيل بن عبد الرسول (القرن الحادى عشر) :
فهرست كتب الدعوة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

الأصبهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦) :
الأغاني . عشرون جزءا (بولاق ١٢٨٥) .

الأصفهاني ، أبو عبد الله محمد بن أبي الربيع (ت ٥٩٧) :
خريدة القصر وخريدة العصر . مخطوط مصور بدار الكتب المصرية
رقم ٢٥٥٥ آداب .

ابن إياس ، أبو البركات محمد بن أحمد (ت ٩٣٠) :
بدائع الزهور (بولاق ١٣١١ — ١٣١٤) .

إيفانو ، فلاديمير (V. I. vanow) :

A Guide to Ismaili Literature (لندن ١٩٣٣) .

The Alleged Founder of Ismailism (بومباي ١٩٤٦) .

بدر الجمالي (ت ٤٨٧) :

الجالس المستصرية . المخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . تحقيق محمد كامل حسين .
(القاهرة بدون تاريخ) .

أبو البركات بن بشر الحلبي (ت في عهد الخليفة الأمر الفاطمي) :
محاسن سيدنا أبي البركات . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

البغدادي ، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩) :
الفرق بين الفرق (القاهرة ١٩١٠) .

بكتول (M. Pickthall) :

The Knights of Araby (لندن) .

البيروني ، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٠) :
الآثار الباقية عن القرون المالية (لندن ١٨٧٩) .

الحرافى ، القاضي عبد الله بن عبد الكريم :
المقتطف في تاريخ اليمن (القاهرة) .

جعفر الحاجب :

سيرة جعفر الحاجب . تحقيق إيفانو ، مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة
(القاهرة ١٩٣٦) .

جعفر بن منصور اليمن (ت نحو القرن الرابع) :

القرائن وحدود الدين . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

الشواهد والبيان . مخطوط بالمكتبة التيمورية بالقاهرة .

سرائر النطقاء . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

أسرار النطقاء . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

تأويل الزكاة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية؛ ونشرها ستروطمان في بومباي .

- الكشف . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
 المراتب والمحيط . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
 العالم والغلام . مخطوط بالمكتبة المصيرية الهمدانية .
 رسالة في معنى الاسم الأعظم . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
 رسالة الرضاع في الباطن . مخطوط بالمكتبة التيمورية (عقائد ١٨٤) .
 الجندى ، أبو عبد الله بهاء الدين يوسف بن يعقوب (ت ٧٣٢) :
 السلوك في طبقات العلماء والملوك . مختصر كاي (H. C. Kay) (لندن ١٨٩٢) .
 الجوزرى ، أبو علي منصور العزرى :
 سيرة الأستاذ جودر ، وبه توقيعات الأئمة الفاطميين . تحقيق محمد كامل حسين
 ومحمد عبد الهادي شعيرة (القاهرة ١٩٥٤) .
 حاجي خليفة ، مصطفى المسمى بـ كاتب شالي (١٠٦٧) :
 كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . النسخة العربية وترجمها إلى الألمانية
 فلوجل (G. Flugel) (ليسك ولندن ١٨٣٥ ، ١٨٥٨) .
 الحارثي ، محمد بن طاهر (ت ١٥٨٤) :
 مجموع التريسة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية
 الرسالة الحاتمية في الرد على بعض المازقين . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية
 حدائق الألباب . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية
 الحامدي ، إبراهيم بن الحسين (ت ٥٥٧) :
 كنز الولد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
 نسع وتسعون مسألة في الحقائق . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
 الحامدي ، حاتم بن إبراهيم (ت ٥٩٦) :
 تنبيه الغافلين . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
 جامع الحقائق . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
 خمسة عشر مجلسا . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
 رسالة التذكرة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
 تحفة القلوب . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
 مفاتيح الكنوز . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
 الشמוש الظاهرة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
 الحامدي ، علي بن حاتم بن إبراهيم (ت ٦٠٥) :
 روضة الحكم الصافية . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
 ابن حجر ، الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢) :
 الإصابة في تمييز الصحابة (مصر ١٩٠٧) .
 رفع الإصر عن قضاة مصر . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٠٥ .

المجربى ، القاضي محمد بن أحمد :

خلاصة تاريخ اليمن قديما وحديثا (القاهرة ١٣٦٣) .

ابن حزم ، أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦) :

جبهة أنساب العرب . تحقيق ليني بروفنسال (L. Provencal) (القاهرة ١٩٤٨) .

حسن إبراهيم حسن :

الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص (القاهرة ١٩٣٢) .

عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية (القاهرة ١٩٤٩) .

حسن سليمان محمود :

الصلحيون وعلاقتهم بمصر . رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة ١٩٥٢ .

علاقات الفاطميين بالدول الإسلامية . رسالة ماجستير بجامعة القاهرة ١٩٤٦ .

الحسن بن نوح البهروجي (ت ٩٣٩) :

كتاب الأزهار . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

الحماضي ، محمد بن مالك بن أبي الفضائل اليماني (أواسط القرن الخامس) :

كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة (القاهرة ١٩٣٩) .

ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠) :

للسالك والمالك (طبعة ليدن) .

الخروجي ، أبو الحسن علي بن الحسن (ت ٨١٢) :

تاريخ الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن وسكنها من أهل الإسلام .

مخطوط بمكتبة جامعة ليدن (Warn Or 302, Leyden 46—59 .

Catalogus Codicum Arabicorum) .

العقود الوثائقية في تاريخ الدولة الرسولية (القاهرة ١٩١١) .

الخطاب بن الحسن المجوري (ت ٥٢٣) :

غاية المواليد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

رسالة النفس . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

منيرة البصائر . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

رسالة النعم . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

ديوان الخطاب . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨) :

العبر وديوان البدأ والخبر . (القاهرة ١٢٨٤) .

العبر ، مختصر كاي (H. C. Kay) (لندن ١٨٩٢) .

ابن خلكان ، شمس الدين أبو العباس أحمد (ت ٦٨١) :
وفيات الأعيان ، جزءان (بولاق ١٢٩٩) .

دى خويه (De Goeje) :

Memoires sur les Carmates du Bahrain et les Fatimites

(ليدن ١٨٨٦) .

ابن الديبع ، وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الشيباني (ت ٩٤٤) :
قرة العيون في أخبار اليمن الميمون . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٤ تاريخ .
بقية المستفيد في أخبار مدينة زيد . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٥١٦
تاريخ .

ديبور (De Boer) :

Wigsbegeerte in den Islam (أمستردام ١٩٢١) ..

الرازي ، أحمد بن حمدان الليثي الورستاني (ت ٣٢٣) :
كتاب الزينة في الأحرف ومعانيها . مخطوط بالمشيخة الحميدية الهمدانية . ونسخ
مصورة من مكاتب اليمن بدار الكتب المصرية .
أعلام النبوة . مخطوط بالمشيخة الحميدية الهمدانية . نشر جزءا منه كراوس (Kraus)
في Raziana II Orient. V .

راشد البراوى :

حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين (القاهرة ١٩٤٦) .

رينو (Renaud) :

Les Fragments Arabe J. A. (1945)

زامبور (Zambour) :

معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، جزءان . تعريب
زكى محمد حسن وزميله (القاهرة ١٩٥٢) .

زبارة ، محمد بن محمد بن يحيى الحسى الصنعاني :

إتحاف المهتدين بذكر الأئمة المجتدين ، ومن قام باليمن الميمون من قراء
الكتابات اليمن وأبناء سيد الأنبياء والمرسلين (صنعاء ١٣٤٣) .

سبعه بن الجوزي ، شمس الدين أبو المظفر بن قزوغلى (ت ٦٥٤) :

مرآة الزمان في تاريخ الأعيان . مخطوط مصور من الإستانة بدار الكتب المصرية
رقم ٥٥١ تاريخ .

ستروتمان (R. Strothmann) :

مقال في Miscellany نشرته جمعية البحوث الإسلامية بيومباي .
أربعة كتب إسماعيلية . تحقيق ستروتمان (غوتنغن ١٩٤٣) .

السجستاني (السجزي) ، أبو يعقوب إسحاق بن أحمد (ت ٢٣١) :
 الينابيع . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
 إثبات النبوة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
 الموازين . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
 الافتخار . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
 المقاليد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
 سرور ، محمد جمال الدين :

النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب (القاهرة ١٩٥٠) .

السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١) :
 حسن الحضارة في أخبار مصر والقاهرة (القاهرة ١٣٢٧) .
 شرف علي بن ملا ولي :

عيون المعارف ورياض السكك متبصر عارف (بمباي ١٢٩٧) .

الصيرفي ، أمين الدين تاج الرياسة أبي القاسم علي بن منجب (ت ٥٤٢) :
 الإشارة إلى من نال الوزارة (القاهرة ١٩٢٤) .

ابن طباطبا ، محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي (ت في القرن الثامن الهجري) :
 الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية . تحقيق أهل ورد (Ahlwardt) (غريفرولد ١٨٥٨) .

الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠) :
 تاريخ الأمم والملوك . تحقيق دي خويه (De Goeje) (ليدن ١٨٧٦) .
 — (١٩٠١) .

مله أحمد شرف :

دولة الترابية أجداد أغا خان (القاهرة ١٩٥٠) .

الطياوي ، عبد اللطيف :

جماعة إخوان الصفا (بيروت ١٩٣٠ — ١٩٣١) .

عباس العقاد :

أبو الشهداء (القاهرة ١٩٥٤) .

ابن عبد الحكيم ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧) :
 فتوح مصر والمغرب (ليدن ١٩٢٠) .

عبد الكريم خليفة :

إخوان الصفا (حلب ١٩٤٩) .

العرشي ، حسين بن أحمد الزبيدي (القرن الرابع) :

بلوغ الرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملوك اليمن من ملك وإمام .
 تحقيق الأب أنستاس السكرملي (مصر ١٩٣٩) .

- عمارة ، نجم الدين بن محمد الحسكى البني (ت ٥٦٩) :
 تاريخ اليمن . مختصر كاي (H. C. Kay) . (لندن ١٨٩٢) .
 النكت العصرية في أخبار الوزارة المصرية (شالون باريس ١٨٩٩) .
 عمر الدسوقي :
 إخوان الصفا (القاهرة ١٩٤٧) .
 عمر فروخ :
 إخوان الصفا (بيروت ١٩٤٥) .
 العمري ، شهاب الدين بن أحمد بن فضل الله (ت ٧٤٩) :
 مسالك الأبصار في ممالك الأمصار . مخطوط مصور بدار الكتب المصرية
 رقم ٢٥٦٨ .
 العيني ، بدر الدين بن محمود بن أحمد بن موسى (ت ٨٥٥) :
 عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان . مخطوط مصور من الأستانة (ولي الدين)
 بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ .
 غيب (Sir Hamilton Gibb) :
 مقال معنون المستنصر بالله الفاطمي في El .
 القاسبي ، تقي الدين بن محمد بن أحمد بن علي (ت ٨٣٢) :
 تحفة الكرام في أخبار البلد الحرام . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم
 ١٦٤٦ تاريخ .
 شفاء الغرام . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٤ .
 الفاكهي ، أبو عبد الله محمد بن إسحاق (القرن الثالث) :
 المنتقى في أخبار أم القرى . تحقيق وستنفلد (Wuestenfeld) (ليبسك ١٨٥٩) .
 فان آرندونك (C. Van Arendonk) :
 De Opkomst van het Zaiditische Imamaat in Yemen
 (لندن ١٩١٩) .
 أبو القدا ، إسماعيل بن علي عماد الدين (ت ٧٣٢) :
 المختصر في أخبار البشر (القسطنطينية ١٢٨٦) :
 فيض ، آصف :
 مقال عن القاضي النعمان في IRAS (سنة ١٩٣٤) .
 ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦) :
 الإمامة والسياسة (القاهرة ١٣٢٠) .
 القرشي ، علي بن محمد بن الوليد الأتف (ت ٦١٢) :
 ديوان سيدنا علي بن محمد بن الوليد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
 دافع الباطل . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
 (م — ٢٣ — الصليحيون)

- مختصر الأصول . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
 تاج العقائد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
 مجالس النصح والبيان . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
 رسالة الإيضاح والتبيين . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . ونشرها
 سترومان تحت عنوان أربع كتب لإسماعيلية (غوثن غن ١٩٤٣) .
 رسالة تحفة المرئاد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . ونشرها سترومان
 تحت عنوان أربعة كتب لإسماعيلية (غوثن غن ١٩٤٣) .
 لب المعارف . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
 لباب الفوائد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
 الذخيرة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

القلقشندى ، أبو العباس أحمد (ت ٨٢١) :

سبح الأعشى فى صناعة الإنشا (القاهرة ١٩١٢ — ١٩١٧) .

القمى ، الحسين بن على (القرن السادس) :

- رسائل القمى . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
 ديوان شعر . صورة خطية من الصفحات المنترعة من ديوانه المحفوظة بالمتحف
 البريطانى رقم ٤٠٠٤ .

كاى (Henry Cassels Kay) :

Yemen, its Early Mediaeval History (لندن ١٨٩٢)

الكيسى ، محمد بن إسماعيل بن محمد بن يحيى :

- اللطائف السنية فى أخبار الممالك اليمنية . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم
 ٤١٦٣ تاريخ .

ابن كثير ، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤) :

البدية والنهاية (القاهرة ١٣٤٨) .

الكرمانى ، أحمد حميد الدين (ت فى القرن الخامس) :

- المصاييح . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
 الرياض . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
 الأقوال الذهبية . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
 تنبيه الهادى والمستهدى . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
 راحة العقل . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . تحقيق محمد كامل حسين
 ومصطفى حلى (القاهرة ١٩٥٢) .

كرنكو (F. Krenkow) :

الصلحيون . مقال فى EI .

الكندى ، أبو عمر محمد بن يوسف (ت ٣٥٠) :
كتاب الولاية والقضاء . تصحيح روفن غوست (Guest) (بيروت ١٩٠٨)

لويس ، برنارد (B. Lewis) :
The Origins of Ismailism (كيمبرج ١٩٤٠) .

المؤيد في الدين هبة الله بن موسى الشيرازي (٤٧٢) :
سيرة المؤيد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . ونشرها محمد كامل حسين (القاهرة ١٩٤٩) .

المجالس المؤيدية . ثمان مجلدات . نسخ خطية بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
ديوان المؤيد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . تحقيق محمد كامل حسين (القاهرة ١٩٤٩) .
الأدعية والخطب . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
الابتداء والانتها . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
نهج الهداية للمهتدي . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

المبرد ، أبو العباس (ت ٢٨٥) :
الكمال . تحقيق رائت (W. Wright) (ليسك ١٨٧٤) .

ابن الجاور ، جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب الدمشقي (ت ٦٩٠) :
كتاب المستنصر . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣١٧٧ تاريخ . وتحقيق لوفجرين (O. Loefgren) (ليدن ١٩٥١ و ١٩٥٤) .

أبو الحسن ، جمال الدين يوسف بن تفرى بردى (ت ٨٧٤) :
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (مصر ١٩٣٠ وما بعدها) .

محمد حسن :
قلب اليمن (بغداد ١٩٤٧) .

محمد كامل حسين :
في أدب مصر الفاطمية (القاهرة ١٩٥٠) .

محمود قاسم :
في النفس والعقل (القاهرة ١٩٥٤) .

باغزمة ، أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد (القرن العاشر) :
قلادة البحر في وفيات أعيان الدهر . ثلاثة أجزاء . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٦٧ تاريخ .

تاريخ تفرع عدن . جزءان (ليدن ١٩٣١) .

المستنصر بالله (ت ٤٨٧) :

السجلات المستنصرية . مخطوط بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن . ومقال حسين الهمداني في BSOS (١٩٣٤) . ونشرها عبد النعم ماجد (القاهرة ١٩٥٤) .

المسمودى ، أبو الحسن على بن الحسين (ت ٣٠٣) :

مروج الذهب ومعادن الجوهر (بولاق ١٢٨٣) .

المعهد الفرنسى العلمى بالقاهرة :

Repertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe الجزء السابع -

المقدسى ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٨٧) :

أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم (ليدن ١٩٠٦) .

المقريزى ، تقى الدين أحمد بن على (ت ٨٤٥) :

اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء . تحقيق جمال الدين الشبال (القاهرة ١٩٤٨) .

المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطوط والآثار (بولاق ١٢٧٠) .

اليان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب . تحقيق وستنفلد (غوتنغن ١٨٧٤) .

النصورى ، ركن الدين بيبرس الدوادارى المصرى (ت ٧٢٥) :

زبدة الفكرة . المجلد الخامس المأخوذ بالفوتستات من مخطوطة محفوظة بالمكتبة

الأهلية بباريس (رقم ١٥٧٢ عربى) موجود بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٢٧ .

ابن ميسر ، محمد بن على بن يوسف بن جلب (ت ٦٧٧) :

تاريخ مصر . طبعة هنرى ماسيه (Henry Massé) (القاهرة ١٩٤٩) .

ابن النديم ، محمد بن إسحق (ت نحو ٣٨٣) :

كتاب الفهرست . تحقيق فلوجل (Fluegel) (ليسك ١٨٧١) .

نشوان الجهرى ، أبو سعيد بن سعيد (ت ٥٧٣) :

منتخبات فى أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم .

تصحيح عظيم الدين أحمد (ليدن ١٩١٦) .

أخوار العين (القاهرة ١٩٤٨) .

القاضى النعمان بن محمد بن منصور التيمى المغربى (ت ٣٦٣) :

دعائم الإسلام ، فى جزءين . نسخ خطية بالمكتبة المحمدية الهمدانية . ونشر

أصف فى الجزء الأول من الكتاب .

النيبوع . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

مختصر الآثار . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

الأخبار . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

الاقصص . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

المنتخب . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

افتتاح الدعوة الزاهرة وإبتداء الدولة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

شرح الأخبار . نسخ خطية بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

الهمة فى آداب الأئمة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . تحقيق محمد كامل

حسين (القاهرة بدون تاريخ) .

مفاتيح النعمة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
أساس التأويل . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
تأويل الدعائم . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
التوحيد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
المجالس والمسائر . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
اختلاف أصول المذاهب . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
الناقب والمثالب . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

النويرى ، أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣) :
نهاية الأرب . طبعة دار الكتب (مصر ١٩٢٣ وما بعدها) .

النيسابورى ، أحمد بن إبراهيم (ت فى أوائل القرن الخامس) :
إثبات الإمامة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
رسائل استتار الإمام . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . نشرها لإيوانو
(القاهرة ١٩٣٩) .

ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك الحمرى الماعزى (ت ٢١٨) :
سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة أجزاء . تحقيق وستغلد (غوتن غن
١٨٥٨ — ١٨٦٠) .

الهمداني ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٣٤) :
الإكمال فى أخبار اليمن وأساب حمر . الكتاب العاشر فى معارف همدان . تحقيق
مح الدين الخطيب (القاهرة ١٣٦٨) .
صفة جزيرة العرب . تحقيق مولر (D. H. Mueller) (ليدن ١٨٩١)
المشتبه فى كتاب الإكمال (Suedarabische Mushtabih) . تحقيق لوف
غرين (Leofgren) (أوبسالا ١٩٥٣) .

الهمداني ، حسين بن فيض الله اليعبرى :
بحث تاريخى فى رسائل الإخوان الصفا (بمباى ١٩٣٥) .
مقال عن الملكة أروى الصليحية فى JRCAS XVII (١٩٣١) .
مقال عن السجلات المنصورية فى BSOS VII (١٩٣٤) .
مقال عن النظام الفكرى الخامس بالدعوة الفاطمية فى IC (١٩٢٧) .
مقال عن مؤلفى الإسماعيلية JRAS (١٩٣٣) .
مقال عن تاريخ الدعوة وأدائها فى أواخر عهد الفاطميين فى JRAS (١٩٣٣) .
مقال عن المؤيد فى الدين الشيرازى فى EI .
كتاب الرياض . مقال فى مؤتمر دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد (١٣٥٨) .

الهمداني ، عباس بن حسين بن فيض الله اليعبرى :
رسالة دكتوراه بجامعة لندن سنة ١٩٥١ The Sira of al-Muayyad
fid-din ashs-Shirazi

الوادعى ، الذؤيب بن موسى (ت ٥٣٦) :

رسالة النفس . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

الوادعى ، على بن حنظلة المحفوظي (ت ٦٢٦) :

القصيدة الموسومة بسط الحقائق . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . تحقيق

عباس عزاوي ، نشرها المعهد الفرنسي دمشق سنة ١٩٥٣ .

رسالة ضياء الحلوم . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

الواسعي ، عبد الواسع بن يحيى اليماني :

تاريخ اليمن (القاهرة ١٩٤٧) .

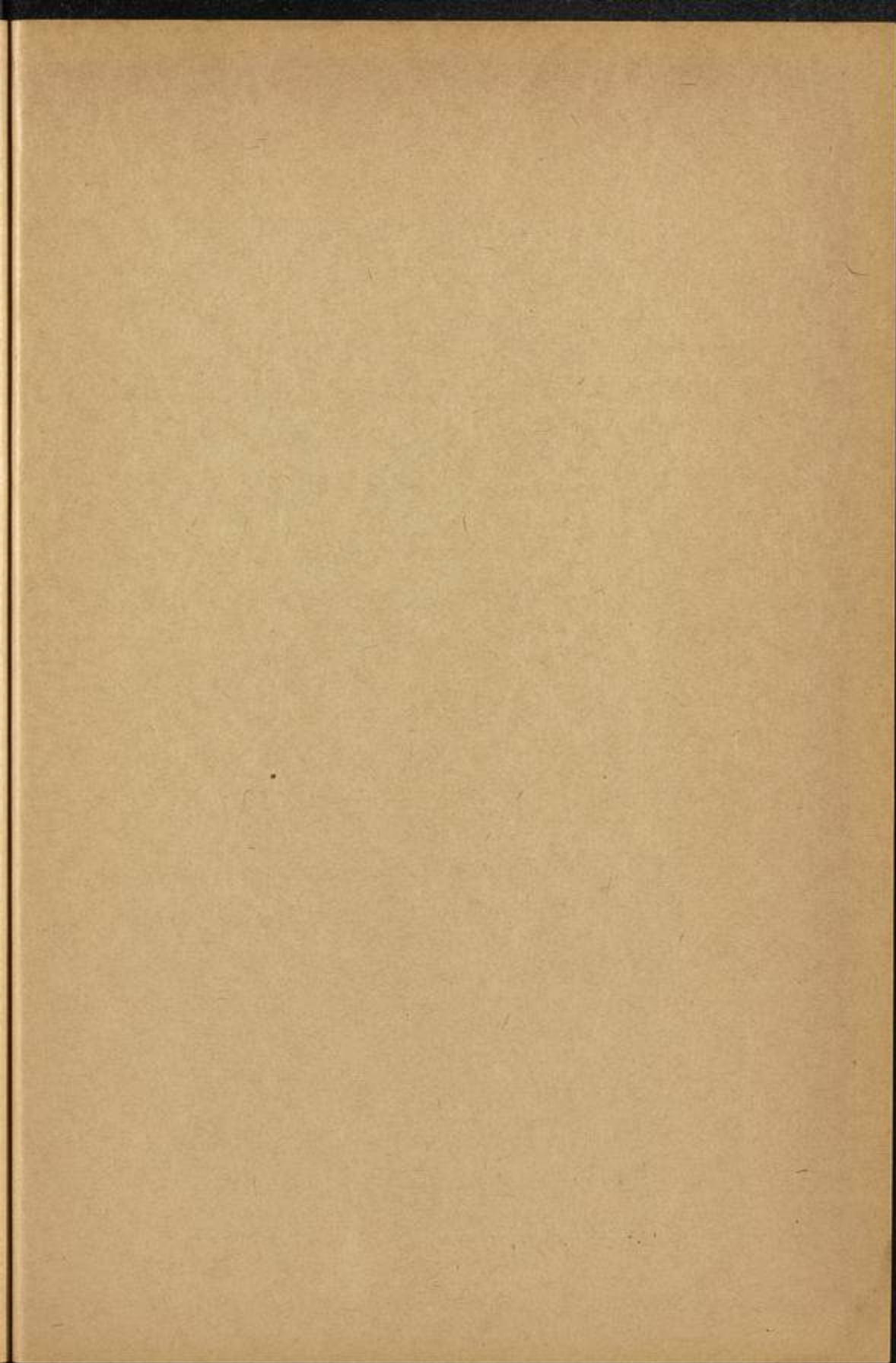
يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد (ت ١١٠٠) :

أنباء الزمن في أخبار اليمن . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٣٤٧ .

أنباء الزمن (من سنة ٢٨٠ — ٣٢٢) . تحقيق محمد عبدالله ماضي (برلين ١٩٣٦) .

ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله (٦٢٦) :

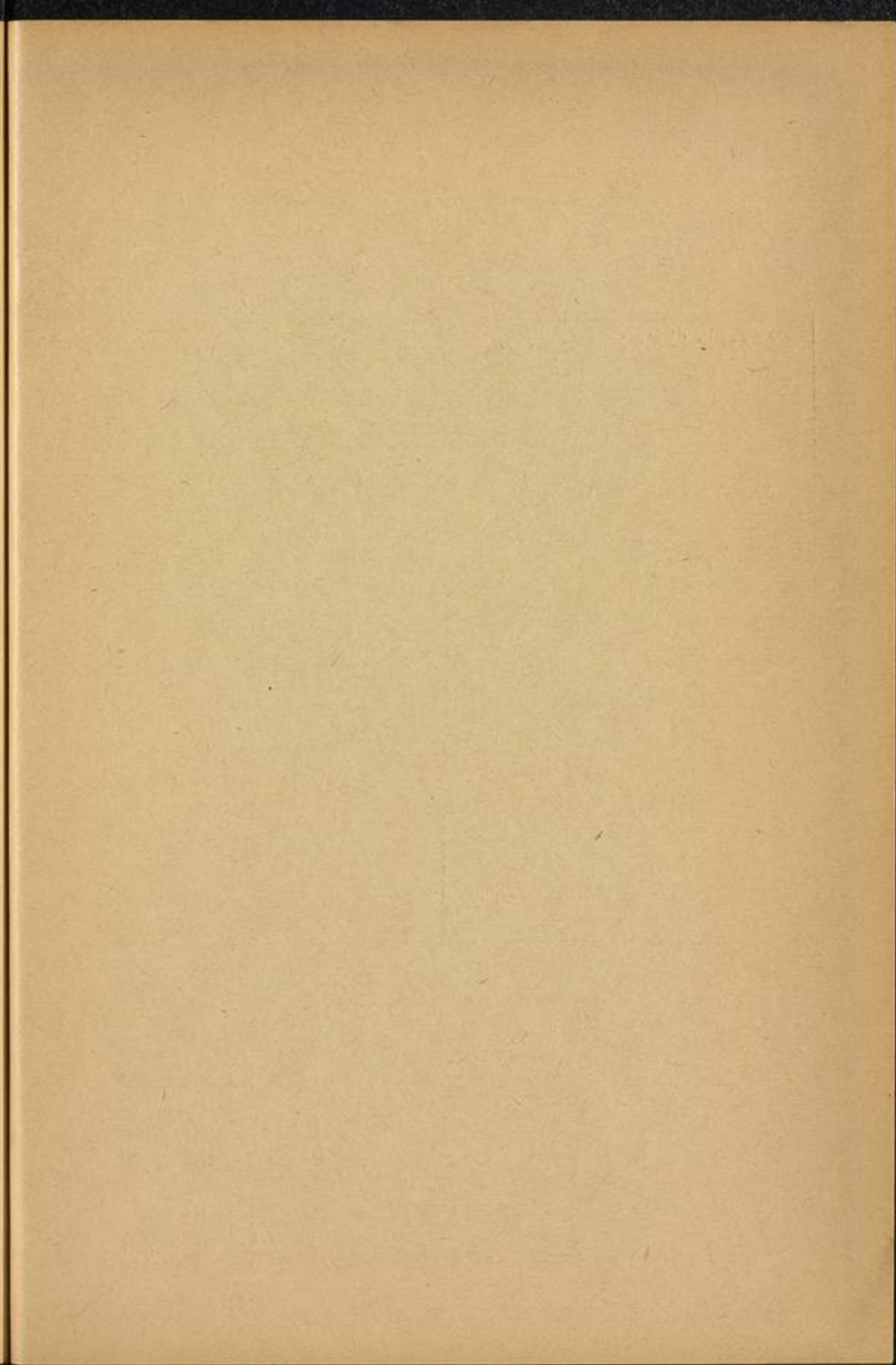
معجم البلدان ، في أربعة أجزاء . تحقيق وستنفلد (ليبسك ١٨٦٦ — ١٨٩٩) .



علي مقتضي احكامها والملوك ينبغي ان يرسلوا داعي
لهذه عند مقيمون كانوا في هذه الفتنة قد عاد
بن بلدهم بالاجوبة عن التشرية الصادر اليهم من
لحضرة قدسها الله عن بد الاجل الواحد فاخذت
باجوبه والبركات من ايديهم وكان مضمون الجوبة
لسؤال في الاذن بالقيام واظهار الدعوى بالقمم
اما اللسان واما اللسان فقد سبق لهم الاذن
الملوك لم يغتبه في انتشار امر ولا وعظ دعوة يسار
بشر يقفهم بكتاب يتضمن ما طالع به والاذن لهم في القيا
ظهار الدعوى جهرا والله سبحانه يؤيدهم بتأييدهم
ينصرهم على عدوهم والسلطان على مولانا وسيدنا
بداي يتيم الامام المستنصر بالله امر المؤمنين عليه وعلى
ندا الطيبين الطاهرين وابناءه الاكابر المحبين
فضل الصلوة والتسليم صدر غرة ذي الحجة سنة ستين
بعا امة الحمد لله وحده وصلواته وصلواته على سيدنا

محمد النبي وعلي نولانا علي بن ابي طالب عليه ووصي
بنبيه وعلي الائمة من ذرية الطاهرين وسلامه
عليهم اجعبن حسنا الله ونعم الوكيل

في نسخة وجدناها بخط الذي يقال له الكاشغري خط سيدنا
حسين بن ابي سير بن حسن بن عبد الله بن محمد بن جاشم
بن حسين بن علي بن محمد بن علي بن احمد بن جعفر بن الحسن
بن يحيى بن ابراهيم بن الانف اى سلمة بن محمد بن
ابراهيم بن احمد بن الوليد بن المحسن بن عثمان بن عاصم
بن ابي عاصم بن الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد
منسي بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب
بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن



ضميمة

بينما نحن نقرب من الانتهاء من طبع الكتاب ، وصلتنا رسالة من ولدنا الدكتور عباس الهمداني تحوى تعليقات مفيدة . ونحن نقدم هذه التعليقات لأنها تفسر بعض الأحداث الواردة في هذا المؤلف تفسيراً يختلف اختلافاً أساسياً عن تفسيرنا إياها . وبعد وصول رسالته قررنا أن ننشر بإذن الله في الطبعة الثانية لهذا السفر نقد الناقدين وآراء الباحثين الحرة مهما اختلفت آراؤهم عن وجهة نظرنا ، فقد تكون الأخيرة مصيبة أو مخطئة ، لأننا نرى أن لا شيء أضرّ للعلم من المجاملات ، وأن النقد البنائى الحرّ مفيد للتقدم العلمى .

— المؤلف

يقول في سبب امتناع المهدي عن السير إلى اليمن (ص ٣١ — ٤٩) :

« وفيما يختص بثورة فيروز أشعراؤها يجب أن تقرر بالحركة القرمطية ، ذلك لأن حليفه على بن الفضل الجدني أعلن جهرة تأييده لأبي سعيد الجنابي عندما خالف منصور اليمن ، واستقل عن الدعوة . وإني أرى أن الخلاف القرمطى واليمنى للمهدى كان مبنيًا على أسس تشرحها فيما يلي :

« كان حسين الأهوازي داعي الدعوة للمهدى في سلكه ، فكان مسئولاً عن تعيين الدعاة في الكوفة والبحرين ، الذين ثاروا بعد ذلك ، وعرف حزبهم بالقرامطة ، وقد طالبوا المهدي بقيادة ثورة في الأمبراطورية العباسية ، ولكن عندما قرر المهدي الذهاب إلى اليمن ثاروا عليه .

« وعندما توفي حسين أصبح فيروز داعي الدعوة ، وكان من المعروف بين جميع الدعاة تحت زعامة فيروز أن الخلافة الفاطمية سيتم إنشاؤها في اليمن . وبقي

هذا الاعتقاد حتى وصل المهدي إلى مصر . ولما اتضح لفيروز أن المهدي قد غير رأيه ، وأنه سيتجه إلى المغرب ، سار فيروز إلى اليمن لينظم جبهة الدعوة ضد سياسة الإمام الجديدة ، لأن معظم الدعاة للبرزين العاملين كانوا قد اجتمعوا في ذلك الوقت باليمن . وقد تخلف ابن حوشب عن تنفيذ برنامج رئاسة الدعوة ، وانضم إلى جانب المهدي . فقد اضطر فيروز وعلي بن الفضل إلى الانضمام نحو المعارضة ، وقد اتحدا مع القرامطة في السكوفة والبحرين على برنامج مشترك .

« ولم يكن سبب ثورتهم أن اتجه المهدي نحو المغرب ، ولكن على العكس من ذلك كان اتجاه الإمام المهدي نحو المغرب هو السبب في ثورتهم . ولم يكن هذا الحادث مسألة هيئته ، ولكن كان أمرا له خطره ، وعليه اختلف المهدي وحماة الدعوة المنسكون أشد الخلاف . فقد كان المهدي يرغب في إنشاء خلافة وأميراطورية ، بعيدة عن سلطان العباسيين . وكان يرغب بذلك رغبة شديدة في تأمين وتقوية مملكته الجديدة . وكان لا يفكر في إحداث أي تغيير اجتماعي ، وأن المجتمع سيبقى على حاله السائد تحت حكم العباسيين ، باختلاف وحيد ، هو أن الأميراطورية الجديدة سيرأس عليها خليفة من الأسرة العلوية . وفي نظر المهدي كل ما في الأمر كان زعاعا على الأسرة التي ستحكم فقط .

« ولكن بالنسبة إلى هيئة الدعوة من جانب آخر كان النزاع على أساس المبادئ الاجتماعية . وقد بدأت الحركة الفاطمية تهدف إلى محاربة الظلم القائم تحت حكم العباسيين . ولم يكن الدعاة يميلون إلى القيام بتجاربههم في أما كن متعددة ، ولم يكونوا يفكرون في الحرب ، بل كانوا يريدون البقاء حيث كانوا ، ليقوموا بما يرغبون فيه من تغييرات في النظم الاجتماعية تحت حكم العباسيين . وكانوا يريدون إقامة الخلافة الفاطمية مقام الخلافة العباسية — خلافة ودولة جديدة تقوم بهذا الإصلاح الاجتماعي .

« وحقا فإن القرامطة وبعدهم حزب فيروز كانوا يمثلون اتجاهات الحركة الفاطمية الأصلية ، وهي الاتجاهات التي رغب عنها الإمام ، وكان ابن حوشب وفيا للمهدي دون أن يتركز على مبادئ اجتماعية . وكان أبو عبد الله الشيعي أيضا

وفيا لإمامه لفترة طويلة من الزمن حتى خاب ظنه ، فبعد أن قام المهدي بأمره في رقادة وسجله في كتشف أبو عبد الله ما اكتشفه الدعاة ، أمثال القرامطة وفيروز وعلى بن الفضل الحيرى منذ زمن بعيد . ولا شك أن أبا عبد الله كان مصادقا سليم النية (Naive) إلى حد ما .

« وإن أساطين الدعوة العلماء ، كالنفسى والسجستاني والرازي ، كانوا بعيدين عن المركز الرئيسى كل البعد لكي يدركوا المناورات الخفية التى كانت تجري فى سَكْمِيَّة . وفوق ذلك كان هؤلاء العلماء مفكرين ونظرين ، لم يكونوا مطلعين على حقائق الحالة السياسية التى تنطوى عليها الدعوة . فقد بقوا وهم فى عزلتهم أوفياء لإمامهم . أما أبو حاتم الرازي فقد كان محافظا ، وبقي كذلك حتى بعد حدوث الانقسام ووضوح الأمر ، واستمر فى ولائه للإمام . وقد ظهرت فى النفسى والسجستاني أمارات الاستقلال وعدم التحزب (non-conformism) التى ربما دفعتهما إلى معسكر القرامطة ، لو أن هؤلاء بقوا أوفياء ، ولم ينحطوا إلى أساليبهم الإرهابية ، وحافظوا على ثورتهم فى أساليب سليمة معقولة . فالفكرون دأبوا بمقتون القتل وشمثزون عنه ، ولذلك بقى كل من النفسى والسجستاني تجاه المهدي فى ولائهما المقرون بالشك . ولا أقصد بهذا التقليل من المقدرة الفكرية لهؤلاء الدعاة ، فقد كانوا عظماء فى علومهم وكتاباتهم . »

وبين الغرض الحقيقى من زيارة قاضى قضاة اليمن ملك الحمادى للقاهرة (ص ١٧٥ — ١٧٧) قائلا :

« إن رواية الداعى حاتم بن إبراهيم الحمادى التى نقلها الداعى إدريس عن زيارة القاضى ملك للقاهرة لا تعطى صورة صحيحة عن دوافع هذه الزيارة . كلما حاولا إخفاءها بطريقة « التأويل والتفسير والباطن » — وهى تقديم القاضى ملك سبعة وعشرين سؤالا إلى الإمام المستنصر الذى خلع عليه سبعة وعشرين خلع عند السؤال ، وردده تكراما له بعد أن انتظر خمس سنوات — وضحت حقيقة هذه الدوافع ، وفقا لدلائل قرآن الأحوال .

« وإيفاد القاضي لك ربما أدى إلى عدة أمور نحو :

- ١ — أن الدعوة في اليمن حتى هذا الوقت لم تكن موروثة ، ولكنها كانت موجهة من هيئة الدعوة المركزية بمصر . ومن ثم كان المحتمل أن يطالب الملك على بن محمد الصليحي أن تستمر الدعوة بعد وفاته في أسرته . وكان من المرجح أنه ترك هذا الأمر للقاضي لملك لتسويته مع الخليفة الفاطمي .
- ٢ — والأمر الثاني هو مسألة نقل التراث الأدبي ، كما ذكرتم في مقالكم المعنون « تاريخ الدعوة وآدابها خلال المرحلة الأخيرة عن الخلافة الفاطمية » (JRAS, 1932) وفي مقالكم عن « مؤلفي الدعوة ومؤلفاتهم » (JRAS, 1933) .

٣ — والأمر الثالث كان مسألة تقرير تفاصيل انتشار تجارة المرور المتزايدة بين مصر والهند خلال اليمن .

٤ — والأمر الرابع أن تكون الاجراءات قد اتخذت فيما يختص بتعزيز الدعوة في الهند ، وإرسال دعاة جدد إلى غجرات — الأمر الذي حدث سنة ٤٦٠ هـ بعد عودة القاضي لك إلى اليمن مباشرة .

« ولم تكن هذه هي الأسباب الرئيسية لسفارة القاضي لك إلى مصر ، ولكنها كانت على الأكثر مجرد نتائج ضمنية لمفاوضات أطيل مدتها . والمدافع الأصلي كما أعتقد هو رغبة الملك على بن محمد الصليحي في الذهاب إلى مصر لينقذ الخليفة من مشاكه . ولنختبر التواريخ . . .

« بين عامي ٤٥٤ و ٤٥٩ وقعت مصر فريسة لأسوأ مجاعة وأشد وباء للطاعون وأقسى تخريب في تاريخها . وقد أجمعت مصادرنا على رسم صورة مخيفة لهذه السكارثة . وكانت الدولة الفاطمية على شفا الإفلاس ، ولم يكن ناصر الدولة في حال أسوأ من أحواله هذه ؛ فقد جعل بإسرافه في القتل والنهب بقاء الدولة الفاطمية أمرا مستحيلا ، وأصبح من المتوقع أن ينتهي حكمها بين آونة وأخرى . « ومرة أخرى كانت السنوات بين عامي ٤٥٤ و ٤٥٩ هي نفسها التي أوفد

فيها القاضي لك . وكانت هي نفس سنوات المجد والقوة للدولة الصليحية في اليمن .
وبينما كانت مصر في أشد حالات ضعفها في عام ٤٥٤ كانت اليمن في أوج عظمتها
وجبروتها ، لأول مرة متحدة تحت حكم الصليحي . وبالتالي كيد خلال مدة هذا
التناقض لم يكن هناك داع لزيارة قاضي قضاة اليمن للقاهرة إلا لأن يعرض
مساعدة ملك اليمن للإمام الخليفة المستنصر ، بمعنى أن يطلب الإذن لعاهله في
القدوم إلى مصر بجيش اليمن ، لكي ينقذ البلاد المصرية من المتاعب والبقاء فيها
كقوة عاملة نافذة .

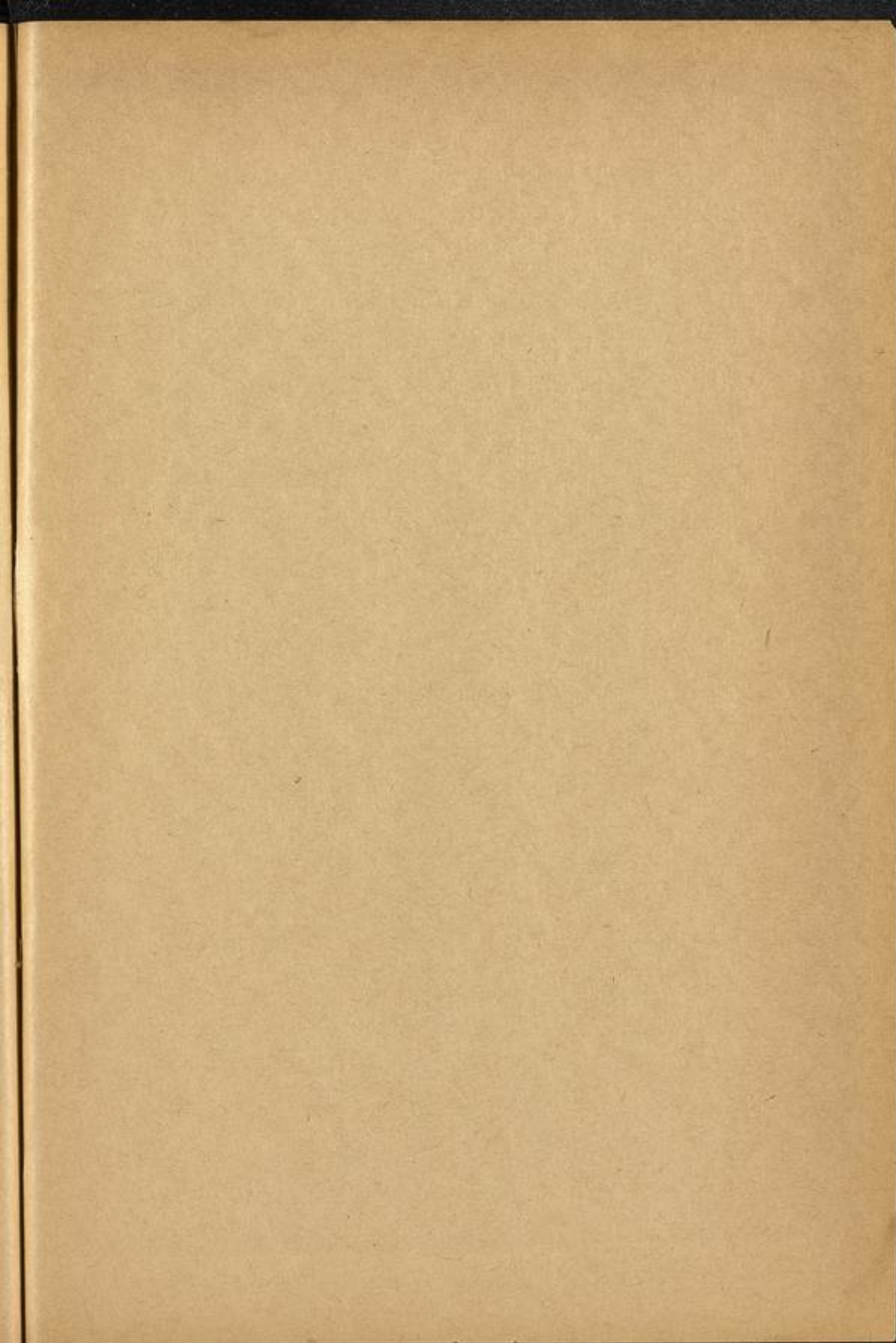
« وعلى الأرجح نظرا للصلات الطيبة بين دعوة اليمن بالهيئة المركزية ، ونظرا
لبقاء لك مع داعي الدعاة المؤيد ، كان الأمل كبيرا في أن يؤدي توسط المؤيد إلى
تحقيق رغبات ملك اليمن ، ولكن يبدو أن الإمام المستنصر كان معارضا لهذا ،
واستمر في تأجيل سفره .

« ولكن الصليحي قد نفذ صبره ، ولكي يعزز ضغطه أرسل القاضي عمران
ابن الفضل اليامي وسفراء آخر إلى الإمام المستنصر يسأله الإذن له بأداء فريضة
الحج ، وزيارة مصر بعد ذلك .

« وأصر أيضا على احتلال مكة . ولما كان الإمام على الأرجح قد اعتبر
ذلك خطوة أولى إلى التقدم نحو مصر فقد أصر بدوره على رفض السماح له بالزيارة ،
وطلب منه أن يوسع ملكه من ناحية حضر موت .

« ولكن الصليحي لم يستطع انتظارا . وفي سنة ٤٥٩ تقدم نحو مكة في
طريقه إلى مصر ، دون أن يتلقى إذنا من إمامه ، وضد رغبة هذا الإمام ، ولكن
لسوء الحظ قتل بأيدي آل نجاح أثناء رحلته . ولولا ذلك لوصل إلى القاهرة ،
ولقام بما شاء القدر أن يقوم به بدر الجالئ بعد ذلك .

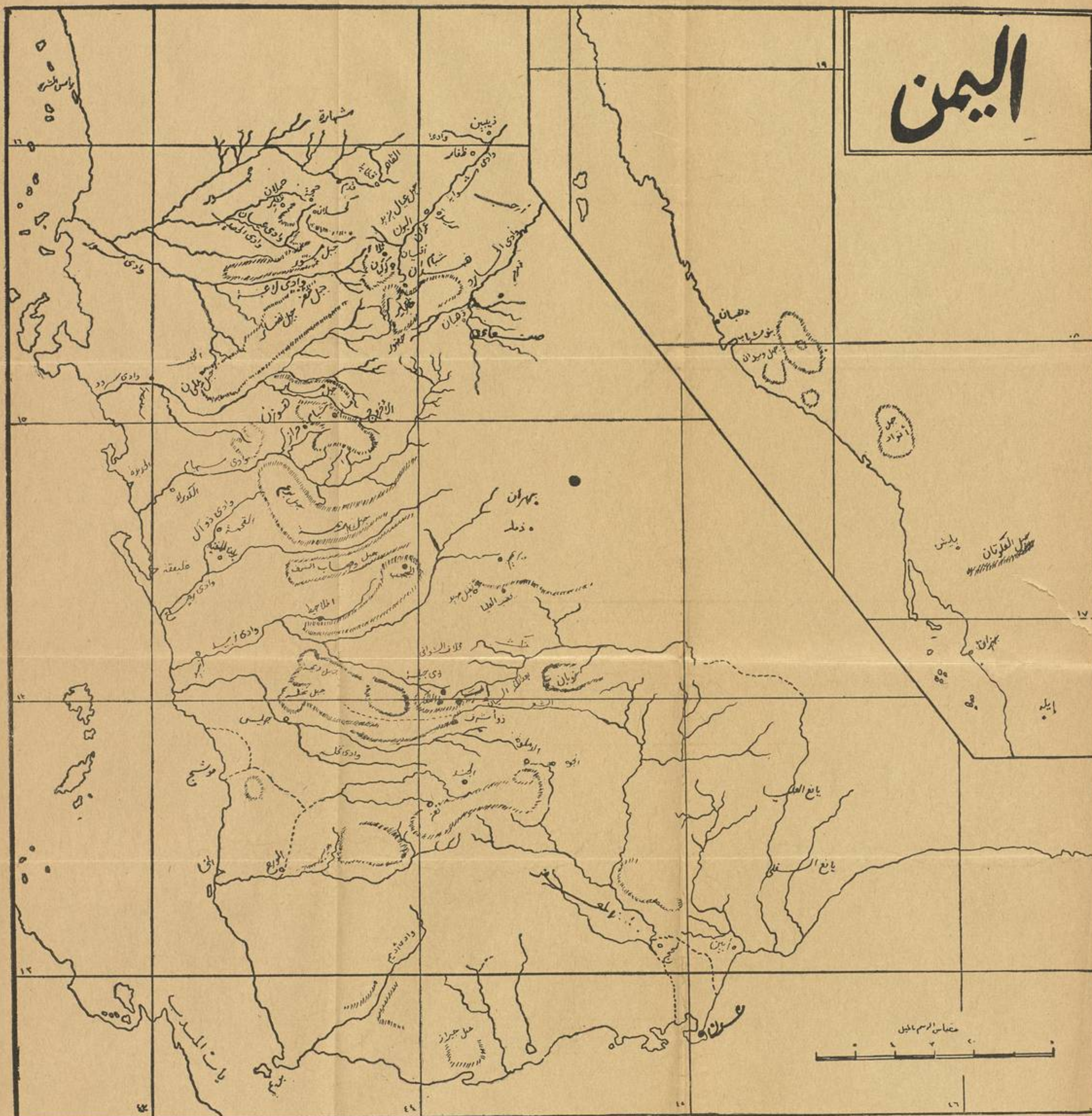
« وهكذا كان من الواجب أن تنتهي سفارة القاضي لك في سنة ٤٥٩ ، ولم
يتحقق الغرض الرئيسي منها ، وعاد إلى اليمن بعد أن حقق الأغراض الفرعية
لهذه الرحلة . »



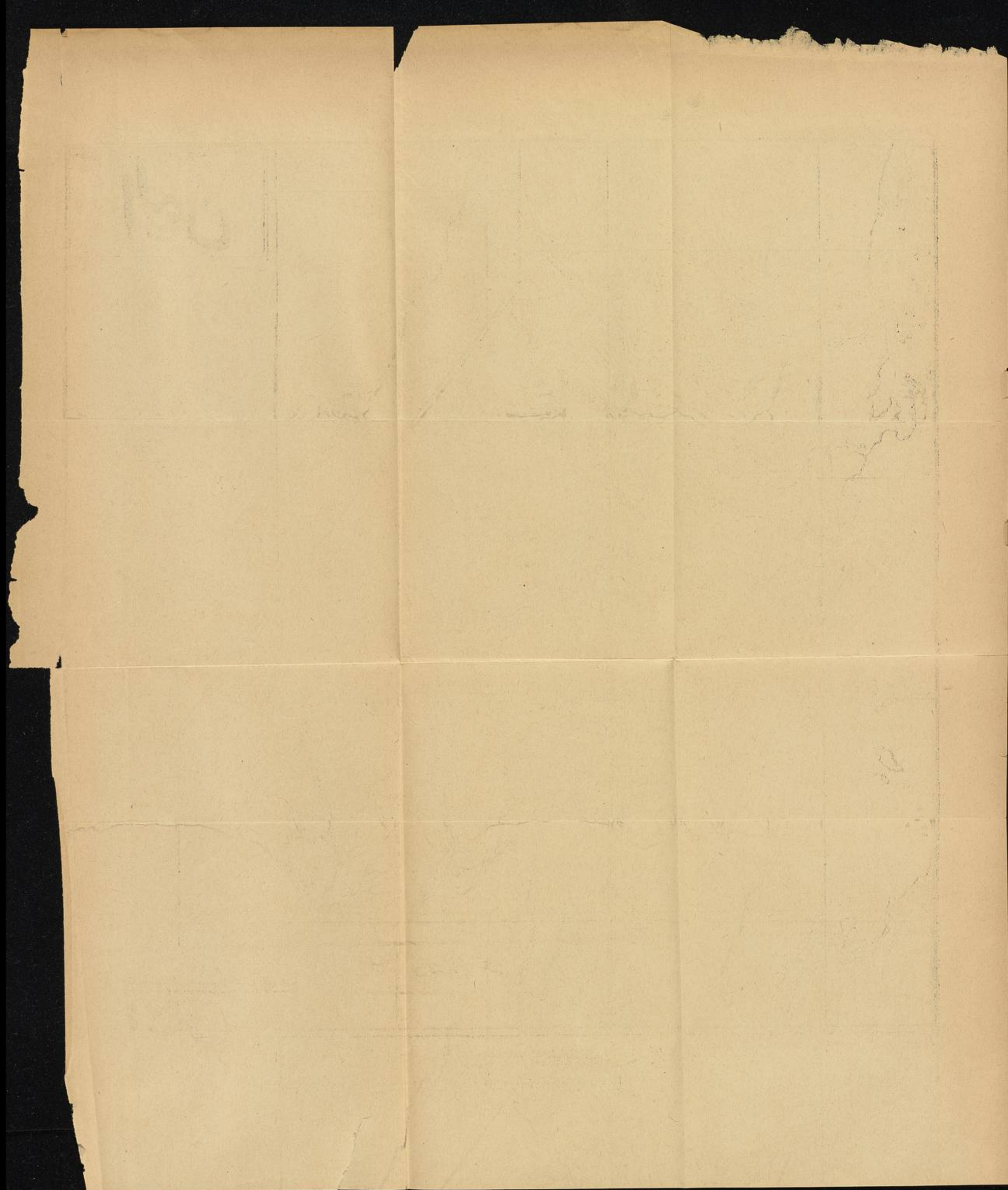
الفهارس

رتبها الدكتور حسن سليمان محمود

اليمن



[مصور تقريبي لبعض المناطق التي وردت أسماءها في الكتاب رسمه تلميذنا الدكتور حسن سليمان محمود مدرس الجغرافيا
واستعان في تقرير الأماكن بمساعدة السيد علي المؤيد وزير اليمن السابق بالقاهرة - المؤلف]



الأعلام

(١)

إبراهيم بن إسحاق الزبيدي ٣٨
 إبراهيم بن الأشتر ١٨ ، ٢٣
 إبراهيم بن الحسين الهامدي ١٩٠ ، ٢٤٦ ،
 ٢٧٢ ، ٢٧٠ ، ٢٦٩ ، ٢٦٨ ، ٢٥٨
 . ٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٩٨ ، ٣٥٣
 إبراهيم الخليل ٣٢٤
 إبراهيم بن أبي سلمة ٢٨٣
 إبراهيم السباعي ٥٤ ، ٥٥
 إبراهيم بن أبي قيس الحضري الإمام ٩٧ ، ٣٥١
 إبراهيم بن محمد بن زبدان ١٦٥
 إبراهيم بن محمد الصليحي ١٠٠ ، ١٠١
 ابن الأنبر ١٨ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٣٩ ، ٤٥ ،
 ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٣٥١
 الأجل الأوحده : انظر على بن محمد الصليحي
 أحمد بن أسعد بن شهاب ١٠٠
 أحمد بن الحبير الهبري ٢٧٤
 أحمد بن الحسن ٢٠١
 أحمد بن الحسين الصليحي ١٨٦ ، ٢٠٧ ، ٣٣٠
 أحمد بن سعيد الجزلي ٢٠٠
 أحمد بن سليمان الشريف ٢٣٨
 أحمد بن سليمان بن عامر الزراحي ١٤٧
 أحمد بن شريح البغدادي ٢٥٦
 أحمد بن عبد الله بن خليف ٣٢
 أحمد بن علي التهاوي ١٣٢
 أحمد بن علي الصليحي (المسكرم) ٦٦ ،
 ٨٨ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ،
 ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤ — ١٤١ ،
 ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١ ،
 ١٥٤ ، ١٦٤ ، ١٦٣ ، ١٧٤ ،
 ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠

١٩١ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،
 ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ،
 ٢٢٦ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ،
 ٢٣٧ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ،
 ٢٩٧ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ،
 ٣٠٥ ، ٣٠٨ ، ٣١٢ ، ٣١٩ ،
 أحمد بن علي الغساني الأسواني ١٩٠ ،
 ١٩١ ، ١٩٢
 أحمد بن عمران بن الفضل الياي ١٥٣
 أحمد بن الفضل ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ،
 أحمد بن قاسم بن دلي ٢٦٨
 أحمد بن المبارك بن الوليد القرشي ٢٩٥
 أحمد بن محمد بن قاسم الصليحي ١٤٧ ، ٢١٩
 أحمد أبو القاسم بن المقتصر . انظر المستعلي
 أحمد بن الإمام عبد الله المنصور بن حمزة
 ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣
 أحمد المظفر الصليحي ٧٩
 أحمد بن منصور بن المفضل ٢٤١
 أحمد ، مولاى (يا لم فات) ٢٢٥
 أحمد النيسابوري ٢٥٧
 أحمد بن يعقوب ٢٧٢
 إدريس عماد الدين ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٤ ،
 ٣٤ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٥٢ ،
 ٥٤ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ٧٤ ،
 ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ٩٢ ، ١٠١ ، ١٣٠ ،
 ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،
 ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ،
 ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٩١ ، ١٩٩ ،
 ١٩٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٧ ،
 ٢٠٨ ، ٢٢٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ،
 ٢٥٣ ، ٢٧٥ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ،
 ٢٩٨ ، ٣٥١ ، ٣٦٩

١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ،
١٤٧ ، ١٧٥ .

إسماعيل بن إبراهيم ٢٢٢ .
إسماعيل بن جعفر الصادق ٢٥٥ ، ٢٦٤ .
إسماعيل بن طفتكين ٢٨٤ .
إسماعيل بن عبد الرسول ٢٥٢ ، ٢٥٣ ،
٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ،
٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ ،
٢٩٧ ، ٣٥٢ .

إسماعيل بن عبد الله بن عمر الصغالي ٣٣٠ .
إسماعيل أبو القدا ١٨٥ .
إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي ١١٥ ، ١١٦ ،
١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،
٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ .

الأشتر النخعي : انظر مالك الأشتر وإبراهيم
الأشتر

الأصبهاني ٢٥ ، ٩٩ ، ١٠٧ ، ١٤٧ ،
١٥٢ ، ١٩٥ .

آصف فيضي ٢٥٣ ، ٢٦٦ .
الاعز : انظر محمد الأعز الصليحي .
الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي ١٦٣ ،
١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٨ .

الأمير بالله بن المستعلي ٤٠ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ،
١٧٢ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ،
١٨٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٥ ، ٢١٨ ،
٢٣٠ ، ٢٥٠ ، ٢٥٥ ، ٢٦٦ ،
٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٣٢١ ،
٣٢٤ ، ٣٥١ .

إلياد بن نزار ١٨ .
ابن إلياس ٩٣ ، ٣٥٢ .
إيفانو ٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢ ،
٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٢٧٢ ، ٣٥٢ .

(ب)

بالم نات : انظر أحمد مولاي .
بدر الجمالي ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢١٧ ، ٢٣٠ ، ٢٦٦ ، ٣٥٢ ،
٣٧١

أرسطاطاليس ٢٧٣ .

ألب أرسلان ٩٣ .

أرندونك ٤٢ .

أروى بنت أحمد، الملكة الحرة ٢ ، ٢٢٩ ،
١٣١ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤١ ،
١٩٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ،
٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ،
٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ،
٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ،
٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ،
٢٤٥ ، ٢٥٠ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ،
٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٨٩ ، ٢٩٧ ،
٢٩٨ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٩ ،
٣٣٠ .

أروى بنت علي بن عبد الله، الأميرة الصليحية
٢٠٩ ، ٢٤١ .

الأزدي بن ظافر ٦٧ ، ٣٥١ .

الأزهري ١٢٣ .

إسحاق بن إبراهيم أبو الحسين ٢٨ .

أسامة بن زيد ١٢١ .

إسحاق بن طريف ٣٤ .

إسحاق بن مرزوق ٢٠٠ .

أسعد بن شهاب ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٤ ، ٩٥ ،
٩٦ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١٣١ ،
١٣٢ ، ١٣٦ .

أسعد بن عبد الصمد بن محمد الخوالي ١٧٣ .

أسعد بن عبد الله الصليحي ١١٩ ، ١٢٨ .

أسعد بن عراف ١٥١ .

أسعد بن أبي القتوح الحميري ١٦٧ ،
١٦٨ ، ١٧١ .

أسعد بن أبي يعفر الخوالي ٣٧ ، ٤٧ .

إسكندر الأفروديسي ٢٦٩ .

أسماء بنت شهاب ٦٦ ، ٦٧ ، ٨٥ ، ٨٧ ،
٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١١٣ ،
١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٦ .

الحسين بن سلامة ٦٢ ، ٦٣ .
 الحسين بن علي بن أبي طالب ٢٢ ، ٢٣ .
 ٢٩ ، ٣١ ، ٧٧ ، ١٧٥ ، ١٧٧ .
 ٣٢٤ ، ٣٠٩ .
 حسين بن فيض الله البعري الهمداني ٦٤٥ .
 ١١ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ .
 ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٧٢ .
 ٢٨٠ ، ٢٩٢ .
 الحسين بن علي القمي ٦ ، ٨٦ ، ١٠٣ .
 ١١٢ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٩ .
 ١٦٠ ، ١٦١ ، ٣٠٨ ، ٣٥٧ .
 الحسين بن عمران بن الفضل الياي ١٥٣ .
 ٢٠٨ .
 الحسين بن عمران السنجاني ١٢٠ ، ١٢٣ .
 الحسين بن القاسم ١٢٧ .
 حسين بن معيرة التبعي ٨٥ ، ١٢٨ ، ٣١٣ .
 حسين بن منصور الحلاج ٢٤٩ .
 سالم بن شيبان ٢٢٣ .
 الحلواني ٣٨ ، ٣٩ .
 حماس بن القتيب الهمداني ٢٣٩ .
 ابن حمدان ناصر الدولة ٢١٨ .
 حمزة سبط حميد الدين ٢٢٢ .
 حمزة الدرزي ٢٥٩ .
 حمزة بن هاشم الحسي ١١٧ ، ٣١٢ .
 الحوالي ٣٥ ، ٤٨ ، ٣١٥ .
 ابن حوقل ٢٢٣ .
 ابن حيدرة ، الشريف ١٨٣ .

(خ)

خالد بن أبي البركات ١٦٢ .
 ختكين الضيف ٢٨٥ .
 خديجة بنت خويلد ٢٥٥ .
 ابن خرداذبة ٢٩٢ ، ٣٥٤ .
 الخرجي ٧ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٨ ، ١٣٥ .
 ١٤٢ ، ١٦٥ ، ٣١٩ ، ٢٩٤ ، ٣٥٤ .
 الحضري ١٢١ .

٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٧٢ .
 ٣٠١ ، ٣٢٤ .
 ابن حجر الحافظ العسقلاني ١٧٩ ، ٢٥٣ ، ٣٥٣ .
 الحجري ، القاضي محمد ١١ ، ٦٤ ، ١٨ .
 ١٠٢ ، ١٥٢ ، ٣٥٤ .
 حرث بن شرحبيل ١٩٤ .
 ابن حزم ١٨ ، ٢٥ ، ٣٨ ، ٣٥٤ .
 حسام الدولة المستنصري ٣١٧ .
 الحسام لؤلؤ ٢٩٠ .
 حسن إبراهيم حسن ٥٠ ، ١٧٨ ، ٣٥٤ .
 الحسن أبو محمد بن يعقوب الهمداني ١٢ .
 ٢٢ ، ٤٣ ، ٦٤ ، ٧٢ ، ١٩٤ .
 الحسن بن أبي الحافظ الحجوري ٢٠١ ،
 ٢٠٢ .
 الحسن بن محبوب : انظر الحسن بن
 منصور المين .
 حسن سليمان محمود ١٠ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٨٤ .
 الحسن بن عبد الحميد بن محمد بن المستنصر ١٨٤ .
 الحسن بن عمر السنجاني ١١٥ ، ٣١٢ ،
 ٣١٦ .
 الحسن بن علي بن أبي طالب ٢٥٥ ، ٢٧٩ ،
 ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣٢٤ .
 الحسن بن علي بن رسول ٢٩٢ ، ٢٩٣ ،
 ٢٩٤ .
 الحسن الفرغاني ٢٥٨ .
 حسن بن محمد ، ابن النساخ ٢٨٦ .
 الحسن بن محمد بن أبي عقامة ٩٨ ، ١٠٧ ،
 ١١٢ .
 الحسن بن محمد المهدي ٢٧٢ .
 الحسن بن منصور المين ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ،
 ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٦١ .
 الحسن بن نوح البهروزي ٧٤ ، ١٧٦ ،
 ٢٧٩ ، ٣٥٤ .
 الحسين بن مهمل ١٠٧ ، ١٢٠ ، ١٢٣ .
 الحسين بن أحمد ، الإمام ٢٩ ، ٣٣ .
 الحسين بن إسماعيل الأسبهاني ١٥٧ ، ١٥٨ .

الرداح بنت الفارح ١٤٣ .
ابن رحيم : انظر هارون بن محمد بن رحيم .
ابن رسلان ١٨٤ .
الرشيد ، الخليفة العباسي ٦٤
وضوان الوزير ١٨٥ .
روب نات : انظر مولاي نور الدين .

(ز)

زاهد علي ٢٥٦ .
زريع بن العباس ١٦٤ ، ١٩١ .
زريع بن أبي الفتح ١٥٨ .
زياد بن كعب ١٧ .
زيد بن علي ، الإمام ٢ ، ٢٨ .
زينب بنت علي بن أبي طالب ٨٣٣ .
ابن زينون أبو سعد منصور ٢١٣ .
ابن زيني دحلان ٨٩ ، ٣٥١ .

(س)

سبا بن أحمد بن شهيد بن محمد ٣٣٠ .
سبا بن أحمد الصليحي ١٠٧ ، ١٣٠ .
١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ .
١٦٥ ، ٢٣٩ ، ٣١٢ ، ٣١٦ .
٣٣٠ .
سبا بن أبي السعود الزريعي ١٦٩ ، ١٧١ .
١٨٩ ، ١٩١ .
ابن سبا عبد الله الصنعاني ١٥ ، ١٦ .
سبا بن يوسف البعري ٢٧٥ ، ٢٧٦ .
٢٧٨ .

السباعي ١٧٥ .
ستروطمان ٩ ، ١٩٥ ، ٢٠٣ ، ٢٥٧ .
٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٥٥ .
سجاع بن أبي العسكر ٣١٧ .
السجستاني ، أبو يعقوب ٢٤٤ ، ٢٤٥ .
٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ .
٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ .
٢٧٨ ، ٢٨٣ ، ٢٥٦ ، ٣٦٩ .

المطلب بن الحسن المجوري ٣٨ ، ١٤٤ ،
١٩٠ ، ١٩٣ — ٢٠٤ ، ٢٠٩ ،
٢٣٠ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٦٩ ،
٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ،
٣٥٤ .

ابن خلدون ١ ، ٧ ، ٣٥٤ .
خلف بن أبي الطاهر ١٥١ ، ١٥٢ .
ابن خلكان ٧٤ ، ٢٥٣ ، ٣٥٥ .
ابن خليع ٣٣ .
حنفر بن سبا الأصغر ٣٠ ، ٣٦ .
خوج بن ملك ٢٢٤ ، ٢٢٦ .
الموفق بن الحياط ١٧٢ ، ١٧٣ .

(د)

داود ١٤٦ .
داود بن ناصر ٢٢٣ .
درع بن يشكر ١٦ .
الدعام ١٢٧ .
ابن الديلم الشيباني ٧ ، ١٤ ، ١٠٢ ،
١٢١ ، ١٣١ ، ٣٥٥ .
ديور ٢٥٨ ، ٣٥٥ .
دي خويه ٢٢٣ ، ٢٥٧ .

(ذ)

الذؤيب بن موسى الوادعي ٤ ، ١٨١ ،
١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ،
١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٤ ،
٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ،
٢٩٨ .
ذو وزن ٢٥ .

(ر)

الرازي ، أبو حاتم أحمد بن حمدان ٢ ، ١٣ ،
٥٧ ، ٥٩ ، ٢٤٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ،
٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٣٦٩ .
الرازي ، محمد بن زكريا ٢٥٢ ، ٢٥٩ .

شرف على بن ملاوى ١٧٦ ، ٣٥٦ .
شكر الحسنى ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ .
شهاب بن عقيل ٣٧ .
شهریار بن حسن ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧٢ .
شمس الدين أحمد بن الإمام عبد الله المنصور
ابن حمزة : انظر أحمد بن الإمام عبد الله
المنصور .
شمس المعالى على بن سبا : انظر على بن سبا
الشيرازى (رسول المستنصر إلى الصليحي)
١٥٥ .
الشيرازى ، هبة الله بن موسى : انظر
المؤيد فى الدين .

(ص)

صارم الدين صاحب البسامة ٨٢ .
صاعد بن حميد ١٦٩ .
صلاح الدين بن أيوب ٢٤١ ، ٢٤٢ .
الصليحي : انظر على بن محمد الصليحي .
الصيرفى ، ابن منجب ٢١٣ ، ٣٥٦ .

(ط)

ابن طرف ٢٨٣ ، ٨٤ .
طغتكين ١٢٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٧٨ .
ابن أبى الطغليل ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩ .
طه شرف ١٨٠ ، ٣٥٦ .
طوق بن ناسك ٢٢٧ .
الطوق الهمدانى ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ .
الطيب بن الأمر ١٨٢ ، ١٩٢ ، ٢٠٧ ،
٢٠٩ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٦٣ ،
٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٨٧ ،
٢٩٠ ، ٢٩٦ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ .
٣٢٤ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ .
الطيباوى ٢٥٨ ، ٣٥٦ .
أبو عبد الله الطيب (رسول سبا إلى
المستنصر) ١٥٧ .

الخطي ١٢٨ ، ٣١٥ .
سدهراج جيسنغ ٢٢٥ .
سعد الله (أحد رسل المستنصر للصليحي)
١٥٥ .
أبى السعود بن أسعد بن شهاب ١٠٠ ،
١٣٦ ، ١٤٨ ، ٣١٥ .
أبو السعود بن زريع ١٦٤ .
سعيد الأحول : انظر سعيد بن نجاح .
أبو سعيد الجنابى ٤٥ ، ٥٠ ، ٢٦٧ .
سعيد بن سعد بن عبادة ٢١ .
سعيد بن قيس الهمدانى ١٧ ، ٢٠ ، ٢١ .
سعيد بن نجاح ٨٥ ، ١٠١ ، ١٢٣ ،
١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ،
١٣١ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٥١ ، ٣١٠ .
أم سعيد ٢٢ .
أبو سفيان ٣٨ ، ٣٩ .
سليمان الأيوبى ٢٨٦ .
سليمان بن الحسن الحجورى ١٨٤ ، ١٩٥ ،
٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٦٦ .
سليمان بن صرد ٢٣ .
سليمان بن عامر بن سليمان الزواحى ١٤٣ ،
١٥٧ ، ٢٣٧ .
سليمان بن داود ١٤٦ .
سليمان بن عبد الله الزواحى ٧٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ،
٦١ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٤ .
سليمان بن مسلم بن الزر ١٦٧ ، ١٦٩ ،
١٧١ ، ١٧٤ ، ١٩٠ ، ٢٤٠ .
سنقر ٢٨٥ .
سودان بن أبى رومان ١٦ .
سويد بن زيد الصليحي ١٥٩ .
السيد الحميرى ٢٥ .
ذو السيفين : انظر أحمد بن على الصليحي
(المكرم) .

البيوطى ١٦ ، ١٨٥ ، ٢٥١ ، ٣٥٦ .
(ش)
الشاورى : انظر عبد الله بن عباس المشاورى

(ظ)

الظاهر لدين الله ٤ ، ٣٢ ، ٥٨ ، ٦٠ .

(ع)

عائشة بنت أبي بكر ١٧٤ ، ١٩٠ .

عامر بن سليمان الزواحي ٧٩ ، ١٠٦ ،

١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٨ ،

١٣٠ ، ١٣١ ، ١٤٣ ، ١٥٤ ،

١٥٥ ، ١٦١ ، ٢٦٦ ، ٢١٢ ،

٣١٥ .

عباس بن حسين بن فيض الله الهمداني

اليعربي ١٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ،

٢٢٦ ، ٣٦٧ .

عباس عزاوي ٢٩٥ .

العباس (عم النبي) ص ١٥ .

ابن العباس الداعي : انظر عبد الله بن

العباس الشاوري

عباس العقاد ٣٣ ، ٣٥٦ .

عباس بن الكرم ٧٩ ، ١٠٦ .

عبد الأعلى بن عبد المجيد ٣٠٥ .

عبد الرحمن بن عويس ١٦ .

عبد الرحيم بن ابراهيم الحوالي ٢٨ .

ابن عبد الحكيم ١٥ ، ٣٥٦ ،

عبد الأعلى بن عبد القادر ٢٢٤ .

عبد الكرم خليفه ٢٥٨ ، ٣٥٦ .

عبد المجيد بن محمد بن المستنصر ١٤٢ ،

١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ،

٢٠٩ ، ٢٦٩ ، ٢٧٥ .

عبد النعم ماجد ٦ .

عبد المستعلي بن أحمد بن سليمان الزواحي ١٤٧

عبد النبي بن علي بن مهدي ٢٣٨ ، ٢٤١ ،

٣٧٧ .

العبد بن نجاح : انظر سعيد الأحوال .

أبو عبد الله الشيعي ٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٣٦٨ ،

عبد الله الداعي جد إدريس محماد الدين ٤ .

عبد الله بن الحسين الإمام المهدي القاطمي

٢٩ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٩ ،

٤٠ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٦ ،

٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٧٩ ،

٣٦٧ ، ٣٦٨ .

عبد الله العربي ٢٢٥ .

عبد الله المنصور بن حمزة ٢٨٦ ، ٢٨٧ ،

٢٩٠ ، ٢٩٢ .

عبد الله بن ربيعة ٢١ .

عبد الله بن زياد ١٨ ، ٢٣ .

عبد الله بن عبد الله أبي منصور بن أبي

الفتح ٢٨٥ .

عبد الله بن عباس ١٧٤ ، ١٩٠ .

عبد الله بن عباس الشاوري ٢١ ، ٤٩ - ٥٣ ،

٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦١ .

عبد الله بن علي العلوي ٢٢٣ .

عبد الله بن علي ١٧٥ ، ١٧٧ .

عبد الله بن عمر ١٧٥ ، ١٧٧ .

عبد الله بن محمد الصليحي ٨٨ ، ١٠٠ ،

١٠١ ، ١٠٧ ، ١٣٥ ، ١٦٢ .

عبد الله بن معمر ١٢٨ .

عبد الله بن قحطان ٤٨ ، ٥٦ ، ٥٧ .

عبد الله بن المصوع ١٦٢ .

عبد الله بن محمد بن بشر ٥٦ ، ٥٩ .

عبد الله بن يعلى الصليحي ١٠٧ ، ١٥٤ ،

١٦٧ .

عبد الواحد بن بشاره ٣٠٥ .

عبد الواحد بن نجاح ١٦٤ .

عثمان بن عفان ١٢ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ،

٢١ .

ابن العرجي ٥٥ .

العرشي ٧٤ ، ١٠٥ ، ١٢٦ ، ٣٥٦ .

عز الدين عثمان بن الزنجيلي ٢٤٢ .

عز الدين محمد بن الإمام عبد الله المنصور بن

حمزة ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

العزيزي ١٨٤ .

العزير بالله ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ،
 ٢٥٧ ، ٢٧٨ ، ٣٢٤ .
 الصقلاني : انظر بن حجر .
 عقيل بن أبي طالب ٣٠ .
 ابن أبي العلاء ٣٥ ، ٣٦ .
 علي بن إبراهيم بن نجيب الدولة ١٦٨ ،
 ١٧٤ ، ٢٠٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠ .
 علي بن أحمد السكرم ٢١٤ ، ٢١٦ .
 علي بن حاتم بن إبراهيم الحامدي ٣٥٣ ،
 ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩٦ ، ٣٥٣ .
 علي بن حاتم اليامي ١٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٧٣ ،
 ٢٧٤ ، ٢٧٧ .
 علي بن الحسين بن جعفر الأنف القرشي
 الغيشمي ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٩٨ .
 علي بن حفظة ٢٨٤ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ ،
 ٢٩٨ ، ٢٩٧ .
 علي بن زيد بن إبراهيم ٢٤٠ .
 علي بن عبد الله بن محمد الصليحي ١٧١ ،
 ١٧٤ ، ٢٠٩ .
 علي بن سبأ بن أحمد الصليحي ، شمس المعالي
 ١٤٧ ، ١٦٣ .
 علي بن سليمان الزواحي ١٧١ .
 علي بن سويد الصليحي ١٢٨ .
 علي بن محمد الصليحي ٤٩ ، ٥٨ ، ٦٠ ،
 ٦١ ، ٦٢ - ١٢٢ ، ١٤٣ ، ١٦٢ ،
 ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ،
 ١٩١ ، ١٩٣ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ،
 ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ،
 ٢٢١ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ،
 ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ،
 ٢٦١ ، ٢٧٥ ، ٢٨٣ ، ٣٠٢ ،
 ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٧٠ .
 علي بن أبي طالب ٤ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ،
 ١٥ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٦ ،
 ٤٤ ، ٧٧ ، ٢٠٦ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤ ،

٢٨٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٣٠٩ ،
 ٣١٨ ، ٣١٩ .
 أبو علي بن الفضل ٢٦٩ .
 علي بن الفضل الجيشاني الجندني الخنفرى ٢٨ ،
 ٤٩ ، ٥٧ ، ٢٤٩ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ .
 علي بن قتيبة ٢٥٦ .
 علي بن القم ١٥١ .
 علي بن مالك بن شهاب الصليحي ١٣٢ .
 علي بن محمد الوليد الأنف القرشي الغيشمي
 ٢٤٦ ، ٢٧١ ، ٢٩٨ ، ٣٥٧ .
 علي بن مهدي ٣٦ ، ٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ،
 علي المؤيد ١٠ .
 علي بن يحيى بن حمزة بن وهاس ٢٠٠ .
 عمارة ٣ ، ٧ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ١٠١ ،
 ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١١٢ ، ١٢٠ ،
 ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ،
 ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،
 ١٥٠ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ،
 ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ،
 ١٧٤ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ،
 ١٨٩ ، ١٩٤ ، ٢١٨ ، ٢٣٧ ،
 ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٥٧ .
 عمار بن ياسر ١٣ ، ١٦ .
 عمران بن محمد الزريمى ١٤٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ،
 عمران بن الفضل اليامي ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٦ ،
 ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٣١ ، ١٣٦ ،
 ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ،
 ٢٧٠ ، ٢٨٧ ، ٣٠٦ ، ٣١٣ .
 عمر الدسوقي ١١ ، ٢٥٨ ، ٣٥٧ .
 عمران بن مسلم بن الزمر ١٦٧ ، ١٦٩ ،
 ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٩٠ ، ٢٤٠ .
 عمر بن علي بن رسول ٢٩٤ ، ٢٩٧ .
 عمر بن الخطاب ١٥ .
 عمر فروخ ٢٥٨ ، ٣٥٧ .
 عمر بن الحصين ٢١ .
 عمر بن عبد العزيز ٢٤ .

- عمر بن المرحل الحنفي ٦٥ .
 عمرو بن أبي أراكه ٢١ ، ٢٢ .
 عمرو بن عامر ٢٨٢ .
 عمرو بن عرفة الجني ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٧١ .
 عمرو بن يحيى الهيمى ٦٧ ، ٦٩ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٣ ، ١١٢ ، ١١٨ ، ١٢٦ .
 ١٣٤ .
 عمرو بن العاص ١٥ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٨٨ .
 عنتر بن غشم ٩٦ ، ٣٢٦ .
 عيسى بن العادل الأيوبي ٢٩٤ .
 عيسى بن موسى ١٣٣ .
 عيسى التوشري ٤٠ .
 العيني ٣٨ ، ٩١ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١٨٥ ، ٣٥٧ .

(ق)

- القاسم بن جعفر الرنسي ٨٢ ، ١٢٠ ، ١٢٧ ، ٣١٤ ، ٣١٥ .
 القاسم بن عبد العزيز ١٧٦ .
 أبو القاسم . انظر منصور اليمن .
 أبو القاسم بن أبي النور ٣١٧ .
 قاسم بن يحيى الشريف ٢٤١ .
 القاضي الرشيد : انظر أبو الحسن الفسائي .
 القائم العباسي ٨٤ ، ٩٤ .
 القائم بن المهدي الفاطمي ٥٢ ، ٢٥٦ ، ٣٢٤ .
 ابن قتيبة ٢٢ ، ٣٥٧ .
 القلقشندي ٣٨ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٣٥٨ .
 القمي (ابن القم) : انظر الحسين بن علي القمي .
 قونص ١٨٤ .
 قيس بن أحمد الصليحي ١٥٢ ، ١٥٤ .

(ك)

- كاكا أكبلا ٢٢٥ .
 كاكا أكيلي ٢٢٥ .
 الكامل الأيوبي ٢٨٦ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ .
 كاي ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ٧١ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٣٠ .
 ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٩ .

(غ)

- أبو الغارات بن مسعود ١٦٤ .
 غانم بن يحيى بن حمزة الشريف ٢٤٠ ، ٢٤١ .
 الغزالي ٢٦٠ ، ٢٩٠ .
 الغفازي أبو ذر ١٣ .
 غوثيه ٢٥٣ .
 غوست ٢٥٣ .
 غولد تصير ٢٨٨ ، ٢٩٠ .
 غويدي ٨٤ .
 غيب ٣٥٧ .
 أبو الغيث بن سامر ١٧١ .

(ف)

- الفاتك بن جياش ١٥١ .
 فاطمة بنت أحمد المكرم ١٧٤ ، ١٦٣ .
 فاطمة الزهراء ٢٦ ، ٣٥٥ ، ٣٠٩ .
 الفارابي ٢٦١ .
 الفاسي ٩١ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ٣٥٧ .
 الفاكهي ١٠١ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ٣٥٧ .
 الفائز الفاطمي ١٨٧ .
 فتح بن مفتاح ١٦٧ .
 فتوح الشامي ٩٧ .

٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٥ ، ٢٤٧ ،
٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ،
٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ ،
٢٧٨ ، ٢٩٨ ، ٣٥٩ ، ٣٧١

للرد ١٨ ، ٣٥٩ .

مارك بن منقذ سيف الدولة ٢٤٢

التنزي ٦٦

التوكل الخليفة العباسي ٢٨

ابن المحاور ٢٨ ، ٢٥٩ .

حب الدين الخطيب ١٩ ، ٢٠ ، ٦٤

أبو المحاسن ٩٢ ، ٣٥٩ .

الحسن بن الحسن ٢٣٧ ، ٢٤٠

الحسن بن أبي الفضل بن محمد ٣١٩

ان محفوظ ٢٤

محمد بن إبراهيم بن عمر ٢٨٩

محمد بن إبراهيم الصليحي ١٢٨

محمد بن أحمد الأحوري ٢٨٤

محمد بن أحمد المكنى بسعيد الخير (أبو علي

الحكيم) ٣١

القاضي محمد ، والد علي الصليحي ٦٤ ، ٦٥

محمد بن أحمد بن العباس الشاوري ٥٦ ، ٦٠

محمد بن أحمد بن علي الصليحي ١٤٧ ، ١٤٩

١٥٦ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧

محمد بن أحمد بن عمران الياي ١٧١ ، ١٧٤ ،

٢٠٩

محمد بن الأزدي ١٧٣

محمد بن إسماعيل الإمام المستور ٢٥٥ ،

٣٢٢

محمد بن أبي بكر ١٥

محمد بن جعفر ٩٢ ، ٩٣ ، ١٢٠ .

محمد جمال سرور ٨٨ .

محمد الحبيب والد عبيد الله ٣٨ .

محمد الحجري : انظر الحجري القاضي محمد .

محمد حسن ١٤٦ .

محمد بن حسن (رسول الصليحي إلى المستنصر)

١٧٥ ، ١٧٧ .

١٤١ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ،

١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ،

١٧٤ ، ١٧٣ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ،

٢١٨ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٣٢١ ، ٣٥٨ ،

الكيسي ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ١٩٢ ،

١٤١ ، ٣٥٨ .

ابن كثير ٤ ، ١٣ ، ٣٥٨ .

كتامة بن بشر ١٦

ابن كدينه ٢١٣

كراس ٢٥١ ، ٢٥٩

الكرمانى ، أحمد حميد الدين ٢٤٥ ، ٢٥٢

٢٥٣ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ،

٢٦١ ، ٢٦٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٣٥٨ .

كرانوطا ٢٥٨

الكلالى ، أبو اسماعيل ١٢٨ ، ٣١٣

الكندى ١٦ ، ١١٠ ، ٢٥٣

كونس ٢٧٠

(ل)

ملك بن مالك ٧٩ ، ١٧٠ ، ١٧٦ ،

١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ٢١٦ ،

٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ،

٢٦٨ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠

لويس برنارد ٣٧ ، ٣٥٩ .

(م)

مارغليوس ٢٦٢

مالك الأشتر النخعي ١٨ ، ١٩

مالك بن شهاب الصليحي ١١٣ ، ١١٨ ،

١٢٣

مالك بن نباح ١٣١

المأمون البطاحي ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ،

٢٣٠

المأمون العباسي ٢٨

المؤيد في الدين هبة الله بن موسى الشيرازي

١١١ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ،

محمد بن أبي حذيفة ١٦ .
 محمد بن أبي زياد ٢٨ ، ١٦٦ .
 محمد بن سبأ الزيمي ٢١٩ ، ٢٤١ .
 أبو محمد سرور (من قواد الخليفة) ٢٠٠ .
 محمد بن طاهر الجارقي ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ،
 ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٢٨٧ ،
 ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٣٥٣ .
 محمد بن عبد الله بن العباس ٣٨ .
 محمد بن أبي العرب ١٦٩ .
 محمد الفقيف الوزير ٢٨٧ .
 محمد بن علي (رسول الصليحي إلى المستنصر)
 ٣٠٥ ، ٣٣٠ .
 محمد بن علي بن أبي زيد ٢٧٢ .
 محمد الأعز بن علي الصليحي ٩٥ ، ٩٦ ،
 ١١٣ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ،
 ٢١٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ .
 محمد علي الحمداني البعري ٢ .
 محمد بن عبد الله (النبي) ١٨ ، ٢١ ، ٢٦ ،
 ٤٩ ، ٧٧ .
 محمد بن علي الياي ١٢٠ .
 محمد بن عليه ١٢٢ .
 محمد بن غفاري ١٥٢ .
 محمد كامل حسين ٩ ، ١٠ ، ١٦ ، ٣٠ ،
 ١٨٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ،
 ٢٥٥ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،
 ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٣٥٩ .
 ماضي ، محمد عبد الله ٢٥ ، ٣٧ ، ٥٥ .
 الحمادي ، الفقيه محمد بن مالك ٧ ، ٢٩ ،
 ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٨ ،
 ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٨ ،
 ٥٩ ، ٦٠ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ١٠٩ ،
 ٢٣٥ ، ٢٤٩ ، ٣٥٤ .
 محمد بن مالك بن شهاب الصليحي ١٣٢ .
 محمد مصطفي حامي ٢٦٠ .
 محمد بن منصور بن الفضل ٢٨٦ .
 محمد بن مهنا الصليحي ١٥٢ .

محمد بن يعفر ٣٤ .
 محمد أبو الخير بن يوسف ٣٠١ .
 محمود الغزنوي ٢٢٤ ، ٢٢٩ .
 المختار ١٨ ، ٢٣ .
 بانخرمة : ٧٤ ، ٨٥ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ،
 ١١٢ ، ١٣٨ ، ١٥٢ ، ١٦٤ ،
 ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ٣٥٩ .
 مدافع بن الحسن الجنيبي ١١٥ ، ١٢٠ .
 ٣١٢ ، ٣١٦ .
 مدرك بن بشر بن حاتم الياي ٢٩١ ، ٢٩٣ .
 ابن مدين ١٨٤ .
 مرجان ٦٥ .
 مرزبان بن إسحاق ٢٢٥ ، ٢٢٧ .
 مروان بن الحكم ٢٣ .
 المستعلي بن المستنصر الخليفة الفاطمي :
 ١٧٨ ، ١٨١ ، ٢١٧ ، ٢٩٦ ،
 ٣١٩ ، ٣٢٤ .
 المستنصر بالله الخليفة الفاطمي : ٢ ، ٤ ، ٦ ،
 ٦٠ ، ٦٨ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٤ ،
 ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ،
 ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٧ ، ١٠٣ ،
 ١١١ ، ١٢٩ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ،
 ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،
 ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ،
 ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢١٢ ،
 ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ،
 ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ،
 ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،
 ٢٣٠ ، ٢٤٥ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ،
 ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ،
 ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٣٠٢ ،
 ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨ ،
 ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٥٩ .
 السعود بن السكامل الأيوبي ٢٨٦ .
 ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ .
 مسعود بن السكر الحمداني ١٦٤ .

المتاب بن إبراهيم بن عبد الحميد السباعي
٥٥ ، ٥٦

منصور بن فانك ١٦٣

المنصور الفاطمي ٤ ، ٥٩ ، ٢٤٥ ، ٢٥٦
منصور بن محمد اليامي ١٢٠ ، ٣١٣ .

منصور بن الفضل بن أبي بركات الحميري
١٦٩ ، ١٧١ ، ٢٠٩ ، ٢٤٤ ، ٢٤١

منصور بن المفلح ٢٠٠

منصور التميمي ٣ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ١٢ ، ١٤ ،
٢١ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ .

٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ،
٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ،

٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ،
٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٥ ،

٥٩ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٢٢٢ ، ٢٣٥ ،
٢٣٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨

المنصوري ٣٨ ، ٣٣ ، ٣٦٠ .

المهدي الفاطمي : انظر عبد الله بن الحسين
مهدي بن علي ٢٣٩

مهنا بن علي المظفر بن الصليحي ١٠١

موسى بن أبي حديفة ٣١٢

موسى بن علي بن رسول ٢٩٤

الموفق بن علي بن محمد الصليحي ١٠٠ .
٢٣ ، ٣٠٢

مواهب بن حديد المعزى ١٦٥

ابن ميسر ١٧٣ ، ٣٦٠ .

ميمونة بنت علي الصليحي ٢١٦

(ن)

الناصر بن أحمد المستضيء العباسي ٢٤١
ناصر الدولة بن حمدان ٩٧ ، ٣٧٠

الناصر أبو الفتح الديلمي ٨٢ ، ٨٣ ،
٢٣٦

الناصر بن طفتكين ٢٨٥ ، ٢٨٦

نجاح العبد ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ،
٨٦ ، ٢١٨

السعود ٢٤

مسلم بن الزور ١٦٧

مشرقة ١٧٩

المشرح فارس ذي رعين ٢١

مصطفى البقا ١١

مصعب بن الزبير بن العوام ١٣٣

الملك المظفر : انظر علي بن محمد الصليحي

المظفر بن حاج ٣٧

المظفر بن زياد ٣٠١

معاذة بنت علي بن الفضل ٤٨

معاوية بن أبي سفيان ١٢ ، ١٧ ، ١٨ ،
١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ .

معد بن أبي عجم : انظر الخليفة
المنصور .

أبو العلاء المعري ٢٦٢

المعز لدين الله الخليفة الفاطمي ٥ ، ٥٣ ، ٥٥ ،
٥٩ ، ٢٢٣ ، ٢٤٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ،

٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ،
٣٢٤

معز الدين الغزنوي ٢٢٤

معن بن حاتم ٢٣٩

المفضل بن أبي البركات الحميري ١٥٤ ،
١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،

١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ٢٠٩ ،
٢٣٥ ، ٢٣٦

مفضل بن الزريع ١٦٩

مفلح الفاتكي ٢٠٠

المقداد ١٣

المقريزي ١٦ ، ١٤٩ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ،
٢٢٠ ، ٣٥٩ .

المكتفي العباسي ٣٩

المكرم : انظر أحمد بن علي الصليحي

ابن أبي الملاح ٣٨

الملكة السيدة المرة : انظر أروى بنت أحمد
من الله الفاتكي ١٧٠ ، ٢٠٠

ابن هند : انظر معاوية بن أبي سفيان
الهميم ، ابن أخى منصور بن ٣٨ ، ٢٢٣

(و)

وهب بن منبه ٢٤٠

(ي)

اليازورى ، أبو محمد على بن عبد الرحمن
١٧٩ ، ٢٠٣

أبو بكر الياقنى ١٦٦

ياقوت ٢٦٢ ، ٢٨٥ ، ٣٦٢

يحيى بن إبراهيم الصغارى ٨١
يحيى بن أحمد بن الحسين الهارونى الديلى
٢٣٧

يحيى بن أبى حاشد ٨٢

يحيى بن الحسين صاحب الأنباء ٧ ، ٣٦
٤٢ ، ٣٦٢ ، ٣١

يحيى بن حمزة بن وهاس ١٥٢ ، ١٥٣
٢٣٧

يحيى حميد الدين ، الإمام المتوكل على الله ٢٥١
يحيى بن ملك ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٩٠
٢٦٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٩ ، ٢٩٨

يزيد بن عيسى الوائلى ١٦٧

يزيد بن معاوية ٢٣

يعفر بن عبد الرحيم الخوالى ٢٨

يعفر بن السكرندى ١٢٨

يعقوب النبى ٣٢٤

يوسف بن أحمد بن الأشح ٥٧ ، ٦٠

يوسف بن حنين الضمرى ٣٠٦

يوسف بن زائد السنجانى ٣١٢

يوسف بن محمد ٩٦ ، ٣٠٥

يوسف بن موسى بن أبى الطفيل : انظر

ابن أبى الطفيل

يوسف النبى ٢٥٦

نجم بن بشارة ١٣٨

ابن نجيب الدولة : انظر على بن إبراهيم

نجيب بن عفير ٩٦ ، ٣٠٥

ابن النديم ٢٥١ ، ٣٦٠

ابن الفناخ : انظر حسن بن محمد

الفنقى ، الشيخ محمد بن أحمد ٢٤٥ ، ٢٥٧

٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧

٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٧٢ ، ٢٦٩

نسلان ١٨٤

نشوان الحميرى ١٢ ، ١٧ ، ٣٧ ، ٤٢

٤٨ ، ٧٨ ، ٣٦٠

نظام الملك ٢٥١

النعمان ، القاضي ٥٠ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٩

٤٠ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٢٢٣

٢٤٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦

٢٦٠ ، ٢٦٥ ، ٢٩١ ، ٣٦٠

نعم الشاعر الهلالى ١٥٥

نفس ٦٥

النوشرى : انظر عيسى النوشرى

النورى ١٨ ، ١٨٥ ، ٢١٧ ، ٣٦١

نور الدين مولاى ، روب ثات ٢٢٥

(هـ)

هارون بن محمد بن رحيم ٥٦ ، ٦٠ ، ٦١

هارون بن محمد بن قيس ٢٥٢ ، ٣٠١

الهادى ، الإمام يحيى بن الحسن الرسى

٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨

ابن هانئ ٢٥٦

ابن هباله ١٣٨

هزار الملوك ١٨٥

ابن هشام ، صاحب السيرة ١٣ ، ١٠٥

٣٦١

هشام بن القيب الحمدانى ٢٣٩

أم همدان بنت أحمد المكرم الصليحي ١٤٧

القبائل

(خ)	(١)
خولان ٢٥ ، ١٦٥ ، ١٩٠ ، ٢٤٠ ، ٣١٢	أد ١٣٣ . الأزد ١٦ ، ١٣٣ . الأشعرون ١٩ . بنو أصبح ٦٣ . بنو الأصلوح : انظر بنو الصليحي . بنو أمية ٢٣ . بنو أيوب ٢٨٧ ، ٢٩٢ .
(ذ)	(ب)
ذواوات ٨٤ .	بكيل ٦٣ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٣١ ، ٣١٣ .
(ر)	(ث)
ربيعه ١٦ . آل رسول ٢٤ ، ٢٩ . ذورعين ٢١ ، ٢٥ ، ٩٤ ، ١١٧ ، ٣١٥ ، ١٢٧ ، ١٢٧ ، ١١٨	قف ١٨ .
(س)	(ج)
سبأ (سبا) ٨٤ ، ٢٢٨ . بنو سليمان الأشراف ٢٤٠ . سندجان ١٦٣ ، ١٧٠ ، ٣١٦ . سهرت ٨٤ .	بنو جبير ١٢٧ . جشم ١٩١ . جنب ١٢٣ ، ١٣٠ ، ٢٧٦ ، ٣١٦ . جهينة ١٦ .
(ش)	(ح)
شاكر ١٧ . بنو شهاب ٧٨ ، ٨١ ، ٢٧٥ . بنو شبة ٩١ ، ٢٢١ .	بنو حاتم الهمدانيون : ١٢ ، ١٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٢ ، ٢٨٨ . بنو الحارث ١٢٨ . حاشد ١٧ ، ١٢٧ ، ١٧٤ ، ١٩٤ . حجور ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ . بنو حسن ٩٠ . حرت ٨٤ . خير ٢٨ ، ٣٥ ، ١١٦ ، ١٣٠ ، ٢٢١ ، ٢٣٦ ، ٢٧٣ ، ٣١٢ .
(ص)	
صحر ٨٤ . بنو صعب ١٢٨ . بنو الصليحي ١٤٦ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ٢٤٠ ، ٢٠٠ .	
(ط)	
بنو الطيب الحسينيون ٩١ .	

بنو موسى ٣٢ .
المعافر ٢٨ ، ٨٥ .
مذحج ١٨ ، ١٩ ، ٣٦ ، ١٢٨ .
بنو محرز ٢٧١ .
بنو معين ٢٢٧ .
بنو مهدي ٢٤٢ .

(ن)

بنو نجاح أو النجاشيون ١٧٠ ، ٢٠٠ ،
٢٠١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ .
النخع ١٨ .
نهد ١٢٣ .
نهم ١٧ .

(هـ)

بنو الهادي ٢٤٠ .
بنو هيرة (آل هيرة) ٢٧٤ .
بنو الهجري ٧٩ .
همدان ٣ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢١ ،
٢٥ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧١ ، ٧٨ ، ٨٢ ،
٨٩ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٧ ،
١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٩٠ ، ٢١٤ ،
٢٢١ ، ٢٣٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،
٢٧٧ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٢٩١ ،
٢٩٥ ، ٣١٢ ، ٣١٦ .

(و)

بنو وائل ٦٢ .

(ي)

يام ١٧ ، ١٢٣ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٧٤ .
يخصب ١٧ ، ٣٧ ، ١٤ ، ١١٧ ، ١١٨ ،
١٢٧ ، ١٢٨ ، ٢٨٤ ، ٣١١ ، ٣١٥ .
اليعابر أو بنو يعبرو ، ١٩٥ ، ٢٧٦ .
يعرب ١٣٣ .
اليعافر أو بنو يعفر ١٢ ، ٢٨ ، ٣٥ ، ٥٦ .

(ع)

بنو عبد الواحد ٦٣ .
عيس ٣١١ .
بنو عجيل ٧٥ .
بنو العرجي ٣٤ ، ٥٤ .
بنو عشب ٥٥ .
عك ١٥ ، ١٩ .

عنس ٨٢ ، ٩٤ ، ١١٣ ، ١٢٧ ، ١٦٣ ،
٢٧٦ ، ٣١١ ، ٣١٥ .

(غ)

غافق ١٥ .
بنو غسان ١٢١ .

(ف)

بنو فطيمة ٢٥ .

(ق)

بنو القاسم العياني ٢٤٠ .
قحطان ١٢٦ ، ١٣٣ ، ١٧٤ .
قدم ٥٦ ، ٦٠ .
قريش ١٣٣ .
بنو قليد ٧٤ ، ٧٩ .

(ك)

كتامة ٣٩ .
بنو الكرندي ٦٢ ، ٦٦ ، ٨٢ .
كندة ١٧ ، ١٩ ، ٧٨ .
ذو كلاع ٢٥ .
كهلان ٧٨ ، ١٧٤ .

(ل)

لحم ١٦ ، ١٧ .

(م)

بنو مالك ١٨ .
بنو معن ٦٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١٦٤ .

الاماكن والبلدان

- . البنجاب ٢٢٣
- . بيت ردم ٢٧٥
- . بيت ريب ٣٤
- . بيت عناد ٧٩
- . بئر العزب ٢٩٠
- . البيض ، مخالف ٣٥
- . بينون ١٢٨

(ت)

- . التركستان ٢٥٢
- تغر ٨٨ ، ١٦٢ ، ١٦٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٩٤
- . التعكر ٤٨ ، ٨٨ ، ١٠٧ ، ١١٣ ، ١١٩ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ٢٣٦ ، ٢٤١ ، ٢٤٠ ، ٣١١ ، ٣١٣

- . تهامة ٤٤ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٥ ، ١١٦ ، ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٥١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٠

- . تهامة الشام ٢٤٠
- . التهاميم ٦٢
- . التومار ٤٨

(ث)

- . الثلاث ٤٣
- . ثلا ٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٩٠

(ج)

- . الجالد ١١٧
- . ذي جبلة ٨٨ ، ١١٩ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٣

- . إسكندرية ١٦
- . أسوان ٢١٨
- . آسيا الصغرى ٢٢٨
- . أسبوط ١٦
- . إب ٣٦ ، ٢٤١
- . أبن ٣٥ ، ٣٦ ، ٦٣ ، ٨٦
- . الأحساء ١٣٤ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٣٢ ، ٢٦٢
- . أحور ٨٦
- . الأخرج ١٩٤
- . أرحب ١٧ ، ١١٧ ، ١٢٧
- . أشيخ ١٠٧ ، ١٣٠ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ٢٤٠
- . إفريقية ٢٢٣
- . أم الدهيم ١٢٩

(ب)

- . باب المصرع ٢٢
- . باريس ١٩٥
- . بتاح ٧٩
- . البحرين ٣٨ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٣٢ ، ٢٦٢
- . بخارى ٢٥١
- . برع ٦٣
- . البصرة ١٦ ، ٢٢
- . بعدان ٣٦ ، ٦٣ ، ٨٥
- . بغداد ٢٩ ، ٣٧ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٧٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٤١ ، ٢٥١ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦
- . بلاد الجزيرة ٢٢٩
- . بلاد ما وراء النهر ٢٢٨
- . بلوختان ٢٢٣
- . بنت ٢٢٧

خراسان ٢٥١ .

الخصراء ٦٣ ، ١٦٤ .

خنوة ١٦٦ .

(د)

دار شجار ٨٨ .

الدكن ٢٢٤ ، ٣٢٥ ، ٢٢٦ .

دلال ٣٦ .

دمشق ٢٥٨ ، ٢٩٤ .

الدملوة ٨٥ ، ٢٣٩ .

دهلك ٨٦ ، ١٢٣ .

دهن كام ٢٢٥ .

دهوان ٦٣ .

(ذ)

ذخار ٣٥ .

ذمار ٢٨٤ ، ٢٨٧ .

ذمرمر ٣٣٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٩٢ .

ذى أشرق ١١٩ ، ٢٤١ .

ذبيان ١٢٧ .

ذى سفال ١١٩ ، ١٦٢ .

ذى عدينة ٢٣٩ .

(ر)

رداع ٨٢ .

الرس ٢٥ .

الري ٢٥١ ، ٢٧٢ .

(ز)

زبار ٨٠ .

الزرائب ٨٣ .

زبيد ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٥٧ ، ٦٢ ،

٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٨٣ ، ٨٤ ،

٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٥ ،

١٠١ ، ١١٠ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ،

١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ،

٢٠٠ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ،

٢٣٩ ، ٢٤٠ .

الجرب ١٩٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ .

الجل ١٨ .

جبل الجيمة ٣٤ .

جناية ٤٥ .

الجند ٢١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٨٥ ، ٨٨ ،

١٠٧ ، ١١٣ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ،

١٧١ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٨٤ .

الجوحب ٢٧٥ .

الجوف ٢٨٥ .

الجوفين ٢٣٧ .

(ح)

حب ٦٣ ، ٨٥ ، ١٣٥ ، ٢٣٩ ،

حجاز ٣ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٨٨ ،

٩١ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١١٤ ، ١٣٢ ،

٢٢١ ، ٢٣٢ .

حراز ٦٥ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ،

٧٨ ، ٨٩ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ،

١٠٥ ، ١١٢ ، ١١٨ ، ١١٩ ،

١٣٧ ، ١٧٥ ، ٢٥٠ ، ٢٧٠ ،

٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ،

٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ .

الحرف ٤٣ .

حضر موت ٣ ، ٦٣ ، ١١٤ ، ٢٣٢ .

حضور ٧٩ ، ٨١ ، ١١٥ .

الحطيب ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

الحلى ٩٣ .

الحراء ١٢٨ .

حضة ٢٧٦ .

حلان ١٢٨ .

حيس ٦٥ .

(خ)

خدد ١٠٧ ، ١٣٠ ، ٢٠٤ .

الشرف ١٥١ .
شعاف ٢٧٥ .
الشعر ٦٣ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،
٣١٧ .
شهادة ٢٤٠ .
الشواقي ٨٥ ، ١٢٨ .

(ص)

صبر ١٦٨ ، ٢٤١ .
صيهاب ٢٨٤ .
صعدة ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٧٨ ، ٨٢ ،
٨٣ ، ٢٣٨ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ .
صفان ٧٤ ، ٧٥ .
صفين ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ .
صقلية ٢٢٨ ، ٢٢٩ .
صنعاء ٣ ، ١٤ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ،
٢٨ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٤ ،
٤٦ ، ٤٨ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٨١ ،
٨٢ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٠ ،
٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠١ ،
١٠٦ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٨ ،
١٢٠ ، ١٢٦ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ،
١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،
١٣٦ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٧٥ ،
١٨٥ ، ٢٠٦ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ،
٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ،
٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ،
٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٠٢ ، ٣٠٧ ،
٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ،
٣١٥ ، ٣١٦ .
صوف ٨١ .
الصومال ٢٢٧ .
صيد ٣١٦ .
الصين ٢٢٩ .

١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،
١٤٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ،
١٦٤ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ٢٠٠ ،
٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ،
٢٨٦ ، ٢٩٢ ، ٣١١ ، ٣١٣ ،
٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٧ .

(س)

الساعد ١٣٢ ، ١٣٣ ، ٢٠٠ .
السبخة ٦٥ ، ٢٩٠ .
سحار ١٩٩ .
السجول ٤٧ ، ٦٣ ، ٨٥ .
السمرة ٦٥ .
سرو يافع ٣٤ ، ٤١ .
سالية ١٣١ .
سمارة : افطر ثقيل صيد .
السمدان ٦٢ .
السند ٣٨ ، ٢٢١ ، ٢٣٢ ، ٢٦٢ ،
٣٧٠ ، ٢٧٧ ، ٢٩٢ .
سورية ١٧٨ .
السيان ٢٠٦ .
سيلان ٢٢٤ .

(ش)

شاطح ٦٣ .
شاكر ١٣١ .
الشام ٢٣ ، ٢٤ ، ١٣٤ ، ١٧٤ ،
١٨٩ ، ١٩٤ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،
٢٦٢ ، ٢٧٢ .
شيام ١٧ ، ٣٥ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٧ ،
٥٨ ، ٦٠ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٩ ،
٢٧٥ .
الشجر ٦٣ ، ١٣٤ .

غلافقة ٣٢ .

الغمد ٦٣ ، ١٢١ ، ٣١٠ .

(ف)

فارس ١٧٧ ، ١٧٨ ، ٢٢١ ، ٢٦٢ ،

٢٦٦ .

فرنسا ٢٢٩ .

(ق)

القادسية ٣٢ .

القاهرة ٢ ، ١١ ، ١٦ ، ١٤٢ ،

١٧٦ ، ١٧٩ ، ٢٢٧ ، ٢٥٧ ،

٢٦٣ ، ٢٧٠ .

قناب ٢٠٥ .

قتر ٦٥ .

قطابه ٥٥ ، ٥٦ .

قوارير ١٥١ .

القيروان ٢٦١ .

قيضان ١٦٣ ، ٢٠٩ ، ٢٤٠ .

(ك)

كحلان ٣٥ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٧ ،

١٢٧ ، ٣١١ ، ٣١٢ .

كرار ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ١١٩ ، ٢٧٦ ،

كرمان ٢٦٦ ، ٣٧٢ .

الكنظام ١٣٨ ، ١٥١ .

الكعبة ٣٠ .

كبيبات ٢٢٥ .

كوكبان ٣٥ ، ٥٨ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ،

٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ .

الكوفة ١٦ ، ١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٣ ، ٢٢٩ ، ٣٢٢ .

(ل)

لاعة ١٢٨ .

لحج ٢٥ ، ٣٥ ، ٦٣ ، ٢٨٤ .

لهاب ٨٢ ، ٨٤ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ١٧٥ ،

٢٧٦ ، ٢٧٥ .

اللومي : ١٢٨ .

لولوة ٢٧٤ .

(ط)

طبرستان ٢٥١ .

طبرية ١٣٠ .

(ظ)

الظاهر ٢٣٧ ، ٣٢٤ .

الظرف ١٥١ .

ظفار ٢٢٧ ، ٢٨٥ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ .

الظلمة ٤٥ .

الظهرة ٢٧٥ .

(ع)

عبرى - مهم ٧٥ ، ٧٨ .

عبرى دعاس ٨٠ ، ٨١ .

عبر محرم ٣٣ ، ٣٤ ، ٥٤ .

عثر ١٤٠ .

عراس ٧١ .

العراق ١٨ ، ١٠٢ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ،

١٩٤ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢ .

العرقة ٢٠٠ .

العروس ٢٨٤ .

عدن ٣ ، ١٨ ، ٢٥ ، ٦٣ ، ٨٥ ،

٨٦ ، ١٣٠ ، ١٤٢ ، ١٦٤ ،

١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٢٩ ، ٢٣٩ ،

٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٨٤ .

عدن أبين ١٣ ، ١٤ ، ٢٥ .

عدن لاعة ٣١ ، ٣٢ .

جبل بنى عشب ٥٥ .

عصر ٢٩١ ، ٢٩٣ .

عكاد ٨٤ .

العكوتان ٨٤ .

عمان ٢٧ ، ٥٥ ، ١٤٨ ، ١٨١ ،

٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٣٢ .

العنبرة ٢٣٦ ، ٢٣٨ .

عين الورد ٢٣ .

(غ)

غجرات (البنجاب) ٢٢٣ .

غجرات (غرب الهند) ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(م)

مابه ١٣١ .

ما وراء النهر ٢٢٨ .

مشوه ٩٥ .

مجيح ٧٤ ، ١١٩ ، ٢٧٦ .

مخالف البيض : انظر البيض

المخلاف : انظر مخلاف جعفر

مخلاف جعفر ٣٦ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ١١٩ ،

١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ٢٨٤ .

مخلاف الجند ٦٢ .

مخلاف بنى طريفة ٣٢ .

مخلاف يربوع ٦٣ .

المدينة المنورة ١٣ ، ١٤ ، ٢٢٨

الذيخرة ٣٦ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٨ .

مسار ٦٣ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ،

٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ٩٥ ،

١٠٥ ، ١٩٦ ، ١١٣ ، ١١٨ ،

١٤٢ ، ٣١١ .

مسور ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٥ ، ٥٤ ، ١٢٨ ، ٣١١ .

مصر ٦٠ ، ١٠ ، ١٥ ، ١٦ ،

٢٤ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٥٠ ، ٥١ ،

٨٨ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٢ ،

١٦٨ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ،

١٨٢ ، ١٨٦ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ،

١٩٥ ، ٢٠٩ ، ٢١٨ ، ٢٢١ ،

٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،

٢٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ ،

٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

المغرب ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٠ .

المقامة ٧٤ .

مقر ١٥١ .

مكة ٢٢ ، ٢٥ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٨٧ ،

٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ،

٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٧٥ ،

٢٢٨ ، ٢٩٤ ، ٣٠٩ .

ملتان ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

الملوى ١١٧ ، ١١٨ .

منكث ٣٧

المنجل ٢٤ .

المهجم ٧٦ ، ١٠٠ ، ١١٣ ، ١١٥ ،

١٦٢ ، ٢٣٤ .

المهدية ٥٣ ، ٢٦١ .

الموصل ٢٢٨ ، ٢٩٠ .

مدين ٢٧٢ .

(ن)

نجد ١٣٤ .

نجد الجاح ٨٢ .

نجران ١٣ ، ٧١ ، ٢٣٧ ، ٢٥٠ ، ٢٧٠ .

نقيل ٤٧ .

نقيل صيد ١٣٠ ، ١٣١ ، ٢٠٦ .

نهر الخازن ٢٣ .

نقيل العجيب ٣٢ .

(هـ)

الهجر ٩٠ ، ١٠٠ ، ١٣٢ .

الهراية ٣٢ .

هران ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ٣١١ ، ٣١٢ .

الهند ٢ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٢ ،

١٨١ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ،

٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ،

٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٣ ،

٢٥٠ ، ٢٦٢ ، ٢٧٠ ، ٢٧٧ ،

٢٩٠ ، ٣١٨ .

(و)

وادة ١٧ .

وادي عين ٢٤٠ .

وادي نخلة ٦٣ .

وحافة ٦٣ .

وصاب ٦٣ ، ١٥١ .

(ي)

بلاد يافع ٣٣ .

يترب ١٣٤ .

يزد ٢٧٢ .

يريم ٢٠٦ .

يقوز ٦٣ .

اليامه ٢٧ ، ٣٨ .

اليونان ٢٤٧ .

تصويب

نعتذر عن وقوع أخطاء كثيرة عند طبع الكتاب وهذا تصحيح المهم منها :

ص	س	اقرأ	ص	س	اقرأ
ح	٢١	(ت ١٧٠)	٣٢	١٠	سمعت
ح	٢٢	(ت ٢٤٦)	٣٣	١٥	يقضون
٢	٢٥	للأئمة	٢٨	٢٢	— ١٢٠
٤	١٠	الكتاب الأخير هو	٣٩	٢	فإنها
٥	١٤	يزيد تقديرنا	٣٩	٢٢	جعفر
٧	١٦	كان فيما يظهر	٤٠	٢	المستجيبين
٩	١٤	نخص	٤١	٢١	المؤرخون ابن الفضل بأنه أحل
١٤	٧	على	٤٢	١	بما جاء من
١٥	١٧	استقروا	٤٢	٥	نبي
١٧	١٢	بالقنا فوارسها	٤٢	١٤	في نسبتهم
١٧	١٧	هم	٤٢	١٨	De Opkomst
١٨	١	يحبون	٤٣	١٩	ابن الفضل به
١٨	١١	سنة	٤٦	٢٠	فقصده
٢٢	٢١	وثقيف	٤٨	١٣	وثلاث وثلاثين مئة
٢٣	٢٢	إكليل ٦٦/١٠	٤٨	١٨	ووجه
٢٤	٣	لقتله	٥٢	١٢	تقديره
٢٥	٥	من	٥٣	١٩	أبا
٢٦	١٢	الناس	٥٤	١٦	يدعى
٢٦	٣	نجاح	٥٨	٢	والظاهر
٢٨	٩	اشتبكنا	٥٨	٢٠	السلطان
٣٢	٣	٣٩١	٦١	١١	كان

ص	س	اقراء	ص	س	اقراء
٦٢	٢٣	جمال الدين	٨٦	٧	دار الدعوة
٦٣	٦	العمد	٨٨	٨	محمد
٦٣	٢٠	الخضراء	٩٠	١٩	وانفرد
٦٤	٢٤	يسكنه	٩٣	٢٦	خطب
٦٧	٢٠	يحيى	٩٤	٥	دانوا
٧٣	٢٦	وتحت	٩٥	٨	العمد
٧٣	٢٧	المعانى	٩٥	٢١	نالاه الأسف
٧٤	٩	الله من	٩٦	٥	شم
٧٨	١٣	سوء	١٠٠	٣	ساقه
٧٨	١٤	ابن عباس	١٠٠	٤	ابن أسعد
٧٩	٢٠	اليعابر	١٠٩	٩	قبيح
٧٩	٢١	قريبة	١١٩	١	وافاهم جماعة من قبائل
٨٠	١٨	بالصلوات	١٢٥	١	بالتناء
٨٢	١٢	المنصور	١٢٥	١٧	قاسم
٨٢	١٩	المنصور	١٢٨	٥	سعيدا
٨٢	٢٤	الصليحي	١٢٨	١٠	عامر بن سليمان
٨٣	٢	لنفاد	١٢٨	١٦	فيها
٨٣	٩-١١	هذه المرة وفي مناسبات أخرى سياسة هواة أو تردد ، بل قصد منها تسكين الثارات لأن في تسكينها لليمن ولليمنيين خيرا .	١٣٠	٢٦	البحث
٨٤	٦	يسد	١٣٧	٢٤	الصليحيين
٨٤	٢٠	زييد	١٥٧	٢٢	مخلاف
٨٥	٢٠	بنى العباس	١٥٨	١٦	أمرى
			١٦٠	٢	والقيتم
			١٦٠	١٧	يفض

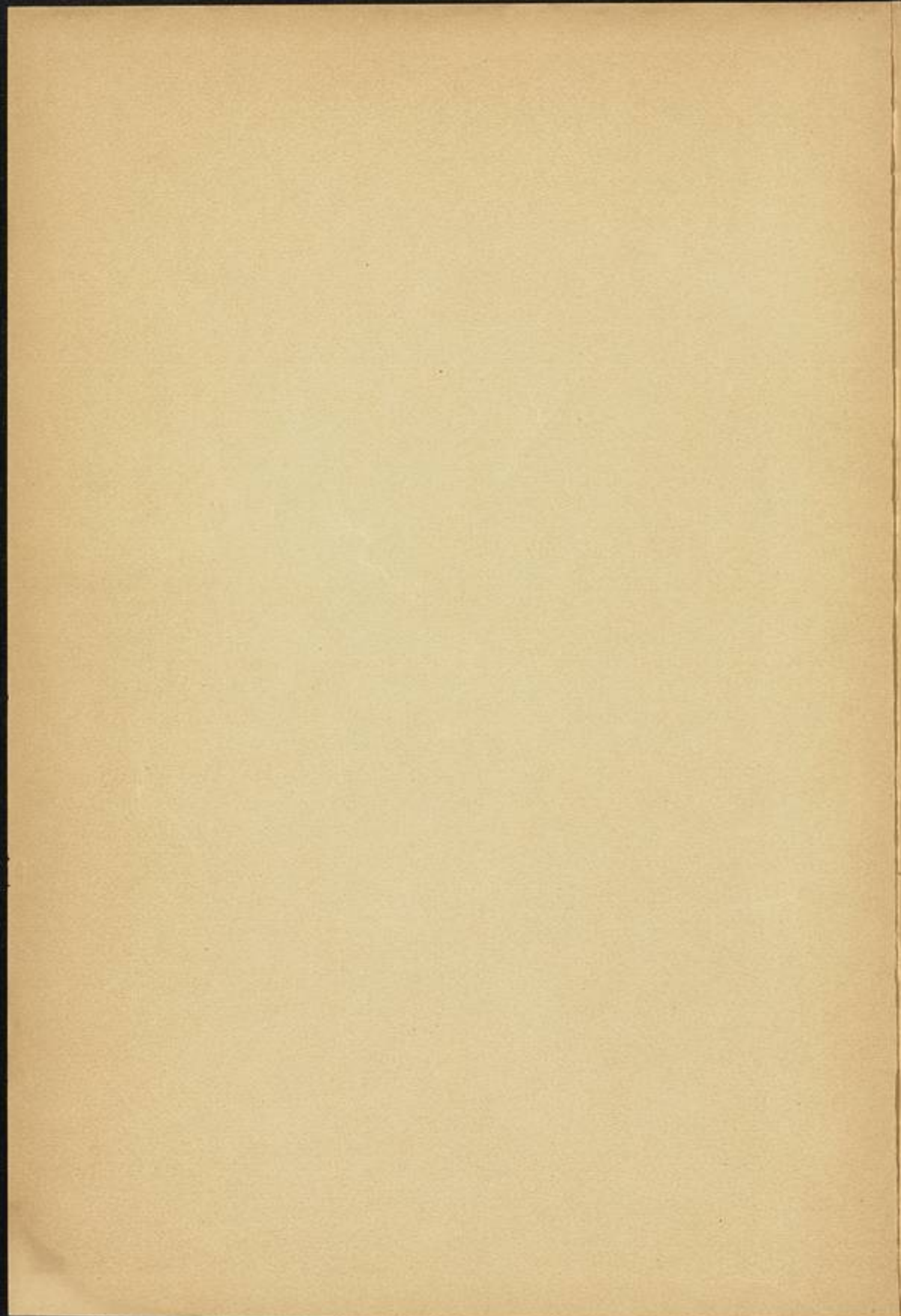
ص	س	أقرأ	ص	س	أقرأ
١٦٥	٢٦	وأفقه	٢٢١	٢١	كفهوم
١٧٠	٤	بقليل	٢٢٢	١٢	نصرتها
١٧٤	٢	أساء	٢٢٣	١	الدولة
١٧٥	١٤	بالحج	٢٢٣	١١	جلم بن شيبان
١٧٨	١٥	وضع أمور	٢٢٤	١	داود
١٨٠	١	إلى الملك المكرم	٢٢٤	٦	الفاطمية
١٨١	١٢	توفى	٢٢٤	١١	غجرات
١٨١	١٥	بشاقب	٢٢٥	٨	غجرات
١٨٤	١٠	وأقامه	٢٢٥	١٧	ملك
١٨٩	٢٢	امرأة	٢٢٦	١٦	سنة إحدى وستين
١٧٩	٢٤	الكذب	٢٢٨	١٧	نخص
١٩١	٦	وابن عم أمير المؤمنين	٢٢٨	٢٠	سبقت
١٩٣	١٢	قبل	٢٢٩	٣	لأنه
١٩٨	١٧	موف بما عاهد	٢٣٠	١٣	تمنح الصليحيين
١٩٩	٢	والجبت	٢٣٤	٢	إلى حكم اليمن
٢٠١	١٨	يأني	٢٣٩	٨	للقيام بأمر صنعاء
٢٠٢	٥	كأية	٢٤٠	٢٧	إلى
٢٠٢	٧	بقوة	٢٤١	٢	زوجته
٢٠٣	١٤	بمضجعه	٢٤٣	٥	لازدحام
٢٠٣	٢٣	رواية	٢٤٤	٢٠	الشيخ أبو يعقوب
٢٠٦	٩	الصحيحين	٢٤٥	٤	المتضادة
٢٠٨	٨	فقبلته	٢٤٦	١٨	فطهرهم
٢١٠	١٠	حياة	٢٥٠	٢٣	ونظرا

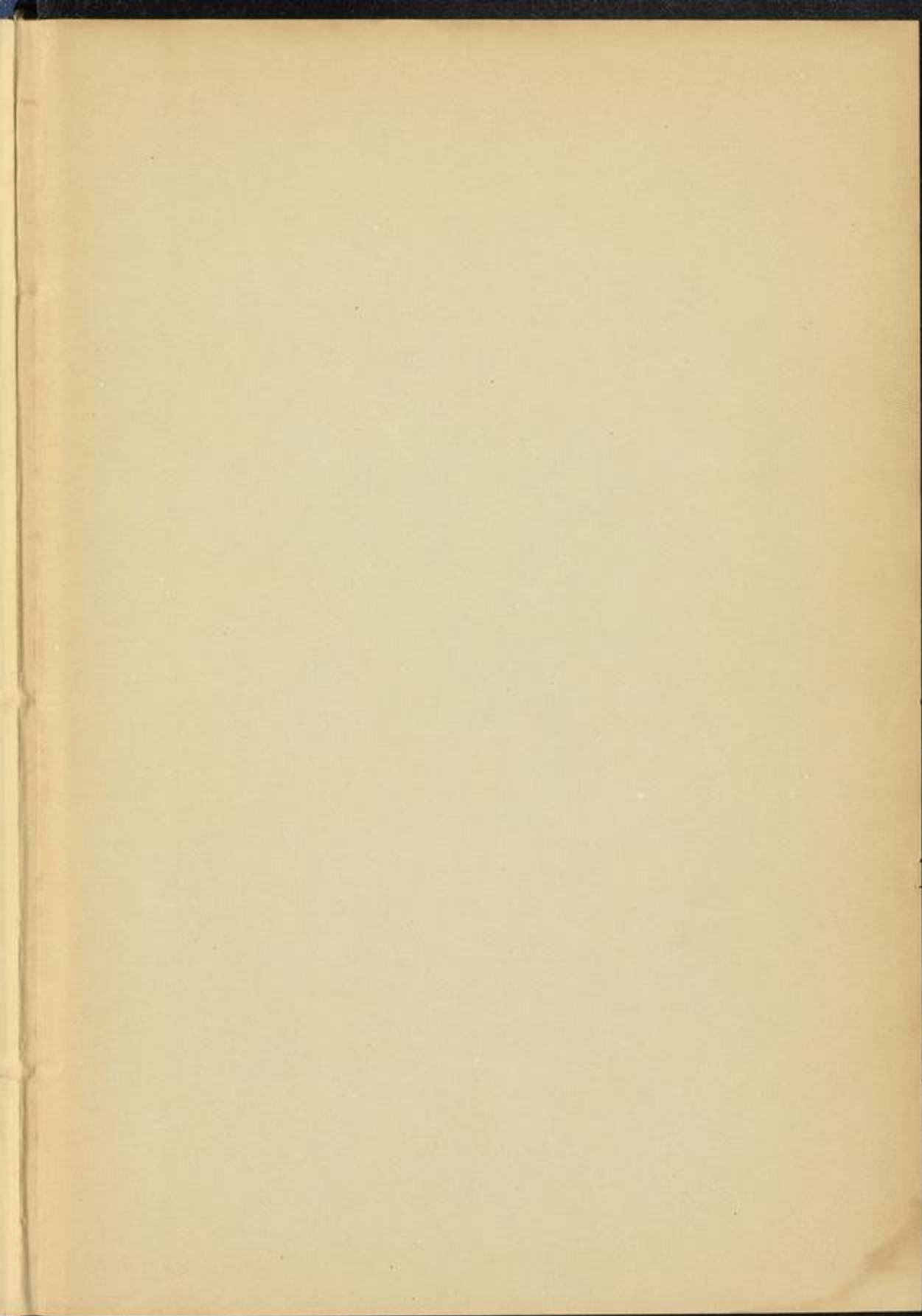
ص	س	اقراء	ص	س	اقراء
٢٥٢	١٨	وبيان الشهادة	٢٨٦	٢	إحدى عشرة
٢٥٣	١٦	السجستاني	٢٨٩	٣	وزبدة
٢٥٥	١١	وفضائل	٢٨٩	٧	أنه
٢٥٦	٢٤	لإصدار الديوان	٣٠١	٦	صلى الله عليه
٢٥٦	٢٥	مخطوطات	٣٠٥	٢١	لماضين
٢٥٧	١٧	(De Goeje)	٣٢٦	١١	سبع
٢٥٩	٢٧	JRAS	٣٢٦	٢٩	واستطته
٢٦٠	٦	وقصر	٣٢٧	٢١	ينها
٢٦٢	١	٤٧٢	٣٢٨	٢١	اثنان
٢٦٣	٢	ملك	٣٢٨	٢٢	اثنان
٢٦٤	١٥	المبدأ والمعاد	٣٣٥	٢	وهم من بني عبيد
٢٨٥	١٧	جميعا	٣٤٣	١	جدول رقم ٦

محتويات الكتاب

تصدير بقلم الأستاذ مصطفى السقا	ج
الإهداء	ك
رموز واصطلاحات	م
مقدمة المؤلف	١
الباب الأول : حركة الشيعة في اليمن قبل ظهور منصور اليمن	١٢
الباب الثاني : الدولة الفاطمية الأولى في عهد منصور اليمن	٢٧
الباب الثالث : الدعاة بعد منصور اليمن حتى ظهور الصليحي	٤٩
الباب الرابع : عهد الملك علي بن محمد الصليحي	٦٢
الباب الخامس : عهد الملك المكرم أحمد الصليحي	١١٣
الباب السادس : عهد السيدة الحرة الملكة أروى بنت أحمد الصليحية ... ١٤٢	١٤٢
الباب السابع : العلاقات بين الدولتين الفاطمية والصليحية مظاهرها وآثارها ٢١٢	٢١٢
الباب الثامن : أسباب ومظاهر سقوط الدولة الصليحية	٢٣٢
الباب التاسع : آداب الدعوة الفاطمية وتحولها إلى اليمن	٢٤٣
الباب العاشر : دعوة اليمن ونشاطها العلمي من أواخر عهد الملكة الحرة	
إلى ظهور دولة آل رسول	٢٦٨
قسم الملاحق	٢٦٨
قسم الجداول	٣٣١
قائمة المصادر	٣٤٩
ضميمة : تعليقات الدكتور عباس الهمداني	٣٦٧

٣٧٣		اليمين : مصور تقريبي رسمه الدكتور حسن سليمان محمود
٣٧٥		الفهارس رتبها الدكتور حسن سليمان محمود
٣٧٧		الأعلام
٣٩٠		القبائل
٣٩٢		الأماكن والبلدان
٣٩٧		تصوير
٤٠١		محتويات الكتاب







**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

NYU - BOBST



31142 00728 4659

DS247.Y4 H326n

al-Sulayhiyyun wa-al-harakah al